مكتبة

غوستاف دالمان

العمل والعادات والتقاليد في فلسطين

المجلد الأول: سَيرُ السنة وسَيرُ اليوم

الجزء الثاني: الربيع والصيف

ترجمة: محمد أبو زيد





العمل والعادات والتقاليد في فلسطين

المجلد الأول: سيرُ السنة وسيرُ اليوم

الجزء الثاني: الربيع والصيف

هذه السلسلة

في سياق الرسالة الفكرية التي يضطلع بها "المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات"، وفي إطار نشاطه العلمي والبحثي، تُعنى "سلسلة ترجمان" بتعريف قادة الرأي والنخب التربوية والسياسية والاقتصادية العربية إلى الإنتاج الفكري الجديد والمهم خارج العالم العربي، من طريق الترجمة الأمينة الموثوقة المأذونة، للأعمال والمؤلفات الأجنبية الجديدة أو ذات القيمة المتجددة في مجالات الدراسات الإنسانية والاجتماعية عامة، وفي العلوم الاقتصادية والاجتماعية والإدارية والسياسية والثقافية بصورة خاصة.

وتستأنس "سلسلة ترجمان" وتسترشد بآراء نخبة من المفكرين والأكاديميين من مختلف البلدان العربية، لاقتراح الأعمال الجديرة بالترجمة، ومناقشة الإشكالات التي يواجهها الدارسون والباحثون والطلبة الجامعيون العرب كالافتقار إلى النتاج العلمي والثقافي للمؤلفين والمفكرين الأجانب، وشيوع الترجمات المشوَّهة أو المتدنية المستوى.

وتسعى هذه السلسلة، من خلال الترجمة عن مختلف اللغات الأجنبية، إلى المساهمة في تعزيز برامج "المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات" الرامية إلى إذكاء روح البحث والاستقصاء والنقد، وتطوير الأدوات والمفاهيم وآليات التراكم المعرفي، والتأثير في الحيز العام، لتواصل أداء رسالتها في خدمة النهوض الفكري، والتعليم الجامعي والأكاديمي، والثقافة العربية بصورة عامة.

العمل والعادات والتقاليد في فلسطين

المجلد الأول: سيرُ السنة وسيرُ اليوم

الجزء الثاني: الربيع والصيف

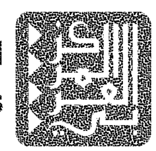
غوستاف دالمان

ترجمة

محمد أبو زيد

التحرير وضبط أسماء المواقع والتعابير باللهجات المحلية

صقر أبو فخر



المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

Arab Center for Research & Policy Studies

الفهرسة في أثناء النشر - إعداد المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

دالمان، غوستاف هيرمان، 1855-1941

العمل والعادات والتقاليد في فلسطين. المجلد الأول، سير السنة وسير اليوم، الجزء الثاني، الربيع والصيف/ غوستاف دالمان؛ ترجمة محمد أبو زيد؛ التحرير وضبط أسماء المواقع والتعابير باللهجات المحلية صقر أبو فخر.

448 صفحة: ايضاحيات؛ 24 سم. - (سلسلة ترجمان)

يشتمل على إرجاعات ببليوغرافية وفهرس عام.

ISBN 978-614-445-556-2

1. فلسطين - العادات والتقاليد. 2. فلسطين - أحوال اجتماعية. 3. فلسطين - جغرافيا. 4. فصول السنة - فلسطين. 5. الزراعة - فلسطين. أ. أبو زيد، محمد (مترجم). ب. أبو فخر، صقر (محرر). ج. العنوان. د. السلسلة.

390.095694

هذه ترجمة لكتاب

Arbeit und Sitte in Palästina
Band I
Jahreslauf und Tageslauf
2. Hälfte: Frühling und Sommer

By Gustaf Dalman

عن دار النشر

C. Bertelsmann Verlag, Gütersloh, 1928

Reprinted by Georg Olms Verlagsbuchhandlung, Hildesheim, 1964

الناشر



المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

شارع الطرفة - منطقة 70
وادي البنات - ص. ب: 10277 - الظعاين، قطر
هاتف: 00974 40356888

جادة الجنرال فؤاد شهاب شارع سليم تقلا بناية الصيفي 174
ص. ب: 4965 11 رياض الصلح بيروت 2180 1107 لبنان
هاتف: 8 991837 1 00961 فاكس: 1991839 00961
البريد الإلكتروني: beirutoffice@dohainstitute.org
الموقع الإلكتروني: www.dohainstitute.org

الطبعة الأولى
بيروت، تشرين الأول/ أكتوبر 2023

المحتويات

مقدمة

عليّ، في ختام المجلد الأول بشأن تقويم فلسطين العربية المعاصرة، بغية معرفة ماضيها التوراتي وما بعد التوراتي، أن أتقدم بالشكر إلى كثيرين ممن قدموا مساعدة تركت وقعًا في النفس. والشكر موجَّه بادئ ذي بدء إلى المُعيد السابق في معهد فلسطين في غرايفسفالد السيد المجاز جامعيًا رينغستورف (Lic. Rengstorf) (حاليًا في [جامعة] توبنغن (Tübingen)) الذي راجع المسودة، ومحّص فقرات الكتاب المقدس، ووضع فهرسًا لها. كما أود تقديم شكري بشكل خاص إلى السيد كارل شوخ (Karl Schoch) من معهد الحسابات الفلكية في برلين (Astronomisches Recheninstitut in Berlin-Dahlem) على ما قدمه من مساعدة مهمة في توضيح مسائل فلكية. وكذلك إلى مُدرِّس المرحلة الثانوية السيد شلوسر (Schloesser) في غرايفسفالد، لأن المساعدة التي قدمها إلي ولولدي ما كانت ممكنة إلا في الجزء الثاني من هذا العمل، فبودي دعوة القارئ إلى أن يأخذ في الاعتبار الصفحات 490-501 [النص الألماني] مما سبق أن قيل عن علم الفلك. وللأسف، خلال العمل على الجزء الأول من هذا الكتاب، لم تكن معروفة لدي مجموعة "أنطون الجميّل" من الأقوال العربية المأثورة عن مسيرة السنة في مجلة **المشرق** الصادرة في سنة 1905. وفي الجزء الثاني فحسب أخذتها في الاعتبار. ولأن هذه الأقوال المأثورة تمثل وسيلة مهمة لمعرفة آراء سكان الريف في ما يتعلق بمسار العام، قمت بتضمين أقوال مأثورة لم تؤخذ سابقًا في الحسبان في الملاحق، جنبًا إلى جنب مع تصحيحات لبعض الغلطات والأخطاء المطبعية. ولأن لهجتها اللبنانية تضمنت أشياء غريبة عليَّ

فإني أُقر بالجميل للسيد الياس حداد، كبير المعلمين في القدس، على سماحه لي باستعارة إجاباته عن سلسلة من الأسئلة في معنى بعض التعابير أو الأقوال الواردة في عملي هذا. كما أمكن تضمين الملاحق عددًا من الملاحظات عن الجزء الأول من هذا العمل أرسلها لي د. برافر (Brawer) في القدس.

معهد فلسطين في غرايفسفالد
15 حزيران/ يونيو 1928

3. فصل الربيع

أ. الحرارة المتصاعدة والأيام الأطول

تشمل أوقات الربيع (بالعربية "ربيع") في المفهوم الفلسطيني، بحسب تقسيمي لأوقات السنة (ص 50)، أشهر "اِذار" و"نيسان" و"أيار"، أي الوقت من 14 آذار/ مارس حتى 13 حزيران/ يونيو (بحسب التقويم الغريغوري). وينطبق ذلك على وصف البدو للأشهر من حزيران/ يونيو حتى آب/ أغسطس بِـ"قيظ"، حيث يميل المرء، وفقًا لذلك، اعتبار الأشهر السابقة ربيعًا على الرغم من أن في إلجي، ومن دون اعتبار "جمادِ" المطابق لشهر "أيار"، توصف الأشهر "شباط" و"آذار" و"خميس" بِـ"ربيع" (ص 46). وتبعًا للوصف العربي، يصرف انتباه الفلسطيني بدايةً إلى النباتات البرية النامية التي كانت قد بدأت تتبرعم في فصل الشتاء (ص 249 وما يليها). ولكن حين تكون تلك النباتات قد نَمَتْ بشكل تامٍ في هذا الوقت، تقوم بتحديد الطبيعة الفريدة للبلاد بطريقه خاصة جدًا، وبانتهائها تنتهي هي أيضًا. وغالبًا ما يحصل ذلك بشكل تام، بحيث تتوافر دواعٍ إلى منح الربيع شهرين والصيف أربعة، أو إضافة شهر "شباط" المحسوب لدينا [نحن الألمان] على فصل الشتاء، إلى فصل الربيع. إلا أن موضع الشمس والطقس يعتبران شرطًا لا بد منه للحياة النباتية، بحيث لا يمكن تخيل "الربيع" من دون خصوصيته في هذه المنطقة. وفي أي حال، يجب التطرق في البداية إلى هذه الشروط.

في 1 آذار/ مارس، كان موضع الشمس في القدس في الظهيرة 50° 36' 18"، وفي 1 نيسان/ أبريل 62° 43' 30"، وفي 1 أيار/ مايو 73° 15' 54"، وفي 1 حزيران/ يونيو 80° 15' 54"، في حين بلغت الأرقام المناظرة في برلين 30°،

42°، 52.5°، 59.5°. كما أن معدل طول النهار يرتفع من 11 ساعة و59 دقيقة في آذار/ مارس إلى 12 ساعة و57 دقيقة في نيسان/ أبريل، وإلى 13 ساعة و46 دقيقة في أيار/ مايو[1]. ويناظر ذلك ارتفاعٌ في درجة الحرارة على نحوٍ متزايد وبشكل مستمر. ووفقًا لغلايشر[2]، ينشأ المعدل التالي لدرجات الحرارة العظمى والصغرى اليومية:

آذار/ مارس	العظمى 16.9°	الصغرى 7.8°
نيسان/ أبريل	العظمى 21.2°	الصغرى 10.4°
أيار/ مايو	العظمى 25.7°	الصغرى 13.5°

وإذا راقب المرء درجات الحرارة العظمى والصغرى الشهرية وحدها، يجد أن المعدل خلال 20 سنة كما يلي:

آذار/ مارس	العظمى 26.4°	الصغرى 1.4°
نيسان/ أبريل	العظمى 29.5°	الصغرى 4.7°
أيار/ مايو	العظمى 33.5°	الصغرى 6.7°

أما القيم العظمى والصغرى الفعلية التي تقع ضمن هذا المجال، فهي:

آذار/ مارس	العظمى 33.5°	الصغرى 0.8°
نيسان/ أبريل	العظمى 35°	الصغرى 1.0°
أيار/ مايو	العظمى 36.1°	الصغرى 3.6°

يُستشَف من ذلك أن الصقيع الليلي لا يزال ممكنًا في شهري آذار/ مارس ونيسان/ أبريل في حالات استثنائية فحسب. ثم يطرأ ارتفاع عام على درجات الحرارة التي تصل في المعدل إلى مستوى حرارة الصيف في ألمانيا بشكل

---

(1) ذلك كله بحسب Brawer, *Ha-Rephua*، ص 322 (طبعة خاصة). المعطيات خاصة ببرلين ووفقًا لشلوسر، مدرس المرحلة الثانوية في غرايفسفالد. يُقارن أعلاه، ص 43 وما يليها.

(2) يُقارن:
Glaisher, *Meteorol. Observations*, tables I, II, IV, V, p. 18; Exner, *ZDPV* (1910), p. 148.

كامل، وفي واقع الأمر، غالبًا ما تتجاوزها. هذا كله ينطبق على القدس، بينما يفترض أن تكون الأرقام في المنطقة الساحلية وغور الأردن أعلى من ذلك كثيرًا.

أما بالنسبة إلى التغيرات اليومية في درجات الحرارة، فينطبق، بحسب غلايشر[3]، معدل الأرقام التالية: شباط/ فبراير 7.8°، آذار/ مارس 11°، نيسان/ أبريل 11°، أيار/ مايو 12.2°. بينما يورد إكسنر (Exner)[4] القيم التالية معدّلًا لدرجة الحرارة في الصباح وعند الظهيرة: آذار/ مارس 8.7° و14.8°، نيسان/ أبريل 13.3° و20.1°، أيار/ مايو 17.2° و24.9°، والأرقام 9.9°، 13.5°، 16.9° كمتوسط لتقلبات أشهر آذار/ مارس ونيسان/ أبريل وأيار/ مايو. وهذا يعني صعودًا إلى المقادير الكبرى الناشئة عن الفروق بين النهاية الصغرى والنهاية العظمى لميزان الحرارة في اليوم نفسه، كما يحصل في أثناء الصيف بطوله، إلا أن هذه الأرقام لا تُظهر حقيقة العلو والدنو اللذين لا تأذن بهما درجات الحرارة العليا والدنيا المذكورة أعلاه. يضاف الى ذلك أن الإنسان يشعر بتغير درجات الحرارة التي تهبط قريبًا من حد الصقيع بشكل مختلف عن التغير في درجة الحرارة في منطقة حارّة أكثر. وفي أي حال، تتوافر لدى الفلسطيني الفرصة في فصل الربيع للتذمر من البرد ومن الحر معًا. ولا يُنصح بخلع الملابس الدافئة مبكرًا؛ إذ قد تكون هناك حاجة إليها بعد الغروب. وقد مررت في سنة 1911 شخصيًا بهذه التجربة في عيد صعود المسيح إلى السماء (25 أيار/ مايو)، فربما أدى السفر بملابس الصيف إلى كنيسة الصعود الألمانية [على جبل الزيتون] إلى التهاب الزائدة الدودية وإلى إجراء عملية جراحية قبل ظهيرة اليوم التالي. وقد سجل ميزان الحرارة في ظهر هذا اليوم ارتفاعًا وصل إلى 22.3°، ثم عاد فهبط في الليل التالي إلى 10.5°[5]. وكانت هناك قبل ذلك درجات حرارة أعلى.

---

(3) Ibid., table VI, p. 18.

(4) *ZDPV* (1910), p. 154.

(5) وفقًا لمعلومات مشكورة قدمها البروفيسور بلانكنهورن (Blanckenhorn).

أما الجزء الأول من الربيع، أي "اِذار" والنصف الأول من "نيسان"، فيجب النظر إليه على أنه أجمل أوقات الربيع؛ إذ يشعر المرء خلالها بمتعة حرارة الشمس الدافئة. وقد يكون الدفء لا يزال مرغوبًا فيه لدى أهل المدن في آذار/ مارس، وقد يتسبب، في حال كان الشهر ماطرًا، في دفع حتى البدوي الجالس قريبًا من النار إلى القول لزوجته: "أساقِ من حَظٍّ وحظّ نَصيبتِ، أُم العدو يَقفِ شِرّهَ"، أي: "أستمتع بحظي وحظ نصيبتي (زوجتي)، أما العدو فيكفي شره" (عبد الولي). كذلك المثل[6]: "كُل وَحَد بِجُرّ النار لِقُرصهُ": "كل واحد يجر النار لرغيفه"، وربما لا يزال هذا المثل يُستخدم حتى الآن. ولكن في النصف الثاني من "نيسان" وطوال "أيار"، كثيرًا ما يكون ثمة فترات من الريح الشرقية الآتية بدرجات حرارة مرتفعة وهواء جاف يشعر بها الإنسان والحيوان بشكل قوي، لأنهما اعتادا فترة طويلة على ما هو مخالف لذلك. وسيتم التطرق إلى ذلك لاحقًا في III 5 [حين الكلام على عواصف الربيع والريح الشرقية والسراب]. وعند القزويني[7]، تعني مراحل القمر من "فرغ الأول" (α، β في بيغاسوس) [فرس مجنح يجعل الماء يتدفق برفسة من حافره] و"فرغ الثاني" (γ في بيغاسوس وα في أندروميدا) [أميرة حبشية شُدّت بالسلاسل إلى جرف عالٍ كي يلتهمها الغول، ولكن بيرسيبوس أنقذها وتزوجها] في 9 و22 "اِذار" حيث يتراجع البرد، كما أن زوالها في 9 و22 "اِيلول" يُنبئ بمجيئه. ومن "بطن الحوت" (جزء من السمكتان) الذي يظهر في 4 "نيسان"، يُعرف أن ذلك يعني طقسًا جيدًا للحج إلى مكة. وعن ذلك يقول الشاعر العربي: "اِذَا طَلَعَت السَمَكة - مَكنَت الحَرَكة - وتعَلَّقت الحَسَكة - وَنُصِبَت الشَبَكة"، أي: "إذا طلعت 'السمكتان'، تصبح الحركة سهلة، وتعلق الجزرة الذهبية (Daucus aureus) ذاتها[8]، وتُنصب شبكة صيد الطيور". وفي "نَوَشَرطان" (قرون "الحمل") يصبح الوقت انطلاقًا من 16 "نيسان" "لطيفًا". وعلى الرغم من أن الاعتدال الربيعي في 18 "اِذار" كان قد حصل، يقال عن ذلك: "اِذَا طَلَع الشَرَطان - اِستَوَ أجزاء

---

(6) Einsler, *Mosaik*, p. 87.

(7) Kazwini, *Kosmographie*, I, pp. 51, 42.

(8) تبقى ثمارها الشوكية التي كانت أنبتتها عالقة في صوف الغنم، كما يصف ذلك بطرس البستاني تحت "حَسَك". يعتبر سعديا، إشعيا 7:24 وما يلي، كلمة "حسك"، هي "شامير" العبرية.

الزِمان - وعادت الناس إلى الأوطان - وتهادت الأقارِب والجيران"، أي: "إذا طلع 'الشَرَطان' تصبح أجزاء الوقت متساوية ويعود الناس من (مقر إقامتهم الشتوية) إلى ديارهم، ويتبادل الأقرباء والجيران الهدايا". وفي 13 "أيار" يعني الظهور المبكر للثريا في بداية النصف الثاني الحار من السنة، كما يُورد ذلك القزويني[9]: "اِذَا طِلع النِجم - فالحَرّ في خِدم - والعِشب في حِطم - والعانات في كِدم"، أي: "عندما يظهر النجم (الثريا)، يصبح الحر في الخدمة والعشب يتكسر وإناث الحمير تعض (بعضها بسبب الحر)".

تسبق الظهور المبكر للثريا، بحسب القزويني، فترة تكون فيها الثريا غير قابلة للرؤية ليلًا ("اِستِسرار")، وتستمر ما يزيد قليلًا على 50 ليلة. وبناء عليه، يجب أن تبدأ الفترة في 25 آذار/ مارس (التقويم اليولياني). في حين يتحدث هيسيود[10] عن 40 يومًا تختفي خلالها الثريا، ومن المفترض أن تكون قد بدأت الغياب في الأيام الأولى من نيسان/ أبريل. كما أن اختفاء الثريا 42 يومًا يمثل حقيقة فلكية ثابتة. ويحدد غ. هوفمان (G. Hofmann)[11] غياب الثريا المتأخر في أثينا في سنة 430 قبل الميلاد في 7 نيسان/ أبريل (= 25 آذار/ مارس التقويم اليولياني)، وظهورها المبكر في 19 أيار (= 6 أيار/ مايو التقويم اليولياني)، وغيابها، تبعًا لذلك، كان في الفترة الواقعة بين 8 نيسان/ أبريل وحتى 19 أيار/ مايو. ويبقى غياب الثريا 50 يومًا قابلًا للشرح والتفسير، لأن الأمر منوطٌ بالوقت الذي جرت فيه حقًا رؤية النجم آخر مرة وأول مرة، الأخيرة والأولى، وهو أمر ممكن الحدوث، وحينئذ يكون قد تقلّب بمقدار ثمانية أيام. علاوة على ذلك، يحدد القزويني الظهور المبكر للثريا في 13 أيار/ مايو (التقويم اليولياني)، وهو ظهور متأخر عما كانت الحسابات الفلكية ستُظهره في وقته[12].

---

(9) Kazwini, *Kosmographie*, I, p. 43.

(10) Hesiod, *Opera et Dies*, pp. 385ff.

(11) عند:

Pauly & Wissowa,

أدناه .Fixsterne

(12) ومع ذلك يُنظر أدناه VI 2 [الصيف/ كوكبة الصيف].

تُشير الأقوال التالية، بما لا يدع مجالًا للشك، إلى الغياب المتأخر للثريا: "اِن غابت الثريَّ الحلال يِغيب دِهنُ[13] ويضعف"، أي: "عندما تغيب الثريا، يتضاءل دهن الماشية وتصبح أكثر عرضة للمرض" ("الكرك"). و: "الثريَّ تغيب علَ عِشب حابِس - وتِطلع علَ غِمر يابس"، أي: "تغيب الثريا على عشب وافر وتطلع فوق حُزُمٍ يابسة"[14]. وقد أوضح لي عبد الولي ذلك على النحو التالي: "تغيب الثريا متأخرة في 28 "جمادى" وتطلع في 4 "أول قيظ". أما السبعة أيام التي تفصل بينها، فتُسمى "السواهي"، وهي ذات هواء ضار. وفي حال هبوب ريح شرقية، تصبح ذات حر لا يُطاق. وقد تتحول الحبوب في يوم واحد إلى بيضاء وتخرج الحَبّ بشكل سيّئ إلى درجة تنكمش معها الحبيبات بدلًا من أن تنضج. وتعتل الماشية، لأن عليها فجأة التحول إلى الغذاء الجاف. ولا بد من أن يكون قد وقع خطأ هنا، حين يتعلق الأمر في الواقع بالأيام الأخيرة من غياب الثريا، وليس في الوقت الذي يفصل الغياب المتأخر عن الطلوع المبكر. كذلك لا بد أن تكون المعطيات غير صحيحة أيضًا، خاصة أن الغياب المتأخر للثريا، وفقًا لمعطيات أخرى، يحصل في 7 "جمادى"[15]. ومع ذلك، يبقى هناك شيء صحيحٌ بما لا يرقى الشك إليه، وهو ارتباط الحر الشديد بنهاية فترة غياب الثريا. كما يتحدث موزل (Musil)[16] عن حرارة شديدة وريح شرقية في النصف الثاني من "الربيع" نتيجة امتعاض الثريا من غيابها. وهذه الفترة من الحر هي المقصودة في الآراء والأحكام التي ذُكرت لي في الكرك: "اِن غابت الثريّ وما بيجِ مطر بيِحتِرِق الزِرع"، أي: "إذا غابت الثريا ولم يأتِ المطر، سوف يحترق الزرع"، أي سوف لا ينضج بالشكل الطبيعي، بل يجف قبل النضوج. و:"اِن طلعت اِلثريَّ يِحيَ الزرع ويعطِ فيه خضورة"، أي: "إذا طلعت الثريا، يحيا الزرع ويصبح أخضر". وحينذاك، تعود من جديد فترة أكثر برودة مصحوبة بالندى

(13) Musil, *Arabia Petraea*, vol. 3, p. 12:

"ذهنه"، أي: "دماغه"، وربما كان خطأً سماعيًا.

(14) يورد موزل في المرجع نفسه "زرع يابس" و"غَمر حابس"، ويفهم ذلك على أنه "فيض ماء عائق"، وهو غير ملائم هنا.

(15) يُقارن أعلاه، ص 23.

(16) Ibid., p. 12.

حين تنمو فيها الحبوب وتُكمل نضوجها الطبيعي. وكذلك يقول المرء في كفر أبيل: "لَ غابت (الثريَّ) أحرقت، لَ طِلعت غرَّقت"، أي: "إذا غابت (الثريا) أحرقتْ (بالحر)، وإذا طلعت أغرقت (بالندى)"، وفي الكرك: "يومِن تِطلع الثريَّ بصير بَراد"، أي: "حين تطلع الثريا يصبح الجو باردًا معتدلًا"، وذلك كله يعني أن الفترة التي تهب فيها الريح الشرقية الحارة تنتهي في حوالى 19 أيار/ مايو (التقويم الغريغوري) ويبدأ الطقس الصيفي العادي الذي يسوده هواء غربي.

وإذا كانت الثريا هي المؤشر على بدء الصيف[17]، حينئذ ينطبق ذلك أكثر على القلائص أو "الدِبران"، الذي يظهر في 26 "أيار". وعنه يُقال لدى القزويني[18]: "اِذَ طَلَع الدِبَران - تَوَقَدَّت الحَزان - وكرهت النيران - وَاستعرت الدِنان[19] - ويبست الغُدران"، أي: "إذا طَلَع "الدِبران" تلتهب الأرض الصخرية وتصبح النيران بغيضة وتسخن الجرار (الخالية من الماء) وتجف برك مياه الأمطار".

ودونما صلة بالنجوم، يتم الحكم على شهر ربيعي في القول الفلسطيني المأثور الذي سمعته في "القبيبة":

"اِذار - بِتوازن الليل والنِهار
وبِحمض اللِبن وبِبَرطِع الجَمَل
بِغرِق الراع[20] وبِنشف بلا نار
بصير مَرَّ شِميسة مَرَّ اِمطار[21]
وَبِدَّحِّ العنقَ وببيض الشنّار
وبصير ورق الدالية قدّ ذان الفار".

---

(17) يُقارن ص 38 وما يليها.

(18) Kazwini, *Kosmographie,* I, p. 44.

(19) هكذا يُقرأ بحسب ترجمة فلايشر (Fleischer) في إيثه (Ethe's)، ص 445.

(20) هكذا بحسب Sonnen, *Biblica*, VIII, pp. 65ff.

(21) في ما يتعلق بالسطرين الثالث والخامس من القول الفلسطيني المأثور، يتمتع لبنان بما يضاهيهما: "في آذار - بترنخ الراعي وبنشف في النهار"، و: "في آذار - بِعشِّش الدوري وبتورق الأشجار" (Ibid., p. 667).

وبكلام فصيح:

"في آذار يتساوى الليل والنهار،
يتخثر اللبن ويهيج الجمل،
الراعي يغرق[22] ويجف بلا نار[23]
تارة تسطع الشمس وطورًا تسقط أمطار.
وعشًا تبني[24] العنقاء[25] وبيضًا يضع الشنار،
ويصبح ورق العنب في حجم أذن الفار"[26].

وبحسب قراءة كنعان[27]، فإن أوراق أشجار "التين" هي التي تصبح مثل آذان الفئران، أي تبدأ بالنمو، كما هو معلوم بشكل عام: "في أذار بيتخلّق مِثل مخاليب إلفار"، أي: "في آذار يتم خلق (كل شيء) مثل مخالب الفأر". كما يستخدم هيسيود[28] صورة مشابهة حين يربط استئناف الملاحة البحرية بالوقت الذي "تصبح فيه الأوراق على أطراف غصون الشجرة قابلة للرؤية مثل آثار قدمَي الغراب". كما يُربَط تأثير آخر بالشهر ذاته حين يُقال في كفر أبيل في مطلع أغنية "اِذار" المذكورة أعلاه: "مِن عُقب عشرة في اِذار - تِطلع النار"، أي: "بعد العاشر من اِذار، تنتقل النار إلى الخارج "، أي: "يتوقف المرء عن الطبخ في داخل البيت الذي بدوره لا يصبح بحاجة إلى تدفئة". وفي الوقت ذاته، فإن كل شيء آخر ذُكر في الأغنية، يُقدَّم بعشرة أيام. وعلاوة

---

(22) ينتقع بللًا نتيجة زخات المطر الشديدة.

(23) من خلال أشعة الشمس.

(24) يُقارن "دَحو" "عش".
Canaan, *ZDPV* (1913), p. 283,
"بِتفَتِّح" يعني تصبح قادرة على الرؤية.

(25) ربما كانت "عنقا" [العنقاء] هي المقصودة أصلًا. وقد فهمها من أخبروني أنها تمثل حيوانًا ضخمًا غير معروف في فلسطين، ربما أفعى.

(26) أقوال تذكّر بأقوال مشابهة خاصة في الصيف والشتاء (ص 161، 226)، تضع "آذار" في مقابل الشهر الخاتم للشتاء: "يا شباط كيف فرقتهم [أي الناس] صُفر مبعجرين عَ المواقد راكبين يا آذار كيف فرقتهم حُمر موردين عَ النهورة [الأنهار] واردين" (Ibid., p. 668).

(27) *ZDPV* (1913), p. 281.

(28) Hesiod, *Opera et Dies*, pp. 679ff.

على ذلك، على المرء أن يضع نصب عينيه أن الأوصاف العربية للأشهر هنا، مثلما هي في أماكن أخرى، تتبع التقويم اليولياني، في حين أن أشهر الحسابات المناخية تتبع التقويم الغريغوري، ولذلك تتخلف مناخيًا 13 يومًا.

مع الدفء الأكبر تأتي الأيام الأطول؛ ففي مالطا يجري إبراز حقيقة أن برودة آذار/ مارس تقوّي البدن، وأن نهاره الأطول يسمح بعمل أوسع نطاقًا[29]. وفي فلسطين يُقال عن الراعي: "بِطلع الراعِ فوق الحيطان - يا مِعلِّمتِ كَبّرِ الغِرفان"، أي: "يصعد الراعي إلى السطوح[30] (وينادي): يا معلمتي دعي أرغفة الخبز تكون أكبر!" (رام الله). إذًا يحتاج الراعي إلى غذاء أكثر، علاوة على حاجته إلى أن يكون مرتاحًا أكثر. ولذلك[31]: "بِروحو الراعِ عَل حمار - لا مِن شَرد ولا من بَرد - اِلَّ من جوعةُ طول النهار"، أي: "يتركون الراعي يمتطي الحمار، ليس بسبب هطول المطر ولا بسبب البرد، وإنما بسبب جوعه طوال النهار". وثمة تقدم آخر في طول النهار ينطبق على نيسان/ أبريل، وتُمجد الآرامية الحديثة "تنافس الأشهر"[32]: "مدارات الشمس تتسع، وساعات النهار تصبح أطول". لذلك ظهرت النصيحة ذات النية الحسنة[33]: "مِن نيسان لا تِكرِّي نَفسك لإنسان، ثلاث وقعات ما بيِشبعوك وأربعَ ما بيطعَموك"، أي: "انطلاقًا من نيسان لا تدخل في خدمة الآخرين! ثلاث وجبات لن تشبعك، وأربع لن يُقدمها أحد إليك".

تتميز قوة شمس الربيع الآخذة في التعاظم في مراتبها: "شِمس شباط لكنّتِ - شِمس اِذار لَبنتِ - شِمس نيسان لَسِنّتِ"، أي: "شمس 'شباط' لكنّتي، شمس 'اِذار' لبنتي، شمس 'نيسان' لشيخوختي". ويُفترض أن يُحتفَظ بأشد درجات [حرارة] الشمس إلى الوقت الذي يفتقر فيه جسم الإنسان إلى حرارته

(29) Ilg, *Maltes. Märchen und Schwänke*, vol. 1, p. 207.

(30) "حيط" باللهجة الفلاحية هو السطح المنبسط.

[ليس المقصود هنا الإشارة إلى حائط بمعنى جدار، بل إلى سطح البيت. وباللهجة الفلاحية حين يتم الحديث عن الطلوع "على الحيط"، يقصد بذلك الصعود إلى السطح، وهي لا تزال دارجة في بعض المناطق. (المحرر)]

(31) Sonnen, *Biblica*, vol. 8, pp. 65ff.

(32) Lidzbarski, *Die neuaram. Handschriften der Kgl. Bibliothek zu Berlin*, pp. 442f.

(33) Canaan, *ZDPV* (1913), p. 283.

الذاتية. وفي اليونان، لا يرغب المرء حتى في تعرض ابنته لشمس آذار/ مارس لأنها ضارة(34). أما تجربتي الذاتية، فتمثلت في أن شمس نيسان/ أبريل التي تتسبب عادة في لسع أنفي وأذنيّ في أثناء جولاتي راكبًا عبر البلاد ومرتديًا قميصًا، تسببت في التهاب مقدم الساق على البحر الميت خلال دراستي لسان الأرض عند مصب نهر الأردن في 31 آذار/ مارس 1925. واللافت أن شمس أيار/ مايو لم تُذكَر أعلاه، مع أنها قادرة على الحرق فعلًا، وهو ما قد يتمناه المرء لعدوه. وفي أوقات الريح الشرقية، قد يُصاب كل من يُعرِّض نفسه لها دونما حماية كافية للرأس، وهو ما يتمتع به العربيّ دائمًا، بضربة شمس كما حدث لكثير من الأوروبيين المستهترين في فلسطين، وكما خبرها ابن الشونمية خلال موسم الحصاد في سهل يزراعيل [مرج إبن عامر] (الملوك الثاني 4:18 وما يلي)(35). وحتى التلمود اليروشليمي(36) يعتقد أن الشمس تتمتع بهذا التأثير خلال موسم الحصاد وحده، مشيرًا ربما إلى الريح الشرقية التي تزيد من حدة لفحة الشمس. والافتراض نفسه قائم في الشريعة اليهودية(37) حين تأتي امرأة من الحصاد وهي تنوح مرتدية لباسًا ممزقًا للتدليل على وفاة زوجها، ويصدقونها باعتبارها تقول الحقيقة.

ويمتاز "إذار، عوضًا عن شمسه الدافئة، بلياليه الباردة، وغالبًا بنهاره البارد، فهذا ما تفترضه النصيحة مسبقًا(38): 'خَبِّ فحماتك لكبار لَعمَّك إذار'، أي: 'إحفظ قطع الفحم الكبيرة لشهر آذار'!". وواقع الأمر أن التدفئة في هذا الشهر لا يمكن الاستغناء عنها، كما يشدد على ذلك كثير من الأقوال المأثورة في اليونان والتي تتهم آذار/ مارس بحرق أوتاد حدائق الفاكهة، مع أن جميع أنواع الوقود الأخرى قد تم استهلاكها(39). وهذا يتلاءم مع علامة آذار/ مارس التي كان الرعاة

---

(34) Mommsen, *Gr. Jahreszeiten*, p. 34.

(35) وزوج يهوديت خلال حصاد الشعير في السامرة الشمالية (Jud. 8,3).

(36) j. Jeb. 14ᵈ.

(37) Jeb. XV 1. 2.

(38) Canaan, *ZDPV* (1913), p. 283.

(39) Mommsen, *Jahreszeiten*, pp. 31ff.

الفلسطينيون قد منحوها ذات يوم[40]: "يموت الثور في أدار في الحظائر، وفي ظل شجرة التين يخلع جلده"، وقد صيغ ذلك المثل في بابل[41]: "حين يموت الثور في الصباح في الثلج، ويستلقي عند الظهيرة في ظل شجرة التين ويخلع جلده، إذا يكون هو أدار". وهذه العبارات مبالغ فيها، فما يرغب الثور في فعله في الصباح بسبب الثلج، وعند الظهيرة بسبب الحر، يُوصف كما لو كان حقيقة قائمة. وبالطبع يجري عبثًا البحث في هذا الوقت عن ظل شجرة التين، لأن أوراقها لم تورق بعد. وبشكل مماثل جدًا يُقال في اليونان عن آذار/ مارس[42]: "يُميت حتى طعام الصباح، ويُكسِّل حتى المساء، أي إن البرد يقتل في الليل البقر والأغنام، وفي النهار يجعل الحر (الحيوانَ الميتَ) فاسدًا متعفنًا"[43].

وعن شهر الخروج من مصر، أي نِسان، يُبرز التقليد اليهودي أنه كان ملائمًا للحركة، لأن الطقس لم يكن حارًا ولا باردًا[44]، أو لأنه لم تغطِّه شمس سيئة ولم تسقط فيه زخات مطر[45]. كما أن ذلك الطقس الجميل كان معروفًا في عيد الفصح وفي عيد العنصرة، أي من 15 نيسان/ أبريل حتى 6 سيوان [أيار/ مايو- حزيران/ يونيو]. ومن المفترض أن السنة بكاملها، قبل الطوفان، كانت تتمتع بهذه الخاصية[46]. وبالنسبة إلى الحملات العسكرية الفلسطينية والحج خلال عيد الفصح وعيد العنصرة وارتحالات يسوع، فيجب أخذ هذه الشروط المناخية في الاعتبار. وقد أغرت هذه الشروط معهدنا في القدس بالقيام بِـ"رحلة تخييم" سنويًا عبر أرجاء فلسطين، والتي كانت تنطلق عادة في

---

(40) j. R. h. S. 58b,

يُقارن:

Sanh. 18c

(41) b. Sanh. 18b.

(42) Mommsen, *Jahreszeiten*, pp. 25f.

(43) يُقارن بما قيل في ص 282 وما يليها عن التغير اليومي في درجة الحرارة.

(44) Siphre, Dt. 128 (100b); Mekh. des Schim. b. Jochai,

عن الخروج 13:4 (ص 32).

(45) Mekhiltha Bo 16 (19b).

(46) Ber. R. 34 (69b).

نهاية آذار/ مارس وتعود إلى القدس في 20 نيسان/ أبريل تقريبًا. وكانت هناك سنوات مثل سنة 1910، صعَّب المطر المتساقط يوميًا تلك التنقلات على الدواب. كذلك في 23 آذار/ مارس 1905، كان هناك سبب مقنع لشكوى إيكاردت (Eckardt) الشاعرية، والتي بعث بها من "السلط" إلى القدس[47]:

في "السلط"، في "السلط"

أقمنا ثلاثة أيام.

الثلاثاء، فرحون على ظهور جياد شامخة،

وفي المساء كنا مبلولين بللًا تامًا

والليل قارس جدًا

في "السلط".

كل خيمة، كل خيمة،

منقوعة في المطر، ثقيلة ومنتفخة.

في قاعات الدير الواسعة

استطاب المرء المكان،

لولا عالم الليل، عالم الليل.

[لكنا] كل يوم، كل يوم

نرفع ناظرينا إلى السماء بقلق وترقب،

هل الشمس لا تريد الإشراق؟

بلى، لكنها تُمطر حبالًا رفيعة،

مع أن البارومتر قد يرتفع في كل يوم.

لم يكن علينا، كما في السابق، البحث مرارًا عن بيت لنأوي إليه؛ فقد كنا نكتفي بالخيم، في حين أمضى سائسو البغال والفتية المكلفون العناية بها الليل في الخلاء مع الحيوانات، مستخدمين خيمنا واقيات من الريح.

---

(47) يُقارن:

PJB (1905), pp. 33ff.

ب. مطر الربيع ونهاية المطر

كما أن مطر الشتاء الأصلي ضروري لفلسطين، كذلك هو مطر الربيع الذي لا غنى عنه. وقد يكون مطر الشتاء ملأ الأحواض ونقع التربة. ولكن إذا انعدم المطر في الأشهر التي تزداد فيها الحرارة، والتي تعقب فصل الشتاء، حينئذ لا يمكن أن نتوقع محصولًا وافرًا، لأن الحبوب تتوقف عن النمو بدلًا من أن تطوّر سنابل مليئة بالحَبّ. وبالطبع لا يمكن أن يعوّض مطر الربيع، مهما كانت غزارته، مطر الشتاء إذا لم يكن كافيًا. وحين سقط في القدس في سنة 1925 حتى نهاية شباط/ فبراير 213.9 مم، كان لا بد أن يكون من المرحب به جدًا هطل 93.6 مم في آذار/ مارس ونيسان/ أبريل. ومع ذلك بقي المحصول مخيبًا جدًا للآمال[48].

أظهر رصد استمر قرابة 39 سنة أن متوسط ما سقط من أمطار في القدس في آذار/ مارس هو 107.3 مم، وفي نيسان/ أبريل 41.1 مم، وفي أيار/ مايو 6.3 مم[49]. وفي المعدل، حظي آذار/ مارس بثمانية أيام ماطرة، ونيسان/ أبريل بخمسة، وأيار/ مايو بيومين. وفي ضوء معدل أمطار سنوي يبلغ 661.9 مم، كان نصيب آذار/ مارس 16.9 في المئة، ونيسان/ أبريل 6.1 في المئة، وأيار/ مايو 1.1 في المئة. وقد بلغت كمية الأمطار العظمى التي سقطت في آذار/ مارس 267 مم، وفي نيسان/ أبريل 166 مم، وفي أيار/ مايو 26 مم. أما الكمية الصغرى، فبلغت في آذار/ مارس 11 مم، وفي نيسان/ أبريل صفر مم (مرة واحدة في 39 سنة)، وفي أيار/ مايو صفر مم (13 مرة في 39 سنة). كل ذلك يعني خطًا بيانيًا سريع الانحدار نحو انعدام المطر. وفي المنطقة الساحلية والمناطق المنخفضة، تختلف الظروف، بحيث إن انخفاضًا في سقوط الأمطار يبدأ في شباط/ فبراير ويستمر على مدى الأشهر التالية؛ ففي حين يُشكل مجموع أمطار الربيع في القدس 24.1 في المئة من الكمية السنوية، تشكل

---

(48) يُقارن ص 175 وما يليها.

(49) Hilderscheid, *ZDPV* (1902), pp. 22f.;

يُقارن:

Glaisher, *Meteorol. Observations*, tables I, II, to p. 24.

الأرقام المناظرة لها في طبرية 20.9 في المئة، وفي الساورونا بالقرب من الساحل 11.5 في المئة، وفي حيفا 14.2 في المئة، أي أقل بشكل جوهري. ويبلغ مجموع كميات الأمطار الساقطة في القدس 661.8 مم، وفي طبرية 528 مم، وفي الساورونا 557.9 مم، وفي حيفا 704.8 مم[50].

ونظرًا إلى العلاقة بمطر الشتاء، يمكن ملاحظة أن آذار/ مارس حظيَ بِـ 16.9 في المئة، ومعدل أمطار بلغ 107.3 مم، وهو معدل لا يزال قريبًا جدًا من شباط/ فبراير الذي يتمتع بِـ 19.4 في المئة و129.5 مم. وقد يكون المرء محقًا إذا اعتبر أن مطر آذار/ مارس هو ختام مطر الشتاء[51]، وحينئذ يظهر مطر نيسان/ أبريل وما يلحق به في أيار/ مايو كونه يشكل جوهر مطر الربيع. وبقدر ما هو ضئيل معدله البالغ 47.4 مم و7.2 في المئة من مجمل مطر الشتاء، فإن أهميته الزراعية عظيمة. وحتى يُمكن المرء فصل شهر أيار/ مايو عنه؛ إذ إن الأمطار الضئيلة جدًا في هذا الشهر، والتي غالبًا ما تغيب بشكل كليّ، هي، في واقع الأمر، غير ضرورية لنمو الحبوب التي هي الآن في طور النضوج.

وتبين السنتان 1921 و1925 الفروق التي قد تحصل هنا[52]؛ ففي السنة الأولى كان هناك مطر غزير في آذار/ مارس بلغ 105.8 مم. ولم تهطل قطرة واحدة في الفترة الواقعة بين 23 آذار/ مارس و28 نيسان/ أبريل. وفي 29 نيسان/ أبريل، سقط 4.4 مم، ومن 11–29 أيار/ مايو 2.7 مم، وفي 5 حزيران/ يونيو 2.2 مم. وهنا استُبدل مطر نيسان/ أبريل بمطر آذار/ مارس، مع أن المطر الهاطل في نهاية نيسان/ أبريل كان مرحَّبًا به، في الوقت الذي لم تتمتع به أمطار أيار/ مايو وحزيران/ يونيو بأهمية تُذكر. في المقابل، كان الوضع مختلفًا كليًا في سنة 1925؛ مطر آذار/ مارس ضعيف، إذ بلغ 13.3 مم فقط، وقد انتهى في 20 آذار، تبعه مطر في نيسان بلغت كميته 80.7 مم، منها 80.2 مم هطلت بين 3 و5 نيسان/ أبريل، 0.5 مم في 20 نيسان/ أبريل، تبعها

---

(50) Hilderscheid, *ZDPV* (1902), pp. 14f., 23, 27, 39;

يُقارن أعلاه، ص 177.

(51) يُنظر أعلاه، ص 173.

(52) وفقًا لرسالة خطية من السيد دينسمور (J. E. Dinsmore) في القدس.

0.5 مم في 18 أيار/ مايو، و2.4 مم في 14 حزيران/ يونيو. وهنا مثَّل مطر الأيام الثلاثة من نيسان/ أبريل إنقاذًا، حتى لو لم يكن في إمكانه إبطال تأثيرات مطر شتاء ضعيف لم يُسبق إلى مثله[53].

ويُظهر ما حدث في 18 أيار/ مايو 1913، وهو ما أخبرنا به شوماخر (Schumacher)، أن مطر أيار/ مايو قد يأتي، بشكل استثنائي، بكميات كبيرة من الماء[54]؛ إذ غمر مطر غزير مفاجئ مصحوب بالبَرَد وعاصفة رعدية شرق الأردن إلى الجنوب من حَوران، نهر اليرموك إلى درجة أن عرض حوض النهر في إحدى النقاط بلغ 60 مترًا، وارتفع مستوى المياه خلال 20 دقيقة 3.3 أمتار، في الوقت الذي كان قد سقط في محيطه مطر ضئيل. مثل هذا المطر الذي سرعان ما ينصرف ماؤه، لا يمكنه بالطبع أن يتسبب بغير الأضرار.

وعلى امتداد 36 سنة، بحسب هيلدرشايد (Hilderscheid)[55]، صادف نهاية موسم الأمطار 12 مرة في بداية نيسان/ أبريل أو نهايته، في 2 نيسان/ أبريل على أقرب حد، و24 مرة في أيار/ مايو، في 31 أيار/ مايو على أبعد حد. علاوة على ذلك، سُجل على مدى سنتين فقط في 5 و11 حزيران/ يونيو، حيث تجدر الملاحظة أن 13 حزيران/ يونيو يناظر 31 أيار/ مايو (التقويم اليولياني)، حيث يُمكن وصف شهر أيار على أنه وقت نهاية المطر. إلا أن الإحصاءات لا تُظهر هنا أن شهر أيار/ مايو بقي على مدى أربعين سنة 13 مرة كليًا بلا مطرٍ (يقارن أعلاه، ص 291)، وأنه كان هناك يوم ماطر واحد 10 مرات، خمس مرات يومان، خمس مرات ثلاثة أيام، أربع مرات أربعة أيام، ثلاث مرات خمسة أيام، وذلك بمعدل لا يتعدى 1 في المئة فقط من كمية الأمطار السنوية. كما أنها لا تُظهر أنه بعد شتاء غزير، قد يكون المطر الهاطل في نيسان/ أبريل وأيار/ مايو ضئيلًا جدًا، كما حصل في سنة 1900[56]، بحيث لا يستدعي الأمر أخذه في الحسبان. كما أنني عشت نهاية المطر في 15 آذار/ مارس خلال الجولة التي

---

(53) يُقارن ص 175 وما يليها، 291.

(54) *ZDPV* (1913), p. 314.

(55) *ZDPV* (1902), pp. 63, 66.

(56) يُقارن ص 173.

قمت بها وقتئذ عبر أرجاء فلسطين كافة، من مرجعيون حتى الخليل. وقد شكّل يوم 29 آذار/ مارس 1910، بعد ثمانية أيام من المطر صعبت بشكل كبير رحلة معهدنا صعبة جدًّا، النهاية المنشودة للمطر(57). وفي سنة 1921 أيضًا استلزم اعتبار 23 آذار/ مارس نهاية المطر، على الرغم من أن 9.3 مم قد هطلت في الفترة الواقعة من 29 نيسان/ أبريل وحتى 15 حزيران/ يونيو(58). كذلك يدوم شهر نيسان/ أبريل (التقويم اليولياني) حتى 13 أيار/ مايو (التقويم الغريغوري)، بحيث إنه في تلك السنوات الـ 36 حصلت نهاية المطر 23 مرة في "نيسان" وفقط 13 مرة في "أيار". وأخيرًا، فإن الأمطار المتواضعة في أيار/ مايو تعني في جلها القليل القليل، لأن أمطارًا بمقدار 1 مم في هذا الشهر هي ذات أهمية قليلة جدًا مقارنة بالكمية نفسها في نيسان/ أبريل أو آذار/ مارس؛ إذ إن الحرارة المتصاعدة والهواء الجاف وأشعة الشمس الأطول دوامًا تمتصها بشكل أسرع، بحيث لا تتغلغل أبدًا في داخل التربة. ومن هنا، ليس من الصعب إدراك حقيقة أن الاعتقاد الشعبي يرى نهاية فترة المطر في "نيسان"، وأن الطلوع المبكر للثريا في 13 أو 20 أيار/ مايو (التقويم اليولياني)، يُعتبر، وبشكل صحيح، بداية فترة انقطاع الأمطار(59). أما عيد القديس جورج في 23 نيسان/ أبريل (التقويم اليولياني)، فيُعتبر الحد الفاصل بين الشتاء والصيف(60) ويذهب القول الشعبي التالي، إلى أبعد من ذلك، مشددًا على الاحتمالية وليس على ما يحدث عادة: "لا تّامن مِن جَرّ الوَديان - لو أنُّ في زَهر الرُّمّان"، أي: "لا تثق بجريان الأودية حتى لو أزهر الرمان" (مصح المجذومين) [مستشفى الجُذام أو مستشفى البُرص]. ويصلُح مثال 18 أيار/ مايو الوارد في ص 293 وسيلةَ إيضاح نابضة بالحياة؛ ذلك أن الأمطار الهاطلة بعد "نيسان" تُعتبر خروجًا على القياس، وهذا ما يظهر من خلال الأهمية التي تُنسب إلى عيد الفصح جنبًا إلى جنب مع الطلوع المبكر للثريا في 13 أو 20 أيار/ مايو، علامةً

(57) *PJB* (1910), pp. 13, 16.

(58) Ibid., pp. 175f., 292.

(59) Ibid., pp. 38f.

(60) Canaan, *JPOS*, III, p. 32;

يُقارن أعلاه، ص 169. يجب تمييز يوم القديس جورج، أي "الشهيد الكبير"، من عيد اللد الخاص بالقديس جاورجيوس في 3 تشرين الثاني/ نوفمبر.

على الفصل بين فصلي السنة الكبيرين[61]. وبالنسبة إلى المفاهيم اليهودية، وعوضًا عمّا هو مذكور في ص 40، يجب ذكر أن طلاء المعبد والمذبح قبل عيد الفصح[62] مشروط بأن يكون المطر قد انتهى، ولا يزال من الممكن أداء صلوات استسقاء احتفالية من أجل الشجر 15 يومًا قبل عيد الفصح، أي في 1 نِسان، و15 يومًا قبل عيد العنصرة. وبالتالي تُعقد صلوات استسقاء من أجل الأحواض في 19 إيار، ومنذ ذلك الوقت فصاعدًا يُصبح المطر معجزًا[63]. وهكذا يكون آخر موعد لمطر محتمل قد جاء قريبًا، وبشكل لافت، من الطلوع المبكر للثريا.

لا بد من الإشارة إلى التصورات الخاصة بنهاية المطر في سفر التكوين (14.4:8). وهناك يُحدَّد وقت الجفاف في نهاية الطوفان بسبعة أشهر قمرية وعشرة أيام، بحيث يبقى، وفقًا لسفر التكوين (11:7)، خمسة أشهر قمرية للفيضان نفسه. وإذا أدرك المرء بفضل التلمود الفلسطيني[64] أن الشهر الثاني الذي يبدأ الفيضان به وينتهي، هو مرحشوان (تشرين الثاني/ نوفمبر)، فربما كان تراجع الماء، وفقًا لسفر التكوين (4:8)، قد بدأ في 17 نيسان/ أبريل، أي مباشرة بعد فريضة الفصح. ولا يمكن طلوع الثريا المتأخر جدًا، والذي ربما يجب تحديده هنا في 17 إيّار[65]، أن يكون عاملًا حاسمًا، بل ربما غيابها المتأخر (يُنظر أعلاه، ص 285). ولكن قرون الحمل ("الشَرَطان") تطلع بحسب القزويني[66] في 16 "نيسان"، وعنها يُقال إن ظهور الماء، في الآبار يبدأ بالتراجع، وأن طلوعها يعني بداية سنة جديدة، لأن عروج الشمس في 18 آذار/ مارس عليها يُغلق سنة كونية [مبادرة الاعتدالين]. وقد يكون أيضًا غياب "الغفر" (φ, ι, χ)

---

(61) يُقارن أعلاه، ص 38 وما يليها.

(62) Midd. III 4.

(63) j. Taan 66ᶜ;

يُقارن:

Tos. Taan. II 8, b. Taan. 19ᵇ,

حيث تُنفخ الأبواق تضرعًا من أجل امتلاء الأحواض بالمياه 15 يومًا قبل عيد العُرُش.

(64) يُقارن أعلاه، ص 123 وما يليها.

(65) Ibid., pp. 124f.

(66) Kazwini, *Kosmographie*, I, p. 42.

من برج العذراء) في 16 "نيسان"[67] قد بدا مهمًا، لأن طلوعه في 18 تشرين الأول/ أكتوبر يأتي بالشتاء. وإذا كان المقصود بحساب الأشهر في تقرير الفيضان شيئًا آخر، كما تتطلب ذلك طريقة عد الشهور في المصدر الكهنوتي لأسفار موسى الخمسة، حينئذ نتوصل، وفقًا لسفر التكوين (8:4)، إلى 17 تِشري (تشرين الأول/ أكتوبر) كموعد لنهاية المطر، أي في الوقت الذي يُصادف عادة بداية مطر الخريف. وقد أتى 1 تبت (كانون الثاني/ يناير)، كبداية للشهر الأول بعد الانقلاب الشتوي (سنة جديدة مميزة)، بالظهور الأول للأرض من الماء. أما التراجع الكلي للفيضان، فحصل، وفقًا لسفر التكوين (8:13)، في 1 نِسان (نيسان/ أبريل)، وإتمام تجفيف الأرض في 27 "إِيّار" (أيار/ مايو). وهذا ربما يُكمل السنة الشمسية التي هيمن عليها الطوفان، ولكنها تناظر أيضًا طلوع "الدِبران" في 26 "أيار"، والذي كان معروفًا لدى العرب على أنه علامة على جفاف برك الماء الشتوية[68]. وأغلب الظن أن الثريا وقعت خلف بداية الفيضان ونهايته (ص 123 وما يليها)؛ فبدايته في 17 "إِيّار"، إضافة إلى نهايته في 27 "إِيّار"، ربما كانتا على صلة بالطلوع المبكر للثريا، في حين أن فرق الأيام العشرة يهدف إلى إكمال السنة الشمسية. وبهذا الخصوص، يُمكن، وفقًا للتصور البابلي، القول إن الثريا (بالبابلية "مُلمُل")، وشهرها هو إِيار، كانت تُطلِق الفيضانات التي ربط المرء بينها وبين ارتفاع منسوب أنهار بلاد الرافدين من منتصف آذار/ مارس حتى نهاية أيار/ مايو[69]؛ ذلك أن ارتفاع المنسوب، نظرًا إلى ذوبان الثلج، ينتهي بشكل متزامن مع بداية الصيف، وبالتالي لا يتجاوز مجال الـ"مُلمل"، وربما مكّن من التسبب في نهاية الفيضان في حوالى نهاية أيار/ مايو. وبناء عليه، يفترض الراوي أن الفيضان وصل إلى نهايته المحددة مع بداية الصيف، وأن هناك الآن قدرًا كافيًا من الرطوبة في الأرض كما هي الحال في مثل هذا الوقت من السنة. وربما احتاج الأمر لاحقًا إلى خمسة أشهر لسقوط مطر شتاء طبيعي.

---

(67) Ibid., p. 47.

(68) يُنظر أعلاه، ص 286.

(69) Kugler, *Sternkunde u. Sterndienst in Babylon, Ergänzungen*, p. 153.

تُشكل نهاية المطر، لأسباب كثيرة، لحظة ذات أهمية كبيرة في دورة السنة، ليس فقط لأن المطر يتبع الآن طقسًا متقلبًا بين مطر وطلوع الشمس، التي يتبعها الآن سطوع الشمس يوميًا لفترات طويلة، وهو ما يجعل كل ما يتعلق بالتخطيط للعمل في الحقل والبيدر والبساتين، إضافة إلى الارتحال والسفر، سهلًا، بل لأن نمو الفواكه وجنيها في الحقل والحديقة مرتبطان بذلك أيضًا. وثمة سبب آخر يكمن في أن انتهاء مطر الشتاء يُعتبر حقيقة قائمة، وهو ما يحدد كل شيء حتى مطر الشتاء الآتي. وفي حال كان مرْضيًا، من حيث الكمية والتوزيع، فعندها يستطيع الفلاح، كما ابن المدينة، التطلع إلى الصيف بهدوء وسكينة. وإذا لم يكن الأمر كذلك، فلا بد من تحمّل التبعات: احتياطي ماء محدود في البرك والآبار. أما المحصول المتواضع والموسم الضعيف من العنب والتين والزيتون، فيصبحان حينذاك أمرًا مؤكدًا، وعلى المرء أن يتوخى الاقتصاد في استهلاك الماء، كما حدث في سنة 1925 مع كثير من الناس القليلي الخبرة الذين أهملوا القيام بذلك ليجدوا أنفسهم بلا شيء. وقد مرّت فلسطين بمطر الشتاء هذا مرات عدة[70]، حينما استشهد إرميا بكلمة الله عن أوقات الجفاف (2:14 وما يلي): "يهوذا تنوح وأبوابها ذبلت والأرض يكسوها السواد والقدس أصبحت في حزن شديد. أشرافهم يرسلون صغارهم إلى الماء؛ يأتون إلى الآبار، لكنهم لا يجدون ماء. خرّوا وذلّوا، لذلك غطوا رؤوسهم. لأن الأرض مشققة، إذا لم يأتِ مطر على الأرض، خزي الفلاحون وغطوا رؤوسهم. حتى الأيلة تلد في الحقل، ومن ثم تترك صغارها، إذ لا عشب هناك. والحُمُر الوحشية تقف على المرتفعات الجرداء لتستنشق الهواء كبنات آوى. كلّت عيونها، إذ لا عشب هناك". إرميا ذاته يُطلق صرخةَ تفجُّع (4:12): "إلى متى ستبقى الأرض جافة وعشب جميع الحقول ذابلًا؟ بسبب شر سكانها. ووحوش الأرض والطيور فنيت!" ويُميز المشنا (أبوت 5/ 8، Abot V 8) بين ثلاث درجات من المجاعة ("راعاب")، ويرى أن سببها كامن في إغفال العشور على غلة الحقل. وتعني الدرجتان الأولى والثانية نقصًا ("بَصّورِت") للأفراد أو للجماعة ككل. والثالثة مرتبطة ارتباطًا غريبًا بإهمال ضريبة عجين الخبز، وهي تعني الإبادة التامة ("كِلايا").

---

(70) يُقارن ص 194 وما يليها.

أما النقيض، فهو مطر الشتاء العادي، أو حتى الوفير الذي يحوّل الأرض، التي كانت صحراء في الخريف، إلى مرج أخضر وبستان مليء بالثمار، أو كما يصفها إشعيا (15:32) بطريقة تفعيل الصفة، فتصير البرية بستانًا ("كَرمِل") والبستان غابة ذات أشجار ("يَعَر")؛ لأن التأثير الإعجازي لمطر الشتاء ينتقل إلى دنيا الروح، وأن هطل المطر يتحول إلى انهمار للروح الإلهية التي تغير حياة أناس تعوزهم الأعمال الصالحة وتغير علاقتهم بالرب إلى النقيض (إشعيا 17:32؛ يقارن إشعيا 3:44 وما يلي؛ يوئيل 1:3 وما يلي). وكان بدهيًا أن يجري التعرف إلى حياة الإنسان الداخلية بمعناها الرائع مقارنة بالحياة الطبيعية، حيث أعمال الله في كلا المجالين وُضعت في علاقة لها غاية[71].

التصور الشعبي لأشهر الربيع

يُشكل طقس آذار/ مارس، الذي سبق أن عرضنا له، بالنسبة إلى فلسطينيي اليوم، ظاهرة خاصة؛ فعنه يُقال: "هاذَ اَذار - ساعَ شِمس وساعَ اَمطار - وساعَ اِمقاقات الشُنّار"، أي: "هذا آذار، ساعة شمس، ساعة مطر، وساعة قوقأة الشنار". إذًا طقسه متقلب كما حال طقسنا [في ألمانيا] في نيسان/ أبريل. كذلك يقال عنه في اليونان[72]: "مرة يبكي ومرة يضحك". والشنار هو الحجل (Caccabis chukar)[73] "المنادي" ("قوري") في إرميا (11:17)[74]، يُقاقي ("بِقاقِ")، خاصة عندما يرغب في التزاوج. وفي "اِذار"، غالبًا ما يُشاهَد بشكل زوجي، شريطة توافر طقس جيد. وتُثبت أهمية مطر آذار/ مارس الأقوال التي عادة تنطبق على "كانون"[75]: "فحل السِنِة أذارِه، أذار فحلة، أذار محله، أي: "ملقح السنة هو آذارها، آذار هو

---

(71) يُقارن:
Linder, *Studier till Gamla Testamentets föreställningar om anden* (1927), pp. 69ff.

(72) Mommsen, *Griech. Jahreszeiten*, p. 26.

(73) يختلف الحجل الرملي الأصغر (Ammonperdix Heyi) عن الـ"حجل"، ولكن أهل المدن غالبًا ما يجمعون بينهما. يُقارن:
ZDPV (1913), p. 174.

(74) يقال عنه هناك إنه يرقد على بيض غريب. وقيل لي عن الحجل الرملي إنه يملك حتى 15 بيضة في العش، بحيث يعتقد المرء أنه لم يضعها كلها بنفسه.

(75) Canaan, *JPOS*, III, p. 32;
يُقارن أعلاه، ص 178.

ملقحها، ولكنه أيضًا قاحلها (وذلك حين يتسبب في نقص المطر). ويشدد المرء على الأهمية الكبيرة لمطر الشتاء المتأخر في مقابل المبكر في القول المأثور: "كانون علَ ناس وناس وشباط علَ كُلّ الناس"، أي: "(مطر) كانون الأول وكانون الثاني يستفيد منه البعض، أما (مطر) شباط فيستفيد منه جميع الناس" (مصح المجذومين). وتزداد هذه الأهمية من شهر إلى شهر. ويُوضع مطر "آذار" في مقابل مطر الشتاء بأكمله حين يُقال: "اِن غَلَّت وَراهَ اَذار، وإن امحلت وراهَ اذار"، أي: "إذا كانت خصبة، فالسبب آذار (وقد يزيدها)، وإذا أقحلت، فالسبب آذار (وقد يستطيع إنقاذ السنة)" ("السلط")[76]. وقد تلائم الأولى سنة المطر الجيدة 1874/ 1875 التي سقط فيها 745 مم من تشرين الثاني/ نوفمبر حتى شباط/ فبراير، ثم تبعها 254 مم في آذار/ مارس، في حين بالكاد هطل المطر في نيسان/ أبريل؛ إذ بلغت كميته 3 مم فقط. ومثال الحالة الثانية هو شتاء 1870/ 1871، حيث سقط 116 مم فقط من تشرين الثاني/ نوفمبر حتى شباط/ فبراير، منها 101 مم في آذار/ مارس و94 مم في نيسان/ أبريل. إلا أن زخات مطر شديدة لا تزال ممكنة في أول شهرين من الربيع. وأعلى كمية يومية متساقطة، كما يُورد إكسنر[77]، بلغت 60 مم لآذار/ مارس وحتى 95 مم لنيسان/ أبريل و15 مم فقط لأيار/ مايو. وفي كانون الأول/ ديسمبر وحده رُصد مطر يوم شديد بلغ 100 مم. مثل هذه الزخات مؤاتية بشكل غير اعتيادي للأحواض والآبار، إلا أنها ذات فائدة قليلة للأرض الزراعية، لأن ماءها يغور بسرعة.

على الرغم من قلة كمية "مطر نيسان" من بين حصيلة مطر الربيع، فإن ذلك المطر هو في واقع الأمر "مطر الربيع" الحقيقي[78]؛ فوفقًا للقزويني[79]، في

(76) يتم التشديد على مطر آذار/ مارس، حين يُقال: "السنة بِآذارها" و: "اِن اَقبلت او اَمحلت آذار وراها" (Ibid., pp. 667, 866). وبشكل خاطئ افترضت ص 6 [النص الألماني] وما يليها أن "آذار" يقوم بأثر رجعي بإنقاذ السنة، في حين أنه هو القوة التي تحدد خاصيتها.

(77) *ZDPV* (1910), p. 132.

(78) وفي لبنان أيضًا يُثنى على مطر نيسان/ أبريل: "شتا نيسان – بحيي الإنسان"، "شتا نيسان – ذهب وجواهر". أما إلى أي حد يكون غزيرًا، فهذا ما يريد القول المبالغ فيه التلميح إليه: "بنيسان الدلفة بِغرارة"، أي: "في نيسان يدلف السقف أطنانًا." تساوي الـ "غرارة" الواحدة 288 "رُطل" (432 ليترًا)! (Ibid., p. 668). يُقارن ص 189.

(79) Kazwini, *Kosmographie*, I, p. 77.

1 نيسان/ أبريل ثمة "رجاء المطر" ("يُرجَى المطر"). ويُقال في عموم فلسطين: "مطر (شِتوِة) نيسان"، أو: "النُّقطة في نيسان[80] - بِسوَ - السكّة (العِدّة) والفِدّان -والقرُقَ والصيصان"، أي: "مطر نيسان" أو: "النقطة في نيسان تساوي قيمة المحراث والثور والقرقة والصيصان". وعنه يُقال: "هو حياة الإنسان": و: "بِحيي الإِنسان"، أي: "يحيي الإنسان". ولهذا يُقال، وللقول ما يُبرره: "شتوة نيسان - تِسوَ ميت سيل إِسال"[81]، أي: "مطر قليل في نيسان يساوي مئة جدول يسيل" (الطفيلة). وغالبًا ما يشدد اليونانيون على أن مطرتين في آذار/ مارس وواحدة في نيسان/ أبريل ضرورية لمحصول جيد. ولكن إضافة إلى ذلك، يُقال القول ذاته عن نيسان/ أبريل وأيار/ مايو، والثناء على مطر نيسان/ أبريل: "إنه ثروة العالم"[82]. وفي القبيبة قيل لي: "شهر الخميس وجِمادَ خواتِم السنةِ، إذَ اِجَ فيهم المطر هول بيجِ الزِرع منيح وبِكون الدِنيَ خَصاب وبيجِ القمح حَبّ هول"[83]، أي: "شهرا نيسان وأيار هما خواتم السنة. فإذا جاء المطر فيهما غزيرًا، ينمو الزرع بشكل جيد والدنيا تصبح خصبة وسنابل القمح تطرح حبوبًا وفيرة". وإذا لم تتوافر هذه الشروط، حينئذ يُقال: "بيجِ القمح مَحل، ما بيجيش حَب"، أي: "يصبح القمح ضئيلًا، ولا تحمل سنابله الحبوب". أما إلى أي حد يكون مطر نيسان/ أبريل ضعيفًا، في أعقاب شتاء شحيح تقريبًا، فهذا ما تُظهره سنة 1925 في الصفحتين 176 و292.

تهب في هذا الوقت عادةً ريحٌ شرقية متواصلة تكون هي السبب وراء انحباس المطر. ولكن قد يحصل ذلك أيضًا إذا هبت ريح أخرى باتجاهات مختلفة، بحيث تتكون غيوم لا تحمل مطرًا كما يقال في الأمثال (14:25): "غيوم وريح دون مطر"؛ على سبيل المثال، في نيسان/ أبريل 1900، لم تسقط في القدس أمطارٌ تقريبًا (بحسب غلايشر[84] 1.4 إنش = 35 مم في يوم واحد

(80) Canaan, *ZDPV* (1913), p. 283.

(81) "اِس- سال" = "إلِّلي سال". كنعان، في المرجع نفسه، "كل سيلٍ سال".

(82) Mommsen, *Griech.*, pp. 38f., 40ff.

(83) واقع الأمر: فظيع.

(84) Glaisher, *Meteorol. Observations*, tables I, II for p. 24.

ماطر)، في حين هبّت على مدى أسابيع ريح باردة من اتجاه جنوب شرقي تسببت في تكوين غيوم وضباب، لكن من دون مطر، وهو ما كان متوقعًا. ومع ذلك، من المفترض أن بعض الرطوبة الناتجة عن الندى لم تكن كلها غائبة عن المشهد؛ فالريح الجنوبية الشرقية جافة وساخنة، وربما كان تأثيرها أكثر سوءًا.

إضافة إلى تأثير مطر نيسان/ أبريل في المحصول المنتظر، سرعان ما يظهر تأثيره الفوري في سعر الحبوب[85]. وقد حاول شابلن (Chaplin) على مدى 20 سنة تحديد العلاقة بين سعر القمح الصيفي وكمية المطر السنوية[86]؛ فبعد أربع سنوات من المطر الشحيح، لاحظ سعرًا مقداره 31 قرشًا في مقابل 21.7 كغ. وبعد سنوات أربع، كان معدل سقوط الأمطار فيها متوسطًا، 18 قرشًا، ولكن بعد سنوات ثلاث من الأمطار الغزيرة، بلغ 23 قرشًا، ولا بد من أن عوامل أخرى غير كمية الأمطار المتساقطة كان لها تأثيرها في السعر. إن كمية كبيرة من المطر المتأخر التي يقوم شابلن بحسابها انطلاقًا من منتصف آذار/ مارس، تعني في بعض الحالات، كما في سنوات 1863 و1867 و1875، سعرًا منخفضًا أو معقولًا، لكن الأمر لم يكن كذلك في سنوات أخرى. وعلى المرء أن يأخذ في الحسبان، علاوة على كمية الأمطار، أن توزيع الأمطار وغلبة بعض الرياح يؤثران أيضًا في المحصول، وأن خسائر المحاصيل في فلسطين الشرق الأردنية، إضافة إلى أماكن أخرى في الخارج، تؤثر في السعر. إن مطرًا شديدًا في أيار يمكنه أن يتسبب في حدوث ويلات، كما حصل في سنة 1887، حيث يُشار إلى سقوط 32 مم في أيار/ مايو. وفي هذه الحالة، ربما صح القول[87]: "مِن قِلة هِدانَ - صار صيفنَ شِتانَ"، أي: "من ضعف إيماننا، أصبح صيفنا شتاءنا". إلا أن الحال الأكثر اعتيادًا هي أن نقص المطر، وبشكل خاص انحباس المطر المتأخر، يتسبب في صعوبات تستطيع حكومة رشيدة تخفيف عقابيلها على المستهلك، لا على المنتج، من خلال خفض الجمارك على الواردات.

---

(85) يُقارن أعلاه، ص 132.

(86) *PEFQ* (1883), pp. 33f.,

يُقارن ص 11 وما يليها.

(87) Canaan, *ZDPV* (1913), p. 289.

وفي زمن أرسطوبولس [أول ملك حشموني]، ترتب على ريح شرقية شديدة في عيد الفصح تلف المحاصيل في جميع أنحاء البلاد، وارتفاع سعر موديوس واحد (8.75 ليترات) إلى 11 دراخما (8.58 ماركات)[88]. وحين تنغلق السماء، فلا يسقط ندى ولا مطر، ينشأ بالطبع، وفقًا لرأيٍ حاخامي، غلاء ("يوكِر")[89]. وقد علم يونا، متوسل المطر الناجح، أن المرء لا يشتري حبوبًا حين يكون سعرها على وشك الانخفاض، نتيجة قدوم المطر[90]. وربما قال تاجر إن المرء لا يبيع حبوبًا حين يكون ارتفاع السعر وشيكًا في ضوء انحباس المطر أو نقص المخزون[91]، ويُصبح "محتكرًا للحنطة" ("مونيع بار")، الذي وفقًا لسفر الأمثال (26:11) يلعنه الشعب. ويعني سعر قمح مقداره 1 سيلا (3.12 ماركات) لـ 1 سيآه (حوالى 13 ليترًا) "نقصًا" (بالآرامية "بصّورِتا")، في حال لم يكن هناك نقص في المخزون. وتحدث "مجاعة" ("كفنا") في حال حصل الفرد في مقابل السعر نفسه على 4 سيآه، ولكن المخزون غير كافٍ[92]. ويشبه ذلك ما ورد في سفرالملوك الثاني (16.1:7) بوفرة في السوق نتيجة ظروف معيّنة؛ إذ دفع شاقلًا واحدًا من مقابل سيآه واحد برغل القمح، أو سيآهَي طحين الشعير، حيث على المرء أن يأخذ في الاعتبار العلاقة بين الحبوب والطحين.

المطر التوراتي المتأخر

مطر نيسان يماثله، بحسب المفاهيم اليهودية، ذلك المطر المتأخر (بالعبرية "مَلقوش") العائد إلى نِسان والوارد في التوراة، والذي لا يهطل في الوقت الملائم، خاصة إذا سقط في إِيار[93]. ويدرك الترجوم "المطر المتأخر"، سفر يوئيل (23:2)

(88) Josephus, Antt. XIV 2, 2,

يُقارن أعلاه، ص 198.

(89) B. Sabb. 32b.

(90) b. Taan. 23b.

(91) يُقارن ص 132.

(92) b. Taan. 19b.

(93) Tos. Taan. I 1 Siphre, Dt. 42 (80a) Midr. Tann. Zu 5. Mos. 11, 14 (S. 35), b. Taan. 5a. 6a, Vaj. R. 35 (97bf.), Targ. Jer. I 5. Mos. 11, 14.

في أوائل قدوم نيسان/ أبريل[94]. وتصادف النهاية الطبيعية للمطر المرغوب فيه للأرض نهاية عيد الفصح أو نهاية نيسان/ أبريل[95]، ولذلك تؤدّى حتى هذا الموعد، صلوات الاستسقاء[96]. وهنا لا توحي الظروف السائدة بأي تغيير مقابل الأزمنة القديمة[97]. وفي وقت المطر المتأخر، فإن وصف الاسم يشير إلى صحته: فهو يستوفي ("مِمَلّي") الغلة في عيدانها ("قَشّيها") ويسقط على السنابل ("مِليلوت") الناضجة تقريبًا وعلى السويقات ("قَشِّين"). وبهذه الطريقة "يختن ("مال") عناد ("قَشيوت") بني إسرائيل، وهو الآتي بالبركة الإلهية. ويختلف الأمر حين يقلب بيوتًا ويكسر أشجارًا ويُخرج[98] الجداجيد ("سَقاين")[99].

إن الإتيان إلى ذكر المطر المتأخر في التوراة يُقصد به، على ما يبدو، ما تخلّف من مطر الشتاء؛ فالاسم في ذاته "مَلقوش"، وفي الترجوم "لَقّيش"، سعديا "لَقّيس"، يشير إلى وقته المتأخر. إنه نقيض المطر المبكر ("يورِ")، التثنية (14:11)؛ إرميا (24:5)؛ يوئيل (23:2)[100]؛ لأن لا غنًى عن كلٍّ منهما لحصاد جيد؛ فالأخير يمكّن من فلاحة الحقل في الوقت الملائم[101]، والأول

---

(94) هكذا أيضًا:

Tos. Taan. I 1, Taan. 64ª, b. Taan. 4ª,

(حيث المطر المبكر بالنسبة إلى كلمة يوئيل يجري ربطه بهذا الوقت المتأخر).

(95) Ned. VIII 5,

يُقارن:

Bab. Mez. VIII 6,

(حتى الفصح).

(96) Taan. I 2,

لمزيد من التفصيلات، يُنظر ص 152 وما يليها.

(97) يُقارن ص 4 وما يليها، 198 وما يليها.

(98) b. Taan.6ª,

يُقارن:

Siphre Dt. 42 (80ª), Midr. Tann.

عن التثنية (14:11).

(99) يستخدم ترجوم أونكيلوس "سقّا" لِـ "صِلاصَل" التثنية (42:28)، حيث يستخدم سعديا "فَراش"، أي "فراشة"، ترجوم يروشليمي 1 "حِلزونا" "حلزونة". وبحسب القاموس، فإن كلمة "سقّا" العربية تعني "بجع، نسر"، والتي تتمتع بأسماء أخرى في فلسطين. والجدجد بالعربية "صَرصار"، وهو ما يلائم "صِلاصَل".

(100) هنا "كارِشون" "كما في وقت ما" يجب قراءتها بدلًا من "بارِشون".

(101) يُنظر أعلاه، ص 122 وما يليها.

يضمن ألا تصبح الحبوب التي نمت خلال مطر الشتاء معوّقة النمو. وهكذا، فإن الدعوات من أجل المطر في زمن المطر المتأخر (زكريا 1:10) مفهومة بالمقدار نفسه مثل الأمل بالمطر وفتح الفم من أجله (أيوب 23:29). وليست مكرمة ملك لا يمكن التنبؤ بها هي التي تُبرز، بل قيمتها العالية لحياة، حين تقارَن (الأمثال 15:16) بسحابة مطر متأخر، حيث الشوق الشديد إليها ومنفعتها كبيران. وفي المزامير (6:72)، يجري التفكير في المطر المتأخر حين يُقارن تأثير الحكم العادل لملك ما بِانهمار مطر على حصد مبكر ("جيز")، والذي، بحسب سفر عاموس (1:7)، يستبق "النمو المتأخر" ("ليقِش")[102]. والشيء الأفضل الذي يمكن قوله عن عودة الرب إلى شعبه التائب (هوشع 3:6)، هو أنه، كما المطر المتأخر، يروي الأرض العطشى[103].

تتضح أهمية المطر المتأخر من أن انحباسه (إرميا 3:3) يُعتبر حكمًا إلهيًا يُفترض به أن يكون قد أدى إلى التوبة. وربما كان الأمر أبعد من انحباس المطر المتأخر، فيقوم الرب، بحسب عاموس (7:4)، بحبس المطر ثلاثة أشهر قبل المحصول، أي منذ بداية آذار/ مارس فصاعدًا. وهذا لا يعني بالضرورة أن الأمطار في هذه الفترة انحبست كليًا. لكن المطر الذي كان ينتظره المرء في آذار/ مارس ونيسان/ أبريل، وربما كان في أمس الحاجة إليه، لم يأتِ. وليس هناك من مثال معروف على انحباس المطر بشكل مطلق منذ بداية آذار/ مارس فصاعدًا، ولكن في سنة 1877 سقط في آذار/ مارس 23 مم فقط، وفي نيسان/ أبريل 5 مم، وفي أيار/ مايو لم تسقط الأمطار، وحصيلة مطر الشتاء بلغت 348 مم، أي أكثر قليلًا من نصف معدل الكمية. وهذا ربما ناظر التجربة في عهد عاموس.

كل مطر في مجيئه وانحباسه غير قابل للتنبؤ به. والعربي محق في ذلك حين يصف المطر ببساطة على أنه "رَحمة" (من الله)، ويستطيع القول لرفيق يقابله تحت مطر منهمر[104]: "كيفْ حاَلْك بِهي البِرد والرحمة": "كيف حالك

(102) يُنظر أدناه III 8 [أزهار الربيع].
(103) تقرأ "يروِ" بدلًا من "يورِ".
(104) Dunkel, *Heil. Land* (1909), p. 205.

في هذا البرد و'الرحمة'؟". وفي التوراة، في المزامير (10:68)، المطر هو "جيشِم نِدابوت"، أي هبة وكرم إلهي. ولكن، في حدود ما أرى، لم يجرِ وضعه في سياق مباشر مع معنى "رحمة" و"منّة"، على الرغم من أن عاموس (6:7) ذكر أن الشفقة الإلهية تمنع عقاب الجفاف. ولكن في أي حال الآمر مثل قناة الرب (بالعبرية "بيْلِج اِلوهيم") التي من خلالها يقوم بِرَيْ أثلام أرضه (المزامير 10:65)، والتي يغلقها نتيجة خطيئة شعبه.

ج. العواصف الرعدية والثلج والبَرَد وفيضانات الربيع

تكون أمطار آذار/ مارس، بشكل خاص، مصحوبة بعواصف رعدية، وقد تأتي بالثلج أيضًا، وهذا الأمر حقيقة قائمة بالنسبة إلى الفلسطيني؛ فعن ذلك يقول[105]: "اذار الغَدّار - أبُ الزَلازل[106] والأمطار - فيه سبع ثِلجات كبار - ماعَدَ الزغار"، أي: "آذار الغدار، صاحب الزلازل والأمطار، تتساقط فيه ثلوج كبيرة سبع مرات، عدا الصغيرات". وقد تعني "زلازل"، على نحو دقيق، "هزات أرضية، ولا سيما أن حدوث الزلازل قابلٌ للبرهان بالنسبة إلى آذار"[107]، إلا أن كلمتَي "زِلزِلة" و"زِنزِلة" تُستخدمان، في واقع الأمر، في الإشارة إلى الرعد أيضًا. وهنا، وفقًا لسجعان، كان المقصود بها عاصفة رعدية أيضًا[108]. وقد تكون زلازل نيسان/ أبريل هي التي أغلقت ذات يوم نهر الأردن (يشوع

---

(105) يعرف الواحد تقلب الطقس في آذار/ مارس، حين يقال: "راح شباط الغدار وإجا آذار الهدّار". وعلى ما يبدو، يأتي بعواصف رعدية ذات أمطار شديدة، حين يُقال عنه: "في آذار الهدار - الراعي وعصاته ما بيعرفو باب الدار - من الزلازل والأمطار" (Ibid., p. 866)، إلا إن عواصف آذار/ مارس الرعدية تُعتبر مفيدة؛ إذ "كل رعدة بآذار - رية بنوّار"، أي: "كل عاصفة رعدية في 'آذار' تعني ريًا وافرًا في 'إيار'" (Ibid., p. 667)؛ ذلك أنها قد تأتي بالثلج أيضًا، فهذا ما يفترضه مسبقًا المثل القائل: "لا تستعجب الثلج بنيسان - يا ما جرفنا عند الكدسان [أكوام الحبوب]"، أي عند حصاد الشعير (Ibid., p. 668).

(106) Sonnen, *Biblica*, VIII, pp. 65 ff.: "زعزع".

(107) Chaplin, *PEFQ* (1883), p. 32, يُقارن ص 11. وفي المورة (Morea) يُعتبر شباط/ فبراير وقت الزلازل، Mommsen, *Griech.*, p. 90.

(108) *Mitt. d. Sem. f. Or. Spr.* V 2, Sonderdruck, p. 23.

16:3) وأسقطت أسوار أريحا (يشوع 20:6)، تمامًا كما حصل في 11 تموز/ يوليو 1927 حين أرسل الزلزال كميات ضخمة من الطين الجيري إلى نهر الأردن، ودمر أريحا بشكل جزئي. وخلال عيد الفصح، حصلت الهزة عند موت المسيح (متّى 54.52:27) وفي صباح القيامة (متّى 2:28). وتحصل العواصف الرعدية غالبًا، بحسب إكسنر[109]، في آذار/ مارس ونيسان/ أبريل، وكذلك في تشرين الثاني/ نوفمبر وكانون الأول/ ديسمبر. وبالنسبة إلى القدس، يشهد آذار/ مارس ونيسان/ أبريل، على التوالي، 1.2 و1 من أيام العواصف الرعدية، بأعلى رقم يُناظر تشرين الثاني/ نوفمبر وكانون الأول/ ديسمبر، وهو 1.4 و1. ثُم يُغلق أيار/ مايو بِـ 0.8، وحزيران/ يونيو بِـ 0.1 من أيام العواصف الرعدية بشكل نهائي، والذي يعود ليتجدد في تشرين الأول/ أكتوبر بِـ 0.8 من الأيام. ولم أسجل في سنة 1909 أي عواصف رعدية في آذار/ مارس، لكنني سجلت يومين من العواصف الرعدية في نيسان/ أبريل، و5 في أيار/ مايو، و1 في حزيران/ يونيو. وقد رُبط المطر بها أربع مرات في أيار/ مايو ومرة في حزيران/ يونيو، وبَرَد خفيف مرة في نيسان/ أبريل ومرة في أيار/ مايو. ويُورد شابلن[110] في سلسلة من 22 سنة، أربع سنوات تساقطت فيها الثلوج في آذار/ مارس، وسنة واحدة تساقط فيها الثلج في نيسان/ أبريل. وكان قد حصل ذات مرة أن كان هناك ثلج في آذار/ مارس لمدة خمسة أيام (10.4 سم)، ومرتين مدة يومين (12.7 و21.6 سم)، وشهد نيسان/ أبريل يومين من الثلج (4.6 سم). وبناء عليه، يبدو ذلك القول الشعبي عن "آذار"، والذي يمتد من 14 آذار/ مارس إلى 13 نيسان/ أبريل (التقويم الغريغوري)، مبررًا بصورة ما، على الرغم من أنه يُعمم، بطريقة فيها غلو، أحداثًا عرَضية، ويُشير بشكل أساسي إلى أن المرء يمكنه في الحقيقة أن يتوقع طقسًا آخر مختلفًا كليًا. ومن بين 47 يومًا تساقطت فيها الثلوج في 22 سنة، ثلاثة أيام منها في كانون الأول/ ديسمبر، و10 أيام في كانون الثاني/ يناير، و22 يومًا في شباط/ فبراير، و10 أيام في آذار/ مارس،

---

(109) *ZDPV* (1913), pp. 136, 154.

(110) *PEFQ* (1883), p. 32,

يُقارن ص 10 وما يليها.

ويومان في نيسان/ أبريل[111]. لذلك، فإن شباط/ فبراير هو الشهر الذي يمكن توقع سقوط الثلج فيه، إلا أن آذار/ مارس، بثلجه، مساوٍ لكانون الثاني/ يناير، أي يتمتع هنا، كما في حال المطر، بخاصية شهر شتاء. وهنا ربما كان حريًا ذكر سقوط الثلج، أو بالأحرى البَرَد، على مدى يومين، والذي كنت قد تعرضتُ له في بداية نيسان/ أبريل 1906 بالقرب من الكرك[112]، وهكذا يرتبط الربيع والشتاء بعلاقة وثيقة. وتتميز فلسطين بتغايرات شديدة يستطيع الربيع جمعها.

إن نهاية العواصف الرعدية، تلك الغريبة على الصيف الفلسطيني، لها صلة بشح المطر. ولكن إذا هطلت الأمطار في أيار/ مايو أو حتى حزيران/ يونيو، فذلك استثناء. ويتعلق الأمر بسحابة كبيرة وحيدة في سماء غائمة، بحيث تنطلق منها الصاعقة التي قد تبقى بلا قطرات. هكذا، على المرء تخيل الظروف في صموئيل الأول (17:12 وما يلي): إنه يوم مشمس في وقت حصاد القمح، أي في حزيران/ يونيو، ربما في متسباه، وفقًا للرواية الأصلية (يقارن 17:10)، وليس في جِلجَال كما يظهر في النص الراهن. وقد تكوّنت غيمة ممطرة في إثر دعاء صموئيل، وصاعقة قصيرة، كتلك التي خبرتها في 4 حزيران/ يونيو 1909 (ص 305)[113]، حين أرعبت الشعب. وبالطبع، ينتمي إلى عاصفة رعدية ربيعية تساقط شديد للبَرَد على الطريق النازل من بيت حورون (يشوع 11:10)، إضافة إلى الرعد الذي أرعب الفلسطينيين الصاعدين إلى نحو متسباه (صموئيل الأول 10:7)، والرعد الذي سُمع طوال خمسة أيام قبل عيد الفصح في 10 نيسان/ أبريل، بحسب يوحنا (29:12)، وكان صوت الله. ووفقًا لِسفر الخروج (23:9 وما يلي)، (34:28)، أتت عاصفة رعدية ربيعية شديدة بالبَرَد الذي ابتليت به مصر ذات يوم. وقد حصل ذلك في وقتٍ كان فيه الشعير قد نضج تقريبًا والكتان قد تبرعم، في حين أن القمح والقطاني كانا متأخرين (الخروج 31:9 وما يلي). وهذا يدل على بداية نيسان/ أبريل، لأن حصاد الشعير في مصر يكون على قدم وساق

---

(111) يُقارن ص 231 وما يليها.

(112) يُنظر أعلاه، ص 235.

(113) يُقارن ص 202 تجربتي العائدة إلى 17 نيسان/ أبريل 1906.

في منتصف نيسان/ أبريل[114]. ووفقًا للمزامير (47:78)، ضُربت بهذا البَرَد كروم وجميز، وكذلك كروم وتين، وفقًا للمزامير (33:105). وربما كان هذا انحرافًا أدبيًا عن الشكل والقاعدة هدف إلى لفت الانتباه بشكل خاص إلى تأثير ذلك البَرَد، في حين أن ضآلة نمو الأوراق في ذلك الوقت بالكاد التُفت إليها[115]؛ فبحسب سفر الخروج (15:10)، كان الجراد هو من أتلف الأشجار المثمرة.

إن الارتفاع الإضافي في درجة حرارة الربيع وحده يعني في الجبال المرتفعة، أي في فلسطين عند جبل الشيخ، ذوبان الثلج. وهذا يُفسر لماذا يذوب الثلج هناك بحيث إن هطول المطر الغزير في المناطق المحيطة بهذا الجبل المرتفع في الغرب والجنوب[116] هو ما يزود نهر الأردن، من خلال الروافد، بفيض من الماء في أواخر الربيع. وبحسب الأرصاد التي قام بها تورانس (Torrance)[117]، وصلت العلامة المائية في بحيرة طبرية في سنة 1904 إلى أعلى مستوى لها من 15 نيسان/ أبريل حتى 1 أيار/ مايو، وإلى أدنى مستوى، حيث الفارق 0.79 م، في النصف الأول من تشرين الأول/ أكتوبر. كذلك بلغت العلامة المائية للبحر الميت أعلى مستوى لها، أي 60-90 سم في نهاية نيسان/ أبريل وبداية أيار/ مايو[118]. ومن ذلك يمكننا الخروج

(114) Anderlind, *Landwirtschaft in Ägypten*, pp. 77f.; Hartmann, *Agriculture dans l'Ancienne Égypte*, p. 122.

(115) يعتقد كراوس:
Krauß, *ZDPV* (1927), p. 246,
أن التفسير الذي يقدمه المدراش (أيضًا مدراش تِه. (Midr. Teh.) ويالك. مَخيري (Jalk. Machiri) عن المزامير 47:78 لكلمة "حنامَل"، يُثبت أن الحاخامين عرفوا يرقة فراشة بالاسم نفسه. ولكن بتفسيرهم "با حان ومال" "جاء وتمدد وسحق"، فسروا تأثير البَرَد. وفي الترجوم عن المزامير 47:78 (لم يذكره كراوس) وجدت أن "حنامل" تستند إلى حشرة من خلال الكلمة "كَرزوبا". وعند سعديا، وفقًا لكِيمحي، "صَقيع". ولا يمكن تصور ورود يرقات وبَرَد معًا.

(116) يُقارن ص 205.

(117) *PEFQ* (1905), p. 363;
يُقارن:
Exner, *ZDPV* 1910, p. 140.

(118) Masterman, *PEFQ* (1913), p. 193;
يُقارن:
Schwöbel, *Der Jordangraben*, p. 140; Schroetter, *Das Tote Meer* (1924), p. 14,
يتحدث عن فارق سنوي يبلغ إلى مترين وأكثر ولكن من دون إثبات.

بالاستنتاجات الملائمة لنهر الأردن[119] الذي لم يُرصَد بشكل كافٍ، والذي كثيرًا ما يتأثر بالمطر في فصل الشتاء بشكل عابر[120]. وبناء على ما ذُكر أعلاه، فإن الوصف الوارد في يشوع (15:3) صحيح تمامًا، يقارن سيراخ (26:24)، وهو أن نهر الأردن يفيض على ضفتيه "طوال وقت الحصاد" بالقرب من أريحا، أي هنا في هذه المنطقة المنخفضة، في نهاية نيسان/ أبريل. ووفقًا لسفر يشوع (10:5)، فهو يفيض قبل عيد الفصح بوقت قصير. إذًا يتعلق الأمر هنا بالعلامة المائية العادية العالية للنهر وليس بِمجرد ارتفاع موقت لمنسوب الماء نتيجة للمطر. ويُذكّر ارتفاع منسوب الماء في نيسان/ أبريل وأيار/ مايو بالأهمية الفريدة للثريا بالنسبة إلى بداية الطوفان ونهايته، والذي سبق أن جرت الإشارة إليه في ص 123 وما يليها، وص 296. كذلك أمكن النظر إلى الثريا في فلسطين كجالبة للفيضانات. وتستفيد هذه الأرض من هذه الفيضانات بشكل خاص، لأن أحواضها المائية الكبيرة والعميقة تبقى سليمة لأن الماء الآخذ في الارتفاع فيها، أُظهر ارتفاع منسوب الماء في البحر الميت[121]، ويجب افتراضه في حال بحيرة طبرية، والتي مع ذلك بالكاد تلائم نظرية هنتنغتون (Huntington) عن التناقص الكبير في المطر في فلسطين، على الرغم من أن السبب الرئيس للارتفاع في منسوب الماء فيها يعود إلى الرواسب الطينية التي تنجرف إلى البحيرات.

مياه الفيضان هذه ليست صافية إطلاقًا؛ فالمرء يجد مياه الأردن في الربيع ضاربة إلى الصُفرة الرمادية، ويمكن تتبع مجراه قليلًا في البحر الميت[122]، لأن جريان الماء يحلل بعض التربة. ولهذا السبب تبدو مياه نهر أدونيس (نهر إبراهيم [في لبنان]) حمراء اللون في بداية الربيع، كما رآها موندرل (Maundrell) في 17 آذار/ مارس 1697[123]، والتي كانت تذكّر في الأزمنة القديمة بدم

(119) يُقارن:

Blanckenhorn, *Naturwissenschaftl. Studien*, p. 58.

(120) يُقارن أعلاه، ص 206 وما يليها.

(121) Dalman, *PJB* (1908), pp. 79ff.; Dalman, *Orte und Wege Jesu*³, p. 94; Blanckenhorn, *Naturwissenschaftl*, pp. 42, 44ff., 91, 169, 178, 180; Masterman, Masterman, *PEFQ* (1913), pp. 192ff.; Schroetter, *Das Tote*, pp. 14f.; Mallon, *Voyage d'exploration au sud-est de la Mer Morte*, pp. 29ff.; Albright, BASOR 14, pp. 7f.

(122) Dalman, *Hundert deutsche Fliegerbilder*, no. 77.

(123) Wright, *Early Travels in Palestine*, pp. 411f., =

أدونيس. وبشكل موازٍ، يمكننا أن نذكر، وفقًا لسفر الخروج (17:7)، كيف تحول لون ماء النيل ذات مرة، في الربيع، إلى لون دموي ذي رائحة نتنة. إلا أنه، بناء على الوقت، لم يكن لذلك صلة بفيضان النهر، بل بعلامته المائية السفلى التي كان ماء النيل خلالها أحمر، وهو عادة ما يكون أصفر أو أخضر. فلون النيل الضارب إلى الحمرة وتصوير إله النيل بالأزرق والأحمر هما حقيقة[124]. ومع ذلك، يبقى السؤال هو التالي: هل إن هذا الوصف يقوم على حقيقة؟ وفي أي حال، ربما كان على المرء توضيح العملية من خلال خلط موادٍ غير عضوية.

د. تغيّم وضباب وندى

يرتبط إشراق الشمس المتزايد والتصاعد القوي لحرارة الربيع بتراجع التغيّم أيضًا. وتُظهر الإحصاءات الأرقام التالية المتعلقة بالتغيم في أشهر الربيع[125]: آذار/ مارس 5.1، نيسان/ أبريل 3.9، أيار/ مايو 2.9. في تشرين الأول/ أكتوبر وحده تعود الأمور إلى سابق عهدها بِـ 2.5. كما تُظهر رطوبة الهواء النسبية تناقصًا متسلسلًا من خلال الأرقام المسجلة في القدس في الساعة الواحدة بعد الظهر: آذار/ مارس 57 في المئة، نيسان/ أبريل 42 في المئة، أيار/ مايو 33 في المئة. وتهبط هذه السلسلة في حزيران/ يونيو إلى 32 في المئة، ثم تعود مرة أخرى إلى الارتفاع بشكل ثابت يصل إلى الذروة في كانون الثاني/ يناير[126]. إن أرقامًا دنيا تُعطى كحدود دنيا لغور الأردن، أي شباط/ فبراير 42 في المئة، آذار/ مارس 21 في المئة، نيسان/ أبريل 36 في المئة[127]، وهي على صلة بدرجة الحرارة العالية السائدة هناك وضآلة مقدار المطر، إضافة إلى رطوبة الأرض. بشكل عام، وبصرف النظر عن فترة الريح الشرقية التي تحدث في نصفه الثاني، يشبه طقس الربيع الفلسطيني في أوجه كثيرة طقس صيف ألماني. ويتحمل

= لكن سبق أن شُرحت بطريقة مماثلة في:

Lucian, *De Dea Syria* 8,

حيث يتصور المسؤول ترابًا أحمر تدفعه الريح، وليس تصريف ماء المطر، إلى النهر.

(124) Hartmann, *Agriculture*, pp. 4f.

(125) Exner, *ZDPV* (1910), p. 154.

(126) Ibid., pp. 154, 156.

(127) Blanckenhorn, *ZDPV* (1909), p. 108.

المرء هنا عن طيب خاطر الأمطار المتساقطة، لأن المرء يعلم كم هي مفيدة، خصوصًا أن الحرارة النسبية التي تسقط في ظلها تجعلها محتملة، ولأن المرء يعلم أن الشمس سوف تعود إلى السطوع عاجلًا، ويكون من أمرها أن تجفف ما هو مبتل[128]. وعادة ما يجعل الهواء الصافي الرؤية إلى مسافات بعيدة ممكنة، ولا تغيب عنها مؤثرات اللون والظل المتعددة، لأن سماءً صافية ممكنة في حال الندى الصباحي كما في حال الحر الشديد. والريح الشرقية كانت معروفة لدى الحاخامين الفلسطينيين الذين وجدوا التباسًا في علامة الطقس التي أعطاها أخيتوفيل لأولاده قبل انتحاره، عن أن سماءً صافية في يوم عيد العنصرة يُفترض بها أن تكون علامة على محصول قمح جيد في الشتاء المقبل[129].

ويعتبر المرء ذلك نافعًا، حين يُغلف ضباب بارد رطب (بالعربية "رَحام") المنطقة الجبلية بأسرها في الصباح. وهو يُعتبر مفيدًا لنمو براعم الأشجار التي تتفتح تحت تأثيره. وعادة يتحول مثل هذا الضباب إلى مطر وفير. ويجب التفريق بينه وبين الندى الجالب للضباب ("نِدَى") الذي يُعد أحد أهم مظاهر الربيع المتأخر، وكذلك الصيف أيضًا. وعادة تأتي الأيام المشمسة ذات النسيم الغربي بالندى انطلاقًا من نيسان/ أبريل، وهو ما يغيب كليًا في الشتاء. ويُمجد العربي الندى بالطريقة نفسها التي يُمجد فيها مطر الشتاء[130]: "بِكسَب مِن النِدَى الحَرير"، أي أن الندى هو الذي يُخصب الأرض القاحلة ([إذنا]). كما أنه مهم لنمو الحبوب: "بِقول الفِلاح يا ربّ النِدَ عِنِد نفض المِرودة"، أي: "يِقول الفلاح: يا رب (هاتِ) الندى عندما تنمو سويقة الحبوب" (عبد الولي). ووفقًا لتوفيق كنعان[131]، يضاف التالي: "وِن أَجَ الزيتون وإلّا عُمرُ ما أَجَ"، أي: "سيان إن أثمر الزيتون أو لم يثمر!"، أي أن احتياجات الحبوب يجب أن تلبّى دونما اعتبار

---

(128) يُقارن أعلاه، ص 286 وما يليها.

(129) j. Sanh. 29[b], b. Bab. b. 147[a].

(130) يُقارن ص 148.

(131) *ZDPV* (1913), p. 295,

يفسر [توفيق] كنعان "نفض" بمعنى تفتح الزهرات. ولكن "بِنفض المِرواد" (وفقًا للسجع فحسب ظهرت "مِرودة" أعلاه) تعني، بحسب استعلامي: "سويقة السنبلة (واقع الأمر المنبثقة عن السويقة والأوراق) تجعل السنبلة تطرح حَبّها".

للزيتون الذي لا يحتاج إلى الندى، بل يحتاج إلى الريح الشرقية[132]. وحتى في أثناء الحصاد، يُقال: "بارك الله في النِدَ - لولا النِدَ سَمَّم الزَرع وَغدَ"، أي: "بارك الله في الندى! فلولاه لكان الزرع قد ذبل ومات" (عبد الولي)، لأن السويقات تتكسر وتسقط على الأرض. وبالقرب من القدس تغني الحصادات[133]: "يا زريع الله يا مال النِدَ"، أي: "يا زرع الله، يا خير الندى!"[134]: "والنِدَ يا مَبرَكُ - حدّ [المقصود هدّ] حيلِ وَضنَكُ"، أي: "والندى المبارك جدًا، هدَّ حيلي وجعل صحتي ضعيفة (لأنه السبب في الحصاد)".

لهذا يراقب الناس السماء عن طيب خاطر لعلها تأتي بالندى المنشود. فإذا حصل في ساعات ما بعد الظهيرة أن تحركت الغيوم في السماء نحو الشرق، تبدو الأمور حينذاك أمرًا ميئوسًا منه؛ إذ إن هذه الغيوم هي "طيار الندى"، لأنها تجعل الندى يتطاير. ولكن إذا كان هناك غيوم على الجبال في الغرب، حينئذ يكون الندى مؤكَّدًا. ويُطلِق العرب على هذه الغيوم والرطوبة الخارجة عنها "نِدَى"، على الرغم من أن قطرات الندى ("صِبيب")[135]، التي تظهر بعد ليالٍ باردة جدًا، ليست هي الأساس. وعادة ما تُشاهد غيوم الندى وهي ترتفع من البحر في ساعات الليل المبكرة، بطيئة في البداية، ثم تتصاعد بسرعة. وفي الصباح، عند طلوع الشمس، تقف بهدوء فوق الجبال، مغمورة بأشعة الشمس حتى يمتصها حر النهار المتزايد، وهذا هو المقصود حين يقول هوشع (4:6) إن حب إسرائيل للرب هي في سرعة زوالها، مثل "ضباب الصباح وندى الفجر الزائل بسرعة"، وفي إشعيا (4:18) "كغيوم الندى في حر وقت الحصاد"، أي أن غيوم الندى التي لا تتحرك فوق الجبال مثل الضباب، وليس كما يفسر مارتي (Marti) "الغيوم الصغيرة العالية غير المرئية التي لا تحركها أي رياح، والتي يسقط منها الندى في وقت الحصاد"؛ فحكمة الله أرادت، وفقًا لسفر الأمثال (20:3)، أن تقطر السحاب ندى (بالعبرية "شِحاقيم"). وحين يهبط مثل هذا الضباب

---

(132) يُنظر أدناه، III 5.

(133) Dalman, *Haupt-Festschrift*, p. 387.

(134) Dalman, *Pal. Diwan*, p. 4.

(135) يُقارن ص 94، 169.

الندي على البساتين بشكل مكثف، بحيث لا يستطيع المرء رؤية أكثر من بضع خطوات أمامه، وهو ما يحدث في آب/ أغسطس، حينئذ يُسمى "غطيطة" أو "عريجة" أو "عجاج". وعندما تدفع الريح هذا الضباب أمامها، يتحدث المرء عن "ضباب"[136]. مثل هذا الضباب الندي في وقت الحصاد الذي، وفقًا لِسفر الخروج (13:16 وما يلي)، ترك المن كسقيط الندى.

إن هيام العربي بغيوم الندى هو صورة مألوفة، فيغني[137]:

"أَنَ لَسرِ مع الغيم الشَمالِ
نَدَ وَ انزل عَلَ صِدر الحَباب"
"أنا سأسير ليلًا مع الغيم الشمالي
مثل ندى أهبط على صدر المحبوب".
و: "بالله يا هوَ الغَدّار اِندَر مِن غاد
نَدَ وقطُر عَلَ صِدر الحَباب"
"بالله، أيها الهواء الغدار، دُرْ إلى هناك كندى وتقاطر على صدر المحبوب!".

الندى مع الغيوم الشمالية، ويجب ألا يؤخذ بجدية أكبر في حالة ندى جبل الشيخ النازل على جبال صهيون، المزامير (3:133)، على الرغم من أن في سفر أخنوخ، الفصل 72، يأتي الندى من جهات متعددة[138]. وحده ندى شديد، مثل ذلك الذي يمكن أن يتوقعه المرء من جبل الشيخ[139]، يُشبه التبريك الذي يتمتع به الشعب الموحد المتآخي الذي يسبغه الرب في عيد الخريف في القدس.

يُحدث الندى ظاهرة غريبة في آذار/ مارس ونيسان/ أبريل هي ظاهرة جمرات الصيف المتوهجة (بالعربية "جَمرات الصيف")، والتي يراها المرء أحيانًا في المشهد الطبيعي في الصباح. تنتشر تلك الجمرات، مثل أنسجة

---

(136) يُقارن ص 111.

(137) Dalman, *Pal. Diwan*, pp. 72, 74f.

(138) يُنظر أعلاه، ص 247 وما يليها.

(139) يُقارن ص 96، حيث كان عليّ التشديد على أن عيد الخريف وندى الخريف يلائم أحدهما الآخر.

العنكبوت (بالعربية "بيوت شعشبون")، فوق الشجيرات ثم تختفي حين ترتفع الشمس عاليًا. وتحتها يجد المرء دودة (بالعربية "دود")، ولكن ليس عنكبوتًا. وما لاحظته هو أعشاش اليرقات التي تلمع في الصباح بفعل الندى، ولكن سرعان ما تفقد لمعانها حين يتبخر الندى[140]. وعن ذلك يُقال: "طاح جَمرِة الصيف، خلص البرد"، أي: "نزلت جمرات الصيف، انتهى البرد".

في العبادة اليهودية، يُصبح مغزى الندى أكثر وضوحًا حين يتخلل الصلاة الـ 18، في الوقت الممتد من عيد الفصح حتى عيد العُرُش، تمجيد الرب باعتباره واهبًا للندى، في حين يظهر الرب من عيد العُرُش وحتى الفصح واهبًا للمطر[141]. صحيح أن الوقت الأول لا يُعتبر إلزاميًا[142]، ولكنه واسع الانتشار[143]؛ ذلك أن الندى يأتي كما لو أنه معجزة الرب، فلا يمكن الإنسان أن يأتي بمثلها، وهو ما يؤكَّد في ميخا (6:5)، حيث تظهر قطرات الندى على العشب على أنها الأمر العجيب. وشبيه بقطرات الندى هذه[144] "ندى الأنوار" (بالعبرية "طال أوروت"، سعديا "نِدى الأنوار") في إشعيا (19:26)، التي من خلالها يبعث الرب الأموات. وعندما يكون هناك ندى كثيف في الصباح، يرى المرء انعكاس الشمس على النباتات البرية تتلألأ على التربة كما لو كانت أنوارًا مشعة؛ لأن الندى يترك الأرض المحروقة تحظى بنمو وافر للنباتات، وهو، وفقًا لسيراخ (22:43)، عمل إلهي يبعث على الدهشة. والندى المولود من رحم الصباح نضر وحيوي، ولهذا السبب يُستخدم في المزامير (3:110) استعارة مجازية للصبا والشباب الذي منحه الرب لشعبه. وبحسب هوشع (6:14)، فإن

---

(140) *ZDPV* (1923), p. 73,

حيث افترضتُ بشكل غير صحيح أن أنثى سراج الليل المنتشرة في فلسطين تقف وراء ذلك. وبالنسبة إلى تعبير "فحم الصيف"، يُقارن ص 225 وما يليها.

(141) يُقارن ص 152.

(142) j. Taan. 63ᵈ, b. Taan. 3ᵃ.

(143) يُنظر:

"die palästinische Rezension des Achtzehngebets, Schechter," *Jew. Quart. Rev.*, X, p. 654; Dalman, *Worte Jesu*, I, p. 299; *Siddur Rab Amram*, p. 7;

يُقارن:

Elbogen, *Der jüdische Gottesdienst*, pp. 44f.

(144) يُقارن ص 94 وما يليها.

شعبًا على وشك الهلاك يعود إلى الحياة بفضل قوة الرب، مثلما يوقظ الندى زهرة الـ"شوشَنَّا"[145]، وفي التثنية (2:32)، يشبه تأثير الكلام الرباني تأثير ندى الربيع في عشب أخضر، وفي سفر الأمثال (12:19) يَظهر الندى استعارةً لحظوة ملك. وفي المقام الأول، تقف بين هذه الأفكار سرية الأسرار التي تحيط بورود الندى، والتي لا يرى المرء قطراته تتساقط ولا الحيوية الخالقة للحياة التي تكتنفها. أما التباين بين الندى والرياح الشرقية وحرارتها وتأثيراتها المدمرة، خلافًا لما هي الحال عليه عندنا، فهو متضمن دائمًا في الخلفية.

تتحدث الأدبيات اليهودية، والتي عادة ما تعتبر الندى علامة جيدة[146]، عن ندى سيّئ قد يحدث خلال موسم الحصاد؛ ففي السبعة أسابيع الواقعة بين عيد الفصح وعيد العنصرة، يحمي الرب شعبه من الرياح الشريرة والندى الشرير[147]؛ فرفعُ جريش الشعير المستخلص من الحزمة الأولى خلال التكريس في يوم الفصح الثاني وخفضُه، يُقصد به أن يمنع ندى سيئًا يأتي من الأعلى، وتحريكه ذهابًا وإيابًا هو صدٌّ للرياح السيئة[148]. أما أي أضرار يتسبب بها الندى السيئ، فلا تُذكَر هنا. ولكن يُزعم في أماكن أخرى أن مثل هذا الندى خفّض محصول حقل حمص الوافر سابقًا إلى النصف[149]. ويعتقد شمعون بن غملائيل أن كل ندى ملعونٌ منذ خراب الهيكل[150]؛ ففي حين كان في الماضي يُبيِّض القش والتبن -على البيدر - فهو يُسوِّده الآن، علاوة

---

(145) *PJB* (1925), pp. 90ff.,

وهنا أدناه، III 6.

(146) j. Taan. 64ª.

(147) Vaj. R. 28 (76ᵇ), Pesikt. 69ᵇ,

حيث يتم ذكر حرّارة الـ"شاراب".

(148) المرجع نفسه (77ª). ويتوقع التأثير نفسه من هز باقة العيد في عيد العُرُش،

b. Sukk. 37ᵇ,

يُقارن أعلاه، ص 151، بخصوص تذبذبات قدسية أخرى. يُنظر:

b. Men. 62ª.

(149) j. Pea 20ᵇ.

(150) Tos. Sot. XV 2, j. Sot. 24ᵇ;

يُقارن أعلاه، ص 158.

على الاعتقاد أن وفرة الندى التي كانت تعني ذات يوم محصولًا وافرًا، تعني اليوم العكس. وهذه الفكرة تنتمي إلى الأفكار الوهمية التي ارتبطت بوجود خدمة الهيكل. إلا أنه، في جميع الأوقات، كان ندًى شديدًا ومتكرر الحدوث وغير مرغوب فيه للحبوب على البيدر، والقول بعدم تعرض الزيتون للندى في أوقات معينة قول معروف للمزارع الفلسطيني اليوم[151].

يُعتبر التشكُّل الضعيف للندى أو الغياب الكامل له، كما يحصل في سنوات الجفاف جراء الريح الشرقية، محنة مؤلمة للأرض، خصوصًا أن رطوبة الأرض الناشئة عن المطر تضيع بشكل أسرع؛ فانحباس الندى والمطر يمكن رؤيته في سفر الملوك الأول (1:17) مؤشرًا واضحًا على قوة الرب، ورؤيته في صموئيل الثاني (21:1) مؤشرًا على استيائه. وبحسب سفر التثنية (13:33)، هناك أفضلية لمنطقة يوسف التي كرّمها الرب بندًى وافر. وربما كان هذا صحيحًا في حال قارن المرء ذلك بجنوب فلسطين المحاطة من الشرق والجنوب بأراضٍ تشح فيها مياه الأمطار، ولكن يبزها إلى حد بعيد الجليل الأعلى، وبشكل خاص "الجولان"[152] في الشمال الشرقي، نتيجة قربه من جبال مرتفعة.

هـ. عواصف الربيع والريح الشرقية والسراب

تزداد شدة الرياح بشكل ثابت في الشتاء وفقًا لأرصاد سارونا [مستعمرة أقامها فرسان الهيكل الألمان في سنة 1871] بالقرب من يافا؛ ففي الخريف، يبدأ اشتداد الريح، ويستمر في الشتاء إلى أن يصل أوجَه في آذار/ مارس. ومع أن نيسان/ أبريل يتخلف عنه في الشدة، إلا أنه يتجاوز شباط/ فبراير. وفي أيار/ مايو، يبدأ التراجع الحاد المفاجئ، ويرتد إلى المستوى الذي كان عليه في تشرين الأول/ أكتوبر[153]. وطبقًا لذلك، يتوقع البحارة في يافا، وليس

---

(151) يُنظر أدناه، III 5.

(152) يُقارن ص 95.

(153) Baruch (Rosenstein), *Ha- Aklim sel- Japho- Tel Aviv- Scharona* (1922), pp. 19, XIII;

يُقارن:

Hat- Taspijjot ham-Met. beTel- Aviv bis-sanim 1923 we 1924 (1926), pp. 4f.

بالضرورة اعتباطًا، عاصفة في 9 آذار/ مارس[154]. ويبدو أن القول المأثور: "هوَ السِبل - بِهِدّ الجِبِل"، أي: "الريح في وقت السنابل تهز جبالًا"، يعني ضمنًا أن ريحًا شديدة لا يزال هبوبها واردًا في أيار/ مايو؛ وشبيه بهذا ما حصل في أرصاد سارونا في 20 أيار/ مايو 1885. ولا ينطبق قول [النبي] محمد الوارد في ص 155 والمتعلق بطلوع الثريا على الساحل الفلسطيني، ولا الكلمات التالية لِسليمان بن كريمَة[155]: "اِذَ طلعت الثُريَ ارتَجّ البحر واختلفت الرياح وَسَلّط الله الجِنّ عَلَ- المِيا"، أي: "إذا طلعت الثريا يرتج البحر وتتكاثر الرياح ويُسلط الله الجن على المياه". وربما وقع المرء في غواية محاولة التفكير في عواصف الخريف المتأخرة واستبدال طلوع الثريا بغيابها، لو لم يتحدث القزويني نفسه في هذا السياق عن تزايد الحر ونضوج التفاح والمشمش وذبول النباتات البرية، وهو ما يتساوق مع طلوع الثريا[156].

كانت تلك عاصفة شرقية في منتصف نيسان/ أبريل التي، وفقًا لِسفر الخروج (21:14) فتحت طريقًا لبني إسرائيل عبر بحر القصب [البحر الأحمر]. ويفترض أن انحسار مده كان هو السبب وراء اندفاع الماء نحو المصريين الهاربين من الغرب (الآية 27). ويحطم الله سفن ترشيش في البحر المتوسط بريح شرقية (المزامير 8:48)[157]. ويُعد المصير نفسه لسفن صور (حزقيال 26:27) وكلاهما، بالتأكيد، في وقت من السنة يعتاد الناس فيه ركوب البحر. والعاصفة الشرقية التي قد تنحسر سريعًا جدًا، تشبه المقشّة[158] التي كنس بها الله عباده (إشعيا 8:27)، والعنف الذي يبددهم به (إرميا 17:18). ولكن يبقى هذا موضع شك، لأن التفكير انصرف إلى وقت محدد من السنة،

(154) Stephan, *JPOS*, II, p. 162.

(155) Kazwini, *Kosmographie*, I, p. 43.

(156) مضلل بالطبع استخدام الثريا الذي جرى التشديد عليه سابقًا؛ فـ "نو الثريا" يحظى بتقدير كبير كونه "النجم الأفضل للمطر الذي يهطل في الوقت الملائم ("الوسمِ"، إيثه (Ethe) بشكل غير صائب: مطر ربيع)، لأن مطره يحدث في وقت تكون الأرض فيه بحاجة إلى الماء"، وهذا يلائم الخريف وحده (يُقارن ص 118 وما يليها)، أي حين غياب الثريا.

(157) في يونان 4:1 لا يحدَّد اتجاه العاصفة التي تقود سفينة ترشيش الخاصة بيونان إلى الخطر.

(158) تقرأ "طعطيا" بدلًا من "سَسّيا".

وجرى التذكير بالريح الشرقية وحدها لأن سكان الريف الفلسطينيين يعرفونها، كونها الأكثر إهلاكًا من بين جميع أنواع الرياح[159].

صحيح أن المد والجزر (بالعربية "مَدّ وجزر") على الساحل الفلسطيني قابلان للملاحظة والإدراك، لكن ليس بذاك المقدار من القوة التي تسمح لهما بجذب الانتباه بشكل كبير. ويفترض أن [النبي] محمد شرحهما بقوله إن الملاك الموضوع فوق البحر يضع قدمًا في الماء كي يحدث المد، ويعود لسحبها حين يفترض بالجزر أن يبدأ. والقزويني[160] ذاته يعتقد بتأثير القمر الذي يسخن البحر وقاعه بواسطة أشعته، في ارتفاع الماء. ولكن يبقى عنف أمواج البحر ("موج البحر") للفلسطيني واضحًا جدًا، فحين يرتفع البحر ("البحر صار كِبير") كما الجبال ("مِثل الجِبال") تندفع الأمواج نحو الساحل الذي غالبًا ما يكون على شكل شاطئ رملي ضيق ومنخفض، وخلفه ترتفع الكثبان الرملية كجدار، لأن الماء يقوضها مرارًا وتكرارًا فتتكسر. وبناء عليه، فمن غير المستغرب أن يبدو البحر مثل قوة تريد غزو الأرض ولكنه لا يستطيع تحقيق هذا الهدف على الرغم من جبروته، لأن قوة أعلى كبلت البحر بحدود لا يمكن تجاوزها (سفر التكوين 1:9). وفي إرميا (22:5) يسأل الرب متعجبًا: "ألا تخافونني؟ أنا الذي جعلت من الرمال حدًا للبحر، حدًا أبديًا لا يتعداه. تتلاطم [أمواجه] لكنها لا تستطيع التغلب عليها، تزمجر لكنها لا تستطيع اجتيازها" (يُقارن المزامير 6:104 وما يلي؛ أيوب 8:38 وما يلي؛ الأمثال 29:8). ومع المدى المحدود لفلسطين غرب نهر الأردن، من حيث العرض، فإن البحر ليس ببعيد، وهناك أماكن في كل مكان على مرتفعات المنطقة الجبلية يرى المرء البحر منها. هكذا هو الأمر بالقرب من المرتفعات الغربية للقدس، وعلى راس الطاحونة بالقرب من البيرة؛ فلريح البحر وجبروته مدًى معروف للفلسطينيّ حتى لو لم يكن قد اختبرهما شخصيًا على متن سفينة متمايلة. وهنا تمنح بحيرة طبرية الفرصة لاختبار ذلك من خلال تيار هوائي يتشكل في الجبال ويهب من الأعلى نحو

(159) يُقارن ص 108 وما يليها.

(160) Kazwini, *Kosmographie*, I, pp. 103f.

الأسفل بسرعة شديدة، وهو من النوع الذي خبرناه في 29 آذار/ مارس 1905 و9 نيسان/ أبريل 1907 و6 نيسان/ أبريل 1908. وفي الطابغة [على بحيرة طبرية]، رصد أحدهم في عام 1914 من شباط/ فبراير حتى نيسان/ أبريل أربعة أيام عاصفة[161]. إن تقلبات الضغط الجوي هنا وفي البحر الميت يمكن أن تُحدث حركة أمواج متلاطمة على الشاطئ حتى من غير ريح تهب، كما لاحظتُ ذلك مرات عدة في بداية تشرين الأول/ أكتوبر 1921[162]. وهكذا، كانت هناك فرصة لحصول مخاطر شديدة في البحر على متن سفينة صغيرة (متّى 8:24، 14:24)، وسبب لإنهائها من خلال أمر المسيح (متّى 8:26)، وهو عادة ما يقوم به الرب وحده (المزامير 65:8، 89:10).

للأسف، لا يزال يُفتقر إلى تقارير تتعلق بقوة الريح في الاتجاهات المختلفة، كما أن هناك سببًا جيدًا للشك في هل كانت الريح الشرقية هي الأشد بين الرياح أم لا[163]. لكنني اختبرتُ في الربيع مرات عديدة كيف أن ريحًا شرقية شديدة دفعتنا إلى إعادة تثبيت حبال خيام معهدنا من جديد، وكيف عصفت الريح الشرقية ذات مرة بخيمتي فوق مخيمي، وهي ربما كانت قادرة على طرح حمارٍ محملٍ بالقمح أرضًا. كما أني كنتُ قد شاهدتُ ذلك المشهد جراء ريح أخرى. ويبدو أن الكلام على أن "ريحًا آتية عبر الصحراء" (أيوب 1:19) تقلب حتى بيتًا، كان معروفًا أصلًا لدى الحاخامين. ولذلك اعتبروا هذه الريح مثل عاصفة يونان (يونان 1:4) وإيليا (الملوك الأول 19:11) شيئًا فريدًا من نوعه لا يحدث عادة، والرب أمر به لغاية محددة[164].

وبغض النظر عن قوة الريح الشرقية، فإن هناك أمرًا واضحًا هو أن الربيع الفلسطيني ما كان على ما هو عليه لولا "هَوَ الشِرقية" أو ببساطة "الشرقية"[165]،

---

(161) Dalman, *Orte und Wege Jesu*[3], pp. 196ff.

(162) *PJB* (1922-1923), p. 73;

يُقارن:

Blanckenhorn, *Naturwissenschaftl. Beobachtungen*, p. 241.

(163) يُقارن أعلاه، ص 109.

(164) Vaj. R. 15 (37[b] f.), Koh. R. 1, 6 (68[a]), j. Ber. 13[d].

(165) ومن هنا الـ *scirocco* الإيطالي.

كما يُطلق العرب على الريح صفة الشرقي وفقًا لاتجاهها. وإذا تفحص المرء الإحصاءات، فإن إكسنر[166] يحسب في الربيع، أي من نيسان/ أبريل حتى حزيران/ يونيو، 47/ 1000 رياحًا شرقية (بما في ذلك الشرقية الشمالية والشرقية الجنوبية). وهذا يعني القليل مقارنة بشتاء 67/ 1000، لكنه كثير مقارنة بصيف 5/ 1000. وفي حين تم هنا رصد خمس سنوات فقط، فإن شابلن[167] يقدم، بعد 16 سنة من الخبرة، معدلات الأرقام التالية لأيام الرياح الشرقية: آذار/ مارس 10.43، نيسان/ أبريل 10.06، أيار/ مايو 10.42. وفي حزيران/ يونيو يبدأ تراجع سريع مقداره 4.99، ينخفض في تموز/ يوليو إلى 1.49. وتمتلك أشهر الربيع (وفق حساباتي) 30.91 يوم ريح شرقية، وأشهر الشتاء 33.47 والصيف 8.72 فقط. وجدير بالملاحظة هنا أن الرياح الجنوبية الشرقية، التي تعود 7.49 أيام في أشهر الشتاء، وتهب في الربيع 13.24 يومًا، أي أنها تتصدر بشكل ملحوظ. وبالنسبة إلى سارونا على مقربة من الساحل وبعد عشر سنوات من رصد باروخ (روزنشتاين) (Baruch Rosenstein)[168] ذكر النِّسب المئوية التالية للرياح الشرقية: آذار/ مارس 181، نيسان/ أبريل 87، أيار/ مايو 56. والريح الجنوبية الشرقية التي تشكل معًا في الشتاء 478 في المئة، ينخفض هنا في الربيع إلى 144 في المئة فقط. إلا أن ذلك لا يستثني حقيقة أن الريح الجنوبية الشرقية تظهر كأنها ريح الربيع والخريف السيئة، حين ترتفع درجات الحرارة إلى 35 درجة مئوية وما فوق ذلك، وتنخفض رطوبة الهواء إلى 20 في المئة وما دون ذلك.

بناء عليه، لا يمكن الحديث عن سيطرة استثنائية للرياح الشرقية في أواخر الربيع، بل إن الريح الشمالية الغربية، جنبًا إلى جنب مع الريح الغربية والشمالية، تقف في الربيع والصيف في الطليعة، والريح الجنوبية الغربية في الشتاء. ويتعلق الأمر هنا بالطبيعة التي تتحلى بها بشكل خاص الريح الجنوبية الشرقية في أواخر الربيع نتيجة ارتفاع درجات الحرارة؛ ففي الشتاء، كانت

(166) *ZDPV* (1910), p. 142.

(167) *PEFQ* (1883), p. 39.

(168) Ibid., p. 18, XII.

باردة، ثم أصبحت حارة، وكنتيجة لذلك تتمتع درجة جفافها بقدرة متنامية على امتصاص الرطوبة؛ فالتباين الصارخ بين طبيعتها ورطوبة الهواء السائدة عادة وظهورها المفاجئ بعد أيام من الرياح الغربية الباردة، هو السبب في صعوبة تحمّل الإنسان والحيوان آثارها، خاصة إذا كان على المرء أن يعمل طوال اليوم خارج البيت، وأن يجهد نفسه بدنيًا جراء الركوب على مطية أو المشي، كما كانت الحال خلال رحلات التخييم التي قام بها معهدنا. ولكن الريح الشرقية لا تصيب الجميع بالتعب، فضلًا عن النعاس فحسب (يُقارن ص 106)، بل تثير أعصاب كثيرين أيضًا. وحين تعود الرياح الغربية يحصل الاسترخاء ويعود النوم طبيعيًا. ويحصر جيورجي[169] الوقت الذي تتحلى الرياح فيه بمثل هذه الطبيعة بأشهر نيسان/ أبريل حتى حزيران/ يونيو، وهو ما يتساوق مع خبرتي الذاتية، وموضح أيضًا من خلال مقاربة منطقة ضغط منخفض من الصحراء العربية.

كمثال على الريح الشرقية القوية والمميزة بشكل خاص، يتم هنا الإخبار عما عايشه جيورجي في بئر السبع بين 12 و18 أيار/ مايو 1916[170]؛ فقبل ذلك كانت درجات الحرارة العظمى في النهار 26–29 درجة مئوية، والصغرى حتى 10 درجات مئوية. وفي اليوم الثاني عشر، ارتفعت العظمى إلى 34.5 درجة، تبعها ارتفاع آخر حتى 43.1 درجة في يوم 17، و42.1 درجة في يوم 18، لتتبعها بعد ذلك العودة إلى درجات الحرارة العادية. وبشكل مناظر لذلك، ارتفعت أيضًا الصغرى من 12 درجة حتى 25.6 درجة في يوم 18، بحيث أصبحت الليالي حارة بشكل لا يُحتمل. أما رطوبة الهواء النسبية، فكانت تراوح في هذا الشهر بين 89 و38 في المئة. وقد انخفضت خلال هذه الأيام إلى 23 و2 في المئة. أما كيف تغير كل شيء في اللحظة التي توقفت فيها الرياح الشرقية، فهذا ما تظهره حقيقة أن في مساء يوم 18، حيث مع هبوط درجة الحرارة 20 درجة، ارتفعت رطوبة الهواء إلى 88 في المئة، وتبعت ذلك

(169) Georgii, *Beiträge zur Physik der freien Atmosphäre,* VIII, p. 174.

(170) *Meteorolog. Zeitschrift*, 36 (1919), pp. 194f.

عواصف رعدية وأمطار. وحدثت اضطرابات قلبية شديدة وحالات إغماء بين الجنود، إذ شعر كل فرد بتوتر عصبي شديد. ومن المفترض أن فلسطين بأكملها عانت أمرًا مشابهًا؛ فباروخ (روزنشتاين)[171] يذكر الأيام من 14 إلى 19 أيار/ مايو 1916، التي تخللها ارتفاع في درجات الحرارة إلى 36 درجة و46.5 درجة كونها أسوأ فترة ريح شرقية *sirocco* في تل أبيب القريبة من يافا.

وربما كانت أكثر سوءًا من فترة الريح الشرقية التي وُصِفت للتو في سنة 1916، تلك الأيام الحارة من أيار/ مايو 1927، والتي يقال إن 23 شخصًا في غور الأردن تعرضوا لضربات شمس قاتلة، وأُصيب أطفال بحالات إغماء في القدس[172]. ومن طبرية رُوي لي أن درجة الحرارة بلغت في الظل 43 [درجة مئوية]. وفي المقابل وفي يوم الصعود (21 أيار/ مايو) 1925، اختبرت في القدس ظروفًا ذات صلة ولكنها أكثر اعتيادية؛ فقبل الظهر، سادت ريح شرقية، حيث السماء صافية والحرارة بلغت عند الظُّهر 33.5 درجة. وفي الساعة 3 بعد الظهر ظهرت فجأة غيوم مع رياح شديدة من الجنوب والجنوب الغربي وكثير من الغبار في الهواء. وبعد ذلك بساعة وثلاثين دقيقة، جاءت الريح من الغرب، واستُبدلت الغيوم بطبقة خفيفة من ضباب رقيق ظهرت الشمس من خلاله مع استمرار وجود هواء أكثر حرارة. وفي حوالى الساعة 5:30 سكنت الريح بصورة شبه كاملة. وقرابة منتصف الليل هبت مرة أخرى عاصفة من الجنوب وبلغت الحرارة 29 درجة، تبعتها قرابة الصباح ريح غربية باردة مع سماء غائمة وانخفاض الحرارة إلى 18 درجة، ثم استمرت الحرارة في الهبوط في اليوم التالي حتى 14 درجة في الصباح، بحيث إني دونتُ 23 أيار/ مايو يومًا باردًا لم يسقط فيه مطر، على الرغم من أن المرء كان قد انتظره ربما في نيسان/ أبريل بعد تغير مثل هذا في الطقس[173]. وقد كانت النهاية الحقيقية لمطر الشتاء هذا في 5 نيسان/ أبريل.

---

(171) Ibid., p. 19.

(172) *Warte des Tempels vom*, 30/06/1927.

(173) يُقارن التقرير بشأن عراك الريح في الخريف، ص 105 وما يليها.

وإلى أوقات الحر الموصوفة أعلاه في أيار/ مايو، يجب إضافة ألـ"نار" التي يَرِدُ الحديث عنها في عاموس (4:7) والتي باستطاعتها التهام "عمق الماء الكبير"، أي التهام بحر بذاته، والنار في سفر يوئيل (19:1 وما يلي)، التي تلتهم مروج البرية، ولهب يحرق جميع أشجار الحقل ويجفف مياه الجداول. وحتى لو افتُرِض أن تكون الصورة مجرد صورة تصف تأثير أسراب الجراد، والمستثنى في عاموس (4:7)، فربما قُصد بها ريح شرقية متوهجة تهب فوق الأرض وتمتص الرطوبة كلها.

وفي مصر، تُعتبر الخمسون يومًا بين عيد الفصح وعيد العنصرة، "اِلخَماسين"[174]، هي وقت الريح الحارة التي سُمي على اسمها. وعن هذه الريح يميز المرء "اِلسَموم"، كنوع سيّئ بشكل خاص لريح جنوبية شرقية تهب عادة مدة 15 دقيقة فقط، مصطحبة معها كمًّا من الغبار والرمل من الصحراء[175]. وفي فلسطين، هناك، إضافة إلى الريح الشرقية الحقيقية ("اِلشِرقية")، الـ"سموم"[176] التي تذكّر المرء بأوقات تسكن فيها الريح ("خَماد")، وتحدث أحيانًا خلال فترات الريح الشرقية التي يسود خلالها هواء جاف وحار آتٍ من الشرق، على الرغم من عدم وجود تيار هوائي آتٍ من الشرق. أما غبار الشوارع الذي تثيره العربات والبهائم، فهو مزعج بشكل خاص[177]. والسماء تكون في العادة مغطاة بالضباب الرقيق ("قِتام") الذي يصبح كثيفًا إلى درجة تفقد معها الشمس لمعانها بالكامل، بحيث بالكاد يمكن رؤيتها، فتظهر مظلمة قاتمة. وباروخ (روزنشتاين)[178] يعتبره مثل السمحاق [سحاب مرتفع أشبه بالحجاب]، وعلى صلة برياح دافئة آتية من الصحراء. إن تعتيم السماء هذا اختبرتُه على بحيرة طبرية في 10 نيسان/ أبريل 1913[179]، في حين أن الظلام الذي خيم في

---

(174) ليس "خَمْسين".

(175) Lane, *Manners and Customs*, I, pp. 2f.; II, p. 222.

(176) يُقارن ص 103.

(177) يُقارن ص 133.

(178) Ibid., p. 18.

(179) يُقارن أعلاه، ص 108.

11 أيار/ مايو 1925، وحرارة بلغت 31.5 درجة ظهرًا، ودخول هواء شرقي بعد الظهيرة مرتبط بريح جنوبية قوية، ظهر على صلة بغبار أتى من الصحراء. و"الظلام المخيم على جميع أنحاء الأرض" من الظهيرة حتى الساعة 3 بعد الظهر، والذي كان، بحسب متّى (27:45) ومرقس (15:33)، قد ساد يوم وفاة المسيح، يمكن تفسيره لأن 15 نيسان/ أبريل هو الوقت الذي عادة ما تحصل فيه هذه الظاهرة الطبيعية، ولأنه لم يجرِ الحديث عن كسوف فعلي للشمس. كما أن الظلام في سفر الخروج (10:22 وما يلي)، وهو الذي استمر ثلاثة أيام وامتد ليلة كاملة، ينتمي مع المحن المصرية الأخرى إلى زمن تلك التعتيمات. وفي سفر يوئيل (2:2-10) ورؤية (9:2)، ترتبط مثل هذه الظاهرة الطبيعية بسرب من الجراد. وقد يفترض ذلك أنه كان ممتدًا بشكل واسع إلى درجة أن طيران السرب أظلم الشمس، كما أن الريح الشرقية التي أتت به قد تكون هي سبب الظلام، خصوصًا أن أسراب الجراد تطير في أوقات الرياح الشرقية.

بالكاد يمكن، من حيث التأثير، التفريق بين أيام ذات هواء شرقي ("سموم") وفترات الريح الشرقية؛ فما تحققه ريح جنوبية شرقية شديدة السرعة تحققه السموم ببطء، ولكن بثبات. وفي داخل البيت يتبين جفاف الهواء من خلال انكماش المقومات الخشبية التي كثيرًا ما تتشقق نتيجة ذلك. وقد يستيقظ المرء ليلًا على صوت قرقعة نتيجة تصدع سطوح المناضد وأبواب الخزائن. وقد ذكر المشنا أن أبوابًا خشبية تتصدع بفعل الريح الشرقية[180]. والإنسان لا يُفرز عرقًا، بل عليه أن يقوم على نحوٍ مستمر بمنح الهواء الجاف رطوبة. وانحطاط القوة البدنية الناتج من ذلك يشكل فرصة لتفشي الأوبئة المعدية المتوطنة، مثل الملاريا والزحار، التي تحمل جراثيمَها أغلبيةُ الفلسطينيين، وبشكل دائم. ويشعر المرء بالخلاص، بعد تغير مفاجئ في الريح، حين يعود الهواء المشبع بالرطوبة مرة أخرى، فيحيط بالجسم. وثمة عَرَض جانبي مصاحب للريح الشرقية معروف لدى الفلاحين العرب هو التهيج الجلدي الذي يحصل بسهولة حين لا يكون الجلد محميًا بشكل كافٍ، وقد يتسبب بِبثور (يُقارن ص 106)

(180) Kel. XX 2.

أيضًا، وهو ما يذكّر بوباء البثور المصري الذي حصل في الربيع (الخروج 8:9 وما يلي)، والمرتبط بريح غبراء، أي مع "سَموم" مصر (يُنظر أعلاه). وبناء عليه، فإن العربي على حق حين يقول: "اِن هبَّت شِرقية - يا ضيعَت بْنيي"، أي: "حين تهب الريح الشرقية، يا بؤس أطفالي!"؛ إذ إن الأطفال وكبار السن هم الأكثر عرضة لتأثيرات الريح الشرقية. وعادة ما يلاحظ المرء ذلك في داخل البيت، حين تكون الريح الشرقية قد بدأت بالهبوب. وإذا كان هناك شك، يخرج الفلاح إلى خارج باب بيته ويتحسس لحيته. فإذا كانت ناعمة وملساء، تكون الريح الغربية هي السائدة، وإذا كانت جافة ومشدودة، تكون الريح الشرقية قد هبّت[181]. وينصح مثل آرامي قديم بالتعرف إلى شهر آذار/ مارس من خلال نمط ريحه الشرقية[182]، فيقول، من دون ذكر للإشارة المميزة: "انفخ بعظم فكك وسر باتجاهه!" فهو ربما يكمن في امتناع رؤية [بُخار] النَفَس نتيجة حرارة الريح الشرقية وجفافها، التي تهب خلال هذا الشهر.

تتبخر تجمعات مياه الأمطار الكبيرة والصغيرة المفتوحة، أي أحواض الماء الضحلة (بالعربية "غُدران"، "جُهران") والبرك (بالعربية "بُرَك")[183]، تدريجًا في هذا الوقت، ثم تصبح ذات فائدة محدودة أو عادمة الفائدة في الصيف. لذلك، فهي ليست ضارة بشكل خاص، لأن كل امرئ يتوقع ذلك منذ البداية. وما من أحد يستغرب أنه لم يبق شيئًا غير مخزون صغيرٍ من الماء في حزيران/ يونيو في برك سليمان الكبيرة بالقرب من القدس، وقد أصبح أخضر اللون بحيث لا يمكن استخدامه حتى كمغسل للخيول. ولكن فترة الريح الشرقية تستمر مدة أطول كي يمكنها أن تُسرِّع عملية التبخير، كما في حال أرض اِلبالوع المنخفضة بالقرب من البيرة في أيار/ مايو 1918 التي كانت مليئة بمياه المطر[184]؛ فحوض ماء فارغ يتسبب حينئذ بخيبة أمل كبيرة للإنسان والحيوان معًا. لكن تناقصًا

---

(181) Canaan, *ZDPV* (1913), p. 295.

(182) j. Sanh. 18c, R. h. Sch. 58b,

يُقارن:

b. Sanh. 18b.

(183) يُقارن ص 72.

(184) يُقارن ص 200.

سريعًا في مخزون الماء يحصل وقتئذ في الينابيع (بالعربية "عيون") وفي آبار النبع ("بيار نِبع") وفي جداول الينابيع (بالعربية "سيول")، وتتسبب في مصاعب كبيرة. ولذلك، فإن الريح الشرقية الآتية من الصحراء هي التي جففت في هوشع (15:13) عين إفرايم الذي كان طافحًا بالماء بين النباتات الوارفة[185].

يبقى التأثير الذي تتركه الريح الشرقية في نيسان/ أبريل وأيار/ مايو في الحياة النباتية في البلاد ذا أهمية حاسمة؛ فالشجيرات الأكثر نضارة هي الأسرع في الانكماش، فبعد ساعات قليلة من ريح شديدة، قد يكون قد قُضي عليها. ولكن كل ما هو أخضر كثير العصارة ونضر بين النباتات التي تنتمي إليها أنواع الأعشاب، تتبع [هذا المصير]، فتصبح في البداية صفراء ثم بيضاء. وفي عز تنويرها وتألقها، تذبل الحياة النباتية، أي نباتات الربيع المتأخر وتموت. وحدها النباتات المحمية بغلاف جلدي الطابع وشعر كثيف تجتاز الاختبار. والأشجار متصلة من خلال جذورها بطبقات رطبة في التربة. وأشجار الخروب والجميز، وهي، وفقًا للعقيدة اليهودية، متصلة بالبحر البدائي المطمور في الباطن الذي يرتفع إليها مرة في كل شهر[186]، ولذلك فهي قادرة على المقاومة، حتى أن وقت إزهارها ينتهي مع نهاية الربيع. إنه واحد من قوانين الطبيعة الصارمة في فلسطين، وهو أن الريح الشرقية تقود بهاء الربيع إلى نهاية شعواء. ولا يغيب هذا عن ذهن ناظم المزامير حين يشكو (المزامير 12:102): "أيامي مثل ظل يتمدد (يتبعه الليل بسرعة)، وأنا أذبل كعشب يابس". إن فَنَاء نباتات الربيع يمكن هنا القبض عليه باليد. والأوصاف الواردة في إشعيا (6:40-8، 5:64)، المزامير (20:37، 5:90 وما يلي، 15:103 وما يلي)، وأيوب (2:14) تُطابق الواقع. فحتى الإزهار والتبرعم في الصباح والذبول والانكماش[187] في المساء في

---

(185) يفهم سعديا كلمة "أحو"، في التكوين 2:41، بمعنى "قُرط"، أي كنوع من البرسيم.

(186) j. Ber. 14a, Taan. 64b, Ab. z. 43a.

(187) الكلمة العبرية "يِموليل" (المزامير 6:90) يفترض بها أن تفهم وفقًا لِـ "يِمَّل" (المزامير 2:37، أيوب 2:14، 16:18، 24:24) والتي تظهر في السياق، ويترجمها سعديا إلى "انكسف"، أي [انقصف] "تهاوى". ولا يتضمن هذا التعبير بأي شكل من الأشكال قصًا أو تقطيعًا.

المزامير (6:90) يمكن ملاحظاتها بالضبط على هذا النحو[188]. وفي ألمانيا، ينتاب المرء إحساسٌ بأن نباتات الربيع البرية تتمتع بالحياة تمتعًا كاملًا في الصيف والخريف، وفي النهاية ينقضي أجلها بعد أن تكون قد شبعت من الحياة، في حين يقتصر وقتها في فلسطين على الربيع وحده. ولا يحيد المثل عن جادة الصواب حين يقول[189]: "ربيع دايم وَشبّ دايم وقمر دايم شي لا يصير"، أي: "ربيع دائم وشباب دائم وضوء قمر دائم هو شيء غير موجود". وسريعًا تزهر النباتات البرية، وبشكل أسرع تسقط ضحية موت عنيف. ويدرك المرء لماذا إله هذا الربيع، أدونيس- تموز، كشاب قتلته قبل أوانه بهيمة متوحشة، وقد ناحت عليه المعجبات، كما حدث في البوابة الشمالية للهيكل في القدس (حزقيال 14:8). هنا، ليس الشتاء هو القاتل، كما يود الناس الاعتقاد، بل الصيف المقبل، وبشكل أدق الريح الشرقية التي تسبقه. ويعتقد هوشع (2:12)، بحق، أن "السير مع الريح الشرقية" يعني الانتحار. والنباتات الجافة لا تتطاير على الفور، ولكن الجفاف وسفعة الشمس والريح يُفسّخانهما كليًا إلى درجة أن المرء سيبحث بلا جدوى عن أثر لها حتى لو لم تأكلها الماشية، ولأن الريح ستدفعها كقش أوكغبار فوق الحقول الشتوية الجرداء. وبناء عليه، فإن ذلك مأخوذ مباشرة من الحياة حين يتحدث سفر المزامير (16:103) عن زهر الحقل: "لأن ريحًا تعبر عليه، فلا يكون ولا يعرفه موضعه بعد"؛ إنها الريح الشرقية (بالعبرية "قاديم") والتي تُيبّس الحياة النباتية كما في حزقيال (10:17، 12:19) وفي إشعيا (8:27) وفي أيوب (21:27) تطرد النباتات الذابلة. وحتى من دون ذكر خاص، فهو قابل للتعرف إليه في الريح المدمرة الواردة في إشعيا (7:40) والمزامير (16:103)، وفي وهج النار في التثنية (22:32)، فلا عجب حينئذ أن نفحات الرب التي تحرق مثل تيار من الكبريت (إشعيا 33:30) تُفهم على أنها الريح الشرقية التي تعني قصاص الأشرار في جهنم[190].

---

(188) يقارن أدناه، III 6، عن شقائق النعمان والحوذان.

(189) Berggren, *Guide*,

أدناه printemps.

(190) ميخلتا (Mechiltha) عن الخروج 21:14، طبعة فريدم Ausg. Friedm. 31ª.

يجري التلميح إلى وقت الريح الشرقية المجفِّفة في المثل الشعبي[191]: "عيد الخميس (أو عُقب الخميس") كُلّ شي بيبس"، أي: "في عيد شهر الخميس (أو: بعد هذا الشهر) يُصبح كل شيء يابسًا". ويُقصد بالعيد عيد الفصح وليس خميس الآلام؛ فحوالى عيد الفصح، في منتصف نيسان/ أبريل تقريبًا، لا شيء يمكنه وقف التيبس. ومعلومات القزويني[192] في التقويم اليوناني في ما يتعلق برياح الربيع ليست واضحة تمامًا؛ ففي 20 "نيسان" تهب رياح شرقية، ولكن في 24 "أيار" وحده تكون بداية رياح الـ"سَموم"، وفي 25 "حزيران" يفترض بها أن تبدأ من جديد لمدة 51 يومًا. وهو يفصل الـ"سَمايم" عن الـ"بَوارِح" التي هي رياح جنوبية شديدة تبدأ في 11 "أيار" وتنتهي في 28 "حزيران"، أي تهب حوالى 50 يومًا. وهي في أماكن أخرى "الدِبَران" (α في برج الثور)، حيث مع بداية سيطرته في 26 "أيار" تبدأ الـ"بوارح" وتهب الـ"سمايم"[193]. وبناء عليه، فإن تاريخ 24 "أيار" الوارد في التقويم يستند إلى عوامل فلكية. إلا أن القزويني[194] يعلم أن مع طلوع الـ"بطين" (بطن الحمل) في 29 "نيسان" يبدأ العشب بالتيبس. وفي هذا الوقت حصل فعلًا ما ورد في الأمثال (27:25): "لقد زال العشب (بالعبرية "حاصير")، والخضروات النضرة ("ديشة") رعتها الماشية[195]، واختفت[196] أعشاب الجبال ("عسِّبوت").

ليس هناك شك في أن الريح الشرقية تساهم بشكل جوهري في نضوج الحبوب، كما تتكفل في أن يصبح الشعير والقمح جاهزين للحصاد (مرقس 4:28 وما يلي). ولكن هناك خطر أن تهب هذه الريح مبكرًا فتعيق نمو الحبوب،

---

(191) Canaan, *JPVS*, III, p. 32:

"في شهر الخميس"، (في شهر نيسان/ أبريل). [أنطون] الجميّل، مجلة **المشرق** (1905)، ص 688: "من الخميس للخميس - كل خضرة من العشب بيبس" (مصح المجذومين).

(192) Kazwini, *Kosmographie*, I, p. 78.

(193) Ibid., p. 44.

(194) Ibid., p. 43.

(195) تُقرأ "تِرعى" بدلًا من "نِرئى".

(196) "نإسِفو" قد تعني "تم جمعها"؛ إذ يُفترض أن يكون المقصود بقطع جزء من العشب كعلف للحيوانات. يُقارن أدناه، III 8.

بحيث تيبس الساق قبل نمو السنبلة، وتبقى السنبلة صغيرة وربما من دون حبّ. حينئذ يقول المرء: "الزرع بِصفَرّ بيبس"، "السنابل تصبح صفراء، يابسة"، أو: "اِلتفح"، أي "صار مَلفوحًا"، "لقد تلوّح [بالحرارة]". وقد تناظر كلمة "ملفوح" الكلمة العبرية "شِدّافون" (ص 158) التي يجب تمييزها من السخام الأسود الأقل ضررًا الذي يظهر أحيانًا في الحبوب. ويُطلِق المرء على سنبلة مصابة بذلك "سِبِلة مطوبنة"، لأن المرء اعتاد أن يتحدث عن مثل هذه الحبوب بعبارة: "فيه طابون"، أي سخام. ولأن هذا السخام يختفي عند درس الحنطة، فإن فطر التفحم (Ustilago carbo)، لا بد أنه هو الذي يمتلك مثل هذا التأثير[197]. ولذلك، فإن الأمر ليس هو صدأ الحبوب أو مرض الأرغوت. إن كلمة "يراقون" المرتبطة بـ"شِدّافون" تعني ما تعنيه الكلمة العربية "يرقان" التي يستخدمها سعديا بصيغة، "صفار"، كما هي الحال لدى الإنسان[198]. لذلك، ولأنه يختلف عن "شِدّافون"، يطابق شحوب رؤوس الحبوب الخضر نتيجة لِـ"تكون الديدان" بعد فترة جفاف طويلة[199] مرضًا يمكن التغلب عليه حين تعود الأمطار الوافرة لتحفز إطلاع براعم الزرع. حينئذ يقول المرء: "الزرع بِدَوِّد"، أي: "الزرع مصاب بالديدان"، ويعرف الناس الدودة الصغيرة ذات الرائحة الكريهة ("دود"، "لِجا")، وهي ربما يرقة خنافس الحبوب (Zabrus gibbus) التي تلتهم السيقان وتعيق السنابل الطبيعية عن النمو.

وحتى في أثناء الحصاد، قد تتسبب الريح الشرقية بأضرار حين تصبح السيقان هشة جراء تأثير تلك الريح، بحيث تتفتت عند جمعها ما يدفع المرء إلى تأجيل نقلها إلى البيدر، كما حدث قبل عيد العنصرة (23 أيار/ مايو) 1926 في السهل الساحلي[200]. ويشكو الحصاد[201]: "والنِدَ يَ مَبرَكُ - هَدّ حيلِ

---

(197) يُنظر:

Frank, *Krankheiten der Pflanzen* II^2, pp. 109f.

(198) يُقارن:

Harfouch, *Drogman arabe*, p. 82:

"ريقان" "اصفرار".

(199) ولكن قيل لي إن كثيرًا من المطر يشكل سببًا لذلك.

(200) *Warte des Tempels* vom, 15/06/1926.

(201) Dalman, *Pal. Diwan*, p. 4.

وَضنَكُ"، أي: "والندى، كم هو مبارك، بدد قوتي وجعلها ضعيفة" (لأنه يحمل وزر الاضطرار إلى الحصاد). ولكنه يقول أيضًا(202): "يا زريع الله يا مال النِدَ – ما سمعت الرعد يومِنّو دوىَ"، أي: "يا زرع الله، يا خير الندى! ألم تسمع الرعد عندما دوّى (وبشر بالندى)". وتسري القاعدة التالية(203): ثَلاثة عَلَ الفِلاح عدم: إِحراث الطين وحصيدة السموم ودراس النَدَ"، أي: "ثلاثة أشياء تعني خسارة بالنسبة إلى الفلاح: الحرث في أرض رطبة، والحصاد في أثناء هبوب الريح الشرقية، والدراس خلال تساقط الندى". وهذا يتوافق مع أمنية الفلاح الذي يفضل الندى في وقت الحصاد على الريح الشرقية. ومع ذلك، فإن لديه سببًا في أن يكون غير واثق بأمنيته حين يخطر الزيتون في باله، ففي هذا الوقت بالذات، يحتاج الفلاح إلى شيء مختلف. ومن هنا الطلب الغريب(204): "يا ربّ السموم – عند عقد الزيتون – وِن أَجَ الزرع ولاَ عُمره ما أَجَ"، أي: "يا ربي هبنا رياح السموم حين يعقد الزيتون، وسيان إن كانت غلة الحبوب وافرة أو لم تكن!"، أي أن المطلوب هو ريح السموم بأي ثمن(205). ويعرف الحاخامون البابليون تفاوتًا مشابهًا حين يؤكدون أن الريح الشمالية مفيدة للقمح حين تهب عندما يكون القمح في ثلث فترة نموه، ولكنها ضارة بالزيتون حين يحمل ثمارًا ("حونِطين")، في حين أن الأمور مع الريح الجنوبية التي تكون في بابل ضارة دائمًا، عكس ذلك(206). ويمكن القول إن ريحًا شمالية باردة في آذار/ مارس تعزز النمو الجانبي للقمح، في حين أن ريحًا جنوبية حارة تسمح للقمح بأن ينمو بسرعة نحو الأعلى، علاوة على أن الريح الجنوبية لا الريح الشمالية في أيار/ مايو، هي التي تساهم في تخصيب الزيتون.

---

(202) Dalman, *Haupt-Festschrift*, p. 387.

(203) Canaan, *ZDMG*, 70, p. 177.

(204) مثله:

ZDPV (1913), p. 295,

يُقارن أعلاه، ص 310.

(205) وعند السموم يؤخذ أيضًا سكون الريح في الاعتبار، إذ ربما أدت رياح شديدة إلى تساقط عناقيد زهر الزيتون، جنبًا إلى جنب مع براعمه المتشكلة.

(206) b. Jom. 21[b], Bab. b. 147[a];

يُقارن أعلاه، ص 109.

ثمة عامل مهم لم يؤخذ في الاعتبار في الأزمنة القديمة، هو أن الهلاك التدريجي لعالم النباتات الخفيضة خلال أوقات متعددة من فترة الريح الشرقية يتمتع بأهمية زراعية إيجابية، بغض النظر عن نضوج الحبوب[207]؛ فالانقطاع المتعدد لنمو النباتات يترتب عليه عدم تحوّلها بسرعة إلى بذور، بل تموت مرات عديدة ثم تنمو من جديد. وهذا يعني ارتفاعًا في قيمتها الغذائية للماشية التي تعتمد على هذا العلف خلال الصيف الطويل؛ فالذبول النهائي السريع بكامل نضارته يعيق النباتات عن الهزال التدريجي والتخشب ويجعلها ثمينة في هذا الوضع اليابس الذي لا يحتاج إلى حماية في مخزن، وهو ما يشبه لدينا قص النباتات وهي لا تزال نضرة، حيث يُنتج القش المكتسب بتلك الوسيلة.

يُطري جيورجي[208] على الريح الشرقية لأنها تقضي على الذباب وجميع أنواع الحشرات الأخرى فترة زمنية طويلة. وقد ينطبق هذا على قاطني الخيام في بئر السبع. لكن، في أي بيت في المدينة، يعيش المرء التجربة معكوسة؛ إذ إن البعوض في مثل هذا الوقت يدعو نفسه إلى البيوت ويهاجم الناس بشكل حماسي غير معهود. والعكس صحيح في ما لو كان الجو رطبًا وباردًا.

وينتمي إلى الريح الشرقية نوع غريب من السراب مترتب على اهتزاز الهواء في الحر؛ إنه سطح مائي قائم لا يُكسر شعاعه الضوئي، كما هي الحال في الساحل الفلسطيني، حيث يحصل أحيانًا أن البحر، الذي يكون عادة محجوبًا خلف الكثبان الرملية، يصبح مرئيًا فوقها. بل تظهر سطوح ساطعة تشبه بركًا وبحيرات في أماكن المشهد الطبيعي، حيث لا توجد إطلاقًا أي برك أو بحيرات، وتبرز الهضاب فوقها مثل الجزر أو الجبال المحاذية. وقد شاهدنا في 14 نيسان/ أبريل 1913 مثل هذه الظاهرة في حوران الجنوبية، وفي 14 تشرين الثاني/ نوفمبر 1910 بالقرب من البتراء[209]، وليس من أحد خبير بالبلاد يمكن أن ينطلي عليه ذلك. وتُذكِّر تسميتها العربية "سراب" بالكلمة

---

(207) يُقارن:
Auhagen, *Beiträge zur Kenntnis der Landesnatur und der Landwirtschaft Syriens*, pp. 6f.

(208) *Meteorol. Zeitschrift*, 36 (1919), p. 197.

(209) يُقارن:
Jacob, *Altarab. Beduinenleben*, p. 9, Musil, *Arabia Petraea*, III, p. 5.

العبرية "شاراب" التي ترجمها سعديا في إشعيا (7:35) بـ"سراب" وفي إشعيا (10:49) بِـ"سَموم". وهنا يخطر في البال الهواء المهتز السافع الذي يشكل الشرط الأساس لهذه الظاهرة. ويتنهد العاشق اليائس[210]: "وأنِ مِثل مجنون اِن تاه ميال - وتاه وصار موروودُ سِراب": "أنا مثل مجنون، عندما يضل طريقه ويترنح، وعندما يتيه عن طريقه يصبح مورد مائه سرابًا".

و. عالم النبات في الربيع

هناك قول مأثور يذكر الأشياء التي تأتي براحة البال[211]: "خُضْرَة وماء ووُجه حسن". ويجد الشارحون العرب أن الاثنين الأوليين متحدان، خصوصًا حين يجلس أحدهم في حديقة بين ورود على حوض ماء مصغيًا إلى خرير النافورة. وواقع الأمر أن هذا شيء مثالي يتم تثمينه بشكل مضاعف في الشرق الذي يفتقر دائمًا إلى المياه الجارية، وكثيرًا إلى الحياة النباتية. فحديقة مع ينبوع ماء، بحسب نشيد الأنشاد (12:4 وما يلي)، هي ذروة السعادة الدنيوية، وبحسب سفر الجامعة (5:2 وما يلي)، فإن إنشاء حديقة وبرك ماء متعة ملوكية. إلا أن هذا لا يُبعد المرء عن التمتع والمسرة بما تقدمه الطبيعة من حياة نباتية، مع أن الماء غير متوافر، والمتوافر هو النداوة من أعلى (التثنية 11:11) التي تُحدث الخضرة ولو إلى وقت قصير. وكثيرًا ما يقف هذا الابتهاج خلف الكلمتين العبريتين "ديشِ ويِرِق" في العهد القديم اللتين يترجمهما سعديا (إشعيا 6:15، 27:37)، إلى "كَلا وخَضر": "نماء جديد" و"خُضرة". ويعرف المعلق على الخلق ما يعني ذلك حين منح الرب الأرضَ هذا الرداء أول مرة (التكوين 11:1 وما يلي)، وبعد ذلك عمل من خلال ترتيب الفصول لتكرار ظهور ذاك الرداء بشكل دائم.

لقد سبق أن قدم الشتاء تذوقًا مبدئيًا من ذلك[212]، ولكن في آذار/ مارس وحده تنهض الحياة النباتية البرية في البلاد بكامل قوتها، مثل المحاصيل. ومن هنا القول الشائع: "اِد- دِنيَ في اِذارهَ - مِثل العروس في دارهَ"، أي: "الدنيا في

(210) Dalman, *Pal. Diwan*, p. 87.

(211) Landberg, *Proverbes et Dictons*, p. 294.

(212) يُقارن ص 249 وما يليها.

آذارها مثل العروس في دارها"، وهذا يُشير إلى العروس التي ازدانت للالتحاق بالموكب الذي سيصطحبها إلى بيت العريس، والتي كانت تُكرم وتُجل في بيت والديها. ويقول أهل المدن: "بإزارها"، أي "في عباءتها"، بدلًا من: "بِدارهَا". وتدور في خلدهم تلك العباءة الحريرية التي تكون في العادة، ولا سيما إذا كانت ثمينة جدًا، مطرزة بخيوط ذهبية ترتديها العروس في موكب انتقالها إلى بيت العريس. ويقول مثل آرامي قديم[213]: "حين يُزهر الزرع المبكر والمتأخر معًا، عندها يكون آذار"، ولا يمكن أن يكون قد قُصِد بذلك إزهار الحبوب بالمعنى الحقيقي للكلمة، بل النمو الأولي للسنابل في النصف الثاني من آذار/ مارس، حيث تلحق المحاصيل السريعة النمو التي زُرعت متأخرة، بالمحاصيل التي زُرعت باكرًا حتى لو كانت بطيئة النمو. ويستشهد القزويني[214] بالمثل العربي: "اِذَ طَلع الدِلوُ - هُبِت الجِرُ - وأنسل العفُ - وَطُلِب اللهُو"، أي: "إذا طلع الدلو (ά، β بيغاسوس) يتم قطع العشب الطري ويتساقط شعر الحمار ويُطلبُ اللهو"[215]. وبالإشارة إلى السطر الثاني: "الرطب يُجَزّ"[216]، "يتم قطع الخضرة الطازجة"، أي أنها كانت قد نمت عاليًا. ثم بعد ذلك يذكر أن تحت سيطرة "فرغ الثانِي" [نجم] سرة الفرس (γ بيغاسوس، α أندروميدا [المرأة المسلسلة])، والتي تبدأ في 22 "اِذار" يكثر "العشب" وثمرة الزفزيف "النبق"، إضافة إلى الخضار ("الباقلاء")[217]. والأخيرة تنطبق على خضروات القدس التي تأتي إلى السوق في آذار/ مارس، من بين نباتات أخرى غيرها مثل الرجلة أو البقلة الحمقاء ("بقلة" (Portulaca oleracea)[218]. وفي المقابل، بالقرب من أريحا، لاحظتُ في سنة 1909، وبالتحديد في 18 نيسان/ أبريل، ثمارًا على شجرة السدر (Zizyphus spina-christi) التي من المحتمل أن تكون قد نضجت في وقت أبكر بعض الشيء.

---

(213) j. Sanh. 18c, R. h. S. 58b, b. Sanh. 18b.

(214) Kazwini, *Kosmographie*, I, p. 51.

(215) ربما عن الحمار الذي يبغي المعاشرة.

(216) هكذا يقرأ بحسب فلايشر (Fleischer) في ترجمة إيثه (Ethe)، ص 448. يُقارن أدناه، III 8 [الربيع - أزهار الحقل].

(217) ربما تعني الكلمة أي نوع من نبات بري صالح للأكل.

(218) Duhm, *PJB* (1921), p. 67.

في شهر نيسان يُقال في فلسطين[219]: "راح الصِيام المبارك وأَجَ حد الشعَنينِ - أوراق الرمّان والخوخ والتينِ": "ها قد مضى الصيام المبارك وجاء أحد الشعانين (ومعه) أوراق الرمان والخوخ والتين". ويعلم القزويني[220] أن 16 "نيسان" هو الوقت الذي تنمو فيه الثمار[221] والورود أيضًا، وأن 29 "نيسان"، في وقت الـ"بُطين" (بطن الحمل) يقل العشب ("يخِفّ العشب")، على ما يبدو نتيجة زيادة الحرارة ونقصان رطوبة الأرض. ثم عيد الورود التي ظهرت مؤخرًا[222] والتي سنتحدث عنها في III 12 [أعياد الربيع] في 15 "أيار". ويمكن الافتراض أن ما أزهر لم يكن الورود التي زُرعت حديثًا مع الياسمين والنرجس والزنبق ("ياسِمين"، "نِرجِس"، "سوسن") في 15 "شباط"، بل نباتات قديمة.

وفي وصفه العام للربيع، الذي يستمر من 18 "اِذار" حتى 18 "حزيران"، يُثني القزويني عليه[223]: "يرتفع النسغ حتى غصون الأشجار، ينضج الكلأ، ويصبح الزرع أطول، يظهر النوار، وتورق الأشجار، وتتفتح الأزهار، ويصبح وجه الأرض أخضر وحياة سكان الأرض بهيجة". وحري عقد مقارنة مع وصف سفر أخنوخ (16:82) الذي يعتبر أن الربيع يبدأ من 1 نِسان فصاعدًا: "تحمل جميع الأشجار ثمارًا، وتظهر الأوراق على جميع الأشجار ومحاصيل القمح ونوار الورد[224]، تزهر جميع الأزهار في الحقول، إلا أن أشجار الشتاء تذبل". ولا يجد المترجمون شوده (Schodde) وتشارلز (Charles) وبير (Beer) هنا شيئًا يُعلقون عليه، على الرغم من أن الجملة الأولى مريبة كما هي حال الأخيرة. ويقول الأصل العبري على الأرجح: "كُل عيص يفرَح"، أي: "جميع الأشجار

---

(219) Canaan, *JPOS*, III, p. 33.

(220) Kazwini, *Kosmographie*, I, pp. 42f.

(221) في التقويم اليوناني:
Ibid., p. 78,
يحدد ذلك في 28 "نيسان".

(222) Kazwini, *Kosmographie*, I, pp. 76, 78.

(223) Ibid., p. 85.

(224) يُقصد هنا ورود الحدائق التي كانت ستُذكر هنا أول مرة، لو أنه لم يكن في الأصل "شوشانيم" بالعبرية، والتي تعني سوسن وتوليب أيضًا.

تطرح ثمرها" بدلًا من: "كُل عيص يفرِ"، أي: "جميع الأشجار تحمل ثمارًا". وفي النهاية ربما يُقال: "كُل بِرح يفرح بسّاده فنيص (ليس "عيص") هسّتِف يبش"، أي: "كل النباتات تنمو في الحقول، إلا أزهار الشتاء فتذبل". أما وصف الجو المقرون بذلك: "عرق وحر وخوف"، فيُقصد به، على ما يبدو، أوقات الريح الشرقية التي تبدأ في نهاية نيسان/ أبريل؛ فالوصف الوارد في سفر نشيد الأنشاد (11:2-13) مأخوذ من الحياة الحقيقية: "انظر، ها قد انقضى الشتاء، والمطر توقف ومضى. الزهور ظهرت على الأرض، وحان وقت تقليم الكرمة[225]، وصوت القُمرية أصبح مسموعًا في بلدنا. شجرة التين أطلعت ثمارها النضرة، ودوالي الكرمة تتفتح ناشرة عطرها"؛ فإزهار الكرمة والرمان (بالنسبة إلى الأخير، يُنظر نشيد الأنشاد 11:6، 13:7) يعتبر العلامة الأكثر أهمية لبدء زيارة كروم العنب. ويُفهم من ذلك أن ليس هناك بعدُ من مطر يزعج. وفي جميع الأحوال، تبقى نقطة الاستشراف هي بداية أيار/ مايو. والحاخام يهوشواع ليس مخطئًا كليًا حين يدافع عن نِسان لأنه الشهر الذي خُلق فيه العالم من خلال طرح السؤال[226]: "في أي شهر يكون العالم مليئًا بالنباتات الخضر والأشجار المثمرة؟ عليك القول: إنه نيسان، وهو الوقت الذي تتزاوج فيه الحيوانات الأليفة والطرائد والطيور".

قبل إلقاء نظرة عامة على الحياة النباتية في فصل الربيع، يجب الإشارة إلى أن النقص في المطر والندى قد يؤدي، في بعض السنوات، إلى تقليص النباتات. ويمكن أن يُؤخر البرد ومطر الشتاء إذا استمر طويلًا، موعد نمو النباتات. إلا أن مكونات الحياة النباتية البرية تبقى دائمًا كما هي، وإلى الحد الذي يمكننا إدراكه؛ فقد كانت نفسها في جميع الأوقات. ويُستثنى من هذا الوصف النباتات المزروعة الحديثة القدوم؛ فالربيع، حين تحرك داود بالقرب من بيت لحم مع قطيعه (صموئيل الأول 15:17) ودعا المسيح سامعيه على مرتفعات بحيرة طبرية (متّى 28:6 وما يلي)، لا يزال هو نفسه. وما يلفت في المشهد الطبيعي الفلسطيني في الربيع، تلك الأجزاء المزروعة من الأرض الزراعية التي

(225) ربما صحيح أكثر: "من الغناء (مع عزف)". يُقارن أدناه، III 8 [الربيع – أزهار الحقل].

(226) b. R. h. S. 11a.

ينمو فيها الزرع المبكر والمتأخر في آذار/ مارس؛ إذ تنمو سنابلها في نيسان/ أبريل استعدادًا للحصاد في أيار/ مايو أو حزيران/ يونيو. وبشكل مغاير لحقول الزرع الخضراء هذه (بالعربية "خضار")، تبرز الحقول غير المزروعة (بالعربية "بور") المغطاة بـ"الأعشاب الضارة" والأجزاء المعدة لِـ"زرع الصيف"، مُظهرة اللون البني - الأَحمر المفعم بالحيوية للأرض المحروثة، والتي يُطلق العربي عليها لهذا السبب "اِحمار" [حَمَار] (يُقارن "أَدَاما" الخاصة بالعبرانيين). وفي بساتين الفاكهة المحيطة بالقرى، يعود فيصبح المظهر النضر مرئيًا من خلال تبرعم أوراق أشجار التين والكرمة وشجيرات الرمان. وفي حال كان الاعتناء بهذه البساتين جيدًا، فإن تربتها المحروثة حديثًا تُبرز براعم هذه الأشجار بشكل أكبر. ومع ذلك، كثيرًا ما يحصل في حقول الزيتون أن تشكل زهور الربيع البرية مثل بعض أنواع شرك الذباب (Silene)، بساطًا متواصلًا؛ ففي كل مكان تتألق جوانب الطرق بحلّة الربيع، كذلك جوانب التلال الصخرية (بالعربية "وَعر")، أكانت مغطاة بغابة من الشجيرات الخفيضة أم منتمية إلى منطقة الشجيرات الخفيضة في حوض البحر المتوسط (phrygana)، والتي تهيمن، حتى بالقرب من القدس، على الأرض غير الملائمة للزراعة. وبالتأكيد لا تُظهر هذه الحلة الخَضَار الوارف للمناطق الحارة. وهذه المنحدرات الصخرية الصلبة الواقعة في وسطها، والتي خففت الرطوبة الشتوية من لونها الرمادي الفاتح، تذكّر في كل مكان بقسوة الأرض الجيرية بين الصحراء والبحر. وفوق ذلك كله، من ناحية ثانية، ثمة لمعان أخضر ناعم يُمتع الفلسطيني به عينيه أيما متعة، في حين يفتقر الشماليون إلى النظرة الخاصة تلك. فهنا وهناك تَحبِكُ زهور أرجوانية تألقًا في البساط الأخضر؛ بساط لا تقوى مروجنا الألمانية على منافسته. وليس جزافًا أن يستخدم سفر المزامير (16:72) عبارة إزهار "عشب الأرض" كاستعارة لمدينة مكتظة بأناس أصحاء معافين. ويدعو يوئيل (22:2): "لا تخافوا يا بهائم الحقل، فمراعي البرية تنبت"، وتجعل المزامير (13:65) "مراعي البرية تفيض (من العشب الطري، كما يُضيف سعديا)". واقع الأمر أن حتى صحراء يهودا [قفار بيت لحم] الشحيحة الأمطار لا تريد أن تبقى في الربيع في الخلف؛ فحقول القرى المحيطة المخضوضرة تمتد إلى أوديتها. وعلى نحو لا يُمكن إنكاره، تبقى الحياة النباتية

فيها أقل اخضرارًا مما في المناطق الكثيرة التلال والغنية بالأمطار. وفي المناطق الشرقية المنخفضة، حيث يغلب الحجر الجيري السينوني (Senonian)، تظهر الأعشاب المتفرقة مثل بقع صغيرة داكنة منتشرة فوق التراب الفاتح؛ فهي تقدم فكرة عما يمكن أن تكون هذه الأرض قادرة على القيام به لو أنها رُويت بشكل أفضل، وهي تترك لدى المرء انطباعًا في هذا الوقت كما لو كانت أنشودة خفيفة تعود إلى الوقت الذي كان الرب فيه يريد أن يفتح سيولًا تجري على الهضاب الجرداء، وأن تنمو غابة لبنان في الصحراء (إشعيا 18:41 وما يلي).

بالكاد توجد بُسُطٌ حقيقية من العشب (بالعربية "جِلَدة") في الصحراء، وما ندر من تلك البُسُط في المناطق غير الصحراوية. وهي توجد حين تمتد طبقة رقيقة من تربة دُبال على الأرض الصخرية (متّى 5:13) وفي المناطق الرطبة، حيث من المألوف أن تدوم أطول. في الجولان البارد، تتشكل أصناف الأعشاب الوافرة، بحيث يستطيع المرء التحدث عن مراعٍ. وقد شعرتُ كما لو أنني انتقلت إلى ألمانيا حين جلت راكبًا فوق نجدها [الهضبة] في 15 نيسان/ أبريل 1907 وأقحوانها الأبيض وزهور الحواشي الزرق، والحوذان الأصفر يبتسم لي من بين الأعشاب. ويفترض المرء أن العشب الذي يكون عادةً قد جف كليًا في حزيران/ يونيو، قد مات بشكل كلي حتى جذوره، لأنه يبدو ميتًا كما يُفترض في المزامير (12.5:102)، لكن المرء يتعجب الآن من حيويته الراسخة[227].

أما "حاصير" العبرية، التي من خصائصها إطلاق أوراق أو براعم جديدة (إشعيا 4:44)[228]، فجرت العادة أن يجري إيرادها بمعنى "عشب". وهي في سفر العدد (5:11) تعني نوعًا من الكراث (Allium Porrum) وفقًا للترجوم وسعديا (بالآرامية "كاراتي"، بالعربية "كُرّاث"). وهي، في الحقيقة، لا تعني ذلك ولا أي نوع من العشب البتة، بل تعني الحياة النباتية البرية بأكملها، كما هي الحال، على سبيل المثال، في الملوك الأول (5:18)، حيث جرى البحث عن "حاصير" باعتبارها علفًا لحصان آخاب والبغال. والمزامير (14:104) تُدرج "حاصير" (ترجوم "عِيسِب") علفًا للحيوانات، إضافة إلى الـ"عيسِب" (ترجوم "يَرقِي")

(227) يُقارن ص 249.

(228) تُقرأ "حاصير".

المحدد للإنسان. وبهذا المعنى يُترجَم في الترجوم وفي المسيحية الفلسطينية إلى "عِسبا"، ويُترجَم لدى سعديا، على سبيل المثال في إشعيا (7:40، 4:44)، إلى "حَشيش" العربية، التي تصف، في الحياة النباتية البرية، كيف يجري قصه واستخدامه، وهو غير جاف، علفًا للحيوانات. ويستخدم حداد[229] لكلمة "عشب" - بالمعنى الأكثر شيوعًا - كلمة "حشيش"، إضافة إلى "عشب". ويبدو لي أن كلمة "عشب" يُراد بها التعبير عن نباتات فردية يتشكل منها العشب البري، في حين أن الاسم "حشيش" هو اسم جمع[230]. وكلمة "عشب" العربية ترد لدى القزويني تسميةً للنباتات البرية المستخدمة علفًا للحيوانات[231]، وهي معروفة بالعبرية كـ"عِيسِب"، ويوردها سعديا أيضًا في التكوين (29:1، 5:2) مستخدمًا كلمة "عِشب". وفي العبرية، يمكن أن تدعى كل نبتة منفردة "عيسب"[232]، مثل الكلمة العربية "عشب". والمشنا[233] أيضًا تسمي نباتات الحبوب قبل أن تنمو سنابلها "عيسِب"، في حين قيل لي إن الفلاحين العرب يدعونها "سُماخ". وهذه الكلمة تدل على نباتات الجبال البرية، فيمكن رؤية ذلك، من ضمن أماكن أخرى غيرها (إشعيا 15:42)، حيث يجف عشب الجبال والهضاب، وفي المدراش[234] حين تدع الجبال "الأعشاب" ("عسابيم") تنمو، كما يقدم التقي أعمالًا صالحة. وفي التلمود[235] حين يُشبه الناس "أعشاب الحقل"، فالمقصود أن بعضها يُزهر في حين تذبل أخرى. وقد أُشير إلى مثل هذا "العشب" الذي يحمل نوارًا عظيمًا في متّى (30:6) مع *χορτος του αγρου*، بالمسيحية الفلسطينية "عِسبيه دِطورا"، في حين أن في مرقس (28:4) يسمى نبتة القمح الصغيرة *χορτος*، أي "اِسبا" في كلمات المسيح (يقارن أعلاه).

---

(229) Spoer & Haddad, *Manual of Pal. Arabic*, p. 191.

(230) بالعبرية "هشَش" في إشعيا 24:5، 11:33 (سعديا "هشيم"، "دَقّ") له صلة طبقًا لعلم الصوتيات. ولكنها تصف العشب الجاف القابل للحرق.

(231) يُنظر أعلاه، ص 284 وما يليها، 326، 330.

(232) يُنظر:

Ber. R. 10 (19ᵇ).

(233) Kil. V 7.

(234) Vaj. R. 27 (72ᵃ).

(235) b. Erub. 54ᵃ.

كلمة "خُضرة"، التي تناظر بشكل اشتقاقي الكلمة العبرية "حاصير" التي استخدمها سعديا في إشعيا (27:37) في مقابل الكلمة العبرية "يرِق"، تدل في العامية على "خُضار" للاستهلاك البشري. وفي الملوك الأول (2:21)، تظهر كـ"ياراق". و"خَضَار" العربية هي خضار الحقول بشكل عام بحسب لونها (ص 333). و"خضِر" لدى سعديا في التكوين (30:1، 3:9) وفي إشعيا (6:15)، تتمتع بأصل الكلمة كما في حال "يرِق"، في حين أن سفر التثنية (10:11) يُصيِّر "يرق" إلى "بُقول"، وفي الأمثال (17:15) إلى "بقل"، "خضار". وفي الأغلب يعني الأخضر النضر الآن (بالعبرية "ديشة")، والتي كانت ربما "كَلا" لدى سعديا[236]، "ربيع". و"المروج الخضر" (بالعبرية "نِؤت ديشة") في المزامير (2:23) ربما لم تكن تعني "غياض الكلا"، كما عند سعديا، بل ما هو قريب من "مطارح بِربيع"، أي: "أماكن ذات عشب أخضر".

ز. النباتات البرية كعلف للدواب

الحيوانات سعيدة بكلأ الربيع الأخضر التي عليها العيش من دونه في معظم أوقات السنة. أما المنطق خلف أغنية الدِراس التي دونتُها على حدود فلسطين الشمالية، فلا يرقى إليه الشك[237]: "اِلبقر بِدُّ رَبيع - الربيع بِدُّ مَطر - والمطر، بِدُّ بَرق ورعد"، أي: "البقر يحتاج إلى الكلأ، والكلأ يحتاج إلى المطر والمطر يحتاج إلى برق ورعد". وغزارة النباتات البرية في "شباط" تسمح بالقول: "في شباط - يِشبع الحولة مِن الرباط"، أي: "في "شباط تشبع البهائم التي يراوح عمرها من سنة إلى اثنتين (وهي بالتالي كبيرة)، حين تكون مربوطة" (مصح المجذومين)، فما بالك إذا تُرِكتْ ترعى بحرّية. ويجري الاهتمام بالخيول كي تحظى بالكلأ لبعض الوقت، لأن العلف الجاف كليًا يتسبب بالإمساك الذي لا بد في نهاية الأمر من معالجته. ولهذا السبب تُرسَل إلى مناطق، حيث الكلأ لا يتوافر في سنوات الجفاف فحسب، كما في الملوك الأول (5:18)[238]،

---

(236) يُنظر أعلاه، ص 329.

(237) Dalman, *Pal. Diwan*, p. 18.

(238) يُقارن أعلاه، ص 197.

بل يتوافر في الأوقات العادية أيضًا. كذلك الأمر لدى الحكومة التركية التي قامت، مثلما فعل الملوك العبرانيون ذات يوم، بالاهتمام بخيول جيشها بهذه الطريقة[239]. ومن المهم هنا أن يبرز من جديد نبات "الصحراء" البري ليكوّن مرعًى فسيحًا للأغنام والماعز، كما يذكر ذلك صموئيل الأول (28:17، 14:25 وما يلي، 21)، أخبار الأيام الثاني (10:26). أما التسمية العبرية للصحراء، فهي "مِدبار"، وتصفها بما يتوافق وخصائصها كمرعى، في حين أن التسمية العربية المعتادة لها هي "البرّية"[240]، أي الأرض "الواقعة في الخارج"، ما يشير إلى التشدد على تباينها عن "الأرض الواقعة في الداخل"، ويجري فلاحتها. كما أن الناس سعداء من جديد لحصولهم على الحليب والحليب الرائب ("لِبن") والزبدة الطازجة ("زِبدِة") ودهن الطبخ ("سِمنة")، نظرًا إلى توافر الكلأ، وهو ما يُسمّى في أيوب (6:29) حمام آثار الأقدام بالزبدة (بالعبرية "حِيما" = "حِمآ"، سعديا "سِمِن")[241]. ومن مثل هذا الجو يقطر مديح المزامير (12:65 وما يلي): "لقد كللت السنة بجودك. آثارك تقطر دسمًا. تقطر مراعي البرية وتنطق التلال بالبهجة، تكسو المروج نفسها بالأغنام، والأودية تكسو نفسها بالحبوب، تهتف وتغني معًا ببهجة".

ومنذ أن كانت الأزهار التي تمنح النحل رحيقها تأتي أيضًا مع الاخضرار، فإن فلسطين في هذا الوقت، حين تفيض التلال بالحليب (يوئيل 18:3) ويتقاطر العسل من الصخور (التثنية 13:32)، هي أرض "تفيض لبنًا وعسلًا" (الخروج 8:3 وهنا وهناك). وهذا صحيح بالمعنى الذي يمكن أن يقصده هذا القول الشرقي المأثور، بشكل مغاير للصحراء التي تفتقر إلى الشروط اللازمة لذلك وكذلك أيضًا بشكل مغاير لبلد مثل مصر، حيث يقدم الري الصناعي،

---

(239) يُنظر أيضًا:

Mommsen, *Jahreszeiten*, p. 64,

بالنسبة إلى موريا [جزيرة في جنوب اليونان] في العهد التركي.

(240) هكذا أيضًا سعديا في التكوين 6:14؛ التثنية 10:32؛ المزامير 1:63؛ "البَرّ" التثنية 7:2.

(241) تُقارن مقالتي في:

PJB (1919), pp. 31ff.

لا الري الطبيعي، شيئًا شبيهًا بذلك (التثنية 11:10)[242]. وقد ألمح المدراش اليهودي إلى أن محتوى ثمار فلسطين وعصائرها وحلاوتها[243]، وهو ما يتساوق مع نشيد الأنشاد (4:11، 5:1)، يعني العسل واللبن الأحلى والألذ مذاقًا من الأشياء المعروفة للشاعر. وقد اعتُبر أن ذلك يستحق الذكر حين سال عصير تينة قطرة قطرة كعسل إلى لبن معزاة ترقد تحت شجرة تين[244]؛ أشياء خرافية تمامًا تُروى عن وفرة العسل في مناطق محددة على أساس تينها[245]. وقد ساد اعتقاد أن منطقتي تسيبورين [صفورية] وبيسان بشكل خاص، إضافة إلى سهل جِنسار [الغوير بالقرب من بحيرة طبرية]، تستحق التسمية التوراتية بصورة خاصة[246].

إلا أن نباتات البلاد البرية تتمتع بأهمية مباشرة للإنسان أيضًا، لأنها تمنحه الفرصة لإضافة أعشاب طازجة إلى قائمة طعامه؛ فزراعة الخضروات ممكنة في الصيف حين تتوافر فرصة للري. ولهذا السبب لا تنتشر زراعة الخضروات في فلسطين، وتناول الفلاح لها ليس مألوفًا، في حين يريد

---

(242) يُقارن:
MuN des DPV (1905), pp. 27ff.

(243) Siphre Deut 37 (76[b]), Midr. Tann.
عن التثنية 26:9 (ص173)،
Targ. Jer. I,
التثنية 26:9،
b. Keth. 112[a].
إلا أن عكيفا يمثل الرأي القائل إن التعبير التوراتي يعني فعلًا لبنًا وعسل الغابات،
Mech. deR. Shim. b. Yochay,
عن الخروج 13:5 (ص 32).

(244) Midr. Tann.
عن التثنية 26:9 (ص174)،
j. Pea 20[a], b. Keth. 111[b]

(245) Siphre, Dt. 316 (135[b]), Midr. Tann.
عن التثنية 32:13 (ص 192)،
j. Pea 20[b], b. Keth 111[b],
يُقارن:
Dalman, *Orte und Wege Jesu*[3], pp. 80f.

(246) j. Bikk. 64[b], b. Meg. 6[a], Keth. 111[b].

الفلسطيني، على الأقل الآن، التمتع بأعشاب الأرض الطرية. وبسبب هذا التمتع والتنعم، يُزكّى شهر نيسان/أبريل بوصفه شهرًا تجري فيه حفلات الزفاف[247]. ويقال عن البدوي الذي يعيش في الصحراء على حليب النوق والتمر: "لولا- الحويرِ والقطَف - كان البِدَوِ نَطَف"، أي: "لولا زهرة الحواشي والقطف[248] لأصيب البدوي بالجرب" (عبد الولي). وبالفتاة البدوية يتغنى المرء قائلًا[249]: "وتحوِشّ بالشُمرة - وتحوِشّ بالليل الطويل بِضو القمرة"، أي: "تجمع أعشاب الشمر طوال الليل في ضوء القمر". كذلك ينصرف التفكير في التكوين (1: 29)، إلى قوله: "كل نبات على وجه الأرض يحمل بذورًا"، وإن ثمار الشجر تُمنح للإنسان طعامًا له. ويأمر التقليد اليهودي في التكوين (3: 18) بالأكل من أعشاب الأرض مقرونًا بالنباتات الشوكية للحقول الزراعية التي سبق ذكرها، بطريقة يُفهم منها أن المقصود هنا هو الاستهلاك البشري[250]. وبحسب الحاخام يتسحاق، فقد تصبب وجه آدم عرقًا عندما سمع هذا الأمر. ونادى: كيف؟ هل هو مربوط إلى معلف مثل حيوان بيتي؟ والرب أجاب: "لأن وجهك تصبب عرقًا (من الخوف)، لذلك عليك أن تأكل خبزًا!"[251]. ويعتقد الحاخام ليفي أن آدم كان سيُحسن صنيعًا لو بقي قانعًا بالصيغة الأولى للّعنة، لأن أكل النباتات البرية مريح أكثر من إعداد الخبز مع كل العمل الذي يسبقه؛ فنوعا النبات الشوكي، "قوص" و"دَردَر" في التكوين (3: 18)، اللذان لم يكن ليحتفظا بأسماء خاصة لولا أهميتهما الاقتصادية[252]، يُسمَّيان في هذا السياق "عَكّابيت" و"قِنارَس"[253]، أي كأعشاب صالحة للأكل. ووفقًا للـ"عكّوب" العربية، تعني "عَكّابيت" (Gundelia tournefortii)،

---

(247) يُنظر أعلاه، ص 266.

(248) يُنظر ص 340، 342 عن هذه النباتات.

(249) Dalman, *Pal. Diwan*, p. 293.

(250) Ber. R. 20 (43ªf.), Ab. R. N., Rec. I, 1.

(251) هذا تفسير للأمر الوارد في التكوين 3: 19: "تأكل خبزك بعرق جبينك!".

(252) يصف

Schebi. VII 1

"حوَح" و"دَردَر" كعلف للحيوانات.

(253) عليها أن تُقرأ هكذا بالنسبة إلى "قِنادَس".

وفقًا لليونانية *χιναζα*، تعني "قِنارَس خرشوف" الذي صنّفه المزروع (Cynara Scolymus) "حُرفيش بِنِ آدم"، في حين بقي الصنف البري (Cynara Syriaca) "حُرفيش الحمير" من نصيب الحمير. وينقل ترجوم أونكيلوس التكوين (18:3) "كُبّين وعطدين"، يترجمه سعديا إلى "شوك وِدردَر"، حيث تشير "كُبّين" و"شوك" إلى نباتات شوكية بشكل عام. وفي فلسطين اليوم، يُعَد القوس (تُلفظ أيضًا "قوص") نمط النبات الشوكي المألوف (Carthamus glaucus)، وهو يُسمّى في الجليل "دُردار" (Centaurea pallescens)، وفي الجنوب يُدعى "مُرّير".

وبالنظر إلى الأهمية التي يتمتع بها أكل النباتات البرية في الربيع ماضيًا وحاضرًا، فليس زائدًا عن اللزوم تحديد بأي نباتات يتعلق الأمر، وبأي شكل تُستخدم طعامًا. وفي قائمة النباتات التالية المستخدَمة طعامًا بشريًا[254] يجري التمييز بين ما يمكن تناولها غير مطبوخة وبلا إعداد، وما يمكن إعدادها مع الخل والزيت كسلطة، أو إذا كان المرء يقوم باستخدامها مطبوخة، أو بعد طبخ وعصر مسبق على نار هادئة "مِعَصَّرة". وعلاوة على تقصياتي الخاصة في منطقة القدس (مُعطى تحت قدس 1)، أقدِّم معطيات أدين بالشكر عليها إلى السيد كبير المعلمين ل. باور (L. Bauer) في القدس، والسيد الأب مُولر (Müller) في القبيبة (تحت قدس 2، وقدس 3). وقد أخبرني الأخير أن الفلاحين في القبيبة لا يملكون خلًا ولا يُعدّون سلطة. وفي أماكن أخرى، يمكن شراء الخل في المدينة أو استخدام عصير الرمان الحامض. وبالنسبة إلى النباتات، تُستخدَم جميع النباتات النضرة التي تنمو في الربيع. أما النباتات الشوكية، فغالبًا ما تُستخدم البذور والسويقات. وما عدا ذلك ينطبق مبدأ[255]: "كل عشبة قابلة للأكل" ("كُلّ عِشب بِتّاكَل").

---

(254) يُقارن في:

Musil, *Arabia Petraea*, vol. 3, p. 152,

حيث توجد قائمة بـ 41 اسم نباتٍ يأكلها البدو مطبوخة أو نيئة، ولكن من دون تحديد نباتيّ. ومن تلك الأسماء تظهر 13 في قائمتي أيضًا، ولكن مع خاصية الأسماء البدوية، ربما كان التوافق أكبر.

(255) Schneller, *Krankheiten Palästinas*, p. 42.

أنواع النباتات الشوكية	قدس 1	قدس 2	قدس 3
1. Eryngium creticum (قرصعنة)	سلطة	سلطة	---
2. Centaurea pallescens ("مُرّير"، "دُردار")	يخنة	سلطة	نيء
3. Scolymus maculatus ("سِنّارية"، "صِنارية"، "صُنارية")[256]	نيء	---	---
4. Carthamus glaucus ("قوص"، "قوس")	نيء	---	---
5. Notobasis syriaca، ربما أيضًا Onopordum Illyricum ("حرفيش الكبير")	نيء	نيء	نيء
6. Carduus argentatus أو Tyrimnus leucographus ("خرفيش الزغير")	نيء	---	---
7. Gundelia Tournefortii ("عكّوب")	مطبوخ ونيء	مطبوخ	مطبوخ ونيء

وقد قيل لي في إِيدون [بالقرب من إربد]، حيث يُطلق على العكوب "جِمَليّة"، أن المرء هناك يأكل لب الساق نيئًا. وفي القدس يُطبَخ مع اللحم ويُعتبر "أكثر عصارة من البطاطا" ("أسقَ مِن البَطاطَا"). وفي دمشق، حيث يُدعى هناك "عكّوم"، تظهر الـ Gundelia في السوق آتية من الأرياف في كانون الثاني/ يناير حتى آذار/ مارس[257].

---

(256) استخدمها سعديا في إشعيا 34:13 للكلمة العبرية "سير".

(257) Bergsträßer, *Zum Dialekt von Damaskus*, I, pp. 76, 81, 87f.,

مع إرشادات في شأن الاستعمال في المطبخ.

نباتات أخرى	قدس 1	قدس 2	قدس 3
8. Lactuca scariola, var. sativa ("خَسّ بِرِّي") ومزروع	سلطة	نيء	---
9. Cichorium Intybus ("عُلَق"، "عِلت"، بالمدني "هِندِبة")[258]	سلطة	مطبوخ	---
10. Veronica syriaca ("حويرِّي"، "حويرنة"، بالبدوي "كِبس")	تابل للمخيض	---	---
11. Veronica Anagallis aquatica ("حويرة مُي"، بالبدوي "كَرفس")	تابل للسلطة	سلطة	---
12. Taraxacum dens Leonis ("سلطة" أو "سرطة الرُهبان")	سلطة	---	---
13. Rumex vesicarius ("حُمّيض")	سلطة	---	مطبوخ
14. Euphorbia (thamnoides?) ("حِلّيبة")	نيء	---	---
15. Portulaca oleracea ("بَقل"، "فرفحينة")	سلطة	---	---
16. Scorzonera papposa ("ذِبَح"، "ذِمبَح"، "خَسّ بِرِّي")	سلطة	---	---
17. Tragopogon longirostre? ("ذُبّيح")	--	نيء	---
18. Sinapis arvensis ("لِفّيتة")	يخنة	سلطة	---
19. Lepidium latifolium ("رَشاد بري")	مطبوخ	---	---

(258) لتمييزها من الهندباء الحقيقية (Cichorium Endivia)، بالعربية "سِكورية".

20. Nasturtium officinale ("رشاد"، "قَرّة")	سلطة	---	---
21. Capsella Bursa-pastoris ("سنينوة"، "سنونية")[259]	مطبوخ	---	---
22. Foeniculum officinale ("شومر")	مطبوخ	نيء	مطبوخ
23. Malva rotundifolia ("خُبيّزة")	مطبوخ	مطبوخ وسلطة	---
24. Arum palaestinum وhygrophilum ("لوف")	مطبوخ	يخنة	---
25. Asparagus acutifolius ("حليان"، "حليون")	مشوي[260]	مطبوخ	---
26. Anchusa officinalis ("لِسان الثور")	---	مطبوخ	---
27. "خُردَلّة"[261]	---	مطبوخ	---
28. "سميعة"	مطبوخ	--	---
29. "قُرواد"	سلطة	---	---
30. "عُوينة"، "مسيرينة"	---	مخبوز	---
31. Urtica urens ("قُرّيص")، بعد نزع الورق	---	نيء	---

(259) ذُكر لي في القبيبة، إضافة إلى سنونية، "صَباية" و"قرين الفارة" أيضًا، وهما ما لم أتمكن من تحديدهما نباتيًا.

(260) مشوي جيدًا في رماد ساخن فوق مخبز الـ "طابون".

(261) ربما Eruca sativa ("خَردَن") مرغوب فيها في اليونان كنبتة لإعداد السلطة. يُنظر:
Heldreich, *Nutzpflanzen Griechenlands*, p. 80.

32. Allium porrum ("كُرّاث")	---	نيء	---
33. Crocus hyemalis ("بِزّيزة")[262]	---	نيء	---
34. Daurus carota? ("بيلِسان")	---	---	مطبوخ

بذور من

35. Lotus palaestinus ("جِلاثون")	نيء	نيء	---
36. Lathyrus Cicera ("سعيسعة")	نيء	نيء	نيء
37. Pisum arvense، بري ("بُرّيدة")[263]	نيء	نيء	نيء

أوراق جافة مطحونة

38. Mentha sylvestris ("نعنع")	تابل	---	---
39. Origanum Maru ("زعتر")	تابل	تابل	---
40. Capparis spinosa ("قبّار"، "الأصف"، "لَصَف")	تابل	---	---

المنتمية إلى منطقة نهر الأردن

41. Atriplex Halimus ("قَطَف")[264]، أوراق	مطبوخ	---	---

---

(262) عند: Löw, *Flora* I 1, p. 216، وأيضًا: Heliocophyllum crassipes، وفقًا لِـ آيغ (Eig).

(263) يُذكِّر الاسم العربي بالكلمة اليونانية *ροβιϑεα*، الاسم اليوناني الجديد لِـ حُمُصْ (Cicer arietinum، بالعربية "حُمّص"). يُقارن: Heldreich, *Nutzpflanzen*, p. 71.

(264) يُقارن أعلاه، ص 338.

42. Prosopis Stephaniana ("ينبوت")[265]، ثمار	مشوي	---	---
43. Glycyrrhiza glabra ("سوس"، "عرق سوس")[266]، سويقة	مدقوق يُحلى الماء	---	----
44. Philipaea lutea ("ثرثوط")، جذر	مبشور يُحلى الحليب	---	----

في المشهد الطبيعي للبتراء

45. Mesembryanthemum Forskahlei ("سِمِح"، "سَمح")، بذرة	مخبوز	---	---

يجب، فوق ذلك، ذكر الفطر عند الرقم 46. وهو معروف كـ"فُطر"، ويُعتبر صالحًا للأكل ولكنه نادر. وفي حدود علمي، لم يُحدَّد النوع الصالح للأكل، ويتم في البلقاء والصحراء العربية جمع الفقع أو الكمأة (Tuber edulis، "كِما" وفي الشعر "فِقع") الذي ينمو تحت الأرض، وإحضاره في ثلاثة أنواع متعددة إلى السوق في دمشق، وأحيانًا يصل إلى القدس. وينمو إذا كان المطر المبكر قويًا[267]. وبحسب القزويني[268] الذي يُطلق عليه "كَمآ" (مفردها "كَمأة")، تبدأ في سوريا في 16 شباط/ فبراير وتنتهي في 16 أيار/ مايو.

علاوة على الفطر (بالعبرية "بِطرايوت")، التي يصفها ابن ميمون، مستخدمًا الكلمة العربية "فُطر" كنبتة بلا جذور ولا بذور، يأكلها المرء مطبوخة أو مسلوقة.

---

(265) بحسب سعديا في إشعيا 7:19 الكلمة العبرية "نَهَلول".

(266) بحسب سعديا في إشعيا 55:13 الكلمة العبرية "سِرباد".

(267) Wetzstein, *Verhandlungen des Botan. Vereins von Brandenburg*, XXII, pp. 126ff.

يُقارن:

Löw, *Flora* I 1, p. 35.

(268) Kazwini, *Kosmographie*, I, pp. 76, 78.

ويذكر المشنا[269] "شِمَرقاعين" كونها على صلة بها، في حين تظهر "كِماهين" في التلمود[270] بدلًا منهما، وعلاوة على ذلك[271] تُعرَف كَـ"عرديلي"، الممنوعة كحلوى في ختام وجبة عيد الفصح. والـ"كماهين" التي لا تُزرع ولا تستخلِص أي طاقة من التربة، بل تُخرَج منها (j. Maas. 48d) تتعطش للماء[272]، ويجري إحضارها من الشرق[273]، هي بالتأكيد الكمأة، بحسب الكلمة العربية "كِما". وفي كريتا تُسمى الآن χοιροψωμα "لقمة الخنزير"[274]، ربما لأن البحث عنها هناك، كما في أوروبا، يجري بمساعدة الخنازير.

ربما يجري إغواء المرء لوضع "بَقّوعوت" (الملوك الثاني 4:39) مع الكمأة أو الفقع، وذلك لأن الأولى تدعى، بحسب فيتسشتاين (Wetzstein)، "فقع" في الشعر (يُنظر أعلاه)، ووفقًا لابن ميمون تدعى الأخيرة "فقع" في الغرب. إلا أن العنب البري الذي قطف تلاميذ إليسع منه الـ"بقوعوت" التي لم تكن معروفة لهم، والتي وجدوها غير صالحة للأكل بعد طبخها، لا تتلاءم مع الفطر أو الكمأة، إلا أنها تلائم بشكل جيد جدًا الحنظل المتسلق (Citrullus Colocynthis، بالعربية "حَنظَل"، "حَمظَل")[275]، والتي تشبه أوراقه أوراق البطيخ والعنب؛ فالثمار الصفر ذات القشرة الصلبة تفاحية الشكل، تبدو مغرية للأكل مثل ثمار اللفاح أو اليبروح[276] وهي بالكاد معروفة لدى سكان الجبال، لأنها تنمو في المنطقة الساحلية وفي غور الأردن، وهو ما يتوافق مع أسباب قصة الملوك

---

(269) Ukz. III 2.

عن خطورة أكل الفطر على الحياة في حالة معينة. يُنظر:

Tos. Ter. VII 16.

(270) j. Ma'aser. 48d, b. Ber. 40b.

(271) j. Pes. 37d, b. Pes. 119b;

يُقارن:

Löw, *Flora* I 1, p. 33.

(272) Ber. R. 69 (148a).

(273) j. Bez. 63b.

(274) Heldreich, *Nutzpflanzen*, p. 2.

(275) تُرجم إلى "حَنزَل" في الكتاب المقدس، النص العربي، في سنة 1671.

(276) يُنظر ص 250 وما يليها.

الثاني 4. وقد روى لي بدوي على نهر الأردن أنهم يقومون بتفريغ ثمار الحنظل وتعبئته بالحليب ومن ثم يقومون بشربه كمُليِّن فعال ("شربة"). فالعصارة الحادة والمرة ذاتها ستعمل بشكل قوي جدًا، ذلك أن النبتة المتسلقة Bryonia multiflora التي تُسمى بالعربية "عِنَب الحيّة"، تُظهر قابلية كي تُسمى "عنب" وهي من نوع Ecballium Elaterium (بالعربية "فقوس الحمار" [قث حمار]، "خُفّ احمار"، أي "قدم الحمار"، "بِزّ اِحمار"، أي "حلمة الحمار") الشبيه بالخيار، وهو عشب معروف في جميع أنحاء البلاد، ولذلك لا يلائم المقصود هنا. ويَعرِف المشنا "بَقّوعيم" مُرة، والتي تصبح حلوة بالطبخ[277]، و"بَقّوعوت" تستخدم كعصائر[278]، أو كزيت يُستخرج منها[279]. ويذكر جون دافيد كيمحي عن الملوك الثاني (39:4)، أن تعليقًا غاؤونيًا [خاص بالمدارس الدينية اليهودية في بابل] يوضح "بقوعوت" الحقل كقرع صغير مُرٍّ يُستخرج من بذوره الزيت. وبالعربية تُدعى "حنطول"، وهو ما يفترض "حنظول" العربية، لهذا يتلاءم اسمها مع الاسم الحالي لِنبات الحنظل. وفي Sabb. II 2 يستخدم ابن ميمون الكلمة العربية "علقم"، وهو ما قد يُشير إلى نبات الحنظل أيضًا. وعن مرارة الحنظل، يقول المثل[280]: "لا تِكون سُكَّر وِتاكِلَك الناس ولا حنظل تُذاق وَتُرمَ"، أي: "لا تكن سكرًا فيأكلك الناس، ولا حنظلًا فتُذاق وتُرمى جانبًا". وتقول كلمات الأغنية[281]: "لَن قَدَر الله وخَلَّتنَ مَنايانَ - والحمضل المُرّ لَنِسقِ لَعدانَ"، أي: "إذا قدر الله وسمح لنا بذلك قدرنا، سوف نجبر أعداءنا على شرب الحنظل المر".

ويُظهر إدراج النباتات في قائمة *λαχανα*، أي الأعشاب البرية الصالحة للأكل في اليونان والذي نحن مدينون به للسيد ف. هيلدرايخ (Heldreich) إلى أي مدى تتماثل التقاليد الشعبية في دول البحر المتوسط التي تتشارك مناخًا

---

(277) Ukz. III 4.

(278) Kel. XVII 17,

لا يمكن استخدام محالق اللفاح بهذا المعنى، لذلك لا بُد أن شيئًا آخر قُصد بذلك.

(279) Sabb. II 2.

(280) بطرس البستاني تحت كلمة "حنظل".

(281) Dalman, *Budde-Festschrift*, p. 46.

متشابهًا وجيولوجيا متشابهة[282]. ومن النباتات المدرجة وجدنا 23 صنفًا، وإن كانت مختلفة، في قائمتنا أيضًا. والأعشاب التي تشكل في اليونان جزءًا مهمًا من الغذاء خلال أوقات الصوم، يتم الاستمتاع بها نيئة أو كسلطة أو مطبوخة أو كتوابل. وتبقى ثمة أوراق ورؤوس نوار وجذور (بصيلات) صالحة للأكل. ومن ذلك يمكن الخروج باستنتاجات مهمة بالنسبة إلى الأزمنة القديمة، ومن بينها أن الكلمتين العبريتين "يِرق" و"ياراق" اللتين تعنيان "خُضَر" فحسب، وهذه الأخيرة، مثل *λαχανον*، استُخدمت في السبعونية[283]، وتعني خضروات صالحة للأكل. ويتساوق هذا المعنى مع التكوين (1:30، 9:3)؛ والعدد (22:4)؛ والتثنية (11:10) ("ياراق")؛ والملوك الأول (21:2) ("ياراق")؛ والملوك الثاني (19:26)؛ وإشعيا (15:6، 37:27)؛ والمزامير (37:2)؛ والأمثال (15:17) ("ياراق"). ويُستخدم التعبير على نطاق أوسع في الخروج (10:15) في إشارة إلى أوراق الشجر التي أكلها الجراد.

وفي الأزمنة اليهودية القديمة نجد، بين نباتات أخرى غيرها، النباتات التالية التي يُتفق على أنها تؤكل[284]:

1. Gundelia Tournefortii (بالعبرية "عَكّابيت")[285] [عكّوب]؛

2. Portulaca oleracea (بالعبرية "رِجيلا")[286]؛

---

(282) *Nutzpflanzen Griechenlands*, pp. 74ff.

(283) يُنظر أيضًا متّى 13:32؛ لوقا 11:42؛ رومية 14:2.

(284) يُقارن:

Salomonski, *Gemüsebau und-gewächse in Palästina zur Zeit der Mischnah*, pp. 38ff.

حيث لم يجرِ القيام بالتمييز المهم بين نباتات مزروعة وأخرى برية.

(285) يُنظر أعلاه، ص 339 وما يليها، وأيضًا:

Ukz. III 2; Löw, *Flora* IV, pp. 410,

حيث يُذكّر بالخرشوف (Cynara syriaca)، التي يميزها الاسم العربي "خرفيش الحمير" كعلف للحمير، ويقصد في ص 412، أن الـ Gundelia يمكن شملها، وهو شيء غير ممكن نظرًا إلى الفارق الكبير بين أصناف هذه الأعشاب الشوكية.

(286) Schebi. VII 1, IX 5, Ukz III 2, Tos. Schebi. VII 17;

يُقارن:

Löw, *Flora*, p. 70.

3. Arum palaestinum (بالعبرية "لوف")[287]؛

4. Petroselinum sativum (بالعبرية "نيص حالاب")[288]؛

5. Allium porrum (بالعبرية "كِريشا"، يُقارن "حاصير" التوراتية)[289]؛

6. Mentha sylvestris (بالعبرية "دَندانا")[290]، وهذا ربما كان النعنع في متّى (23:23)، وبالمسيحية الفلسطينية "نانعاعا"، وفي التلمود الفلسطيني[291] ترد "نانع" و"ناعنع".

بناء عليه، فإن طبق الخضروات (بالعبرية "أروحَة ياراق") والتي يُمكن، إذا ما قُدِّم بلطف (الأمثال 15:17) أن يتفوق على ثور مسمَّن قُدِّم ببغض، ويمكن التفتيش عنها بين هذه الأعشاب جميعها، جنبًا إلى جنب مع تلك التي ذُكرت آنفًا.

تستحق أعشاب الخضروات تلك اعتبارًا خاصًا (بالعبرية "يراقوت") التي كانت، بحسب المشنا، أعياد الفصح (2:6)، تُستخدم خلال وجبة عيد الفصح لتلبية ما هو مطلوب في تناول خروف الفصح مع أعشاب مرة (بالعبرية

---

(287) Pea VI 10, Kil. II 5, Schebi. V 2-5, VII 1. 2, Ter. IX 6, Sabb. XVIII 1, Ukz III 4;
بحسب لوف (Löw, *Flora*, IV, p. 214)، ربما كانت Colocasia antiquorum مشمولة. ولكن هنا أيضًا يبقى مد نطاق الاسم موضع شك. ربما تميز "لوف" و"لوف شوطة" بين اللوف المزروع واللوف البري؛ إذ إن هناك أنواعًا مختلفة من اللوف يمكن أخذها في الاعتبار.

(288) Schebi. VII 1, VIII 3, Ukz. III 2,
وبحسب ابن ميمون بالنسبة إلى:
Schebi. VII 1,
بالعربية "مَقدونِس"، والذي وفقًا لِـ
V. Heldreich, in: Mommsen, *Jahreszeiten*, p. 589,
الاسم اليوناني الجديد للبقدونس، "بَقدونِس".

(289) Ukz. III 2,
ابن ميمون بالعربية "كُرّاث". يُقارن أعلاه، ص 334، 341.

(290) Schebi. VII 1,
بحسب ابن ميمون "نَعنَع"، حيث يُؤخذ في الاعتبار بالطبع الـ Mentha sativa المزروعة.

(291) j. Maaser. 52ª, Sabb. 10ª, Ned. 37ᵈ, Schebu. 34ᵈ.

"مِروريم") (الخروج 8:12؛ العدد 11:9)[292]، واضعين جانبًا تفسيرات التلمود البابلي[293]. وسنذكر جنبًا إلى جنب مع الأسماء العبرية للنباتات في المشنا[294]، التفسير الآرامي للتلمود الفلسطيني[295] والصيغة العربية لابن ميمون في التعليق على المشنا[296].

1. "حزيِرت"[297]، باللهجة الفلسطينية "حَسّين"، لدى ابن ميمون "خَسّ"، أي Lactuca scariola, var. sativa (ص 340، رقم 8)، نوع من الخس المزروع مع كثير جدًا من الأوراق الأكثر خشونة من خس حدائقنا الذي يزرعه الأوروبيون في فلسطين، لكنه شبيه بخس المصريين القدماء[298]. ويستخدم السامريون لوجبة عيد الفصح، بحسب تقصياتي[299] Lactuca saligna المُرة التي تنمو بشكل بري، وتدعى بالعربية "خَسّ حَمير" أو "قوب"، وفي "نابلُس" "خميشة".

2. "عُلشِن"، بالفلسطينية "طروقسِمون" (= *τρωξιμον*)، ولدى ابن ميمون "هِندِبة"، وبالتالي Cichorium Intybus، الهندباء (ص 340، رقم 9).

3. "تَمقا"، بالفلسطينية "جِنجيدين" (= *γιγγιδιον*)، ولدى ابن ميمون "سَريس". والأخيرة ربما كانت، بحسب شفاينفورت (Schweinfurth)[300]، Cichorium divaricatum، هندباء أيضًا، والأولى ربما تشير إلى نوع من الجزر (يُقارن ص 341، رقم 34).

---

(292) يُقارن: Löw, *Flora* I 1, pp. 426ff.

(293) b. Pes. 39ª.

(294) Pes. II 6.

(295) j. Pes. 29ᶜ.

(296) Kroner, *Maimonides' Comm. z. Tract. Pesachim*, p. 9.

(297) في حال "حَزيْرت" و"عُلشين"، يُميَّز النوع البري من النوع المزروع، Kil. I 2.

(298) Keimer, *Gartenpflanzen im alten Ägypten*, vol. 1, pp. 1ff.

(299) *PJB* (1912), p. 130.

(300) Schweinfurth, *Arabische Pflanzennamen*, p. 82.

4. "حَرحَبينا"، بالفلسطينية "يَسّي"[301] "حَلي"، ولدى ابن ميمون قرصعنة، أي Eryngium creticum (ص 340، رقم 1).

5. "مِرور"، بالفلسطينية "عشب مر ذو لون شاحب وذو عصارة"، وعند ابن ميمون: "نوع شديدة المرارة من الخس البري"، ربما Lactuca saligna (يُنظر أعلاه).

كما تذكر التُسِفتا[302] [مجموعة القوانين الشفهية اليهودية] علاوة على ذلك: "حَزيرِت هجَّل" و"حَوَروَر"، وتورِدُ مخيلتا شمعون بار يوحاي [مجموعة تفاسير سفر الخروج] (ص 11): "حَرويلين"، "حَزيرِت" "جِلّيم" و"عِرقِبيلين" (تُقرأ: "عقرَبّالين"). ومن هذه، "حَزيرِت هجَّل" ("جِلّيم") هي بالتأكيد نوع من الخس البريّ. وبالنسبة إلى "حَوَروَر"، قد يفكر المرء، بحسب الكلمة العربية "عَوَروَر"، في آذان الدب أو البوصير، وبالنسبة إلى "عقرَبّالين"، بحسب الكلمة العربية "عقربان"[303] بِـCeterach officinarum، أو رقيب الشمس Heliotrope. ورأيت خسًا وبقدونسًا مغموسين بالخل في 27 آذار/ مارس 1899، في اليوم الثاني من عيد الفصح، في القسطنطينية على طاولة عيد الفصح. ورأيت خسًا مرًا وحلوًا ("خس") وكرفسًا ("كِرَفس") مع صلصة بقدونس حرّيفة في القدس في 13 نيسان/ أبريل 1900، مساء عيد الفصح الفعلي: هذا بين اليَمَنِيين وذاك بين اليهود السفاراديم.

ليس مهمًا كثيرًا تحديد التنوع الدقيق للأعشاب المرة لوجبة عيد الفصح، ومع ذلك ربما حمل لليهود أهمية عملية. إلا أن الأهمية تكمن في أن لتناول هذه الأعشاب صلة بِالاستخدام المسلّم به في فلسطين لنباتات الربيع وفي جميع الأوقات، كما هو قائم في وقت عيد الفصح، أي في منتصف نيسان

---

(301) Ginzberg, *Jerushalmi Fragments*, vol. 1, p. 104: *jassaa*.

(302) Tos. Pes. I 33.

(303) يُنظر:

Berggren, *Guide francais-arabe*, pp. 839, 853,

وابن ميمون عن:

Schebi. VII 2.

(Nisan). وفي هذا الشأن يمكن مقارنته بتناولنا اللفت في خميس الغسل الذي أراد في الأصل إيجاد علاقة مفيدة للحياة الإنسانية مع نبات الربيع. وفي هذه الحال، فإن تناول خروف الفصح مع أعشاب طازجة يُقصد به أن يكون معزّزًا للحياة. ولكن يجب عدم تجاهل وجوب أن تكون هذه النباتات مُرة. وقد رأت هجداه عيد الفصح [قصة خروج بني إسرائيل من مصر الفرعونية بقيادة النبي موسى]، بحسب حوادث المشنا والتلمود[304]، أن تذكّر قصدًا بـ"مرمرة" حياة العبرانيين بأعمال السخرة في مصر (الخروج 1:14) والتي خلصهم الله منها. لا تدل التعليمات الأصلية لعيد الفصح على شيء. ولكن من الواضح أن الوجبة كان يُفترض بها أن تتمتع بخاصية جدية (يُقارن III 9). وهنا يستطيع المرء أن يُشير إلى التقليد اليوناني القديم[305] الخاص باستخدام الخس لوجبات المآتم، إضافة إلى أن Geoponica XII 13، تقول إن ذلك يحد من الاستمتاع بممارسة الجماع، ويُقال عنها إنها إذا وُضِعت تحت سرير المرضى فإنها تأتيهم بالنوم.

ح. أزهار الحقل

"ما فِش أحمر مِثل نُوّار القدس
وَخُضر عشب رَبيعك كيف حِلُ
هَواك خَفيف والسَمَا صافِ
وَعرَك وكرومَك إلّ شِبه الجنة".

ليس هناك أحمر مثل زهور القدس،
وكم هي جميلة خضرة عشب ربيعك!
هواؤك خفيف والسماء صافية،
وَعْرك وكرومك التي تشبه الجنة.

---

(304) Pes. X 5, j. Pes. 29^{c}, b. Pes. 116^{b}.

(305) Murr, *Die Pflanzenwelt in der griech. Mythologie*, p. 169.

أما الفصل الرئيس للزهور (مدني "زهر"، فلاحي "نُوَّار") في فلسطين، فهو النصف الثاني من نيسان/ أبريل الذي يُقال عنه في مالطا[306]: "إن الزهور تدعوه أخاها، لأنه يأتي بها إلى سطح الأرض". وفي الآرامية الحديثة، يجعل "تنافس الأشهر" نيسان/ أبريل يتباهى[307]: "الجبال تتزين وتتلألأ مثل الأضواء، والسنونوات تتزاوج وتُطلق أصواتًا طويلة عذبة". ومع ذلك، فإن أيار/ مايو هنا هو شهر الزهور الحقيقي الذي يقول عن نفسه: "فيَّ يحمل المرء أزهارًا جميلة تفوح منها روائح عطرة. أكاليل ملفوفة يحمل المرء، كما يصبح الزنبق ظاهرًا للعيان، وسنابل الحقول تصبح طويلة وتتمدد وتصبح مليئة وطويلة، تصل السنابل [إلى الأعلى] برؤوسها، وتنمو بأمر خالقها". كما أن الفلاح العربي تسعده هذه الزهور التي تُعَدّ بالنسبة إليه، كما في الأغاني (12:2)[308]، علامة على قدوم الربيع؛ فهو يُنادي البذّار قائلًا: "طِلِع الرُنجس والحنّون - ضّبْ اِبذارك يا مجنون"، أي: "لقد أزهر النرجس والحنون، فاجمع بذارك يا مجنون". إلا أنه لا يحمل الزهور إلى البيت ليضعها في مزهرية، وليس لديه حديقة زهور حول البيت، التي لا بد أنها ستفتقر إلى الماء حينئذٍ. لذلك يندر أن تُرى أكاليل الزهور، لكن، أحيانًا يقوم أحدهم بتكليل رؤوس الأطفال الصغار. وفي مرجعيون لعب الأطفال بالزهور وصفّوا زهرات بخور مريم على سويقة سموها "خروف". وتحت تأثير تقليد أجنبي، تضع العروس زهر الليمون في شعرها. ويعود الإكليل ("كليل") الذي يوضع فوق رأس العروس والعريس إلى مراسم زفاف المسيحيين الشرقيين. إلا أن هذه الأكاليل مصنوعة من الزهور الصناعية، ويقوم القسيس بحفظها لمراسم الزفاف. أما في البيت أو في مواكب الزفاف، فإن التزيّن بالأزهار ليس، في واقع الأمر، معروفًا. ويبدو أن التقاليد العربية والإسلامية أزاحت جانبًا التقاليد الشعبية الأكثر قدمًا في فلسطين، خصوصًا أن العهد القديم يعرض لعلاقة مختلفة بعالم الزهور؛ فالتكليل خلال جلسات الشرب يُذكَر في إشعيا (1:28)، وفي الحكمة (8:2)، حيث ينادي محبو الحياة: "لنكلل

(306) Ilg, *Maltes. Märchen und Schwänke*, vol. 1, p. 207.

(307) Lidzbarski, *Die neuaram*, pp. 442f.

(308) يُقارن أعلاه، ص 332.

أنفسنا ببراعم الزهور قبل أن تذبل!"؛ ذلك أن العريس والعروس حملا أكاليل، وهو أمر نتج ممّا سمعناه لاحقًا من أن فيسباسيان قام، خلال حروبه، بمنع العرسان من حمل الإكليل، وفي حروب تيتوس مُنعت العرائس أيضًا[309]. وقد دار في حينه جدل في شأن أي أكاليل، بحسب مراثي إرميا (16:5)، يُقارن حزقيال (31:21)، سقطت عن رأس إسرائيل. وفي التلمود الفلسطيني[310] يدور الحديث حول القرمز المطلي بالذهب، وحول الملح والكبريت، وحَول الملح وأغصان الزيتون، وحَول الحلفاء ("حِيلِف")، وهو ما يشير طبعًا إلى أن مثل هذا البديل من زينة الزهور السابقة ليس مسموحًا به[311]. ويتحدث التلمود البابلي[312] عن منع الأكاليل المؤلفة من الملح والكبريت، ربما لأنها تُذكِّر بتيجان ذهبية، ولكن يُسمح بأكاليل من الآس والورود، في حين يُسمح بأكاليل مصنوعة من القصب والحلفاء ("حِيلِف")[313]، ورأي ثالث يحرم هذه أيضًا. ولأن شخصًا ما قد رأى في الحلم امرءًا وقد تكلل رأسه بأغصان زيتون[314]،

---

(309) Sot. IX 14.

(310) j. Sot. 24c.

(311) ربما كان مثل هذا البديل قد حصل، كما يفترض ذلك:
Krauß, *Talmudische Archäologie*, vol. 1, p. 18,
ولكنه لا يجيز ادعاء شفتلوفيتس:
Scheftelowitz, *Altpalästin. Bauernglaube*, p. 79,
في أن إكليل العريس كان يتألف عادة من أغصان الزيتون ومن الملح المعد لإبعاد حسد العين.

(312) B. Sot. 49b;
يُقارن:
Tos. Sot. XV 8, b. Gitt. 7a.

(313) هكذا بحسب أروخ هنا كما في:
b. Sukk 20a,
أن تقرأ كـ "حيلِت"، يُقارن:
Tos. Sukk. I 10,
إضافة إلى القصب، لا بد بالتأكيد أن يكون نوعًا من العشب أكثر متساوقًا كصورة للشيخوخة (b. Sabb. 152a) أكثر من مرعى أخضر (بحسب العربية "خَلاف"). ويفسر ابن ميمون:
Kel. XVII 17,
"حيلِف" بالكلمة العربية "حلفاء"، أي Eragrostis cynosuroides، "عشب الحلفا"، الذي يُستخدم غالبًا لصنع الحصير، كما يُفترض هناك.

(314) j. Maas. sch. 55b.

فلا بد أن مثل هذا التكليل كان قد حصل في السابق، إذ إنه لا يُفتقر في العالم الكلاسيكي إلى أكاليل من الزيتون[315]؛ أكليل من أغصان الزيتون يحمله العجل المخصص للتضحية في أثناء سير الموكب إلى الهيكل المقدس[316]. ويُعتبر إكليل الورد رمزًا للشباب، في حين يُعتبر الإكليل المصنوع من الحلفاء ("حِيلف") رمزًا للشيخوخة[317]. والأكاليل الموضوعة على الرؤوس هي جزء من الاحتفال بعيد العُرُش، وفقًا لليوبيلات (30:16). وقد عُلِّقت أكاليل ذهبية في ساحة مدخل الهيكل[318]، وكرست أكاليل الورد والسنابل من أجل آلهة الأوثان[319]. ويعتبر شيئًا طبيعيًا أن يعصب المرء رأسه بنبتة كان قد عثر عليها[320].

من المفترض أن حديقة زهور قد شكلت استثناء في الأزمنة القديمة؛ فالجنة كانت حديقة أشجار (التكوين 8:2)، و"حديقة الملك" بالقرب من القدس (الملوك الثاني 4:25؛ نحميا 15:3) كانت على الأرجح حديقة خضروات (التثنية 10:11؛ الملوك الأول 2:21)، وكانت ممكنة في ذلك المكان حيث يتوافر ماء الينابيع بكثرة (إشعيا 30:1؛ سيراخ 30:24 وما يلي)، ولذلك لا يمكن أن توجد مثل تلك الحدائق في أماكن كثيرة في فلسطين. وفي نشيد الأنشاد المتأخر، قطف أحدهم "شوشَنّيم" في الحدائق (نشيد الأنشاد 2:6)، وتُذكر حديقة ورد من أجل القدس في عهد ما قبل التدمير الروماني[321].

---

(315) Murr, *Pflanzenwelt*, p. 44,

يحصل التكليل بأغصان الزيتون، يهوديت 13:15، عند دبكات النساء احتفالًا بالنصر.

(316) Bikk. III 3.

(317) b. Sabb. 152[a].

(318) Midd. III 8;

يُقارن زكريا 14:6، سفر المكابيين الأول 22:1.

(319) j. Ab. z. 43[a];

يُقارن:

j. Bikk. 64[b],

حيث تشكل أكاليل السنابل إضافات إلى الثمار المبكرة، وأكاليل اللبلاب في المهرجان الديونيسيوسي، سفر المكابيين الثاني، 22:1.

(320) Ber. R. 10 (19[b]).

(321) Maser. II 5.

وربما كان الأغنياء والوجهاء من أهل المدن قادرين وحدهم على زراعة الزهور، بشرط أن تكون لديهم أحواض أو ينابيع بشكل كافٍ، لأن المحافظة على حديقة في الصيف ليس بالأمر اليسير، وهذا ما أعرفه من خبرتي، إذ سقينا الزهور بماء غسيلنا.

زهر الأرجوان

كم هو فاتن تألق زهر أرجوان فلسطين! فمن سبق له وتمتع به في الشمس الفلسطينية لا بد أن يشتاق دائمًا إليه. وخير ممثل له هو الذي يظهر أولًا، أي شقائق النعمان (Anemone coronaria)[322]. وعلى سويقة رشيقة فوق تاج من الأوراق الصغيرة المريشة، أكثر رقة من شقائق النعمان الجنائني لدينا والمستقدم من إيطاليا، تهدهد بلطف الزهرة ذات الأوراق الخمس التي يصل عرضها إلى 8 سم. واللون الذي يشع في ضوء الشمس، والوفرة التي غالبًا ما تظهر بها – ليس كعشبة حقل ضارة، بل في الطبيعة البرية، يضمنان عدم تجاهلها. وهي تكثر في بعض الأماكن حتى يضطر المرء إلى التحدث عن بساط من الأرجوان. وتنتشر في جميع أنحاء فلسطين عدا غور الأردن. وفي الجليل، تنمو بشكل مترف على تربة بركانية: زهر أبيض وليلكي ووردي يظهر هناك إلى جانب الأرجواني المعتاد[323]. وشقائق النعمان، من حيث كونها الأبكر بين أزهار الربيع الأكثر بروزًا، تظهر أحيانًا في نهاية كانون الأول/ ديسمبر في الوادي العُلوي من دير الصليب بالقرب من القدس. وعادة تزهر بعد ذلك بشهر واحد، ثم من منتصف شباط/ فبراير حتى نيسان/ أبريل يمكن أن نجدها في كل مكان. وبالطبع تحتاج نبتتها الرقيقة إلى الندى والمطر. وفي شتاء 1925 الشحيح المطر، كانت تبدو وقد نمت بشكل ضعيف. وما إن ترتفع حرارة نيسان/ أبريل وتهب الرياح الشرقية، حتى يكون

---

(322) يُقارن ص 253، الصورة 36.

(323) رأيت ذلك، على سبيل المثال، في 3 نيسان/ أبريل 1911 بالقرب من "كُفر سبت" [جنوب غرب طبرية]. يُنظر:

PJB (1911), p. 19.

إلا أن اللون الليلكي ذاته يظهر بالقرب من رام الله أيضًا.

وقتها قد قارب نهايته. وإذا كانت هناك زهرة ربيعية توائم صورة الحياة البشرية الزائلة في إشعيا (7:40 وما يلي)، والمزامير (5:90 وما يلي، 15:103)، وأيوب (2:14)، فإنها هي ذاتها. ولكن ليس صحيحًا أن الريح تجردها من أوراقها بسهولة، بحيث ربما كان يُفترض أن تسمّى "زهرة الريح" (*ανεμωνη*). فالريح تحركها والحرارة تثنيها والندى يعدلها مثل "شوشَنّا" المدراش[324].

يشير الاسم العربي "حنّون أحمر" أو "زهرة حمراء" إلى اللون. وفي حال "حنون الدولة" "زهرة الدولة"، يُفكر المرء بالزي الرسمي للجنود والدرك [في الحقبة العثمانية] ذي اللون الأحمر وهؤلاء حين يقومون بجباية العُشر من الفلاحين، يجسدون الدولة، في حين أن "حنون بُخيتِ"، "زهرة الحظ"، ينطبق في الواقع على الخشخاش. وثمة أسماء أخرى مثل: "بَرقوق" ("بِرقوق")، "ديدِحان"، "دَحنون"، "شَقيقة". والاسم الأخير المذكور هو اختصار لـ"شقيق" (ج. "شقايق") "النُعمان" الذي هو (في صيغة الجمع) في (Codex Aniciae Julianae of Dioscurides 25ᵇ) مضاف في الهامش إلى صورة لشقائق النعمان. ويمجد شاعر شقائق النعمان[325]: "وِكأنَ مُحمَرَّ الشقيق إذَ تُصَوَّب أو تسعد" [تصعد في النص العربي الأصلي] - "إعلان [إعلام في النص العربي الأصلي] ياقوتٍ نُشِرنَ عَلَ رِماحِ مِن زَبَرجد"، أي: "وكأن أحمر شقائق النعمان حين ينحني أو يعتدل (في الريح)، يكون علامة على أحجار كريمة تنتشر على رؤوس من لازورد (أخضر)". و: "لا تَعجَبُ مِن خالِهِ في خَدِّهِ - كُلّ الشقيق بِنُقطَةٍ سوداي"، أي: "لا تتعجبوا من الشامة على خدِّه، فكل شقيق نعمان له نقطة سوداء". وعلى عروسٍ ينادي المرء[326]: "هَيَّ البِسِ سوارِ عقيق - والخَدّ في لون الشقيق - وحياة عينِك وِشّقيق - ما مِثلك فِـ الغُزلانَ"، أي: "هيا ضعي سوارًا من العقيق، والخد بلون شقائق النعمان. وحياة عينيك والشقيق، ليس لك مثيلًا بين الغزلان". وعن الحبيبة يُقال[327]:

---

(324) Vaj. R. 23 (61ᵇ).

(325) بطرس البستاني، **مُحيط المحيط**، يُنظر بشكل خاص "شَقَق".

(326) Dalman, *Pal. Diwan*, p. 259.

(327) Stephan, *Modern Pal. Parallels*, p. 66.

"البُلبُل ناغَ عَلَ غُصن الفِلّ - آ يا شقيقَ النُعمانِ"، أي: "البلبل غنى على غصن الفل: آيا شقيق النعمان!". وكباعث على هذه الكنية، يُروى أن النعمان بن المُنذِر، ملك [الحيرة] في العراق، رأى ذات مرة حقلًا من شقائق نعمان، فأثنى على جمالها وأمر بحمايتها[328]. والآن كان هناك ثلاثة ملوك في الحيرة (في العراق) يحملون اسم النعمان، كان الثالث بينهم ابن المُنذر الذي حكم في الفترة 580-600 ميلادي تقريبًا. وفي نهاية حكمه اعتنق المسيحية؛ إذ كانت عائلته وثنية إلى حينه[329]. ومن اللافت أن والدة النعمان الأول أو زوجته حملت اسم شقيقة[330]، ما يعني أن هذا الاسم كان واردًا لدى ملكات اللخميين. ولذلك يُفترض أن يكون هذا الاسم اسمًا أنثويًا عربيًا يعود إلى أزمنة قديمة، ومن المحتمل جدًا أن يكون قد أصبح اسمًا بعدما كان أصلًا اسم زهرة[331]، وبذلك يصبح التأويل العربي المذكور أعلاه لاسم هذه الزهرة مشكوكًا جدًا في أمره. أما لين (Lane)، فإنه حدس أن هذه الزهرة سميت على اسم الشق ("شِق") بين المرتفعات الرملية، حيث تميل إلى النمو هناك، فلا يقرّب كثيرًا ولا يؤخر. وفي جميع الأحوال، من المحتمل أن كنية "النعمان" ذات مصدر مختلف جدًا عن الذي ترجحه التقاليد العربية، وأن المرء يمكنه عند "شقيق النعمان" أن يُفكر بِـ"جرح أدونيس" (تموز) الذي حمل، بحسب إشعيا (10:17)، كنية "نُعمان"[332]. وفي ما يتعلق بهذا المقطع، ربما فكر سعديا بِشقائق النعمان عند الحديث عن "غروس النُعمانية"، أي "النباتات القريبة من نعمان". ويرى دو لاغارد[333] في *ανεμωνη* تغريقًا لِـ"نعمان" [أي بجعله إغريقيًا]. وفي أي حال، هناك شهادات متأخرة نسبيًا توصل بين شقائق

---

(328) وفقًا للبستاني، في المرجع نفسه.

(329) Rothstein, *Dynastie der Lahmiden in al-Hira*, pp. 52f.

(330) Ibid., pp. 65, 76ff.

(331) يُقارن: الأسماء المؤنثة "زَمبَق" "ليلكي"، "وردة"، "فلة"، "ياسمين"، "سروة". يُقارن:
Stephan, *Modern Pal. Parallels*,

مع نشيد الأنشاد، ص 5 وما يليها.

(332) تقرأ السبعونية الاسم الشخصي نَعمَان في التكوين 21:46، وفي العدد 40:26 كـ *Νοεμαν(ει)*، وفي أخبار الأيام الأول 8:4-7 كـ *Νοομα*. علاوة على ذلك، هناك "نَعمانة" كاسم عربي لِـ Vicia Narbonensis.

(333) De Lagarde, *Übersicht über die Bildung der Nomina*, p. 205.

النعمان وموت أدونيس. ولدى أوفيد (Ovid)[334]، يتحول دمه إلى زهرة لا يُذكَر اسمها. ويعرّف سيرفيوس (Servius) في إنيادة فرجيل (Vergils Aeneide V 72)، هذه الزهرة بأنها تلك التي لا تقتلعها الريح أبدًا، وهو ما ينطبق على شقائق النعمان. ويذكر نيكندروس ثيوقريطس (Nikandros on Theocritus, Id. V. 92)، شقائق النعمان. وبحسب بيون (Bion)[335]، تظهر الوردة إلى حيز الوجود من دم أفروديت [وفي رواية أخرى: عشتار] التي جرحت قدمها عند محاولتها إنقاذ أدونيس، ومن دموعها أينعت شقائق النعمان، وبحسب Geoponica XI 17، ربما قام دمها بصبغ الوردة البيضاء باللون الأحمر. ومع ذلك، يَعتبر فريزر (Frazer)[336]، وربما كان محقًا في ذلك، أمرًا مثبتًا أن شقائق النعمان الحمر كانت يومًا ما زهرة أدونيس. أما الوردة، فيُفترض بها ألا تؤخذ في الاعتبار في فلسطين القديمة. وفي مؤلَّف *Flora der Juden*[337]، يكرس لوف لشقائق النعمان صفحة ونصف الصفحة فقط. ومع ذلك، يصعب تصور أنها لم تكن قد حظيت بالاهتمام في الأزمنة القديمة. ويطلِق ابن ميمون "شَقايق النُعمان" على "شوشَنّة همِلِخ" في المشنا[338]، ويستخدم بار بهلول [أديب ولغوي سرياني عاش في القرن العاشر الميلادي] "شقايق النُعمان"، إضافة إلى أسماء عربية أخرى، للتعبير السرياني "شوشَنّة مَلكا". وقد يكون التعريف النباتي لابن ميمون غير صحيح، لأن التلمود الفلسطيني يقدم تفسيرًا آخر[339]، ولكن يمكن إثبات أن "شوشنا" في حد ذاتها، على غرار الحنون العربي (ص 262) أصبحت اسمًا عامًا للزهر اللافت من خلال الحجم واللون، وبشكل خاص للوردة[340]،

---

(334) Met. X 728.

(335) Wilamowitz, *Bion von Smyrna, Adonis*, p. 26 (V. 66).

(336) Frazer, *The Golden Bough* II^{2}, pp. 116f.

(337) الجزء الثالث، ص 118 وما يليها.

(338) يُنظر:

Kil. V 8; Bamberger, *Maimonides' Comm. zu Tr. Kilajim*, p. 39

(339) يُنظر أدناه، ص 360.

(340) يُنظر على سبيل المثال:

Schir R. 2,2 (25^{a}), Targ. Hsl 2, 1f,

وشروحاتي:

PJB (1925), pp. 90, 92f.

وهذا يمنح فرصة إعطاء كلمة "شوشنّا" مجالًا إضافيًا في العهد القديم. وبشكل أساسي، يستطيع المرء فهم دعوة يسوع في متّى (6:28) إلى اعتبار السناء الملكي *χρινα του αγρου* (بالمسيحية الفلسطينية: "شوشَنّي دِطورا")، والتي تعود، وفقًا لِلآية 30 V. 30، إلى *χορτος του αγρου* (بالمسيحية الفلسطينية: "عِسبيه دِطورا")، التي يُقذَف بها في الفرن (بالمسيحية الفلسطينية "تَنّورا")، وبالتالي ليست نوعًا خاصًا من الزهور، علاوة على أنها نادرة، بل يجب ربطها بجميع زهر البرية الذي، بسبب روعة ألوانه، يذكّر ببهاء سليمان[341]. ويعتمد ذلك على المنطقة والشهر الذي تحدث فيه المسيح، حين يتساءل المرء عمّا كان يدور في خلد المتحدث والسامع؛ ففي الإدراك الفلسطيني، هناك في المقام الأول شقائق النعمان الأرجوانية، والاقتصار على الزنابق والسواسن، حيث إن هذا ما يجب أن تعنيه كلمة *χζινον*، يبدو مستحيلًا؛ لأن أحدهم في قرية أبو قمحة على حدود فلسطين الشمالية سمّى لي شقائق النعمان التي تدعى هناك "دَحنون"، بلفظة "ورد"، وهو ما يُظهر كيف لا يزال يتعامل حتى اليوم عامة الناس مع أكثر أسماء الزهور شيوعًا.

وفي سنة 1921، كانت شقائق النعمان بالقرب من القدس قد اختفت تقريبًا في 5 نيسان/ أبريل، ولكن زهرًا أرجوانيًا آخر، مثل الحوذان والخشخاش القرمزي، حل في مكانها. وبعد ثلاثة أيام من الرياح الشرقية، كانت شقائق النعمان قد اختفت كليًا. ولكن بعد ذلك بـ 10 أيام، أي في 15 نيسان/ أبريل، لم يبق غير بقايا الحوذان الذي كان يبدو شديد الرسوخ، في حين بقي الخشخاش ثابتًا حتى أيار/ مايو. ويتمتع الحوذان القرمزي (Ranuculus asiaticus) بوقفة أكثر شموخًا من شقائق النعمان، وأوراقه شاحبة وغير دقيقة جدًا، والزهر أشد احمرارًا مع ميل أكبر إلى الاصفرار. وهناك أصناف برتقالية وقرنفلية وبيضاء، ولكن الشائع هو الأرجواني. ويطلِق الفلاحون عليها "حَنون الشعانين"، لأن المرء في أحد السُعَف ("حَد الشعانين") يزين بها غصون الزيتون التي تُستخدم بدلًا من سعف النخل. وفي الكرمل، يُطلق المرء عليها "بِرقوق الخَميس"[342]،

(341) يُقارن:
Dalman, *Orte und Wege Jesu*³, pp. 169f.; *PJB* (1925), pp. 99f.

(342) Müllinen, *ZDPV* (1907), p. 133.

لأنها تعود إلى نيسان/ أبريل. كما سمعت "حنّون الدولة"، "دَحنون"، "ديدِحان"، وهي أسماء مشتركة مع شقائق النعمان الأرجواني.

والخشخاش المنثور (Papaver rhaeas, var. syriacum) هو الأخير الذي يظهر بين هذه الأزهار الأرجوانية. ويمكن العثور عليه في الحقول، ويشكل أحيانًا بساطًا كاملًا في الأرض البور. ولونه أكثر قتامة من خشخاشنا [الألماني] الحقلي، وبالكاد يمكن تمييزه من أرجوان شقائق النعمان. والنبتة أقصر من شقائق النعمان والحوذان، وقلما تلفت النظر إليها. والاسم الذي يُطلقه أهل المدينة على الخشخاش هو "خِشخاش"، لأن أكواز ثمارها يستخدمها الأطفال كخشخيشة. إلا أن هذا هو الأقل لفتًا في هذا النوع الصغير من الخشخاش. وفي الريف، يحتفظ المرء بالأسماء "حَنّون بُخيتي" "زهرة الحظ"، ربما بسبب تساقط أوراقها بسهولة، "بَرقوق"، "دَحنون"، وهي في لبنان، بحسب بوست (Post)، "شقيقة النُعمان"، وبحسب هارفوخ (Harfouch) "شَقشَقيق"، الأمر الذي يُظهر أن المرء لا يميز الخشخاش من شقائق النعمان ومن الحوذان، ويؤخذ في الاعتبار اللون والشكل العام وحجم الزهرة. وهذا بلا شك كان قائمًا في الأزمنة القديمة.

إن زهر أدونيس الفلسطيني أو الحولي (Adonis palaestina أو autumnalis)، الذي يظهر في الوقت نفسه مع الحوذان، حري بأن يُذكر هنا على أنه ينتمي إلى هذه المجموعة نظرًا إلى لونه؛ فزهرته الصغيرة والدقيقة ذات اللون الأحمر القاني تبرز من بين أوراقه الوبرية الخضراء الصغيرة. وأكبر منها هو الأدونيس الحلبي (Adonis aleppica) الذي يُظهر زهره، إضافة إلى الأحمر، لونًا أصفر أيضًا. ويُسمي العرب الأدونيس الفلسطيني "حنون البِس" ("البساس") أي "زهرة القطة"، وبحسب هارفوخ "عين البِس": أي "عين القطة"، الذي يُذكّر بالاسم الألماني لأدونيس "عين الشيطان". ولا يمكنني تحديد السبب وراء تسمية عربية ثانية هي "قُدّيسَ"، إلا إذا فكر المرء بِـ"قادوس" صغير أي "إبريق". ويبقى محط شك إذا كانت *αργεμωνη* تعني عند ديسقوريدوس أدونيس؛ فهي، بحسب وصفه، تشبه الخشخاشَ البري، إلا أن أوراقها تشبه شقائق النعمان. والصورة في Codex Aniciae Julianae (II 177)

قد تُذكِّر المرء بأدونيس أو بالحوذان القرمزي (Ranuculus asiaticus). ومكتوب كأسماء عربية "أرغموني" و"أريموني" التي لا تتعدى المصطلح الإغريقي. وتُقرأ الترجمة العربية لدى هُنين (Honein)[343]: "شقايق النُعمان البرِّي". ويعتقد مُر (Murr)[344] أن من الممكن أن "أدونيم" في موسوعة التاريخ الطبيعي (بلينيوس)[345] تفترض أدونيس [نا] [أي أدونيس الألماني]، على الرغم من عدم وجود مؤشر على ذلك هناك؛ فالاسم النباتي يضع هذه الزهرة بالذات في علاقة مع عشيق أفروديت التي يفترض أنها تبرعمت من قطرات دمه، ولكن من الواضح أن العلاقة نفسها ممكنة مع شقائق النعمان. وفي اليونان، يُدرج ف. هيلدرايخ[346] شقائق النعمان أو الشقار الإكليلي في خانة كانون الثاني/ يناير حتى نيسان/ أبريل، والأدونيس الحولي في نيسان/ أبريل وأيار/ مايو. وقد قطفتا كلتاهما في أفسس (Ephesus) في 11 نيسان/ أبريل 1899.

وكممثل أخير لنبات فلسطين الأرجواني، يجدر أن يشار إلى الحمراء الخالدة (Helichrysum sanguineum) الرقيقة التي تُطلِق فوق أرض خصبة زهرًا يحظى بالاعتبار. وتُظهر أسماؤها العربية "دَمّ غَزال": "دم الغزال"، "بِزاز العَذرَ": "حلمات العذراء" (مريم)، أنها تلفت انتباه عامة الشعب. وهي تنتمي إلى الزهر الأرجواني الذي يظهر بعد شقائق النعمان في نيسان/ أبريل وأيار/ مايو في مناطق نمو الشجيرات الخفيضة الدائمة الخضرة في الحيز الشمالي الشرقي للبحر المتوسط (Phrygana). وقد أوحى لونها مؤخرًا بفكرة تصديرها إلى أوروبا لاستخدامها في أكاليل القبور. وقد كلل فيرجيل (Virgil)[347] نفسه بها حماية لنفسه من السحر الشرير، بحيث إن شيئًا من قوة رب رحيم يفترض وجوده فيها.

---

(343) بحسب

Löw, *Flora der Juden* III, p. 118.

(344) Murr, *Die Pflanzenwelt in der griech. Mythologie*, p. 265.

(345) Plinius, *Hist. Nat.* XXI 10, 34.

(346) Mommsen, *Griech. Jahreszeiten*, p. 488.

(347) Ecl. VII 27,

يُقارن:

Murr, *Die Pflanzenwelt in der griech. Mythologie*, p. 234.

السَوْسَنيات والزنبقيات والورود

يمكن اعتبار السوسن هو الأنبل بين زهور الربيع البرية في فلسطين، والذي يحتاج إلى الإبراز لأن اسمه في لبنان[348] وشرق الأردن، "سوسَن"، يرتبط باسم "شوشَنّا" الواردة في العهد القديم. وفي Codex Aniciae Julianae of Dioscurides, BI. 133[a] يُطلَق على *ιρις Ἰλλυριχη* "سوسن أسمنجوني" و"اِيرسا"، و*χρινον βασιλιαον* التي تدعى أيضًا *σουσινον* و*χρινανθεμον* "سوسن أبيض" و"زنبق". وتظهر الصور في الحالة الأولى سوسنة، وفي الأخيرة زنبقة بيضاء (Lilium candidum). كذلك يُميز بطرس البستاني بشكل دقيق نوعين من زهرة الحدائق "سُوسَن" أو "سَوْسَن"، أي "آزاد" البيضاء (على الأرجح "آزادِرَخت" الفارسية) و"اِيرِسا" ذات اللون الأزرق السماوي ("اِسمانجوني"). وبحسب القزويني[349]، حين يجري في 15 "شباط"، إضافة إلى النرجس، غرس السوسن أيضًا، يبقى غامضًا هل المقصود زنبق أَم سوسن. وفي مصر القديمة، بحسب رسالة لطيفة من السيد الدكتور لودفيغ كايمر (Ludwig Keimer)، كانت "سشّن" أو "سشن" اسمًا لِزنبق الماء (Nymphaea)، ولكنها تأتي بشكل مختصر "سش" للزنبق الأبيض (Lilium candidum). وتعرف فلسطين اليوم الزنبق الأبيض كزهرة حدائق، بعدما كانت برية[350]، بحيث يستطيع المرء الافتراض أن هذه الزهرة تُحسب على الأزمنة القديمة. ومن الفترة الواقعة بعد العهد التوراتي، من المحتمل أن تشير "اِيروس" أو "اِيرسا"[351]، المشتقة من

---

(348) هكذا بحسب بوست. هارفوخ يستخدم "سوسَن" للصَّفِّير [زهرة من الزنبقيات]، و"سوسن البرّي" لنرجس البري، في حين يستخدم حداد "نُعمِن السوسن" للصَفّير.

(349) Kazwini, *Kosmographie*, I, p. 74.

(350) يُقارن:

PJB (1925), pp. 95f.

في مقابل:

Löw, *Flora* II, p. 165,

لقد شُهد على وجود Lilium candidum في مكان بالقرب من البقيعة في الجليل الأعلى:

Eig, *Contribution to the Knowledge of the Flora of Palestine*, pp. 39f.; Eig, *Second Contribution*, p. 53.

(351) Kil. V 8, Ohal. VIII 1, j. Kil. 30[a];

يُقارن:

PJB (1925), p. 94.

اليونانية، إلى السوسن الذي كان قد تميَّز من الزنبق الأبيض، وسُمّي "شوشَنّا" الملك[352]،

وفي فلسطين اليوم، فإن الأكثر انتشارًا بين أنواع السوسن البري هو السوسن العادي (Iris Sisyrinchium) الصغير والأزرق والبنفسجي، والذي قد يظهر في نهاية كانون الأول/ ديسمبر، ولكن يمكن العثور عليه في آذار/ مارس. وثمة نوع آخر ينمو أطول بعض الشيء؛ نوع أزرق صافٍ على صلة وثيقة به، واسمه النباتي مجهول لدي (ربما Iris histrio)، وهو ينتمي إلى آذار/ مارس. أما Iris pallida ذو الرائحة الرقيقة والأزرق الشاحب، وIris palaestina الأصفر الضارب إلى الخضرة، فهما كلاهما يظهران مبكرًا، ويمكن العثور عليهما هنا وهناك في فلسطين، ولكن ليس بكميات كبيرة كما في حال الأوليين. وثمة نوع يناظر سوسن حدائقنا [الألمانية]، واللافت، هو سوسن لورتيتي (Iris Lorteti) الموجود بشكل خاص بالقرب من الناصرة، وأوراق تويج الزهرة بُني في الداخل، واللون الليلكي الشاحب في الخارج، وكذلك التشكيلات البنفسجية الداكنة، والأرجوانية الداكنة، والبنية الداكنة التي ربما تنتمي إلى سوسن هيلانة (Iris Helenae). وهي تتوافر بكثرة في شمال البلاد وشرقها، وأكثر منه في جنوبها، لكن لا يمكن، ولا في أي مكان، اعتبارها، كما في حال شقائق النعمان والحوذان والخشخاش، كمن تحدد بذاتها الصورة العامة للحياة النباتية في البلاد. وكثيرًا ما يرى المرء السوسن الجرماني ذا اللون الأبيض - البنفسجي مزروعًا في مقابر المسلمين ("كَفّ الصَبّاغ، "سِبّيح")، وهو ما يُذكِّر بأن السوسن ربما كان هو أيضًا زهرة قبور عند اليونانيين[353]. وينمو السوسن الأصفر (Iris pseudacorus) ("سَيّوف")، سوسنُنا الأصفر [الألماني]، في المستنقعات، وهو، لندرة المستنقعات، معروف لدى قلة، ولم ألاحظه إلا في منطقة الحولة وحدها. وجميعها لا تشكل ندًّا من حيث اللون للثلاثي شقائق النعمان -

(352) يُنظر أدناه، ص 360.

(353) بحسب

Murr, *Pflanzenwelt*, p. 245,

ولكن دونما اقتباسات تدلل على ذلك بشكل قاطع.

الحوذان - الخشخاش. ويلاحَظ عدم وجود انتباه من نوع خاص لدى أهل الريف له، وهو ما يتضح من خلال كلمة "زنبق"، ذلك الاسم الذي لا طابع له بالنسبة إلى العربي، والذي يختصر جميع الأنواع تقريبًا.

ولزهرة التوليب أو الخزامى (Tulipa oculus- solis, T. praecox, Montana)، صلة بالثلاثي من خلال لونها الأرجواني، وربما نتيجة الرؤوس المستدقة لأوراق تويج زهرتها، وتُسمّى "قرن الغزال" و"حَنّون الغَزال" و"زهرة الغزال". وبحسب بوست، يتم موضعتها كشقيقة إلى جانب شقائق النعمان، وكزنبقة إلى جانب السوسنيات. ويمنحها هارفوخ اسم "خُزامى" الذي أعرفه كاسمٍ لأنواع البلبوس (Muscari)، والسحلب (Orchis)، والأفريس (Ophrys)، في حين أن بوست يستخدمها للخزامى (Hyacinthus) والبليحاء (Reseda). وهو ليس غليظًا ولا متطفلًا مثل توليب حدائقنا، بل رشيق ينتهي بأطراف دقيقة، وبين الكتل الصخرية تقف كؤوس أزهاره ذات اللون الأحمر الناري، وبصيلاته تنغرس عميقًا في التربة الحجرية، بحيث يجد المرء صعوبة في اقتلاعها، ويجده المرء في أماكن مختلفة من البلاد. وأنا أعرفه من محيط القدس البعيد، وفي الكرمل وجبل طابور، وكذلك في شرق الأردن. وقد عُدّ التوليب، في الأزمنة القديمة، ضمن مجموعة السوسن أو النرجس. وبما أن اليونانيين والرومانيين لم يستخدموا اسمًا خاصًا به[354]، فمن المفترض أنه ينتمي إلى المجموعة التي شملت في الأصل "شوشن"، "شيوشن"، "شوشنَّا" التوراتية؛ فالزهر الذي ينطبق عليه هذا الاسم يجب أن يكون، بحسب الملوك الأول (26:7) وأخبار الأيام الثاني (5:4)، مثل الكأس أو الكوب. وفي نشيد الأنشاد (13:5) تُشبَّه شفاه المحبوب بـ"شوشَنّيم" التي عليها أن تكون حمراء، أو أن تكون ذات شذى. وفي نشيد الأنشاد (3:7)، يكون جسم الفتاة كومًا من القمح والـ"شوشَنيّم" سياجًا حوله، بدلًا من الأحجار والأشواك المعتادة. وربما كان حريًا بالمرء الافتراض أن اللونين الأبيض والأحمر، كما في نشيد الأنشاد

(354) Plinius, *Hist. Nat.* XXI 5, 11.

يتحدث عن سوسن ضارب إلى الحمرة ونرجس قرمزي.

(10:5)، هما اللذان يتم تخيلهما هنا. وبحسب نشيد الأنشاد (2:6)، تنمو الـ "شوشَنّا" في الحدائق، ولكنها تنمو، بحسب (1:2 وما يلي)، في الأودية وبين العُلّيق. أما ترجوم نشيد الأنشاد، فقد فكر دائمًا بالورد. كُتُب ترجوم آخر استخدم "شوشَنّا" كما يستخدمها أونكيلوس [الترجمة الآرامية للتوراة التي تُنسب إلى المتهود عكيلا وكان الهدف نشر التوراة بين أبناء الشعب الذين بدأوا ينسون اللغة العبرية]، وأيضًا في الخروج (31:25)، لِـ"بِرَخ" "زهر"، مقدمًا بالتالي شهادة على الاستخدام الواسع للكلمة. وقد استخدم سعديا "سوسَن"، بلا استثناء، في نشيد الأنشاد، وفي عناوين المزامير، كذلك لِـ"بِرَح" (الخروج 31:25)[355]. ويستطيع المرء الافتراض أن "شوشَنّا"، التي ربما أتت إلى فلسطين ككلمة مصرية دخيلة، قد شملت، هناك كما هنا، جميع الزهر الكبير ذي الشكل الكأسي. وعند استخدام هذه الكلمة، كان الذهن ينصرف في هذا النوع من الزهور، إلى ما كان الأقرب إلى تجربة المتحدث أو الكاتب؛ فالاسم المؤنث سُسَنّ[356] لا بد أنه، بناءً على ذلك، قد حمل معنًى واسعًا. وهكذا بالنسبة إلى "شوشَنّا" في هوشع (6:14)، ربما كان من الجائز التفكير في أحد أنواع السوسن الكبير أو توليب فلسطين التي مثلها مثل إسرائيل، سوف تتفتح تحت ندى ربها، في حين أن زنبق الحدائق الأبيض ليس مرجحًا. وفي المقابل ربما عنت "شوشَنّا" الملك في المشنا والتُسفتا[357]، أي بحسب التسمية اليونانية في ديسقوريدوس (يُنظر أعلاه)، زنبق الحدائق الأبيض، خصوصًا أن التلمود الفلسطيني[358] يفسرها على أنها "قِرنطون" التي يجب تصحيحها إلى "قِرِنَنطون" وعزوها إلى *χρινανϑεμον*، والتي كانت، بحسب ديسقوريدوس، اسمًا للزنبق الأبيض أيضًا. وكذلك بالنسبة إلى "شوشَنّا" الملك في سيراخ (14:39) (نص سرياني)، والتي تبدو عطرة، فإن الزنبق الأبيض يبدو ملائمًا؛ ذلك أن لوف يقوم، في ما يتعلق

---

(355) يُقارن:

PJB (1925), p. 90.

(356) تاريخ سوسن ودانيال 2:1، ولوقا 3:8.

(357) Kil. V 8, Tos. Kil. III 13.

(358) J. Kil. 30ᵃ.

بمعنى "شوشَنّا"، بوضع الزنبق في الصدارة وبشكل مطلق، ولربما لم يجانب الصواب هنا.

أمّا الخزامى المشرقية (Hyacinthus orientalis)، التي هي من الزنبقيات، إلا أنها تختلف في مظهرها عن الزنبق، فإنها تستحق الذكر، وتدعى بالعربية "رُنجُس"، وفي لبنان، بحسب بوست، "نِرجِس"، "رِنجِس" أيضًا، وهي بذلك من ضمن النرجس الشائع (ص 252) الذي يحمل الاسم نفسه، ولذلك تُصنّف كنوع من النرجس. إضافة إلى ذلك، كان لدى بوست اسم "خُزام" أيضًا، وهو الاسم نفسه الذي يحتفظ به للبليحاء، وهارفوخ للتوليب، والذي أعرفه أن "خزيم" العنصل (ص 98) وهو اسم لأنواع البلبوس والسحلب والأفريس. ويحتفظ هارفوخ وبيرغرين لها بالاسم "سُنبَل"، "سُمبَل" الذي يصور الزهر مثل"سنبل". علاوة على ذلك، يحتفظ هارفوخ بالاسم "سوسن"، وحداد بِـ"نُعمِن السوسَن" (يُنظر أعلاه). إن الشذى القوي يجعل الزهر، الذي عادة يكون غير مرئي إلى حد ما، جذابًا. وقد صادفته في شباط/فبراير 1900، في مرجعيون على حدود فلسطين الشمالية، وبالقرب من أنطاكيا السورية في نهاية كانون الثاني/يناير من السنة ذاتها. ويذكرها فون شوبرت (G. H. v. Schubert) على أنها ذات صلة بحدود المنطقة الممتدة جنوب القدس، لكنه يتركها بلا تسمية، حين يتحدث عن نباتات تلك المنطقة بشكل مفصّل[359]. ويبقى على درجة أكبر من الأهمية بالنسبة إلى الحياة النباتية في البلاد ككل، البِرْوَق (Asphodelus microcarpus, tenuifolius)، الذي لا يستطيع المرء أن يتخيل من

(359) G. H. v. Schubert, *Reise in das Morgenland*, vol. 2, p. 449,

مأخوذة على محمل الجد لدى:

Löw, *Flora* II, pp. 160ff.

يُسمي رانغه:

Range, *Flora der Isthmuswüste*, pp. 13, 31, Hyacinthus macrobotrys, sessiliflorus,

بالنسبة إلى المجال الذي قام بدراسته. يُسمي آيغ (Eig)، Hyacinthus orientalis. وبالنسبة إلى الجليل الأعلى،

Eig, *Contribution*, p. 40 f.; Eig, *Second Contribution*, p. 53,

كونها المثبتة منه أول مرة بالنسبة إلى فلسطين، ولكن يُنظر:

Dinsmore & Dalman, *Die Pflanzen Palästinas* (1911), no. 1717.

دونه الربيعَ في البرية الفلسطينية دخولًا في الصحراء الواقعة شرق القدس وانحدارًا نحو البحر الميت. كما شاهدتُ البروق بالقرب من سميرنا وأثينا. ويميز المرء "بوصَلان رَفيع"، "الرفيع" أي رفيع الأوراق، من عريض الأوراق "بوصَلان عريض"، أي العنصل البحري (Urginea maritima)، ص 96 وما يليها، كما يسمَّى أيضًا "غوصَلان"، "غيصلان"، "خوصلان"، "عوصلان"، "عود النَدّى"، وهو ما يُطلق على عود الندى (Aquilaria agallocha) الذي لا ينمو في فلسطين. ويستخدم بوست الأسماء "ثُوي"، "عَنصَل"، "بَروَق"[360]، وحداد "بورَق" وهارفوخ الـ"سوسن البري" وبيرغرين "أسراس"، "بِرواق"، "عيسبَلان"، "خُنثى"، والمضاف في (Codex Aniciae Julianae of Dioscurides 26b) إلى صورة *Ἀσφοδηλος*. وشفاينفورت (Schweinfurth) بالنسبة إلى مصر "بَصَل عَنسل"، "عنسل"[361]، "سُوى"[362]. أما لماذا تدعى النبتة "خنثى"، فذلك يبدو مجهولًا لديّ، ولوف[363] محق في استعانته بِـ"عيريت" من تُسِفتا[364] لأنها، كما البروق عند بلينيوس، تُستخدم علفًا للحيوانات، وفي الوقت نفسه توضع تحت السرير حماية من الأفاعي والعقارب. وفي هذا السياق، يشار إلى ما جاء في Geoponica XIX 6.7، من أن جذور البروق تُخلَط مع مياه الشرب أو طعام الخنازير لحمايتها من الأمراض. والكلمة السريانية "عيرونا"، المرتبطة بِهورونيون، كنية للبروق عند بلينيوس، تعني الشيء ذاته. وهنا يخطر في البال وضع "حَبَصِّلِت" التوراتية (إشعيا 35:1؛ نشيد الأنشاد 2:1)، تمامًا كما في حال العنصل البحري، مع "غوصلان"، "خوصلان"، "عوصلان". وفي مقابل ذلك، يستخدم الترجوم "أقرينون" في إشعيا (35:1)، أي يفكر بزنبق أو سوسن. ويتحدث نشيد الأنشاد (2:1) عن "نَرقيس" (MS narges)، وسعديا

---

(360) هذا لـ Asphodelus tenuifolius.

(361) Schweinfurth, *Arab. Pflanzennamen*, p. 8,
استخدم هنا "عنسل" بالسين، ولكن في ص 46 استخدم لِـ Urginea maritima "عَنصل"، "عُنصل"، "عُنصيل" بالصاد. ويمكن أن ترد كلتا الصيغتين.

(362) "سوي" هي بالتأكيد "ثوي" نفسها عند بوست.

(363) Löw, *Flora* II, p. 153.

(364) Tos. Schebi. V 17.

في كلا المكانين يذكر "نرجس"، ويهوداي البابلي[365] "نَرقيس"، والتي سوف تعني النرجس الشائع. ولكن هذا لا يستثني التفكير في حال "حَبَصِّلِت" بِالبروق الزنبقي الذي تصعد عيدانه الرفيعة إلى نحو المتر طولًا لتكون إكليلًا من الورق القصير، وتحمل عناقيد منفصلة من الزهر الدقيق الأبيض ذي المسحة الحمراء. وإن ادعاء مُرّ[366] غير قابل للإدراك حين يزعم أن نبتة الزنبق المثيرة للإعجاب هذه تعطي انطباعًا كئيبًا ومنفرًا، لأن اللون الرمادي لأوراقها السميكة، واللون الأبيض لعناقيد زهرها الضارب إلى الصفرة ذات المسحة البنفسجية، يوحيان بعلاقة مع شحوب الموت وعالم الظلال؛ فنظرة خاطفة إلى صورة البَرْوَق، حيث يغيب اللون وحده، تجعلنا نغير رأينا. ويمكن أن يقيم المرء صلة بين هذه النبتة التي تحب النمو في الأرضِ البورِ، مع بيرسيفون، إلهة العالم السفلي، لأنها تظهر كما لو كان محيطها ليس هو من قام بإنباتها. ولم يكن مرج الأبرار الصالحين في العالم السفلي فخمًا مترفًا حين زينها البَرْوَق[367]. ومع ذلك، كان الزنبق ملائمًا (إشعيا 35:1) كصورة لشعب يقوم من جديد من بين الخراب مثل صحراء تزهر. وفي الوقت نفسه، تلائم أناقته نشيد الأنشاد (2:1)، حيث يفتخر الجمال بِـ"حَبَصِّلِت" الشارون، لأن هذه الزهرة تتفتح بوفرة في السهل الساحلي. واللحلاح الخريفي[368]، على الرغم من الاسم السرياني الوطيد الصلة به، "خَمصَلايتا"، ليس ملائمًا لذلك[369]. وبحسب الرؤية اليونانية، كانت زهرة سامة تُستخدم بشكل خاص لصنع الشراب السحري[370]. ويذكر بيرغرين اسمها العربي: "خانق الكلب"، وجذور "سورِنجان"، وهو ما يظهر اسمًا لها أيضًا في (*Codex Aniciae Julianae of Dioscurides* 104ᵇ).

---

(365) *Halachot Gedolath* (Hildesh. ed.), p. 70.

(366) Murr, *Die Pflanzenwelt in der griech. Mythologie*, p. 241.

(367) Homer, *Od.* XI, 539.

(368) ص 98.

(369) Löw, *Flora* II, pp. 156ff.

يعتبر ذلك حاسمًا. ولكن تُنظر مقالتي:
Dalman, *Die Blume habasselet der Bibel, Marti-Festschrift*, pp. 62ff.

(370) Murr, *Pflanzenwelt*, p. 207.

وقف البَرْوَق متبرعمًا إلى الشمال من أسدود حين سافرت إلى القدس في 4 آذار/ مارس 1925، وكان بكامل تفتحه بالقرب من القدس في 20 آذار/ مارس، في حين كان قد أينع ثمارًا في 19 نيسان/ أبريل، وكانت السنة تلك سنة جفاف. ولكن في سنة 1908، كان قد تفتح في طريق الرومان نحو أريحا في 26 شباط/ فبراير، وفي 10 نيسان/ أبريل 1911 عبرنا راكبين في الجولان مرج بَرْوَق، وبلغ زهرها الأبيض إلى سروجنا. Asphodeline lutea أصفر اللون (عطعاط/ أبو صوي) ذو العيدان الأقصر، التي تجلس عليها في الأسفل أوراق صغيرة، وفي الأعلى زهر مزدحم، كنت قد قطفتها في 22 آذار/ مارس 1925 بالقرب من "الرام"، وهي لافتة وتتوافر في الجولان بكثرة، لكنها لا تمتلك فخامة المظهر كما البَرْوَق. ويُذكِّر اسمها "عطعوط" بِـ"عَطعط"، أي "يصرخ". ووارد هنا بشكل أقل الطيطان البحري (Pancratium maritimum) الذي اعتبره لوف الزنبق التوراتي الخاص بِـ"الأودية"[371]. وكنبتة صيفية سيرد ذكرها في مكان آخر.

في هذه المجموعة، لا يجوز إغفال الدلبوث الإيطالي (Gladiolus segetum وatroviolaceus)، الذي يشكل بزهره الأحمر الغامق والبنفسجي في آذار/ مارس ونيسان/ أبريل زينة لحقول الحبوب التي تنزع إلى الظهور فيها كعشب. وبسبب لونها، مثل الدم الأحمر القاني، يطلِق العرب عليها اسم "دم الغزال". وهي أيضًا بحسب حداد "دَلبوت"، وبحسب بيرغرين "كَسِفون" و*Codex Aniciae Julianae* (241[a]) *of Dioscurides* "سيف الغراب". ويود بوست أن يساوي بينها وبين "زنابق الحقل" (متّى6:28)، والتي على المرء ألا يستثنيها منها، على الرغم من أن "الحقل" هنا لا يعني حقل الحبوب[372].

وفي منطقة اليونان، نُسجت صلة بين السوسن والخزامى والبروق والنرجس الشائع[373] وبيرسيفون وبين الإلهة التي تقضي الثلث الشتوي من

(371) Löw, *Flora* II, p. 226.

(372) يُقارن أعلاه، ص 354؛ و *PJB* (1925), p. 99.

(373) يُنظر في شأنها ص 252 وما يليها.

السنة في العالم السفلي ثم تصعد من جديد إلى العالم العلوي[374]. وهنا يلاحظ المرء إلى أي حد كانت أزهار الربيع الرقيقة هذه تعطي انطباعًا عن العالم السفلي الذي يبدو أنها تخرج منه. وهذا الانطباع يظهر بشكل مختلف حين يربط إشعيا (19:26)، قيام الموتى بِـ"ندى الأنوار" الذي من خلاله تستدعي قوة إلهية الظلال من عالم الموتى.

واقع الأمر أن الفلسطيني يعرف الورد الذي يظهر في نيسان/ أبريل إما كزهرة من أزهار الحدائق في المدن، وإما كزهرة مزروعة من أجل إنتاج ماء الورد. وفي سنة 1921 بدأ الورد يتفتح في القدس في 5 نيسان/ أبريل، وفي 22 منه كانت القدس مزهرة بالكامل. وتُميَّز وردة السنتيفوليا (Rosa Centifolia (indica))، باعتبارها "وردًا جوريًا"، من باقي أنواع الورد التي يُطلق عليها اسم "وَرد" فحسب. والوردة البرية (Rosa canina، بالعربية "ورد بري") نادرة جدًا، ولم أصادفها خلال رحلاتي عبر البلد غير مرة واحدة فقط، في حين أنها تنمو في الحدائق أيضًا[375]. وفي الشعر، تُستخدم الوردة لوصف البنت الشابة، فيتوجه المرء إليها قائلًا: "يا وردِ جُوَّ - الجِنينة"، أي: "يا وردة في داخل الجنينة!". أو: "يا وردْ أزهر في نيسان": "يا وردة تزهر في نيسان". و: "يا ورد الشام" "يا وردة الشام!". وأحيانًا تُستخدم الوردة الجورية (Centifolia) للاستعارة والمجاز أيضًا[376]؛ ذلك أن لمثل هذا الاستخدام للوردة في فلسطين تاريخًا طويلًا، فهذا ما يرينا إياه الترجوم لنشيد الأنشاد الذي يعوض "شوشَنّا" في النص العبري بِـ"وردا" "وردة"[377]، التي يلائمها اللون الأحمر والشذى في نشيد الأنشاد (13:5) بشكل جيد. وأقدمُ ذكرٍ لها في المدونات الفلسطينية ورد في الحكمة (8:2)، في اسم المرأة Ῥόδη في

---

(374) Murr, *Pflanzenwelt*, pp. 242, 246, 248, 256f.

(375) Löw, *Flora* III, p. 193,

يقول ربما، بحسب بوست، أنها تنمو في البرية على نطاق واسع في فلسطين وسوريا، ولكن هذا قد يكون صحيحًا بالنسبة إلى لبنان وحده.

(376) تُنظر مثل هذه الاستخدامات للوردة:

Dalman, *Pal. Diwan*, pp. 246, 254, 258f., 285; Stephan, *Modern Paralles*, pp. 10, 35.

(377) يُنظر أعلاه، ص 360.

أعمال الرسل (13:12)، والتي قد تناظر "وردا" الآرامية. وفي شكلها العربية، لا تزال ترد حتى اليوم كاسم مؤنث، وربما في سفر أخنوخ (16:82)[378]، وربما تجد الشريعة اليهودية نفسها مضطرة أحيانًا إلى تسمية الوردة "وِرَد" أو "وَرد"[379]، لأنها قد تسمى أحيانًا "شوشَنّا" (يُنظر أعلاه، ص 354)[380]. وثمة قول آرامي مأثور هو[381]: "مِن سَنيا نافيق وردا"، أي: "من شجيرة الشوك تأتي الوردة". وكما أنقذت زهرة ورد ("شوشَنّا شِلِّوَرد") وحيدة حديقة ثمار بأكملها من خراب مستحق، هكذا أنقذ رب إسرائيل العالم بأكمله بقوانين تخدم المصلحة العامة[382]، وبحسب مُر[383]، كانت للوردة الشامية عند اليونانيين صلة وثيقة بأفروديت، وللوردة الجورية (Centifolia) صلة بديونيسيوس؛ فمن دم أفروديت ربما نشأت تلك الوردة، بحسب بيون[384] وGeoponica XI 17. وإذا كانت قصة تركية قديمة تُرجعها إلى عَرَق [النبي] محمد[385]، كما نشأ النرجس من لُعابه[386]، فهذا يُظهر لنا أن علاقات النباتات مع الآلهة والأبطال المعروفة في الأزمنة القديمة قد جرى نقلها لاحقًا إلى أقطاب آخرين. كما أن التسمية المعاصرة لبعض النباتات على اسم "العذراء" مريم، لا يمكن فهمه إلا على هذا النحو؛ فهناك أسماء مثل "كَفّ العَذرَى" (Anastatica hierochuntica) و"بزاز العَذرَى" (Helichrysum sanguineum) و"زِرّ العَذرَى" (Orchis papilonacea)، وكذلك "بَخّور مَريم" (Cyclamen latifolium وPallenis spinosa) و"مِريَميّة" (Salvia triloba)، وكلها تنتمي إلى هذه البلاد. أما عيد الورد الذي سنشير إليه في III 12،

(378) يُقارن أعلاه، ص 331.

(379) Schebi. VII 6. 7, Maaser. II 5, Sabb. XIV 4

(ماء ورد)،

Tos. Schebi. V 3, Sot. XV 8.

(380) يُقارن:

PJB (1925), pp. 92f.

(381) Schir R. 1, 1 (2ª).

(382) Vaj. R. 23 (61ª), Schir R. 1, 1 (2ª).

(383) Murr, *Pflanzenwelt*, p. 81.

(384) يُنظر أعلاه، ص 354.

(385) Niclas, *Geoponica* (Leipzig, 1781 ed.), p. 815 Anm.

(386) يُنظر أعلاه، ص 252.

فيفترض مسبقًا علاقة بين الوردة ومريم كوردة باطنية (Rosa Mystica) [لقب مريم في النذر المريمي عند الكاثوليك][387]. وربما كانت أفروديت، وقبلها عشتروت، وكذلك الـ"عفريتة" في "سِراج الغولِة" (Crocus وColchicum)[388]، فقد يستذكر المرء بيرسيفون، تمامًا كما يستذكر أدونيس - تموز في "نُعمان" في "شقيق النُعمان" (ص 353). وهذا كله ليس إلا بقايا مما كان يومًا ما في فلسطين الوثنية واجتثته اليهودية والمسيحية ثم الإسلام. بعل وعشتروت وتموز وحدد - رمون، وبعد ذلك آلهة وآلهات اليونان، لا بد أن كانت لها أزهارها، حيث إكليل الزهور المقدس الوثني في التلمود الفلسطيني[389] هو شاهد لاحق على ذلك.

أزهار ربيعية أخرى

يمكن اعتبار اللباد الأبيض (Cistus villosus وsaliviifolius، بالعربية "لُبّيد") تعويضًا عن الوردة التي تكاد تغيب عن الحياة النباتية البرية في فلسطين. وفي مشهد الشجيرات الخفيضة في جميع أجزاء فلسطين، يظهر زهر وردي أو أبيض فوق آجام الشجيرات ذات الجذوع يصل قطرها إلى 6 سم، وله أوراق لزجة لبادية التي ربما كانت السبب وراء اسمه العربي (يُقارن الكلمة العربية "لِبد"، "لباد"). ويذكّر الاسم العربي بِاللغة اللاتينية Ladanum, Labdanum، واليونانية *λαδανον*، وهو اسم المادة التي تفرزها الأوراق، والتي لا تزال معروفة كعقار ذي رائحة طيبة، ولكن استحلابه ما عاد يجري في فلسطين. وفي الفهرس، يجعله بيرغرين[390] "لادَنَة"، ومايرهوف (Meyerhof)[391] "لادِن". وبالعبرية "لوط"، ويستخدمها الترجوم "لِطوم"[392]، وتظهر ربما في التكوين (25:37، 11:43)،

---

(387) يُقارن أعلاه، ص 56.

(388) ص 98.

(389) J. Ab. Z. 43d.

(390) Berggren, *Guide*, p. 856.

(391) Berggren, *Bazar der Drogen und Wohlgerüchte in Kairo*, no. 452.

(392) يُقارن العربية "لَطيم": "عطر". ويفكر سعديا في الكستناء ("شاهبلّوط") الغريبة على فلسطين، واستخدم "لاذن" في الخروج 34:30 في مقابل الكلمة العبرية "شِحيلت".

حيث انتقلت الزهرة إلى مصر من شبه الجزيرة العربية وفلسطين. ويذكر هيرودوت (III 112) وديسقوريدوس (I 97)، الذي ينتزعه المرء من شعر التيوس التي رعت بين نباتات اللباد (Cistus)[393]. وكان ديسقوريدوس يدرك الخيوط التي يشدها المرء فوق هذه النباتات، ثم يحررها من العصارة العالقة بها. وقد وجد تورنفورت (Tournefort)[394] أن هذه الطريقة لا تزال تُستخدم في كريت، حيث تُشد أشرطة مربوطة بقوس ذي مقبض طويل فوق النباتات، ثم تُقحَط العصارة بسكين؛ ذلك أن *λαδανον* غالبًا ما تأتي من الجزيرة العربية، وهذا ما يذكره ديسقوريدوس، كما أن هيرودوت ينسبها إلى الجزيرة العربية. ووفقًا له، يدخن العرب تلك النبتة، وهذا يلائم فرضيات السند التوراتي.

إن نبتة الخطمي (Alcea setosa وlavateraefolia) التي تزين الحدائق [في ألمانيا]، تعلو فوق اللباد؛ فهي تتمتع بزهر كبير، وردي، نادر، أحمر غامق، وتزين في بداية أيار/ مايو الأودية التي باتت في طريقها إلى الجفاف. ولذلك يُطلق العربي عليها اسم "عُوينِة البقرة"، أي "عين البقرة" ويميزها من "عين القطة" الخاصة بأدونيس الفلسطيني (ص 356). وحين يُطلق عليها "خُطمية الـ"طويلة الذيل"، فربما يريد الإشارة إلى طولها. وبالقرب من القدس، تنمو شقيقتها الأقصر (Alcea acaulis)، ولكن شجيراتها المرتفعة في وادي "فارَة"، وبالقرب من الناصرة، وبشكل خاص في "وادي الحمام" على بحيرة طبرية وفي "وادِ شُعيب" في "البلقاء"، تبقى على صلة وثيقة بالمشهد الطبيعي.

مع كل ما ذُكر من زهور حتى الآن، فإن زهر ربيع فلسطين لمّا ينضب بالطبع؛ فهناك في الأرض الصخرية زهر السكلامون (Cyclamen latifolium، ص 249 وما يليها) الذي يظهر في الأودية الحارة في الشتاء ويحظى بأسماء كثيرة، منها "بخور مريم" كما يسميّه بوست. وقد دونتُ له في مناطق مختلفة من البلاد اسم "دويك الجبل" و"قرن الغزال" و"غليون". وعند بيرغرين "أذن

(393) الأمر لا يزال كذلك في قبرص، بحسب
M. Ohnefalsch-Richter, *Griech. Sitten und Gebräuche auf Cypern*, pp. 130f.

(394) Tournefort, *Relation d’un Voyage du Levant* (1718), vol. 1, pp. 29f.

الأرنب"، وهذه الأسماء كلها تشير إلى شكل الزهر، "سقوقة" و"سقيقة" مقارنة بشقائق النعمان، "زوزو"، "صابونة الراعي"، ربما بسبب شكل الجذر، وبالنسبة إلى الجذر نفسه فهو "رَكَف". إنها ليست زهرة مروج ومراعٍ، بل إنها تحب الاستقرار في إصبع الكتل الصخرية وفي شقوقها وثقوبها، حيث تتفتح أوراقها بشكل رقيق، ذات باقات لزهرها العطري الأبيض والأحمر. وفي جماله غير الزهو بنفسه، مثل ذلك الذي فقده بخور مريم في دفيئاتنا، يأتي إلى الأودية الصخرية في المنطقة الجبلية التي عادة ما تكون جافة. وفي محيطه، وإن كان بدرجة أقل، يوجد البلبوس الوبري (Muscari comosum) ذو اللون الأزرق الغامق، وهو "بُصّيلة" أو "بَصَل فِرك" ينتمي مع نباتات بصلية أخرى مثل العنصل البحري والبلفية (Bellevalia)، و"خزيمة" إلى صنف الخزامى (Hyacinth) وإشقيل (Scilla) والسحلب والأفريس. ولأنه يدعى "ثومة الرعيان" "ثوم الرعاة"، فمن المحتمل أن الرعاة كانوا يأكلونه. وتعلو أكثر الـBellevalia trifoliate (بالعربية "بُصّيل غزال"، "بيصَلان"، "عَنيسِلة") والتي تظهر في الأودية الدافئة في شباط/ فبراير. وتقترب "عَنيسِلة" من العنصل البحري الصغير أو البَرْوَق ("عَنسل"، "عُنصُل") وكبصل غزال ("بُصّيل غزال") تقترب من العنصل البحري أيضًا[395].

وإلى المشهد الطبيعي المفتوح تنتمي الزراوند (Aristolochia maurorum، بالعربية "اِذوينة"، أي "أذن صغيرة"، "اِخصيوة"، أي "خصية صغيرة") التي تظهر في بداية آذار/ مارس، وتجذب الانتباه إلى زهرها الأصفر الضارب إلى السمرة ما يذكّرنا بغليون التبغ. وثمة، بشكل خاص، رِجل الأسد (Leontice leontopetalum، بالعربية "بُرجُم حَمام"، أي "سجع الحمام"، "قُرقيعة"، أي "سلحفاة"، "فُقّيعة")[396]، وفي لبنان "خميرة آذار"، التي تظهر في أوائل آذار/ مارس كعشب حقلي، وتُظهر أسماؤها إلى أي حد تحظى بالاهتمام. وقد أبهجتني في ربيع 1925 عناقيدها ذات الزهور الكبيرة اللامعة الصفراء، ولاحقًا ثمارها الغريبة التي كانت ربما السبب وراء الاسم "سجع الحمام"؛ لأن الجذور تُستخدم

---

(395) ينظر:

Ibid., pp. 96f., 249f.

(396) Löw, *Flora* I 1, p. 288,

"طُقّيع".

كصابون ودواء، وهذا ما يذكره لوف. إلا أني أعرف اسم "أسلج"، الذي يذكره لوف في صيغة "عسلج" كاسم لعشبة عرق الحلاوة (Saponaria officinalis). وفي نيسان/ أبريل يُزهر في المنطقة ذاتها، بوفرة كبيرة، الأقحوان (Chrysanthemum segetum وcoronarium) المعروف لدينا والذي تشع نجومه الصفر الكبيرة عن بُعد، وكانت في مصر القديمة تُحترم كزهرة إكليل[397]. إن اسمها "بيسوم"، بحسب اللغة الآرامية، من الممكن أنه كان للاسم صلة بشذاها القوي؛ فربما يفكر العربي بِـ"ابتسامتها". ومثل "الدحنون الأصفر" أو "الورد الأصفر"، فهي "صفراء" مشمولة، كصنف واحد، مع شقائق النعمان والورد. وفي حال "ارقيبة الجمل"، أي "رقبة الجمل"، ربما لا يؤخذ غير اللون في الاعتبار.

وإلى آذار/ مارس ونيسان/ أبريل ينتمي اليمرور الأزرق أو القنطريون الكحلي (Centaurea cyanoides) الذي يتفوق لونه الأزرق الغامق على لون نبتتنا. ويطلِق المرء عليها اسم "شَبِّة"، لأن لونها يجعلها ملائمة للحماية من العين مثل الشبّة. وللسبب نفسه استخدمها المصريون أكاليل تحنيط[398]. وبلا ريب، فإن القنطريون الفلسطيني ليس عشب حبوب مثل القنطريون الذي لدينا، والذي هو على صلة وثيقة به على الرغم من أن ذلك كان يتم ادعاؤه أحيانًا، بل ينتمي إلى مشهد الشجيرات الخفيضة، في حين أن خرم الحنطة (Agrostemma Githago) الذي بالكاد تظهر أوراق زهره الضاربة إلى الحمرة، يظهر في الحقول هنا أيضًا. وقد سبق أن ذُكر الخشخاش والدلبوث، وهو سيف الغراب، كأعشاب حقل ضارة[399]. وينتمي الكتان البري إلى الأرض البور، وهو يظهر على شاكلة Linum pubescens، آتان زهري، بزهر رقيق وردي اللون، وكـLinum flavum، آتان أصفر، بلون أصفر فاتح، ويدعى بالعربية "حبيبة" ربما لصغر ثماره. وفي الحقول غير المفلوحة، ينمو الخردل الأصفر والأبيض (Sinapis arvensis، وalba، بالعربية "خردل"، "لِفّيتة") الذي قد يصل ارتفاعه إلى متر واحد، وهو ما يدفعنا إلى التذكير بكلام يسوع عن الطيور التي تعشش في أغصان شجيرات الخردل

---

(397) Keimer, *Gartenpflanzen*, vol. 1, pp. 10ff.

(398) Ibid., p. 8.

(399) ينظر:

Ibid., pp. 355f., 363f.

(متى 13:32؛ مرقس 4:32؛ لوقا 13:19)، على الرغم من أن المسيح تحدث عن الخردل المزروع الذي لم أشاهده في أي مكان؛ ذلك أن الخردل البري الأسود (Brassica nigra) الذي أسماه أحد الأشخاص على بحيرة طبرية "شَجَرة الخردل"[400]، يصل ارتفاعه حتى مترين، وهو ما لا يُعدّ تفسيرًا كافيًا. ولكن من المحتمل جدًا أن الخردل كان الأطول بين نباتات حديقة الخضروات، وانطلق عاليًا على بحيرة طبرية بشكل غير مألوف. وبكثير من المبالغة، يروي الحاخامون أنه قد أمكن تغطية كوخ فخار في الجليل بثلاثة غصون من شجيرة خردل، وأن المرء يستطيع الصعود على عودها كما لو كان يفعل ذلك على شجرة تين[401]. وعلى جوانب الحقل، كما في ألمانيا، تُبهج الهندباء البرية (Cichorium Intybus، بالعربية "عِلك"، "عِلت"، "هِندِبة") بزهرها الأزرق الفاتح، والتي لها شأن بين الأعشاب الصالحة للأكل[402]، ولذلك تُزرع أحيانًا. وتقف البليحاء النحيلة، بلونها الأبيض أو الأصفر، ومن دون رائحة (Reseda alba وlutea، بالعربية "حَصادة"، "سليح")، والتي تُعتبر في اليونان صالحة للأكل[403]، وكذلك ربحلة أو حبردول البرية (Scorzonera papposa، "ذِبَح"، "ذِبَّح"، "ذِنبَح") ذات اللون الأرجواني ونجوم زهر أنيقة. وأنواع اللوف (Arum dioscoridis وpalaestinum، بالعربية "لوف"، "زِبّ العبد"، أي "العضو التناسلي للرجل الأسود"، "ذان الفيل"، أي "أذن الفيل")، لها صلة بنبتة الكالة التي عندنا، بعناقيد زهرها الأرجواني الأسود في وسط غمدٍ أكثر طولًا، يذكّر داخلها بمخمل

---

(400) يمكن البدوي، وبلا ريب، أن يُطلق على كل شجيرة "شجرة".

(401) j. Pea 20b, يُقارن: Siphre التثنية 317 (136أ)، Midr. Taan عن التثنية 13:32 وما يلي، b. Keth 111b, حيث يجري في الرواية الثانية استبدال الخردل بالملفوف.

(402) يُنظر أعلاه، ص 340، 346.

(403) Heldreich, *Nutzpflanzen Griechenlands*, pp. 48, 79.

غامق. وهذه النبتة يجب التعامل معها كحالة خاصة، لأنها صالحة للأكل، وهو ما سبق لليهود أن عرفوه[404]، وستكون للفلسطيني أكثر أهمية من مظهرها الخارجي. وكان المرء يحسبها في السابق فعالة ضد لدغة الحية[405].

وحتى في الجزء الأعلى من صحراء يهودا، يغطي المكان خردل (Erucaria aleppica، بالعربية "سليح" أيضًا) ذو زهر ليلكي رقيق. وفي بساتين الفاكهة، تشكل Malcolmia crenulata وSilence atocion (بالعربية "أحليوان"، "اِرقيقة") الخفيضة، بساطًا وردي اللون، وتمثل تعويضًا مليحًا للمروج التي نود توقعها هناك. وثمة شجيرات أقل لطافة هي شجيرات الشنجار الشَعرية الشائكة تقريبًا (Anchusa undulata وstrigosa، بالعربية "حِمحِم"، "لسان الثور" ذات الزهر الأزرق والأبيض، والسمفوطن (Symphytum orientale)، ويُسمى أيضًا "لسان الثور") المتفتح بياضًا على حواف الحقول وبساتين الفاكهة. وهناك زهر أصفر يُظهره البنج الشَعري أيضًا (Hyoscyamus aureus، بالعربية "بِنج"، "قليط[406] الراعي"، "مُصّيص"[407])، وهو الذي ينمو على الجدران القديمة من الشقوق الحجرية، ولذلك احتُسب، ليس دونما مبرر، على أنه زوفا يخرج من الحائط (الملوك الأول 13:5).

ومن النبات الشفوي [من الشفة] ذي الرائحة التوابلية التي تتخذ لها مكانًا مهمًا في حياة فلسطين النباتية، هناك أنواع كثيرة من المريمية التي تزهر في الربيع، ومن بينها ميريَميِّة أو قصعين (Salvia triloba) ذات عناقيد الزهر البنفسجية على شجيرة مرتفعة، وهي ليست الأكثر غنًى بالألوان، ولكنها الأكثر شيوعًا، حيث تدعى في الشمال "عيزَقان"، وفي الجنوب "مِريَمية"، "ميرَمية"، رابطين إياها بمريم العذراء. وهي تُعتبر كمن تتمتع بقوى شافية[408]. وفي الماضي كان يُنسب إليها تأثير مثير للشهوة الجنسية، ويُنظر إليها كدافع للبلاء[409].

---

(404) يُنظر أعلاه، ص 345.

(405) Murr, *Pflanzenwelt*, pp. 181f.

(406) هل الأصح "قليعت" أم "قِلعيط"؟

(407) هذا اسم جمعي للعديد من النباتات التي حين يتم مص زهرها "مَصّ"، تمنح بعض الحلاوة.

(408) وضعها مايرهوف في الترتيب رقم 217 على قائمة عقاقيره الخاصة بالقاهرة.

(409) Murr, *Planzenwelt*, p. 198.

من بين مظاهر الإزهار في الربيع المتأخر، يبقى الكلخ الكبير (Ferula communis، بالعربية "كِلخ") هو الأكثر فخامة وجلالًا، والذي يتبختر بزهره الخيمي بين كتل البازلت في الجليل وفي أطلال قيسارية القديمة، على عود يصل ارتفاعه حتى مترين. ويبلغ سُمكه 3.5 سم، وحالما يتخشب يتجاوز الخريف والشتاء ويبقى نضرًا[410]. وبحسب قدماء الإغريق، أحضر بروميثيوس نارًا من السماء بمثل هذا العود (ναρθηξ)، الأمر الذي خدم صولجان ديونيسوس وكذلك أتباعه، لأنهم استخدموا هذه العيدان، وأشعلوا النار في لبها، مستخدمين الطريقة نفسها التي كانت لا تزال مستخدمة في الشرق في القرن الثامن عشر[411]. وقد استخدمه الرومان في جلد التلاميذ والعبيد والمواشي بنعومة[412]. وعن مثل هذا الاستخدام في فلسطين اليوم لا أعرف شيئًا. وحين يذكر زكريا (7:11) عَصَوَي الرعاة، واحدة "رقيق"، والثانية "ويل"، حينئذ يستطيع المرء تخيُّل أن إحداهما ربما كانت سويقة والثانية عصا بلوط.

لكن لا أحد يستطيع تخيُّل نباتات الربيع في البلاد من دون النباتات الشائكة التي سبق أن جرى التعرض لبعضها في ص 340، من منظار التغذية؛ فهناك Centaurea pallescens (بالعربية "مُرّير"، "دُردار") ذات زهر أصفر وأرجواني، وNotobasis syriaca (بالعربية "خُرفيش الكبير") ذات أوراق عريضة بيضاء العروق، وزهر أحمر Silybum Marianum ("خرفيش الجمال") ذو الزهر الوردي، خاصة الملكة العظيمة بين النباتات الشائكة، الخرشوف البري (Cynara syriaca، بالعربية "خُرفيش الحمير") ذات رؤوس الزهر البنفسجية. وهناك أيضًا شوك الجمال الأزرق (Echinops viscosus، بالعربية "عِرث") الذي يجذب العين، ويحافظ على بقائه حتى في الصيف على حواف الحقول وفي البرية. وأقل بهجة هو القراص (خصوصًا Urtica urens وpilulifera، بالعربية "قُرّيص" "الوخاز"، في

---

(410) يُقارن ص 56.

(411) Murr, *Planzenwelt*, p. 231;

حتى اليوم في قبرص، بحسب

Ohnefalsch-Richter, *Griech. Sitten*, p. 288.

(412) Mart. X 62, Horaz, Sat. I 3, 120, Ovid, Art. Am. I 546.

لبنان "زَغليل"، "حُرّيق"، "بنات النار") والتي تميل إلى أن تكون لها اليد العليا في الحدائق غير المعتنى بها، ولذلك تطابق بشكل جيد الـ"قِمِّسونيم" في الأمثال (31:24) في بساتين الفواكه وحقول الكسلانين، والـ"قِمّوس" في إشعيا (13:34) في بلدة مدمرة، والتي ترجمها سعديا بِـ"قُرّيص"[413].

وإلى النباتات الشوكية تنتمي الأشواك، ومن بينها المرقئة الشوكية (Poterium spinosa، بالعربية "نِتش"، في الشمال "بِلان"). وهي تغطي أجزاء كبيرة من المشهد الطبيعي للشجيرات الخفيضة بأوراقها القصيرة التي لا يعوزها شوك قد يصل طوله إلى 2 سم. ويميل لوف[414] إلى المساواة بينها وبين "سير" العبرية التي تغطي الأرضية في الآثار المهجورة (إشعيا 13:34) والملائمة لإغلاق الطرق (هوشع 8:2)، وكوقود أيضًا (نحميا 10:1، الجامعة 6:7). والاستخدام الأخير كثير الحدوث في حال البلان الجاف، فهو مادة الوقود الأكثر أهمية لأفران الجير (بالعربية "أتّون"، "لَتّون"). إلا أن هجرته إلى الخرائب يحصل بشكل بطيء[415]. وشجيراته هي في واقع الأمر أصغر من أن تُستخدم لإغلاق طريق، على الرغم من أن استخدامها يجعل من تسلق الجُدُر الحجرية الخشنة أكثر صعوبة للإنسان والحيوان. ولا يمكن استخدام أشواكها الضعيفة أبدًا عند استعمال ألـ"سيريم" خلال البتر، كما يفترض المشنا[416]، "سير"، كما في حال "شوك" العربية، يجب أن تُدرك على أنها نباتات شوكية بالمعنى الأوسع، ولا يمكن في أي حال استثناء شجيرات العوسج ذات الأوراق الصغيرة والواسعة الانتشار (Lycium europaeum، بالعربية "عوسج"،

---

(413) في الأمثال 31:24، حيث تظهر كلمة "خَرولّيم" إلى جانب "قِمِّسونيم"، يفكر سعديا بالكلمة العربية "حِرشَف" التي يجب موضعتها مع اسم النبات الشوكي "خُرفيش". أما الجلبان التي يقترحها: Löw, *Flora* II, p. 437

لِـ"خارول"، فهي غير واردة، لأن المرء لن يستخدمها كمثل على عشب قبيح.

(414) Löw, *Flora* III, p. 192.

(415) في ما يتعلق بِـ"سِنّارية" مقابل "سير" في إشعيا 13:34، يفكر سعديا، وليس دونما مبرر، بِالنبات الشائك الكبير Scolymus hispanicus.

(416) Kerit. III 8.

"عِسّيج"، "عَسوَج"، "سَوّج"، وكذلك "عَرقَد")[417]. وفي السهل الساحلي وغور الأردن يمكن التفكير، كبديل من العوسج، بشجرة السدر الشوكية (Zizyphus Spina Christi، بالعربية "سِدر"[418]، بالعبرية "ريم"[419]) ذات الصلة القريبة بالنبق (Zizy Lotus، بالعربية "عَرقَد"، "رُبّيض") وهي شجيرات. وكلمة "حيْدِق" (ميخا 4:7؛ الأمثال 19:15؛ Erub X 8)، التي هي الأخرى شجيرة أسيجة، سبق أن قارنها سعديا بالكلمة العربية "حَدَق". وهي اليوم اسم Solanum coagulans الشوكية في غور الأردن نظرًا إلى ثمارها الصفراء المليئة بالعصارة الحريفة، وهي تُحسب أحيانًا، خطأً، تفاحة سدوم ليوسيفوس[420]. ولأن هذه النبتة الشوكية غريبة كليًا عن المنطقة الجبلية، يبقى من غير المؤكد إذا كانت الكلمة العبرية "حيْدِق" تشير إليها. أما أي نوع من الأشواك كان تحت تصرف الجنود الرومانيين لصنع إكليل شوك المسيح (متّى 29:27؛ مرقس 17:15؛ يوحنا 2:19)، بالمسيحية الفلسطينية "كِليل مِن كُبّين"، فلا يمكن قول ذلك كحقيقة لا يدنو إليها الشك. وتُستثنى شوكة المسيح لأنها نادرة في القدس ومحيطها، أما النتش أو البلان، فهي أغصان غير قابلة للانحناء. وربما كان العوسج ممكنًا هنا، لكن المقصود، على الأرجح، نبات شوكي على غرار القنطريون الممتد (Centaurea pallescens)[421].

---

(417) يُقارن ص 64.

(418) يُقارن ص 79.

(419) Dem. I 1, Kil. I 4,

("نِبق" العائدة إلى ابن ميمون، كانت إضافة إلى "دوم"، اسم ثمرة الـ "سدر")، يُقارن:
Löw, *Flora* III, p. 137.

ويذكر سعديا "سِدر" بدلًا من العبرية "نَعصوص" (إشعيا 19:7، 13:55)، التي يستخدمها ابن جناح للكلمة العربية "نُعض"، والتي هي بحسب
Schweinfurth, *Arab. Pflanzennamen*, p. 183, Mentha sylvestris,

في حين أن بطرس البستاني يصفها كشجرة شوكية في الحجاز، يسوك المرء بها الأسنان وبلحائها الداخلي يدبغ، والتي لا تتوافق مع Mentha sylvestris في فلسطين "نعنع". وربما كانت اسمًا للـ Acacia tortilis, Seijal (يُقارن ص 79)، حيث يستخدم لحاؤها للدبغ ولا يعوزه الشوك. يُنظر:
Jacob, *Altarab. Beduinenleben*, pp. 13, 153.

(420) يُنظر ص 79.

(421) يُقارن:

Dalman, *Orte und Wege Jesu*[3], pp. 262ff.

كاستعراض للنباتات التي ذُكرت حتى الآن، من الممكن أن يقوم بالمهمة، بادئ الأمر، وصفٌ قمت بتدوينه في سنة 1910 في القدس[422]: "كم كانت أرضنا الجميلة غنية بالزهر هذه المرة! ما من أحد منا سينسى ذلك الوادي الزاهي بين عنبتا ودير الغصون في السامرة الذي مررنا به راكبين في 19 آذار/ مارس. على رأس الزهور وقف هنا الكتان القرنفلي (Linum pubescens)، ولسان الثور الأحمر- الأزرق (Echium sericeum). وتألق في وسطها الحوذان الآسيوي الأرجواني - الأحمر ونوعان من الأدونيس (الأدونيس الفلسطيني والأدونيس الحلبي)، وكانت زهرة الحواشي (Veronica didyma) الأرجوانية - الزرقاء هي الأكثر تواضعًا، ومن الأزرق الغامق القنطريون الكحلي (Centaurea cyanoides). شجيرات كبيرة من الفربيون (Euphorbia، ربما thamnoides)، أقحوان كبير (Chrysanthemum coronarium) ذو اللون الأصفر، وذو اللون الأبيض كان كعب الغزال (Scabiosa prolifera) الزهرة التي تشبه زهرة النجمة. ومن شقوق الصخر يلوح ذلك المتأخر في الإزهار، أي بخور مريم الضارب إلى الحمرة. كما أننا نستذكر المراعي الأرجوانية التي يغوص فيها بشكل مكثف الترمس البري (Lupinus pilosus) بين الحقول المزروعة أمام "سِبسطية" ومنحدرات جلعاد التي مررنا بها في 3 نيسان/ أبريل، حيث في "وادي السليحِ" إبرة الراعي الزرقاء الطافئة (Erodium gruinum)، والمريمية الأرجوانية - الزرقاء ذات الأوراق الصغيرة البنفسجية في نهايات السويقة، وفي "وادي رميمين" لسان الثور (Anchusa officinalis) الأزرق السماوي، والخردل الأرجواني اللون (Erucaria aleppica)، ولسان الثور الأحمر - الأزرق (Echium sericeum) الذي شكل بساطًا جميلًا يتحابك فيها السوسن البنفسجي الغامق (Iris sari) والتوليب الأحمر الناري (Tulipa oculi solis)، الحبردول (Scorzonera papposa) الأحمر الرقيق. وفي 6 نيسان/ أبريل بقي السليح وحده في صحراء جنوب الضفة الغربية. في ذلك الوقت، كان البَرْوَق قد ذَبُل. ولكن في الأودية وقف الرتم الأبيض (Retama raetam، بالعربية "رِتِم")، الذي اضطجع إيليا ونام ذات يوم تحته لانعدام مكان أفضل (الملوك الأول 19:5) (يُقارن ص 255) بكامل حلته من الزهر الأبيض.

---

(422) *PJB* (1910), pp. 23f.

وليس صحيحًا أن يستنتج المرء من مثل هذا الوصف أن المشهد كان هكذا في كل مكان؛ ليس في أي هضبة ولا في أي وادٍ ذي مروج خضر مليئة بالزهور حيث كان على الراعي اصطحاب قطعانه أولًا إليها (إشعيا 2:23). ولأن تناقضها مع الرتابة والقحط المعتادين على نطاق واسع، يُبقي العين والقلب مجذوبين إليها طوال الوقت، كما يؤكد سيراخ (22:40): "جمال (الإنسان) وبهاؤه تشتهيهما العين. لكن، العين تشتهي أكثر منهما نبات الحقل".

كان ذلك في أوائل الربيع، حين سافرت في 4 آذار/ مارس 1925 آخر مرة بالقطار إلى القدس. وكانت شقائق النعمان والبروق ترحب بي في السهل الساحلي. وفي الجبال، كان بخور مريم، إضافة إلى شقائق النعمان، الزهر الأكثر لفتًا للانتباه. وورد القريضة كان قد بدأ للتو يُطلق أزهاره. وعلى المنحدرات الصخرية أظهر البلان وريقاته الصغيرة جدًا وعناقيد زهر صغيرة. ولكن بين أشجار البلوط والبطم والخروب والقيقب، كان الرتم الشوكي (Calycotome villosa) الذي كانت شجيراته مغطاة بالكامل بزهر أصفر يحمل الاسم العربي "قَندول"، "قُنديل"، ويُشع بأقصى ما يكون. وهنا كانت صرامة منطقة الشجيرات المظلمة مسيطرة على مقربة من كتل حجرية وحصى أبيض للجداول الجارية، وللجُدُر الصخرية المضيئة التي تحيط أحيانًا بالمنحدرات. كل وادٍ في جبال سيليزيا [مقاطعة أصبحت جزءًا من بولندا بعد الحرب العالمية الثانية]، حيث أكتب هذا الكلام، يتفوق على وادي الطريق نحو القدس بغناه وترفه. ولكن هذا لم يكن لينتمي إلى البلاد ذات التاريخ المقدس، لو كانت خلاف ما هي عليه؛ فعلى الباحث في الكتاب المقدس أن يتعلم كيف يرى ربيعه عندما يعيشه بعد صيف جافٍ وحارٍ وخريف، كذلك بعد شتاء ماطر وبارد هنا في بلد الجير في شرق المتوسط.

ط. زهر الشجر وأوراقه

لا يملك الربيع الفلسطيني في بساتين الفاكهة ("كروم") زهر شجر معين يهيمن على مظهره، كما يفعل لدينا [في ألمانيا] زهر الكرز والخوخ والتفاح والإجاص، الذي يوجد بدوره في فلسطين، لكن ليس بأعداد كافية. ومع ذلك

يوجد هنا زهر لا يمكن إغفاله؛ فمن قبل، وفي الشتاء، كانت شجرة اللوز بزهرها الذي نوّر قبل ورقها، سبّاقة إلى ذلك (ص 255 وما يليها). وحتى في بداية آذار/ مارس لا يزال في الإمكان رؤية شيء من ذلك، ولكن عند نهايته تصبح خضراء. ومن بداية نيسان/ أبريل فصاعدًا تنمو الثمار التي يمكن بعد ذلك بشهر، وهي لا تزال خضراء بعد، تناولها باستمتاع في الجبال كبواكير سنة الثمار الجديدة. ومن قبل، وحتى في آذار/ مارس، تكون قد ظهرت في أسواق دمشق العوجا[423]. وفي منتصف آذار/ مارس يكون الإجاص (Pyrus communis، بالعربية "نجاص") والخوخ (Prunus domestica، بالعربية "أجاص"، "خوخ"، "سُوّيد")، ومن بينها Prunus Cerasia (بالعربية "قراصية")، والتي لثمرتها الحامضية ذات الشكل الكرزي الأزرق الداكن شأن خاص في المطبخ[424]، في ذروة إزهارها، وحتى لو كانت لا تزال بلا ورق. ومعها أيضًا شجرة الكرز (Prunus Cerasus، بالعربية "كرزة") والتي أتذكرها بالقرب من القدس في "عين يالو" في وادي سكة الحديد، وشجرة التفاح النادرة (Prunus malus، بالعربية "تُفّاح") التي سبق للمدراش أن ذكر أن زهرها يظهر قبل أوراقها بِـ 50 يومًا[425]، أي قبل ظهور الثمار في سيوان [في التقويم العبري][426]. وكان ممكنًا حين يصادف عيد الفصح [اليهودي] مبكرًا أن يحمل المرء في يده باقة من فروع مزهرة من هذه الأشجار[427]، كما يتحدث سيراخ (8:50) عن أيام العيد تلك، فهو ما لا يمكن إنكاره، على الرغم من أن المرء ربما فضَّل التفكير بعيد [الحصاد عند اليهود، والعنصرة عند المسيحيين]، والذي لا يغيب زهر الرمان

---

(423) Bergsträßer, *Zum arab. Dialekt von Damaskus*, vol. 1, p. 76.

(424) "قراصية" و"بَراسية" "Allium porrum" (كراث). فالأخيرة تُدمَس والأولى تُضاف كتابل.

(425) ثمانون يومًا لدى

Löw, *Flora* III, p. 218,

هي غلطة مطبعية.

(426) Pesikt. 103^b, Schir R. zu Hsl. 2, 3 (26^a), zu 8, 5 (74^b),

حيث، كما في:

b. Sabb. 88^a,

يُزعم على نحو خاطئ أن الثمار تظهر قبل الأوراق.

(427) سيمند (Smend) وريسل (Ryssel) يفكران في ذلك بالنسبة إلى سيراخ 8:50.

الرائع عنه (يُنظر أدناه). وإلى الأشجار التي تُزهر مبكرًا ينضم في وقت لاحق المشمش (Prunus armeniaca، بالعربية "مِشمِش") الذي يكثر حاليًا في البلاد، مع أنه كان غريبًا على فلسطين في العهد الروماني[428]؛ ففي منتصف أيار/ مايو يظهر المشمش في أسواق القدس[429] آتيًا من السهل، وهو ذو عصارة مميزة، ولكن ما كل امرئ يجدها مريئة، لأنها حامضة، والتي يبدو أن القول المأثور كثير الاستعمال: "بُكرة في المِشمِش": "غدًا عندما يكون هناك مشمش"، أي بعد وقت لا يُمكن التنبؤ به. إن شجرة الخوخ (Prunus persica، بالعربية "دُرّاق"، "خوخ") أكثر قدمًا في فلسطين، ولكن ليست واسعة الانتشار، ويتم إحضار المشمش إلى أسواق القدس من "أرطاس" بشكل خاص. ويُسميه المشنا "بِرسيقا"، ج. "برسيقين" ("أفِرسيقين")[430]، كما يُذكر السفرجل (Pyrus cidonia، بالعربية "سفرجل") بكلمة "باريش"[431]، والذي يُزرع بكثرة، لكن ثماره بالكاد تكون صالحة للأكل نيئة.

تتميز جميع الأشجار التي ذُكرت حتى الآن تقريبًا بأن زهرها يظهر بشكل كلي قبل أوراقها، وتتخذ صورة الشجرة في وقت الإزهار. وحين يكتسي الرمان (Punica granum، بالعربية "رُمّان")[432] بأوراقه في نهاية نيسان/ أبريل، يكون قد طوّر قبل الإزهار أوراقًا حمرًا في البداية، يُقال عنها[433]: "راح الصِيام المبارك وأجَ حَد الشَعنينِ - اِوراق الرُمّان والخوخ والتينِ"، أي: "مضى الصيام المبارك وجاء أحد الشعانين وأوراق الرمان والخوخ والتين". ومع قدوم أيار/ مايو، يتفتح من بين الأوراق زهر الرمان الأحمر الساطع[434] (بالعربية "جِلنار"

---

(428) يُنظر:
Löw, *Flora* III, p. 156.

(429) Bauer, *Volksleben*², p. 171; Duhm, *PJB* (1921) p. 68; Bergsträßer, *Zum arab*, p. 76.

(430) Kil. I 4, Maas. I 2.
يُقارن:
Löw, *Flora* III, p. 161.

(431) يُنظر أعلاه، ص 61.

(432) يُقارن ص 60 وما يليها.

(433) Canaan, *JPOS*, vol. 3, p. 33.

(434) في "عين عريك" سمعت كلمة "زغلول" تسميةً لزهر الرمان.

من الفارسية)، ومن أجل رؤيته، يهبط العاشق إلى حديقة البندق (نشيد الأنشاد 11:6، يُقارن 13:4) وتدعو العاشقة عشيقها (نشيد الأنشاد 13:7). وكذلك يَعِدُ المرء الحبيب[435]: "اِزرَعلِك بِستان - خوخ ورُمان -والحارِس أنَا"، أي: "أزرع لكِ بستان خوخ ورمان وحارسها أنا". وينادي المرء عليها[436]: "مِن فوق خَدِّك جِلنار - يا رايتِ ترَفَّقِ فينَ"، أي: "فوق خدك زهر رمان، آه يا شوقي ترفق بنا!".

إن زهر الرمان، كما يفترض ذلك نشيد الأنشاد (11:6، و13:7) (يُقارن 13:2؛ التكوين 10:40)، يتزامن مع زهر (بالعربية "نُوَّار"، بالعبرية "سمادَر"، نشيد الأنشاد 13:7) الكرمة (Vitis vinifera، بالعربية "دالية") الذي يفوح عبقه في أيار/ مايو في جميع البساتين. فرائحة زهر الرمان الشديدة ولونه النابض بالحياة قد يُغريان المرء بأن يسبح بخياله بين الكرمة الواقفة على الأرض وقد اكتست أوراقَها قبل التنوير، وشجيرة الرمان الطويلة العالية، مطلقًا العنان لأفكاره لتُشغل بوقت الثمار الجديدة التي أينعت، ومن بينها، حين لا يكون هناك مشمش بعد، العنب غير الناضج الذي لا يزال حامضًا (بالعربية "حِصرُم"، بالعبرية "بوسِر"، إشعيا 5:18، ينقلها سعديا "حُصرُم")، والذي يجب تمييزه من العنب غير الناضج والمصاب بالضمور (بالعبرية "بِعوشيم"، إشعيا 4:5، سعديا "زُوّان"، بعربية اليوم "عَرموش"، "دَمدَمون").

ولا تفتقر كروم العنب أبدًا إلى أشجار التين التي يترك المرء دوالي العنب أحيانًا تتسلق عليها؛ فشجرة التين (Ficus carica، بالعربية "تين")، مع أوراقها التي نمت منذ مطلع نيسان/ أبريل فصاعدًا[437]، بعد فترة جرداء طويلة (ص 100، 257)، هي شاهد عيان إلى حد بعيد على قدوم الصيف ونهاية الشتاء (متّى 32:24؛ مرقس 28:13؛ لوقا 29:21 وما يلي). وهي بالنسبة إلى الآخرين

(435) Dalman, *Haupt-Festschrift*, p. 377.

(436) Dalman, *Pal. Diwan*, p. 259.

(437) في 25 آذار/ مارس 1908 وجدت التين في الخليل بالكاد قد أينع. أما اللوز والزعرور البري، فكانا أخضرين.

تصوِّر القول المأثور[438]: الإنسان نَضير الشَجَرَة يَعرِ ويكتِسِ"، أي: "الإنسان مثل الشجرة يصبح عاريًا ويكسي نفسه". إن أوراق شجرة التين التي لا تماثلها في كبرها أوراق أي شجرة أخرى في فلسطين، ما جعل منها ملائمة كغطاء لعورة أول زوج إنساني (التكوين 3:7)، تشكل سقفًا كثيفًا إلى حد أن المرء، خاصة عندما تلامس الأغصان الأرض، يمكن أن يختبئ تحتها، إذا أراد ألا يزعجه أحد ولا يراه[439]. ولهذا السبب جمع الحاخام عكيفا تلاميذه تحت شجرة تين[440]، وآخر جامَعَ زوجته هناك[441]. ولايستطيع المرء الحديث عن زهر مرئي في حال كان يتحدث عن شجرة التين، لأن زهرها المذكر والمؤنث مشمولان في قرص زهري مكتنز ينمو لتخرج منه ثمرة. وتظهر السلسلة الأولى لهذه الثمرة المزهرة في نهاية الأغصان في آذار/ مارس قبل الأوراق، بحيث إن حين تنمو الأوراق على براعم السنة النضرة، يكون من بينها تلك التي لا تزال غير نامية بالكامل. وفي 22 نيسان/ أبريل 1921، بالقرب من القدس، وجدت أوراق التين قد نمت، إلا أن اكتساء أشجار التين بالورق لم يكن قد اكتمل بعد[442]. أما الثمار الغضة الخالية من العصارة ("فجّ"، بالعبرية "بَجّيم" نشيد الأنشاد 2:13)، فكان طولها 5 سم وسُمكها 3 مم، وليست بعيدة عن المرحلة التي يستمتع المرء عادة بتناولها، في حين أن بقايا الثمار من السنة الفائتة، والمتبقية طوال الشتاء، كانت قد سقطت ("سُقّيط"). وفي مثل هذا الوقت، يغنّي المرء متهللًا في بيت لحم[443]: "شَرَّق البَطِّيخ شَرَّق -والعِنَب والتين وَرّق": "لقد ظهر البطيخ، والعنب والتين اكتسى بالورق!"، والآن أصبحت الثمار الحقيقية أمرًا متوقعًا. وفي ما يتعلق بالتين، فهو الثمر المبكر الغني بالعصارة (بالعربية "ديفور"، بالعبرية "بِكّورا"،

---

(438) Berggren, *Guide*,

أدناه، Arbre.

(439) يُقارن ص 57، الصورة 11.

(440) j. ber. 5c, Koh. R. 5, 11 (96b), Schir R. 6 (62b).

(441) b. Sahn. 46a.

(442) وفي 5 نيسان/ أبريل 1921، رأيت التين بالقرب من غزة أخضر نوعًا ما، والجميز تطلِق للتو براعمها (يُقارن ص 255)، والمشمش بالقرب من خان يونس متفتحًا بلا أوراق.

(443) وفقًا لرسالة خطية من القس سعيد عبود.

هوشع 10:9) الذي نما في نهاية أيار/ مايو من الثمار الصغيرة، التي تختلف عن الثمار اللاحقة ("تين"، بالعبرية "تينيم"، إرميا 13:8) التي نضجت من براعم السنة السابقة، وليس من تلك التي نبتت في السنة الجديدة. وفي حزيران/ يونيو تأتي المذكورة أولًا إلى الـ"سوق" في القدس، أي إلى دكاكين الفواكه في أزقة السوق، وهي مرغوب فيها ثمرة غنية العصارة بشكل خاص لتناولها طازجة، ولهذا يقال عنها في إشعيا (4:28) إن "من يرى إحداها قبل بداية الصيف، يلتهمها وهي لا تزال في يده"، أي من دون أن يضعها جانبًا أو يحضرها إلى البيت. كما أن الثمرة غير الناضجة تؤكل، على الرغم من أنها بلا عصير، لأن هناك قاعدة قوامها: "أول اِثمار - بِطَوِل لِعْمار"، أي: "الثمرة الأولى تُطيل العمر"، و: "ذُقنَ حَلواك - قَبل بِلواك"، أي: "لقد تذوقنا حلاوتك قبل أن تتلفَ". إلا أن عبد الولي وجد أن القول التالي أكثر حكمة: "أولك عَلَ خير وتاليك عَلَ سَلامة"، أي: "أولك للسعادة وآخرك للسلامة!".

على هذه الخلفية يجب النظر إلى قصة لعنة شجرة التين (متّى 18:21 وما يلي؛ مرقس 12:11 وما يلي). ومن غير الممكن احتساب ذلك التاريخ الذي صادف فيه عيد الفصح، لأن إدخال أذار ثانٍ كشهر كبيس حصل بناء على رصد زراعي شعبي(444)، وبسبب ذلك يفلت من أي مراجعة لاحقة(445). وبحسب التقويم اليهودي الحالي، يمكن أن يصادف بين 26 آذار/ مارس و25 نيسان/ أبريل. ومن الممكن، في حال عيد فصح متأخر وظروف جوية ملائمة، أن توجد الثمار في عيد الفصح، وتكون في هذه الحال ثمرة غير ناضجة ("فجّ"، بالعبرية "بَجّيم"، نشيد الأنشاد 13:2؛ أيضًا سعديا "فَجّ")(446).

---

(444) وضع الحبوب وثمار الشجر وربما أيضًا الخراف والحمام، أي الأخذ في الاعتبار القرابين المقدمة في عيدَي الفصح والشعانين، كان حاسمًا، إضافة إلى الاعتدال الربيعي بحسب
Tos. Sanh. II 2:4-6; j. Sahn. 18^d, b. 11^b.

(445) Raschke, *Die Werkstatt des Markusevangelisten*, p. 121,
أمل عبثًا في الحصول على مساعدة الفلكيين، الذين يُفترض بهم احتساب عيد الفصح في سنة 37 بعد الميلاد.

(446) L. Schneller, *Kennst du das Land?*, pp. 281ff.,
فكّر أيضًا بشكل مشابه، ولكن لم يوضح أن المرء لا يُسمي قط التين غير الناضج ("فج") تين مبكر ("ديفور").

إن ورقًا مكتمل النمو على شجرة التين في وضع مُشمسٍ حارٍ على المنحدر الجنوبي الشرقي لجبل الزيتون على الطريق من العيزرية إلى القدس هو دليل على حيوية التين العادية. ووجود الثمار شيء بدهي؛ إذ إن شجرة التين، خلافًا لشجرة الزيتون، تحمل سنويًا بشكل منتظم، فإذا حدث أن غابت الثمار، حينئذ يجب اعتبار الشجرة غير مخصبة. ومنذ أن رغب المسيح في الأكل من هذه الثمرة ولم تكن الثمار الناضجة متوافرة، صار على المرء أن يأخذ في الاعتبار التقليد الشرقي الخاص بأكل هذه الثمرة أيضًا (يُنظر أعلاه). وملاحظة مرقس (11:13): "إذ لم يكن وقت التين"، قصد به التذكير فحسب، لأن الأمر لم يكن متعلقًا بثمار مبكرة كان يمكن قطفها، بل لأن غياب الثمار يجعل من عدم خصوبة الشجرة ما لا يرقى إلى الشك[447].

بالتزامن مع الكرمة، تنتج شجرة الزيتون الدائمة الخضرة (Olea europaea، بالعربية "زيتون") في بداية أيار/ مايو عناقيدها الصغيرة ذات الزهر الأبيض، والتي يسقط جزء منها دائمًا، كما يفترض ذلك أيوب (15:33)، تمامًا مثل الكرمة التي لا يتحول ثمرها الجديد كله عنبًا (بالعبرية "بوسر"، يُنظر أعلاه). والزهر على شجرة الزيتون يُمكِّن المرء من الحدس بأن النسغ يصعد من جديد ("رِبّة الأرض تِطلع")، الأمر الذي يحدث حين يكون الثمر الأخضر الجديد قد بدأ يذبل على الأرض تحتها. والريح الشرقية الحارة التي تتسبب بذلك تُصبح هي بالذات مفيدة لبداية ثمرة شجرة الزيتون التي تظهر في بداية حزيران/ يونيو[448]، في حين أن شتاءً باردًا غير ضار في أي حال بشجرة الزيتون، إلا إذا لم يتسبب تساقط شديد للثلوج في كسر غصونه[449]. أما السبب الرئيس في عدم ذكر بداية ثمر شجرة الزيتون، فيكمن في أن هذه الشجرة لا عبق ولا لون لها، وله صلة بكون حقل الزيتون ("كَرم زيتون") بثمره المر الذي عادة لا تُزرع فيه الكرمة أو الرمان أو التين، مكانًا أكثر جدية من كرم العنب ("كرم عِنِب").

---

(447) يُقارن:

Dalman, *Orte und Wege Jesu*[3], pp. 277f.

(448) يُنظر أعلاه، ص 327.

(449) يُقارن ص 233.

وعلاوة على ذلك، لا يحتاج حقل الزيتون إلى كثير من الحماية، خصوصًا إذا كان اعتداء الناس بعيد الاحتمال، واعتداء الحيوانات غير وارد. وتُلائم خواص شجرة الزيتون شجرة أثينا، في حين أن الكرمة وشجرة التين تُعزيان إلى ديونيسيوس [إله الخمر عند الإغريق]، والرمان إلى أفروديت [إلهة الحب والجمال][450]. وفي إسرائيل [القديمة] كانت جميع الأشجار المثمرة هذه معروفة كنتاج مهم لأرض طيبة (التثنية 8:8؛ العدد 5:20)، وعليها يستحق الرب الشكر (العدد 13:18؛ نحميا 36:10)؛ فقد كان أول خالق لبستان ثمار، حيث لم تغب عنه شجرة التين (التكوين 8:2، 7:3)، ونوح الذي نجّاه الرب من الطوفان كان غارس كرم عنب (التكوين 20:9). وهذا لا يستثني احتمال أن بعل وعشتار قد امتلك كل منهما حصة في بستان الثمار، وأن ثمة علاقة ظاهرة بينهما وليس مجرد مصادفة بين الرمان (بالعبرية "رِمون") والرب رمون (الملوك الثاني 18:5) وحدد-رمون (زكريا 11:12).

ويُفترض، وفقًا للتفسير الحاخامي، أن تشير ورقة زيتون الحمامة (التكوين 11:8) إلى نوح، وإلى أن الحمامة تفضل عيش كفاف في ظل الحرية على العلف في الفُلك [فلك نوح]: "أن يبقى شيء، ولو كان أكثر مرارة من هذا، أفضل من شيء حلو تحت جبروتك!"[451]. وبحسب تفسير آخر، كان جبروت الرب الذي تقف في ظله شجرة الزيتون، هو المقصود، وهذا كان مفضّلًا على جبروت نوح[452]. ويفترض الراوي ذاته أن الزيتون كان يُغرس قبل الفيضان لأن الحمامة أحضرت غصن زيتون بالذات، وكان ذلك بالنسبة إليه ذا صلة بحقيقة أن ورقة الزيتون متينة بما فيه الكفاية لتصمد أمام الفيضان، وأن شجرة الزيتون تنتمي إلى المناطق الجبلية بحيث تستطيع عاجلًا البروز من تحت الماء بعد الفيضان. أما الافتراض الحاخامي أن مكان شجرة الزيتون على جبل الزيتون بالقرب من القدس، فهو ليس بلا أساس كليًا، على الرغم من أن الاستدلال عليه من خلال إعفاء فلسطين بالكامل من الفيضان، لا يمكن أن يكون صحيحًا.

(450) Murr, *Pflanzenwelt*, pp. 32, 40 ff., 51, 131 ff.

(451) Ber. R. 33 (67b).

(452) Vaj. R. 31 (86b), Schir R. 4, 1 (44b), b. Er. 18b.

من بين الأشجار التي تحمل ثمارًا غير صالحة للأكل، في ما يلفت زهرها الانتباه في الربيع، يتوقع قاطن المدينة الفلسطيني ذكر السنط الكاذب (Robinia pseudacacia)، أي الشجرة المعروفة لدينا بِعناقيدها ذات الزهر الأبيض العطر وكذلك الـ Melia Azedarach (بالعربية "زِنزِلَخت") الغريبة على ألمانيا، ولكنها تشبه في شذاها ولونها الليلك الأرجواني الخاص بنا [في ألمانيا]، وكلاهما استُقدم إلى فلسطين في الأزمنة الحديثة. وتنتشر بشكل واسع في البلاد، وتستخدم كأسيجة، شجيرات السنط الحقيقي أو ما يُعرف بِالطلح الأنباري (Acacia farnesiana) (بالعربية "غِلان"، "عَنبَر") بِكُراته الصفراء الذهبية ذات العبق القوي، والتي يُفترض قدومها من أميركا. وعلى نهر اليرموك، اعتقدت أني رأيته بالقرب من مجدل الدباغين القديم، حيث جاء، وفقًا لروايات قديمة، أن السنط (بالعبرية "شِطّا") استُعمل في بناء الخيمة التي اتخذ منها اليهود هيكلًا نقالًا[453]. هل يتعلق الأمر بِـAcacia nilotica، الموجودة أصلًا في مصر وصحراء سيناء، والتي تحمل زهرًا مشابهًا؟ وهل كانت موجودة أصلًا في عهد الرومان؟ ثمة أنواع أخرى من السنط أو الطلح، مثل Acacia alba (بالعربية "سُنط") وAcacia tortils وseijal (بالعربية "طلح"، "سيال") تنمو في غور الأردن وفي السهل الساحلي بشكل بري[454]. وبقدر ما استوجب أن يكون خشبها في الصحراء مهمًا، كانت أزهارها وأوراقها غير مهمة.

ربما استوجب في هذا السياق ذكر شجرة الحناء (Lawsonia inermis، بالعربية "حِنّة") والتي تزرع في المنطقة الساحلية وبالقرب من أريحا، وفي مصر تنمو حتى ارتفاع 3 أمتار. وفي 12 حزيران/ يوينو 1925، ابتعت من السوق غصنًا مليئًا بالزهر، قيل إنه ورد من أريحا. عناقيد زهره البيضاء الكبيرة، ذات الشذى القوي بشكل نادر، كانت من حدائق عين جدي في نشيد الأنشاد (14:1)، يُقارن (13:4)، بصيغة "إشكول هكوفِر". وعلى ما يبدو، كانت

(453) Ber. R. 94 (202ª), Schir R. 1, 12 (12ª), j. Pes. 30ᵈ, Taan. 64ᶜ;

يُقارن:

PJB (1912), p. 54.

(454) يُقارن ص 79.

في حينه ذات شذى يُثمّن عاليًا. وقد ذكر المشنا[455] "كوفِر" التي ترجمها ابن ميمون إلى "حنّة"، جنبًا إلى جنب مع الوردة ونباتات عطرة أخرى. وفي مصر أمكن البرهان على وجود هذه النبتة منذ العصر الروماني[456]، وكانت غير معروفة في اليونان[457]، مع أنها صارت معروفة جيدًا لاحقًا باسم *χυπζος* والتي صارت تنبت بشكل خاص في عسقلان[458]. والأهم من زهرها في أيامنا هذه في الشرق المادة الملونة المستخرجة من النبتة، والتي يصبغ بها المرء أظفار اليد وباطن اليد والقدم. وإلى هذا اللون يشير النداء إلى الفتيات: "حِنَّ يا بَنات حنَّ - حنَّ نِشتِرين مِنَّ"، أي: "حنة أيتها البنات حنة، حنة تشترينه منا!"، حيث الحنة استعارة لمتعة الحب التي يعرضها الشباب. ولم تكن لتكتمل الروائح العطرية المعروفة لدى الفلسطيني إذا لم يُذكر نوعا الياسمين الحقيقي[459]، أي Jasminum officinale، بالعربية "ياسمين"، تشكيلة مزهرة صفراء وبيضاء، وJasminum sambac، بالعربية "فِلّ"، دائمًا صفراء الزهر، وحتى لو ظهرت مزهرة في حديقتي في القدس في حزيران/ يونيو؛ ذلك أن المرء، وفقًا للقزويني[460]، يزرع الـ"ياسمين" في 15 "شباط"، ما يشير إلى معرفة قديمة بشجيرات الحديقة هذه التي لا تظهر أبدًا بشكل بري. وما يمثله الحنة في نشيد الأنشاد، يمثله الياسمين والفل في أغاني الحب في فلسطين اليوم؛ فعلى العروس يُنادي المرء[461]: "تمخطَرِ سمَالله يا زينة - يا وردِ جُوَّ الجِنينة - كِبش القُرُنفُل يا عَروسِ - والفِلّ يِخَيِّم عَلينَ"، أي: "تمايلي أيتها الجميلة واسم الله يحرسك يا وردة في داخل الحديقة! كبش القرنفل، أيتها العروس، والياسمين يخيمان علينا"، أي يظللاننا.

---

(455) Schebi. VII 6;

يُقارن:

Löw, *Flora* II, p. 221.

(456) Keimer, *Gartenpflanzen*, vol. 1, pp. 52, 54f., 107.

(457) Heldreich, *Nutzpflanzen Griechenlands*, p. 63.

(458) *Dioscurides*, I 125.

(459) يجب عدم الخلط بينه وبين الياسمين الألماني (Philadelphus coronaries).

(460) Kazwini, *Kosmographie*, I, p. 76.

(461) Dalman, *Pal. Diwan*, p. 254.

في ما يتعلق بالأشجار التي تنمو بشكل بري، تبقى شجرة البلوط النفضية(462)، بشكل خاص، على درجة من الأهمية، فهي التي تطرح أوراقها في تشرين الثاني/ نوفمبر وتعود لتكتسي بها في بداية آذار/ مارس تقريبًا، ويكون زهرها قد نما في منتصف آذار/ مارس(463). وعلى نحو مماثل، تسلك الأشجار النادرة من الدُّلب والاسفندان والمران والنغت، وكذلك الحور(464) الأكثر انتشارًا بعض الشيء. وليس هناك أشجار زان ولا زيزفون ولا البتولا. وإلى المزهرات مبكرًا ينتمي اللوز والإجاص البريّان(465). وفي الغابة ومناطق الشجيرات الكثيفة، يلفت الانتباه أيضًا زهر شجرة القطلب الدائمة الخضرة (Arbutus Andrache، بالعربية "قيقب") الذي يُذكِّر بالسوسن الحقلي لدينا. وقد استقبلتني شجرة القطلب في 5 نيسان/ أبريل 1921 في طريقي إلى القدس، جنبًا إلى جنب مع زهر البلوط دائم الخضرة، في حين أن أشجار البطم العارية أظهرت براعم حمراء نضرة(466). وكثيرًا ما يلفت النظر الزهر القرنفلي الذي يظهر في نيسان/ أبريل قبل ورق الأرجوان أو الزمزريق (Cercis Siliquastrum، بالعربية "خِزرِق")(467)، التي تزين غابة البلوط في الجليل الغربي. ويلاحظ المرء، عوضًا عن الرتم الإسباني النادر (Spartium junceum، بالعربية "سِتّ خَديجة"، قيل لي "رِتِم" أيضًا، ذكر بوست "وَزّال") ذي الزهر الأصفر، العبهر (Styrax officinalis، بالعربية "عبهر"، في الشمال "لِبنِ"، "شِبرِه") الذي ينقف زهره الأبيض الفواح بعد أوراقه في بداية نيسان/ أبريل. ومن المحتمل أن تكون قد ذُكرت في التكوين (37:30) وهوشع (13:4) بصيغة "لِبنِ"، وجنبًا إلى جنب مع البلوط والبطم، ربما كانت شجرة مختارة كمكان مفضل لتقديم القرابين(468). أما جمع صمغها الذي كان مألوفًا في الأزمنة القديمة لاستخدامه في التدخين [التطهير بالتعريض للدخان]، فبالكاد

(462) ص 65.

(463) بحسب رسالة مشكورة من السيد شاوفيكر (Schauwecker) في فالدهايم (Waldheim).

(464) ص 102.

(465) يُقارن أعلاه، ص 376.

(466) *PJB* (1924), p. 68.

(467) ص 68.

(468) وإلا يجب أخذ الحور الأبيض (Populus alba) في الاعتبار، يُقارن ص 67، سعديا استخدم "لبنى" في الخروج 37:30، في حين أن الترجوم اليروشليمي 1 يعتقد بشجرة ذات زهر أبيض، وهو ما يوحي باللبنى.

يحصل في فلسطين اليوم، على الرغم من أن الصيدليات في الشرق تستخدم العبهر في شكل سائل. وبالنسبة إلى القاهرة، فهو مذكور بلفظة "ميعَة"[(469)]، وفي سوريا يُدعى "بخور جبلي"، "بخور مريم"، "عمبر جبلي"، "شَجَر الاصطرُك"[(470)]. ويميل المرء إلى افتراض أنها مذكورة في الكتاب المقدس، وأن نبتة "ناطاف" هي من بين مركّبات التبخير المقدس (الخروج 30:34). وبحسب سعديا، فربما كان هذا هو نفسه المستكى [المصطقى]، في حين أنه يُترجم "حِلبِنا" إلى "لُبنَى" التي قد تعني مُستكى (يُنظر أعلاه). ويبدو في استخدام الهيكل الأخير أن كلمة "صُري" تحمل المعنى نفسه، فتحل في محل "ناطاف"، والتي تُفسَّر كونها الصمغ المتقاطر من أشجار القاطاف[(471)]. ولذلك استخدم الترجوم اليروشليمي 1 عن سفر الخروج (30:34) "قِطَف" بدلًا من "ناطاف". واستخدم سعديا في الخروج (37:25، 43:11) "تِرياق"[(472)] بدلًا من الكلمة العبرية "صُري". ويفسر ابن ميمون "قاطاف" ببلسم، و"حِلبِنا" بِـ"ميعة" العربية، أي المستكى[(473)]. وينصح لوف باستخدام المستكى لكلمة "صُري"، أو "قاطاف" أو "ناطاف". ويمكن أن يُفترض، حيث لا ترتقي الحقيقة هنا فوق الشك، أن صمغ المصطقى في الأزمنة العبرية القديمة لم يكن بلا أهمية. ليس صمغًا هو بل ثمار صالحة للأكل، وهنا تتقدم الأمر شجرة الزعرور البري التي يُعتنى بها (Crataegus Azarolus، بالعربية "زعرور"، أيضًا "نِبق")، والتي يظهر زهرها الأبيض في منتصف نيسان/ أبريل بالتزامن مع ظهور أوراقه. ولأن المشنا يذكر الزعرور مع الأشجار المثمرة[(474)]، فقد سبقت العناية به خلال العهد الروماني، ولكنه قد ينتمي إلى الحياة النباتية البرية القديمة في البلاد.

---

(469) Meyerhof, *Bazar der Drogen*, nos. 461, 462.

(470) Berggren, *Guide*, p. 878.

(471) J. Jom. 41^d, b. Kerit. 6^a, Sabb. 26^a, Ber. R. 91 (196^b),

يُقارن:

Löw, *Flora* III, pp. 389f.,

حيث الخطأ المطبعي Kerit 8^a بدلًا من 6^a.

(472) يُقارن عند مايرهوف (Meyerhof) وشفاينفورت (Schweinfurth) "تِرياق أبيض" لـ Arum maculatum.

(473) Zu Schebi. VII 6 und Mischna Thora, H. Kele ham-Mikd. II 4.

(474) Kil. I 4, Maaser. I 3, Ukz. I 6; Löw, *Flora* III, pp. 249ff.

حيث تسمّى الشجرة الضخمة شجيرة. يُقارن أعلاه، ص 61.

تحيط بضفاف بحيرة طبرية ونهر الأردن والجداول المتجهة نحوه من الشرق والغرب زينة فاتنة هي الدفلى (Nerium Oleander، بالعربية "دِفلِة") دائمة الخضرة، وزهرها الأحمر يُزهر من نيسان/ أبريل حتى تشرين الأول/ أكتوبر على شجيرات يصل ارتفاعها إلى نحو 4 أمتار تحيط بها المياه الهادرة. حين سافرت في 16 نيسان/ أبريل 1925 نحو جرَش، فوجئت شخصيًا بالشريط الأرجواني الذي رافق جدول "وادي شُعيب" بين المنحدرات الصخرية الجرداء، وكثيرًا ما غطته الدفلى بالكامل. أما الصورة الزاهية التي أدخلت فيها بعض اللون البنفسجي الزاهي، والتي استوعبتها في حينه تقنية التصوير الألمانية، فقد مكّنتْ الآخرين من أخذ فكرة عن الربيع الفلسطيني. ولأن الدفلى تدعى "وردة الغار" باليونانية (*ροδοδαφνη*)، فإن المرء سيعود ويعثر عليها في "دغل الأزهار في أريحا" (سيراخ 14:24)، ومن الممكن أيضًا في "الوردة التي تنمو على الجدول المناسب" (سيراخ 13:39 مع نص غير مؤكد). وفي أيامنا هذه، وبالذات في أريحا، توجد الدفلى وزهرها ما يجعل تشابهها مع الوردة أكبر. ويقال إن موسى قد حلّى ماء مارة [موقع مر به بنو إسرائيل في أثناء الخروج من مصر] باستخدام الدفلى[475] (الخروج 25:15). وكان معروفًا أن أوراقها ليست ملائمة للحيوانات[476]، وسُميت المُرة من بين أعشاب وجبة عيد الفصح[477]، كما وُجدت فروعها غير ملائمة لتشكيل باقة خاصة باحتفال عيد العُرُش[478]. وفي كل مكان هنا يُستخدم الاسم اليوناني الكامل في الصيغ "هَردَفني"، "هردُفني"، "اردَفني"، "هردوف"، في حين حوفظ على النصف الثاني من الكلمة في "دِفلِ" العربية. وقد عرف المزارعون اليونانيون أن الدفلى تجذب إليها الذباب والبراغيث وتحمي الحقول من الطفيلي Orbanche speciosa المشهور في فلسطين باسم "خانق الكرسنة"[479]. وبحسب ديسقوريدوس وبلينيوس، كانت

---

(475) Mech. Zu 2. Mos. 15, 25 (53ª), Schem. R. 50 (112ª), Targum Jer. I 2. Mos. 15, 25.

(476) Chull. III 5, Tos. Chull. III 19.

(477) B. Pes. 39ª.

(478) b. Sukk. 32ᵇ. - Targ. Jer. I 1. Mos. 30, 37,

المستخدمة للكلمة العبرية "عَرمون".

(479) *Geoponica* XIII, 12, 15; II, 42.

الدفلى ترياقًا للدغة الحية. أما أهمية الغار (δαφνη)، والقريبة إليها من حيث الاسم والتي كانت مكرسة لأبولو [إله إغريقي]، فلم تنتقل إليها[480].

إن الأكثر رقة من زهر الدفلى هو عناقيد الزهر الضاربة إلى الحمرة التي تطلقها الطرفاء النفضية (Tamarix Jordanis، بالعربية "طَرفة")[481] في نيسان/ أبريل فوق ماء الأردن الفائض. وفي الوقت نفسه وفي المكان نفسه، يزهر السوس القصير (Glycyrhiza glabra، بالعربية "سوس") بزهر بنفسجي، في حين أن شجرة كف مريم (Vitex Agnus castus، بالعربية "غار") التي قد تنمو بطول شجرة، تطور زهرها الأزرق الرشيق على نهايات فروعها في حزيران/ يونيو. ويتواءم اسمها العربي مع اسم الغار، مع أنه لا يشبهه بأي شكل من الأشكال. وقد يجوز القول إن اسمه مشتق من الاسم اليوناني لشجرة كف مريم *λιγαρηα*[482]. وبالطبع العكس ليس مستثنًى أيضًا. وهكذا تسري الأمور في نهر الأردن الجاري في منخفض [غور] يمكن وصفه من نواح عديدة بالصحراء، علاوة على النورة النهرية للحور الفراتي الذي تنتمي أزهاره إلى فصل الشتاء[483]، ولا تلبث الأوراق أن تتبعها لتبرر استخدام عبارة "الحور الفراتي (بالعبرية "عرابيم") على جداول ماء صغيرة" (إشعيا 4:44) كمثال على نمو جديد.

إن جميع الزهور البرية، أو التي اعتنى بها الإنسان في الماضي، وجرت معاينتها الآن، هي جزء صغير من الظواهر التي اعتادت دائمًا جذب انتباه الفلسطيني إلى عالم النبات الذي يفور في الربيع، وبشكل جزئي يفنى فيه. وإذا اعتُبر مثل الإنسان، فقد بُشّر الإنسان بزواله (إشعيا 1:28؛ أيوب 1:14 وما يلي؛ يعقوب 10:1 وما يلي) وحذره من أن يكون مغرورًا، وساعده في أن يوقظ في نفسه استشرافًا لما هو خالد (إشعيا 6:40 وما يلي؛ بطرس الأول 24:1 وما يلي). وكعمل بفعل قوة الرب الخلاقة الذي جعل الأرض ذات يوم خضراء، وفي كل عام يبعث نباتها من جديد من خلال المطر، يشير الربيع

---

(480) Murr, *Pflanzenwelt*, pp. 92ff., 108f.

(481) يُقارن أعلاه، ص 101، 255، 260.

(482) Heldreich, *Nutzpflanzen*, p. 34.

(483) ص 101، 255.

إلى المخلّص الذي يمكنه تحويل الصحراء إلى مروج أزهار (إشعيا 35:1)، وحتى خلق حياة من الموت (إشعيا 26:19 وما يلي؛ يُقارن رومية 11:15)، وكذلك إلى الأب الذي يعرف كيف يعتني بأطفاله (متى 6:22 وما يلي). ومن دون التفاوت الصارخ المميز في فلسطين بين نمو نضر ذي زهر زاهٍ، وجذامة متطايرة [ما يبقى من الزرع بعد الحصاد]، ونباتات شائكة يابسة، فإن مثل هذا التأثير لن يكون قابلًا للتصور.

ي. طيور مهاجرة وجراد وحشرات

نيسان/ أبريل هو الشهر الذي تعود فيه الطيور المهاجرة من أفريقيا إلى الشمال. وبظهورها يدرك المسلمون بشكل خاص، وهُم الذين لا يخضع تقويمهم للسنة الشمسية، أن "شَهر الخميس" (ص 27 وما يليها)، أو "الموسم"، أي "زمن العيد"، الذي يشهد زيارة قبر النبي موسى والأماكن المقدسة في القدس قد بات وشيكًا[484]. وعوضًا عن ذلك، فهي علامات موثوقة على انتهاء برد الشتاء ومطره بصورة نهائية. وإلى هذه الطيور المهاجرة ينتمي اللقلق (ص 168) الذي يُسمى "حَوّام الخميس" لأنه قابل للرؤية في هذا الشهر في فلسطين؛ فطيرانه الربيعي في 1 آذار/ مارس 1900 ترك انطباعًا خاصًا لدي، لأنني في هذا الوقت، وعلى حدود فلسطين الشمالية، أمضيت ليلة في المكان نفسه مع لقلق كسير الجناح بعد إصابته. وقد رصد معهدنا طيور اللقلق في 16 آذار/ مارس 1904 في أرض مؤاب، وفي 21 آذار/ مارس 1907 في منطقة يهودا، وفي 2 نيسان/ أبريل 1911 في السامرة، وفي 10 نيسان/ أبريل 1914 وفي 27 نيسان/ أبريل 1906 في غور الأردن. وفي القُنيطِرة الشرق أردنية، سُلّم إلي في 9 نيسان/ أبريل 1911 خاتمٌ معدني منقوش عليه "محطة روزيتن" (Station Rositten) انتزعه أحد الأشخاص هناك من لقلق. وتوائم كلمة الـ"حَسيدا" من العهد القديم طائر اللقلق، ما دام بحسب إرميا (8:7) طائر مهاجر. وبحسب المزامير (104:17) في شجرة السرو بيته، والذي سيكون حينئذ موقتًا، مثلما شاهدت في 1 آذار/ مارس 1900 غابة صغيرة

---

(484) يُنظر أدناه III 12.

بأكملها تحتلها طيور اللقلق؛ أجنحة كبيرة قد تحمل شخصًا وربما يُستدل عليها من زكريا (9:5). ويفسر التلمود[485] اسمه "الورع" كون هذا الطير يكن الود ("حسيدوت") لرفاقه. واللافت أن التلمود وترجوم أونكيلوس [الترجمة الآرامية للتوراة] ويروشليمي 1 يعنون الصقر الأبيض. ويترجم سعديا الكلمة نفسها الواردة في اللاويين (19:11) والتثنية (18:14) إلى "صَقر"، أي "صقر مهاجر"[486]، ويترجم الترجوم عن المزامير (17:104) إلى "وَتا"، وهو على الأرجح نوع من طيور الحُباريات. وهذا موضع شك لأنه كان من المهم معرفة طبيعة هذا الطير المحرم أكله[487]. أما السبعونية وكذلك جيروم الذي يعتبر في إرميا (7:8) أن "آجور" وليس "حَسيدا" هو اللقلق، فلا يقدمان معلومات موثوقة. ولا يأكل مسلمو فلسطين اللقلق، ومسيحيوها أخبروني عن مذاق بغيض لدهنه.

يمكن التأكيد أن المقصود هو القمرية (Turtur communis، بالعربية "رُقطي"، "تُرغُل"، بالعربية الفصحى "شَفنينا") والمذكورة في إرميا (7:8)، جنبًا إلى جنب مع "تور"، المعروفة بأنها ملائمة كذبيحة (على سبيل المثال، سفر اللاويين: 14:1). وبِـ"شفنينا" يشير كل من سعديا والترجوم إلى هذا الاتجاه. وفي نيسان/ أبريل وأيار/ مايو يتعالى سجعها الحزين الذي يعبّر عن التفجع على [للنبي] محمد الذي صعد إلى السماء[488]، والذي هو في نشيد الأنشاد (12:2) ميزة بارزة من مزايا الربيع في البلاد، أقله على نهر الأردن. أما "سيس"، التي تظهر في المكان الثالث في إرميا، فهي السنونو، بحسب السبعونية وجيروم، وأيضًا في إشعيا (4:38)، ووفقًا لِسعديا، دونما تمييز بين سنونو المخازن (Hirundo rustica، يُقارن من السبعونية χελιδων αγρου) وسنونو البيت (Chelidon urbica، ويُسمي العرب كلاهما "سنونُو"، "سنينوِي". ويُعتبر السنونو مسلمًا

(485) B. Chull. 63ª.

(486) *ZDPV* (1913), pp. 172f.

(487) التأويلات الخاصة باللقلق والصقر متوازنة بشكل قوي في:
Lewysohn, *Zoologie des Talmuds*, pp. 171f.

(488) Baldensperger, *PEFQ* (1893), pp. 203ff.

تقيًا لأنه يزور الكعبة في مكة سنويًا سبع مرات[489]، ولكن السمامة (Cypselus Apus، بالعربية "سِنِنُ"، "خُطَّف"، "صيص")، الذي يذكّر رنين اسمه العربي "صيص" بالاسم العبري "سيس"، ربما تشمله هذه الفصيلة[490]. وما يؤيد ذلك أن صراخه وليس صراخ السمامة، يمكن أن يُدعى أنين الألم، كما هي الحال في إشعيا (14:38)[491]. وفي سنة 1912، من 17 آذار/ مارس فصاعدًا، كان يمكن مشاهدته في أسراب كبيرة فوق القدس. وهو يترك فلسطين في تشرين الثاني/ نوفمبر ويعود إليها في بداية نيسان/ أبريل تقريبًا[492]. والسُمامة، بحسب هيسيود[493]، تأتي إلى اليونان بعد الطلوع المتأخر للسماك الرماح الذي يظهر في 25 شباط/ فبراير، أي في بداية آذار/ مارس، وهو ما يتفق مع الأرصاد اليوم[494].

وفي حين أن اللقلق "أبو سعد" هو طائر حظ، والقُمرية كما السمامة لا تعنيان أمرًا سيئًا، فإن الفلاحين يعتبرون ظهور قطاة (Pterocles arenarius، بالعربية "قَطَا") نذير شؤم، وهو يظهر في الصحراء العربية في الربيع بأعداد كبيرة، ويجذب الانتباه إليه بصرخته العالية "كَتَ - كا"[495]، ولذلك يُقال: "سِنِة القَطَا - بيع الغَطَا"، أي: "في عام القطاة، عليك ببيع الغطاء!"[496]. وحينئذ تُتوقّع سنة مجدبة ("مَحل") يتم فيها بيع الملابس لسد الرمق. وهو يُعتبر، في أي حال، من سوء الحظ إذا سمع المرء صراخها صباحًا[497].

---

(489) Baldensperger, *PEFQ* (1893).

(490) يُنظر:

Tristram, *Fauna und Flora*, pp. 82f.

(491) Gustavs, *PJB* (1912), p. 95.

(492) بحسب كريبر (Krüper) في:

Mommsen, *Griech. Jahreszeit*, pp. 182f,

في اليونان من المحتمل أن يكون متأخرًا بعض الشيء.

(493) Hesiod, *Opera et Dies*, pp. 564 ff.

(494) Krüper in: Mommsen, *Griech. Jahreszeit*, pp. 253ff.

(495) أهاروني (Aharoni) في:

Blanckenhorn, *Naturwissenschftl. Studien*, p. 428.

(496) يُقارن القول المعاكس عن الزرزور، ص 168.

(497) Baldensperger, *PEFQ* (1893).

وتتعالى في أثناء حرث زرع الصيف، أصوات الوقواق (Cuculus canorus، بالعربية "قيقوب"، "بَقو")[498]، التي يوردها العرب "وُدو" أو "بَقو"، في ضفة الأردن الغربية، وحتى بشكل أكبر في ضفته الشرقية. ويقوم أحدهم في نيسان/ أبريل بتأويل عبارة: "حْلِيبْ وَلَقّ"، أي: "احلب ورجّ" (جراب الزبدة، بسبب وفرة الحليب)!" وفي "أيار" يُؤوَّل كتحذير: "احصُد وَدُقّ"، أي: "احصد واجعله دقيقًا (عند الدرس)!"، وفي قرية إلجي، يُؤوَّل بربطه ذهنيًا بتبعات وفرة الخضرة ("ربيع") والتي يبشر بها الوقواق بمرح وابتهاج: "ذُقنَ اللبن وزبد البقر"، أي: "ذقنا اللبن وزبدة البقر". وعند هيسيود[499] يعني صوته 3 أيام ماطرة. وقد ينتمي الوقواق إلى تلك الطيور التي تعيش، بحسب المزامير (12:104)، على الجداول، وتدع أصواتها تتعالى من بين الغصون. هناك، حيث الماء الجاري، تستطيع الطيور في فلسطين اتخاذ مكان لها فترة طويلة، وهناك أيضًا تجد الأشجار التي تحط عليها. فلا عجب إذًا أن يُسرَّ المرء عند نهر الأردن بسماع أصوات جميع أنواع الطيور. وعوضًا عن الحمام البري والقُمريات، استرقنا السمع إلى نشيد العندليب الفلسطيني (Pycnonotus xanthopygus، بالعربية "بُلبُل"، "بِلبِل") الشبيه بصوت الناي في 17 نيسان/ أبريل 1909. ويوصف صوته الفاتن كخرخرة متبوعة بِـ"بُلبُل"[500]. وفي أغنية حب يتغنى المرء بالبلبل[501]: "البُلبُل ناغَ عَلَ غُصن الفِلّ - آ يا شَقيق النُعمانِ - قَصدِ ألاتي مَحبوبِي - بين الياسمين والرِيحانِ"، أي: "البلبل غنى على غصن الفل: آه يا شقيق النعمان، قصدي

---

(498) يُقارن:

Gustavs, *PJB* (1912), pp. 91f.; Aharoni in: Blanckenhorn, *Naturwissenschftl. Studien*, p. 420,

هذا القيقوب يجب عدم خلطه، كما حصل مع

Doutté, *Magie et religion*, p. 500

مع الـ"قيقوب" الذي يُخرج البقر في عيد العنصرة من خلال لسعاته، ومن المحتمل أن تكون النُعرة (Hypoderma bovis). كما تُسمى "عنصرة"، نسبة إلى الوقت الذي تصل فيه.

(499) Hesiod, *Opera et Dies*, pp. 486ff.

(500) Aharoni, in: Blanckenhorn, *Naturwissenschftl. Studien*, p. 407.

(501) Stephan, *Modern Parallels to the Song of Songs*, p. 66,

والذي قمت بضبط تهجئته.

أُقابل محبوبي بين الياسمين[502] والريحان"[503]، ولكن حتى عندليبنا (Erithacus luscinia) يترك صوته الأكثر قوة يُسمع أحيانًا في البلاد ويُسمَّى هو أيضًا "بِلبِل".

ويبدو أن القرقف الكبير (Parus major Terrae Sanctae، بالعربية "سِنّ مِنْجَل") يحب شجر الزيتون، ويتميز في المنطقة الجبلية بزقزقته "دِ تسيت اش دُ" (D'Ziet isch do، أي "حان الوقت"، يُعتبر بشيرًا مبكرًا بالربيع[504]. وفي ما يتعلق باسمه العربي "سن منجل"، يطرح السؤال نفسه، إذا كان شكل المنجل المسنن أو ما يصدر عنه من صوت هو السبب في ذلك. وفي إلجي، اعتُبر الهدهد (Epupa epops، بالعربية "هُدهُد"، "هِدهِد"، "طير سليمان")، كمن يقوم بالتذكير بأن الوقت قد حان لتناول المنجل، ويعتبر هذا الطير في فلسطين زائر صيف. ويُفترض بصوته أن يعني: "احصد وِارجِد": "أُحصد وانْقل" [أُرجد= أنقل أغمار السنابل إلى البيدر]. وهو الملك بين الطيور نتيجة لتاجه الريشي. ويُطارده المرء طمعًا في قوى شافية وصائنة للحب يُفترض تمتعه بها[505]، وهو يدعى "طير سليمان"، فهذا الطير له صلة بالأسطورة التي تقول إن "الديك البري" (بالآرامية "تَرنِجول بارا") أو "نجار الجبل" ("نَجّار طورا") كان حامي الحجر المعجزة ("شامير") الذي احتاج سليمان إليه لبناء المعبد[506]. كما نُسبت إليه معرفة غامضة تنطوي على أسرار[507]، كما لا يزال يحصل اليوم في فلسطين. "دوخيفَت" هو اسمه العبري الذي في سفر اللاويين (19:11) والتثنية (18:14) يحصل لطير غير طاهر، وفي الترجوم يرد "نَجار طورا"، ولدى سعديا "هُدهُد"، لأنه يقوم ببناء عشه في الحصى، وهذا ما أكسبه اسم "نجار الجبل".

---

(502) عن نوعي الياسمين، يُنظر أعلاه، ص 384.

(503) Ocymum basilicum,

ونتيجة لرائحته، كثيرًا ما يُحتفظ به كنبتة في أصيص، غالبًا ما تكون الوحيدة في بيت عربي.

(504) Gustavs, *PJB* (1912), p. 81.

(505) Aharoni, in: Blanckenhorn, *Naturwissenschftl. Studien*, p. 442.

(506) b. Gitt. 68b,

يُقارن:

Grünbaum, *Ges. Aufsätze zur Sprach- und Sagenkunde*, pp. 31ff.; Lewysohn, *Zoologie des Talmuds*, pp. 216 ff.,

يقصد خطأً طير الخشب.

(507) Vaj. R. 22 (58a), Koh. R. 5, 8 (94b).

وفي الربيع تمر السلوى (Coturnix communis، بالعربية "سُمّان"، بالعبرية "سِلاو") مرة أخرى بالبلاد في طريقها إلى الشمال (يُقارن ص 168 وما يليها)، وقد تم رصدها في سنة في نهاية آذار/ مارس وبداية نيسان/ أبريل[508]، وبحسب الخروج (13:16 وما يلي)، يُقارن 5/ 1، يفترض بسرب من السلوى في منتصف إيار (أيار/ مايو)، في هجرته الربيعية، أن يكون قد ترك خلفه مؤونة المَن. وفي فلسطين، يسمع المرء صوت السلوى من حقول الحبوب، وتهلل القبرة فوقها أيضًا، بينما القبرة المتوجة (Galerita cristata brachyura، بالعربية "قُنبَرة"، "عصفور الزرع")[509] تهلل وتغتبط.

الجراد

كثيرًا ما ينضم الجراد (Schistocerca peregrina، بالعربية "جَراد") إلى الطيور المهاجرة في الربيع. ومن حسن الحظ، نادرًا ما يظهر في أسراب كبيرة، وإلا شكّل خطرًا كبيرًا على الزروع والأشجار المثمرة، ويرى المرء فيه حكم الله (يُقارن الخروج 4:10 وما يلي، التثنية 38:28، يوئيل 4:1 وما يلي، عاموس 1:7 وما يلي، رؤية 3:9 وما يلي)[510]. ويقصد القزويني[511] ظهوره المعتاد بأعداد صغيرة، حين يروي أنه يظهر في 1 "آذار" ويموت في 7 "تموز"، معطيًا بذلك الفترة التي يظهر خلالها بالشكل الصحيح. أما لماذا استوجب ظهوره في الربيع المذكور في عاموس (1:7) أن يُعتبر غير مؤات بشكل خاص، فهو ما سنعرضه في III 11. وفي 16 آذار/ مارس 1904 سنحت لي الفرصة في أرض مؤاب لرؤية جراد ذي أجنحة غير قادر على الطيران، وأعداد كبيرة منه تغطي الأرض. ويذكر أهاروني[512] من الأزمنة الحديثة السنوات 1865/ 1866، 1875، 1892، 1899، 1908 كسنوات جراد، وخصوصًا في سنتَي 1915/ 1916

(508) Gustavs, *PJB* (1912), p. 102.

(509) ينظر:

Ibid., p. 88.

(510) ذلك أن حلول الشتاء متأخرًا باردًا يُعتبر كارثيًا للجراد ونافعًا للمطر فهذا ما يشدد عليه القول المأثور: "بِرد شباط - بمنع الجراد والقحط" (في المرجع نفسه 666).

(511) Kazwini, *Kosmographie*, I, pp. 77f.

(512) *Ha-Arbe* (1920), p. 74.

التي تجاوزت فيها كارثة الجراد ما لا يقاس على ما سبق منها وتم التعرض له منذ زمن طويل؛ ففي حينه ظهر الجراد في القدس في صفوف على مدى ساعات متعاقبة كما الغيوم من الشمال الشرقي والجنوب من 22 حتى 27 آذار/ مارس[513]، وفي رحوفوت في المنطقة الساحلية في 10 آذار/ مارس، وفي 2 و5 نيسان/ أبريل، وفي 1 أيار/ مايو[514]. وفي نهاية أيار/ مايو وبداية حزيران/ يونيو، فقّست أولى صغار الجراد من البيوض التي وضعها في التربة في صورة يرقانة بلا أجنحة (بالعربية "زَحّاف")، والتي تلتهم في طريقها كل ما هو أخضر من نباتات برية إلى حبوب وأوراق الشجر والتين والكرمة، وحتى أشجار الزيتون، وكل شيء يختفي حيثما تنتشر[515]. وتغطي حوائط البيوت، ثم تتغلغل إلى الداخل عبر الأبواب والنوافذ، كما ورد في الخروج (5:10 وما يلي). وبعد أن يطرح الجراد جلده ست مرات، تظهر أجنحته بعد نحو شهرين، ويصبح بعد ذلك بـ 20 يومًا قادرًا على الطيران، كـ"طيار"، بغية غزو مناطق أخرى. ويميز أهاروني[516] أطوارًا ستة من التطور وينسبها إلى أسماء الجراد الواردة في يوئيل (1:4، 2:25)، بحيث تناظر "يِلِق" يرقة الطور الأول (طول الجسم حتى 12.5 مم)، "حاسيل"، أي الطورين الثاني والثالث اللذين تُلتهَم فيهما الأعشاب (طول الجسم حتى 26 مم)، و"جازام"، أي الطورين الرابع والخامس، اللذين يُنزَع فيهما قشر الأغصان أيضًا، يُقارن يوئيل (1:7) (طول الجسم حتى 40 مم)، "أربِ" الطور السادس، أي الجراد الكامل النمو والمجنح (طول الجسم 57 مم)[517]. ويفترض كوهلر (Köhler)[518] المعنى نفسه تقريبًا للتعابير العبرية، دونما إشارة إلى الترجوم والمشنا وChull. III 7

(513) *Heil. Land* (1926), pp. 192ff.; Bauer, *ZDPV* (1926), pp. 168ff.

(514) Aharoni, in: Blanckenhorn, *Naturwissenschftl. Studien*, p. 39.

(515) عن استراحته خلال البرد وعن ناحوم 3:17، يُنظر ص 95.

(516) Ibid., pp. 12ff., 37ff.

(517) في:

Taan. III 6,

يمثل "حاسيل" و"أرب" النوعين الخطرين.

(518) *ZDPV* (1926), pp. 328ff.,

بعض الإضافات يقدمها:

Krauß, *ZDPV* (1927), pp. 244ff.

وسعديا. وفي سفر اللاويين (22:11)، تظهر الأسماء "سُلعام" و"حَرقول" و"حاجاب" إلى جانب "أربِ"، التي قد تشير إلى حشرات أخرى ذات صلة، مثل الاسم العربي "جِندب" (Caloptenus italicus)، الذي يستخدمه سعديا لِـ"حاجاب". ويبذل عدد كبير من الطيور، ومنها بشكل خاص الزرزور الوردي (Turdus roseus، بالعربية "أبو شوشة"، "سَمَرمَر") واللقلق، جهدًا مشكورًا في القضاء على الجراد، ولكن من دون القدرة على السيطرة على الموقف. وليس هنا المكان للحديث عن الكفاح الشائع في أيامنا ضده، مثل حفر الخنادق وإشعال النار، إضافة إلى البحث عن البيوض والقضاء عليها؛ فجفاف الصيف المتزايد وعمل الجراد التدميري يحرم الجراد من الغذاء الذي يحتاج إليه. وبوضع البيوض يكون الجيل الأكبر قد أنجز مهمته في الحياة. وغالبًا ما تكون الريح الغربية الشديدة وبالًا عليه، بحيث تدفع به إلى الصحراء، إلى حيث تكون نهايته في الآبار والينابيع التي تُلوِّث بجيفها[519]. وقد دفعت الريح الشرقية بالجراد في سنة 1915 إلى البحر المتوسط في بداية تموز/ يوليو، في حين أن الخروج (19 و13:10) يقول إن ريحًا شرقية أتت بالجراد من مصر في بداية نيسان/ أبريل، ثم أقصتها الريح الغربية بسرعة. وفي يوئيل (20:2)، تُقْصي الريح الغربية أول الوافدين إلى البحر الميت، وتُقْصي الريح الشرقية آخر الوافدين إلى البحر المتوسط. وقد تذكرتُ ذلك حين عثرت ذات مرة قرب البحر الميت على جراد نافق كان البحر الميت قد لفظه. ووفقًا لسفر اللاويين (22:11) ومتى (4:3)، فإن الجراد كان يؤكل، ويُفترض أن إسحق نفسه عرف طعمه[520]، وهذا يتواءم مع حقيقة أن البدو في أيامنا هذه يتناولونه نيئًا، بعد انتزاع الأجنحة، التي تُجفَّف بتعليقها على خيوط، ثم تُطحَن أو تحمَّص أو تُشوى، ثم تؤكل مملَّحة. هكذا أخبرني شخص في معان، مشيرًا إلى أن الجراد المجفَّف يباع في الصحراء في بعض الأحيان[521].

(519) Musil, *Arabia Petraea*, vol. 1, pp. 109, 143, 146.

(520) Ber. R. 67 (143a);

يُقارن:

Chull. III 7, Ab. z. II 7; Krauß, *Talmudische Archäologie*, vol. 1, pp. 112f.

(521) يُقارن أيضًا:

Hasselquist, *Reise nach Palästina*, pp. 454ff.,

وبشكل خاص:

Musil, *Arabia Petraea*, vol. 3, pp. 21, 149, 151.

الـ "كِنّيم" الواردة في سفر الخروج (12:8 وما يلي)، إحدى كوارث المصريين، لم تكن بعوضًا[522]، بل قملًا، كما تفترض التراجم وسعديا (مستخدمًا الكلمة العربية "قَمل"). وهذا يتواءم مع نشوئها من الغبار واستقرارها في الإنسان والحيوان. ووفقًا للمعتقد الشعبي الرائج في أيامنا، فإن قمل الرأس والملابس الشائع بين البدو يأتي من الأوساخ. وعلى الرغم من أن موزل روى لي ذات مرة تجاربه مع القمل في الصحراء العربية، فإني لا أعلم هل كان يرتاح في الشتاء ويعود للظهور في الربيع. وفي ما يتعلق بالبراغيث والذباب والبعوض، فإن الاستراحة الشتوية هي حقيقة معروفة في القدس. ويذكر القزويني[523] أن الضفادع تعود إلى النقيق من 30 كانون الثاني/ يناير فصاعدًا، وفي 20 "شباط" تأتي الزواحف ("دَبيب") وتدب الحياة في البراغيث. وفي 25 "شباط" تخرج الحيوانات ذات البيات الشتوي ("هَوام") من أوكارها[524]. ويتبعها في 1 "اذار" الجراد[525] والزواحف ("دبيب")، وفي 18 "اذار" تفتح الأفاعي عيونها التي كانت مغلقة[526]. وهذا هو ربما المجال الذي على المرء أن يبحث فيه عن بلاء الضفدع في الخروج (27:7 وما يلي)، كذلك بلاء الحشرة ("عاروب") في الخروج (17:8 وما يلي)، والتي تبتلي الناس والبيوت. كذلك بلاء الطاعون في الخروج (3:9) ربما وافق هذه البيئة، لأن القزويني يذكر الاعتقاد بأن الوباء ("وَبا") يحدث حين تظهر الضفادع بأعداد كبيرة. وفي ما يتعلق بِـ "خليط" (بالعبرية "عاروب") من الحيوانات المزعجة، سوف يفكر الفلسطيني، في البداية، بالذباب والبعوض والبراغيث والقمل والبق، وبالعقارب والثعابين. وفي أحد البيوت في وسط البلدة القديمة في القدس في بداية أيار/ مايو 1925، وجد ابني جميع تلك الحشرات مجتمعة هناك: من ذباب وبعوض في الحجرة، وبق في السرير، وعقرب في المنشفة وأفعى أمام الباب. وثمة

(522) هكذا Gesenius-Buhl والترجمات الأكثر حداثة.

(523) Kazwini, *Kosmographie*, I, pp. 50, 76f.

(524) يُقارن أعلاه، ص 267.

(525) يُنظر أعلاه، ص 393.

(526) عن تأثير الريح الشرقية في الحشرات، يُنظر أعلاه، ص 328.

رأي يهودي[527] يعدد البعوض والقمل والذباب والجمل كونها حيوانات ملعونة أنجبتها الأرض الملعونة. والذباب ("دِبّان") منتشر في الشرق بشكل مفرط، وكحامل لرمد العيون المصري، وهو يشكل خطرًا على الأطفال الصغار الذين لا يستطيعون حماية أنفسهم منه. ولأنه "جالب للموت" (بالعبرية "زِبوبي ماوت")، يمكنه إتلاف مراهم نفيسة تُستخدم في الجامعة (1:10) للتأثير السيئ الذي قد يتمتع به قدر صغير من الحماقة. وفي حين أنه يميل في النهار إلى أن يحط على الناس، دافعًا المرء إلى الاحتماء منه تحت ناموسية، يكون البعوض ("ناموس"، باللهجة الفلاحية "هِسهِس"، باللهجة البدوية "بَضّوع"، "بَرغَش") مزعجًا بشكل خاص في البيوت ليلًا[528]، وهو من خلال بعوضة الملاريا المنتشرة ناقل للعدوى. وأستذكر أن البعوض الصغير ("بَرغش") كاد أحيانًا أن يُطفئ شموعنا في الخيم على بحيرة طبرية، وقد هلك بأعداد كبيرة في لهبها. وبالكاد يمكن تخيل بيت فلاح عربي بلا "براغيث" و"بق"[529]. وحين تظهر هذه الحشرات بأعداد كبيرة يمكن اعتبارها مزعجة. وقد وجد داود أن البحث عن برغوث لا يستحق ذلك العناء (صموئيل الأول 15:24، 20:26). وقد أصاب العجب صديقي حميد في البتراء حالما قمت بالبحث عن برغوث – عددت في إحدى المرات 136 منها –، وقد اعتدت التقاطها في قبور صخرية فعلّق: "هناك كل ليلة مئة من البراغيث تسير علي"[530]، وعلاوة على ذلك يقول المثل:

"مَطرَح العَنكَبوت – عَدِّ وفوت
مَطرَح العَقرَب – لا تِقرَب
مطرح الآم[531] – أُفرش ونام"

---

(527) Ber. R. 20 (43ᵃ).

(528) يُقارن ص 267 وما يليها.

(529) ص 189.

(530) كضار، وإن لم يكن مزعجًا، يعرف المرء العث (بالعربية "عِث"، بالعبرية "عاش"، إشعيا 9:50؛ متى 6:19–20؛ لوقا 12:33) المعتاد كثيرًا في فلسطين.

(531) "آم" (بدلًا من "اِم") استوجب استخدامها هنا للسجع بدلًا من "حيِّة"، كما قيل لي.

"حيث توجد عناكب[532] - تجاوزْها وادخل،

حيث توجد عقارب - لا تقترب!

حيث توجد أفاعٍ كبيرة - مد فراشك ونام!"

والأفاعي الكبيرة في فلسطين، التي يمكن العثور عليها في حدائق القدس وفي الأحراج، ليست سامة. لكن الخوف من العقارب يقف خلفه الاعتقاد بخرافة أنها سامة، ولكن ليس الخوف من العناكب والأفاعي في حد ذاتها.

والضفادع (بالعربية "ضُفدَع"، باللهجة البدوية "وِرِّق")[533] ليست موجودة بكثرة في فلسطين بسبب شح المياه. وبالقرب من جفنة، دوَّنت ذات مرة في 27 نيسان/ أبريل نقيقها ("بِجاعِقُو"). وفي أرض النيل يمكنها بالطبع أن تؤدي دورًا أكبر (إشعيا 27:7 وما يلي). والسحالي هي الأوسع انتشارًا (Stellio vulgaris، بالعربية "حَرذون"، حَرذون). وهي تنتمي إلى الزواحف بالمعنى التوراتي (بالعبرية "شيرِش"، التكوين 1:24 وما يلي، سعديا "دَبيب") إلى جانب الأفاعي. ويمكن رؤية السحالي في كل مكان في المناطق الصخرية والحجرية، خصوصًا عندما تطل من بين الأحجار بفضول لافت ورأس مرفوع. ويُفسر ذلك كصلاة، وبحسب اتجاه رأسها تُميّز إن كانت مسلمة أم مسيحية. وينادي عليها الأطفال: "صَلِّ صَلاتَك يا حِردون - اِمَّك ماتّت في الطابون"، أي: "صلِّ صلاتك يا حرذون! أمك ماتت في الطابون"[534]. أما الوزغة (Tarentola mauritanica، بالعربية "أبو بريص"، "جُقّ")، فهي ترغب دائمًا في دخول البيوت، حيث تتوافر الفرصة لها لمطاردة البعوض على الجُدُر والسقوف[535]، ويُقال إنها خانت [النبي] محمد بصوتها العالي "جِقجِق"، وإن جلدها الأشيب ذا التآليل

---

(532) يُسمي الفلاحون عنكبوت البيت "شِبكِة"، وهو ما يعني "شبكة" أيضًا، وبيت العنكبوت يُسمى "شعشبون" أو "بيت شعشبون" (يُقارن بالعبرية "سِماميت"، الأمثال 30:28)، والعنكبوت الأرضي الأسود السام "عَنقَبوت" (يُقارن بالعبرية "عكّابيش" إشعيا 59:5) الذي يستخدمه أهل المدن للعنكبوت البيتي.

(533) يُقارن:

Löw, *de Vogue-Festschrift*, pp. 39ff.

(534) لماذا بالذات في فرن أو في غرفة فرن؟ فهذا ما لست بقادر على الإجابة عنه.

(535) البعض يعتبر أن وجود الوزغة في شبكة البعوض يعود بالفائدة.

قد يُذكّر بالجذام ("بَرَص") (ولذلك دُعيت "أبو بريص"). ونادرًا ما يشاهد المرء الورل النيلي (Monitor niloticus، "ضَبّ"، "وَرّان") الذي يقارب طوله المتر الواحد، إلا أن الحِرباء (Chamaeleo vulgaris، "حَربا"، "حَربايَة")[536] يمكن رؤيتها بكثرة على أشجار الزيتون والتين، وهي حيوان بغيض يَلعن قاتله ("يدعِ عَليه") قبل أن يموت، وبغيض جراء ما يصدر عنه من صوت: "جُوَّ هو"، أي: "إنه في الداخل". لذلك يُعتبر خائنًا للنبي محمد الذي كان مختبئًا في داخل كهف. فالتبدل المعروف للونها كان السبب وراء إمساكي بمثل هذا الحيوان في 22 حزيران/يونيو 1921 على شجرة تين، اعتقادًا مني أني قد قبضت على تينة مبكرة. ولذلك يستخدم المرء على الكرمل الحرباء ككاهنة تشير إلى الحظ قائلًا[537]: "يا حِربايَة بِنت أُختِ - بَللا اِفتَحيلِ بَختِ - هُوَ اِحمر وَل أبيض وَلَّ اخضر وَلَّ- سمَر"، أي: "يا حربايَة، بنت أختي، حلفتك بالله افتحي لي البخت، هل هو أحمر أم أبيض أم أخضر أم أسود!". وهنا ربما كان المقصود لون بشرة الزوج المستقبلي، والـ"أخضر" يُمثل "الرمادي الفاتح"، لأن الحصان الرمادي الفاتح يُسمى أخضر. ويصبح المعنى التوراتي لهذه الحيوانات واضحًا، فسفر اللاويين (11:29 وما يلي) يضع قائمة بِستة حيوانات من هذا النوع ويصنفها على أنها غير طاهرة. ومن هذه القائمة يعتقد سعديا أن "صاب"، "أناقا"، "قوَح"، "حومِط"، "تِنشِمِت" هي "صَبّ" ("ضبّ")، "وَرَل"، "حَردون"، "حَربا"، "سَامّ ابرص"، وبالتالي ورل، ورل الصحراء (Psammosaurus scincus)، سحلية وحرذون ووزغة. وحتى لو لم يكن كل شيء صحيحًا تمامًا من حيث التفصيل، فإن مجموعة الحيوانات المأخوذة في الاعتبار قد حُدِّدت بشكل صحيح.

الأكثر إزعاجًا بين الحشرات ربما كان الجدجد الحقلي (Gryllus campestris، "صَرصور")؛ فـ"غناؤه" قد يصيب المرء بالصمم، حين يتنقل المرء عبر الحقول الفلسطينية راكبًا. والاسم العربي والسرياني، وهما واحد، يُمكّن

---

(536) يُنظر بهذا الشأن:

Löw, *Cohen-Festschrift*, pp. 332ff.

(537) Mülinen, *Beiträge zur Kenntnis des Karmels*, pp. 25f.

المرء من إعادة التعرف إلى "صِلاصَل" ("صِلصَل")[538]، الذي يرد في التثنية (42:28) حين يحكم الرب على خلقه، ليصبح وارث جميع الأشجار والثمار على الأرض. وهذا ذو وقع ساخر، كون الجدجد بالذات سيصبح هو المالك الذي حدثني عنه أحد الأشخاص في سنة 1921 بالقرب من "شيخ العجمي": "بيجِ الصرصور بِجوع، بيجِ للنَملة بِقول لهَ يا بِنت عَمِّ اِطعَمينِ، هي بِتقول شو بَقيت تسوِّ في يوم الحَصايد؟ بقيت أغنِّ للعَذارَى قَصايد"، أي: "يجوع الجدجد، فيأتي إلى النملة[539] ويقول لها: 'يا ابنة عمي، أعطني شيئًا للأكل!' فتجيبه: 'ماذا كنت تفعل في وقت الحصاد (حين كان مهمًا جمع المؤن)؟' فيجيبها: 'كنت أنشد قصائد للعذارى'."شبيه بذلك ما رُويَ لي في تموز/يوليو 1912 في نابلس عن الزيز (Tettigia orni، "تِزّازة") الذي يسكن شجر الزيتون ويلفت الانتباه إليه بصريره العالي. وفي اليونان يعطي من خلال غنائه الذي يبدأ في حزيران/يونيو، إشارة بدء الحصاد[540]. و"صِلاصَل" الوارد في التثنية (42:28)، والذي يبدو أيضًا ساكن شجرة، ربما يعني الزيز.

والرب، من حيث كونه الخالق، ويقف خلف هذه المخلوقات، وقادر على استخدامها في سبيل غاياته، أمر مسلَّم به في مملكة إسرائيل القديمة، ولذلك كان أمره حاسمًا (سفر اللاويين 21:11 وما يلي؛ التثنية 19:14) باستبعاد بعضها من مجال شعب الله، وكذلك استبعادها من طعام الشعب من دون الحاجة إلى السؤال عن السبب. وفي أعمال الرسل (12:10 وما يلي)، يُقدَّم موقف مختلف، من خلال قرار إلهي جديد؛ فالسبب أن "بعل الذباب" في عقرون (الملوك الثاني 2:1 وما يلي، 6، 16) أصبح يُستخدم كاسم للشيطان (متى 25:10، 24:12)، والغاية هي الرغبة في عدم ذكر اسم الشيطان. إلا أن "بعل زبوب" العبرية يجري تحديدها التزامًا بما يأمر به القانون، أي عدم التلفظ

(538) يُترجم سعديا "فَروش" "فراشة"، أونكيلوس "سَقّآ" "جدجد"، Targ. Jer. I "حِلزونًا" "حلزون" (يُقارن بالعربية "حولِزان"، "حَلَزون").

(539) هي التي تجمع المؤن خلال الحصاد، وهي مذكورة أيضًا في الأمثال 6:6.8؛ 25:30.

(540) Mommsen, *Jahreszeiten*, p. 68; يُقارن: Hesiod, *Opera et Dies*, pp. 582f.

بأسماء الأصنام (الخروج 13:23؛ {107a} Mech. z. St.)[541]، و"بعل زبول" "بعل البيت" له صفة ألوهية مميزة هي السيطرة على الذباب، وهي في حد ذاتها بعيدة الاحتمال[542].

ك. الزراعة في الربيع

تتمتع أوقات المطر وفترات الريح الشرقية بتأثير حاسم في الوقت الذي يتم خلاله العمل في الحقل وفي بساتين الفاكهة؛ فالأمر يتعلق بالانتهاء من زرع الشتاء الذي يجب إتمامه قبل أن يتوقف مطر الشتاء. وهكذا يتحرك الفلاح في "اِذار" نحو السلسلة الأخيرة ("آخر ربطة")[543] للزرع، التي يُطلق عليها أحيانًا "صيفي"، أي "زرع الصيف"، لأنها تحصل قريبًا من الصيف، على الرغم من أنه يجب التمييز بينها وبين زرع الصيف الفعلي (ص 404). ويفترض الانتهاء من زرع الشتاء في أبكر وقت ممكن، بحيث يكون هناك فرصة لمطر كافٍ من أجل نموها؛ فقد قيل عن الزرع في "شباط": "زِرع شباط - ما عليش اِرباط"، أي: "الزرع في شباط لا يتمتع بأي عهد"، أي غير مضمون. وفي الإجمال يُقال عن "اِذار"[544]: "كِسارِة اِل- اِذار - بِتمَرمَر فيهَ الحِمار"، أي: "في أرض تَكَسُّر "اِذار" (أي في الحقل الذي بُذر فيه زرع القمح) يتمرغ (لاحقًا) الحمار" من دون التسبب بأذى. فمن الزرع المتأخر يُتوقع بشكلٍ عام القليل[545]؛ إذ إن[546] "اِحنَ مِن البِدرِي ما غَلّ زَرعنَ، حَتَّى مِن اللَقشِي نمِلّ كَوايِرنَ"، أي: "إذا لم نجنِ غلة حبوبنا من الزرع المبكر، فكيف سنتمكن من ملء كوايرنا من الزرع المتأخر؟" والصحيح هو: "شعير لِدّ وَقَمح ميلادِ"، أي: "شعير في عيد اللد [عيد مار جرجس] وقمح في عيد الميلاد" (مصح المجذومين). وعيد اللد في 3 تشرين

---

(541) يُقارن أيضًا:

Siphre, Deut. 61 (87b), Tos. Ab. z. VI 4, j. Ab. z. 43a, Sabb. 11d, b. Ab. z. 46.

(542) *Ζευς Ἀπομυιος* اليوناني الصاد للذباب (Paus. V 14, 2) لم يكن "إله ذباب" قَط.

(543) ص 262.

(544) Sonnen, *Landwirtschaftliches vom See Genesareth*, p. 83.

(545) يحث القول المأثور التالي على الحرث المبكر: "الرزق اِلِ ما اِنفلح بِآذار - يَمّا بار" (كما لو يكن قد فُلح)، إذ يُقال: "آذار حَبَل - نيسان سَبَل"، أي: "في "آذار" إخصاب وفي "نيسان" سنابل (Ibid., p. 866).

(546) Ibid., p. 78.

الثاني/ نوفمبر (التقويم اليولياني) هو الوقت الفعلي لحرث الزرع[547]: "علَ عيد لِدّ يا بِتهِدّ يا بتِقِدّ"، أي: "في عيد اللد إما أنك غير قادر (على الحرث من قلة المطر) أو أنك تحرث" (مصح المجذومين). كما يتناغم سفر الأمثال (4:20) مع هذه القواعد: "الكسلان لا يحرث بسبب الشتاء، فيستعطي عبثًا في الحصاد ولا يُعطى". وعلى ما يبدو، فإن البذر في الشتاء وحده هو الكفيل بمحصول جيد. وفي أي حال تُذكِّر أزهار الربيع التي تظهر متفتحة بحلتها الكاملة بضرورة عدم التلكؤ في إنهاء بذر الزرع[548]؛ فإزهارها يعني أن نمو الربيع شارف على نهايته. وحينئذ يجب أن يكون المرء قد احتاط في ألّا يفوّت القمح موعده، والذي هو في نهاية الأمر جزء منه. وإذا انطبق هذا على "اِذار"، ينطبق بشكل أكبر على "نيسان" الذي ينتمي إليه الحوذان القرمزي، والذي غالبًا ما يُستذكر في القول الوارد في ص 262، والذي يُشير حين يظهر الـ"بَرقوق" إلى نهاية بذر الزرع. حينئذ يحمل التذكير بالنسبة إليه المعنى نفسه[549]: "في نيسان - ضُبّ العِدّة والفِدّان"، أي: "في "نيسان" عليك حفظ المحراث والثيران!". وبحسب القزويني[550]، تتشكل سنابل القمح في الاعتدال الربيعي، أي في 18 "آذار"، وتجعل Geoponica II 14, III 3 زرع القمح والشعير المتوقف في الانقلاب الشتائي (24 كانون الأول/ ديسمبر) ينتهي على نحو واضح في 15 آذار/ مارس أو على الأبعد عند الاعتدال الربيعي.

ومن المفترض أن تكون الأزمنة التوراتية القديمة قد شهدت زراعة مبكرة ومتأخرة، ومن الطبيعي جدًا أن تُستغَل الإمكانات المختلفة التي يوفرها فصل الشتاء الفلسطيني لفلاحة الأرض. ويُبرز الخروج (32:9) أن القمح والـ"كسيمت" [عَلَس وهو نوع جديد من الحنطة] كانا في موعد زمني "متأخر" (بالعبرية "أفيلوت") مقارنة بالشعير والكتان. وهذه هي البداية في ما يتعلق بنموها، ويفترض قيام زراعة متأخرة. وعن معنى "لِقِش" في عاموس

(547) يُقارن ص 165، حيث هناك صيغة وتفسير آخر للقول.

(548) ص 262، 348.

(549) Canaan, *JPOS*, vol. 3, p. 32.

(550) Kazwini, *Kosmographie*, I, p. 77.

(1:7) يُنظر أدناه، يُفترَض في الأوقات ما بعد التوراتية أن نمو الزرع المبكر يكتمل في 15 نيسان/ أبريل، بحيث إن القيام بـ"تشكيل الحزمة" [أمام الرب] في عيد الفصح يكون من أجل فائدة الزرع المتأخر والزرع المبكر في السنة الزراعية المقبلة[551] ولكن يُنصح في جميع الأحوال بالزرع في الفترات المبكرة والمتأخرة، ولا سيما أن لا أحد يعلم هل الزرع في فترة أو أخرى أو في الفترتين سوف ينمو[552]. ويُزهر كل من الزرع المبكر والمتأخر (بالآرامية "بكّير" و"لقّيش") في الوقت نفسه في شهر آذار/ مارس[553]. وفي السنة السبتية، يجب اكتمال حرث الأرض الخالية من الأشجار مع حلول عيد الفصح، أي في منتصف نيسان/ أبريل، لأن الرطوبة الناتجة من ماء المطر تكون قد انتهت، وهذا ما أمر به المشنا[554]. ويبدو أن هذا يفترض أن الحرث في سنوات أخرى قد يستمر وقتًا أطول.

ولأن الـ"كسميت" المذكورة أعلاه، وهي تظهر في إشعيا (25:28)، جنبًا إلى جنب مع القمح والشعير كصنف من أصناف الحبوب الفلسطينية ويشار إليها في الخروج (32:9) في ما يتعلق بمصر، وفي حزقيال (9:4) بالنسبة إلى بابل، قد بقيت دونما نقاش في سياق زرع الشتاء ص 261 وما يليها، يجب الاستطراد هنا بالقول إن العلس كانت تُزرع في فلسطين الرومانية[555] على الرغم من عدم إثبات ذلك منذ ذلك الحين، وربما ذلك للتشابه اللفظي بينهما، حيث يستخدم سعديا "كِرِسنّة"، أي (Vicia Ervilia)، التي لا تتفق مع إشعيا (25:28) ولا مع المشنا، Kil. I 1، لأنها من البقوليات وليس من الحبوب. ويفهمها ابن ميمون

---

(551) b. R. h. S. 16[a].

(552) Ber. R. 61 (128[b]),

يُقارن ص 167.

(553) J. R. h. Sch. 58[b], Sanh. 18[c], b. Sanh. 18[b],

وأعلاه، ص 330.

(554) Schebi. II 1,

يُقارن I 1.

(555) يُنظر:

Kil. I 1.9,

وهنا وهناك.

(عن Kil I 1) على أنها "قمح بري"، مع أن المقصود بذلك نوع من الثمار. وهذا ربما ما استدعى لوف[556] إلى اقتراح Triticum dicoccum، التي أثبت آرونسون نموها بشكل بري في شرق فلسطين[557]، وثمة صلة بذلك للقمح المحسّك الذي يُزرع الآن في فلسطين. وتدعو التسميتان العبرية والعربية للشعير "سِعورا" و"شعير"، المرء إلى استنتاج أن الشعير كان يومًا ما "شَعري"، وقد ميّز نفسه من القمح غير المحسّك. وبناء عليه، يمكن إطلاق "كسيمت" على صنف القمح المحسّك. إلا أن العلس [الحنطة] (Triticum Spelta)، الذي كان يُزرع في مصر قبل القمح[558]، يجب أخذه، وبشكل جدي، في الاعتبار، مع أنه اختفى من الشرق، وهو معروف لديّ لأنه يُزرع في فيرتمبيرغ (Württemberg) [مقاطعة في جنوب غرب ألمانيا]. وهو يفتقر، مثل قمحنا، إلى الحسك الطويل، لكنه يمتلك سنبلة رخوة غالبًا ما تذكّرنا بالزؤان.

ومن بين البقوليات التي تُدرج في سياق زرع الشتاء[559]، إضافة إلى الشعير والقمح، والفول (Vicia faba، بالعربية "فول") الذي يُثْبَت وجوده بكلمة "بول" العبرية في صموئيل (28:17)، Kil. I 1، وPea VIII 3، بالنسبة إلى فلسطين القديمة والرومانية، وفي حزقيال (9:4) بالنسبة إلى بابل[560]، وكان معروفًا في مصر أيضًا[561]. وهناك كذلك الـ"كرسنة" (Vicia Ervilia)، التي تُستخدم علفًا للأنعام، والتي جرى، في أي حال، زرعها كـ"كرشِنّا" في فلسطين الرومانية[562]، وكذلك العدس (Evum lens، "عدس") الذي عرفَتْه جيدًا الأزمنة العبرية القديمة باسم "عداشا" (التكوين 34:25؛ صموئيل 28:17، 11:23؛

(556) Löw, *Hakedem* (1907), pp. 47ff.

(557) Aaronsohn, *Agricultural and Botanical Explorations in Palestine* (1910), p. 42ff.

(558) Hartmann, *Agriculture*, p. 48f.

(559) يُقارن ص 261 وما يليها.

(560) يُقارن:

Löw, *Flora* II, p. 492.

(561) Hartmann, *Agriculture*, p. 54.

(562) Ter. XI 9,

وهنا وهناك،

Löw, *Flora* II, pp. 483f.

حزقيال 9:4)[563]. ومن فلسطين اختفى الكتان (Linum usitatissimum، بالعبرية "بِشتا"، بالعبرية الحديثة "بِشتان"، بالعربية "كتان"). ولم أره يُزرع قط، ولكن وفقًا للخروج (31:9)، فقد تطور ونما في الوقت ذاته مع الشعير، وكانت زراعته شائعة في فلسطين في العهد الروماني[564].

مع الزرع الشتوي المتأخر، لا ينتهي العمل في الحقول في الربيع؛ فالحرث التمهيدي ("كِراب"، "شقاق") وحرث الزرع ("حِراث"، "فِلاح") من أجل زرع الصيف "صيفي" يجب أن ينتهي في "نيسان"، بحيث يستطيع استقبال الرطوبة الضرورية لإنباته من المطر المتأخر، أو يجدها في التربة. وكلما تكرر الحرث، كان ذلك أفضل للزرع. وبالقرب من حلب، قال لي صديقي البدوي حميد[565]:

"البور ما يِطالع تعب الثور
والشقاق ما يِطعم ارقاق
والثِناية ما مِنَ غناية
والتِثليث ما عنُ تِحديث
والتِربيع اِفتح الجُبّ وبيع
والتخميس ذهب بالكيس"

ويعني ذلك:

"الأرض البور لا تعوّض جهد الثور
والشق (قبل حرث الزرع) لا يعطي رغيف خبز للأطفال
والحرث الثاني لا يُغني
والحرث الثالث لا يستحق الحديث عنه
ولكن مع الرابع افتح المخزون وبعْ.
والخامس ذَهَبٌ في الكيس".

---

(563) يُنظر أيضًا:
Kil. VIII 5, Löw, *Flora* II, pp. 442f.

(564) Bab. mez. IX 9, Bab. bathr. VI, Tos. Bab. mez. IX 31f., Maas. sh. 56d,
يُقارن:
Rieger, *Technologie und Terminologie der Handwerke in der Misnah*, I, pp. 7ff.

(565) Dalman, *Pal. Diwan*, p. 3.

ويتألف زرع الصيف الذي يعود نموه إلى الصيف الخالي من الأمطار، من ذرة (Sorghum annuum، "ذرة"، "اذرة"، "ذرة بيضا")، ذرة صفراء (Zea Mays، "ذرة صفرة"، "ذرة فرنجية")، حمص (Cicer arietinum، "حُمُص") وسمسم (Sesamum indicum، "سِمسِم"). يُضاف إلى ذلك في أرض الحولة الأرز (Oryza sativa، "رُزّ") والدخن (Panicum miliacaem، "دُخن"، "ذرة حمرة") الذي نادرًا ما يُزرَع. وفي فلسطين لم أشاهد أو أسمع قط شيئًا عن دخن ذيل الثعلب (Setaria italica، "دُخن" أيضًا)، والذي يأتي جورج بوست إلى ذكره.

لا تُعتبر الذرة البيضاء والذرة الصفراء ذواتَي شأن في الأزمنة القديمة التوراتية وفي الأزمنة ما بعد التوراتية، كونهما دخلتا إلى فلسطين متأخرتين. ويَظهر **دوحَن** في حزقيال (9:4) بين محاصيل الخبز في بلاد الرافدين التي يذكرها المشنا عن فلسطين أيضًا. وبسبب "دُخن" العربية (يُنظرأعلاه)، لا بد أن تخطر في البال هنا كلمة دخن وعلاوة على ذلك يعرف المشنا[(566)] الأرز (بالعبرية "أورِز") والبراجيم والسمسم (بالعبرية "شُمشوم") كمحاصيل حقول. وينقل ابن ميمون الاثنتين الأخيرتين تحت اسم "خشخاش"[(567)]، أي خشخاش و"سُمسُم". كما يُذكَر الحمص بصيغة "أفونيم"[(568)] التي يوضحها ابن ميمون من خلال كلمة "حمص" وتُقرأ بالفلسطينية الآرامية "حِمِّصا"[(569)]؛ ذلك لأنها تُزرع على نطاق واسع يمكن افتراضه من وصف الحقل الذي أعطى 300

(566) Schebi. II 7, Chall. I 4,

يُقارن:

Siphre, Num. 110 (31a), Mech. Bo. 17 (20a), Midr. Tann., Num. 110 (S. 113), j. Pea 16c, Targ. Jer. I 4. Mos. 15, 19, b. Pes. 35a

(567) النصوص تتضمن Chall. I 4 "خُشباش"، ويجب، بحسب برتِنورا (Bartenora)، تصحيحها إلى "خشخاش".

(568) Pea III 3, Kil. III 2, Schebi. II 8;

يُقارن:

Löw, *Flora* II, pp. 427ff.,

الذي يعتقد أن "أبّون" "أنف صغير" مشتقة من "أف" "أنف"، هو اللفظ الصحيح، وإلا فكر المرء في كلمة "أوفن"، أي "عَجَلة".

(569) j. Ab. z. 44d.

ضعف، والذي لولا "الندى الشرير"[570] لكان يمكن أن يعطي ضعف ذلك[571]. وفي مصر القديمة أُثبت وجود الحمص والسمسم ولم يُثبت وجود الذرة البيضاء والصفراء والأرز[572]، ويُفترض وجود الدخن والحمص والسمسم في فلسطين العبرانية القديمة، ما يترتب على ذلك أن في ذلك الوقت كان هناك، على نطاق محدود، "زرع صيفي". وإنه لأمر ذو دلالة أن تقويم جيزر (Gezer) الزراعي (ص 7) لا يعرف - على ما يبدو - زرعًا أو محصولًا صيفيًا. وتعزز Geoponica II 38, III 3 زراعة الدخن (*χεγχρον*)[573] انطلاقًا من الاعتدال الربيعي (24 آذار/ مارس)، في حين أن السمسم يجب زراعته في شباط/ فبراير. ولا تُذكَر الذرة البيضاء هنا، أي لم تكن تُزرع، ولا الذرة الصفراء، منذ *ξεια*، التي تُذكَر أسفل آذار/ مارس (III 3)، والتي يجب فهمها كعلس، مع أن مثل هذا الزرع المتأخر يبدو مستغرَبًا.

إزالة العشب

يحتاج الزرع الشتوي بشكل خاص، ومنذ أن يبدأ النمو مع النباتات البرية، إلى التعشيب كيلا تُلحق الحشائش بنموها الوافر، والذي كثيرًا ما يمتد بشكل أفقي، الضررَ بالحبوب (متّى 13:7؛ مرقس 4:7؛ لوقا 8:7)[574]. لأن الحشائش قد تكون مهمة أيضًا، خاصة إذا كانت البقوليات التي تؤمن النتروجين موجودة[575]، وهذا ما قد يجري التغاضي عنه هنا. وعلى نحو غريب، ليس

---

(570) يُقارن أعلاه، ص 313 وما يليها.

(571) j. Pea 20[b].

(572) Hartmann, *L'Agriculture dans l'Anciennte Egypte*, pp. 53ff., 59;

إلا أن السمسم، بحسب

Keimer, *Gartenpflanzen*, vol. 1, pp. 18ff.

في العصر البطلمي فحسب.

(573) هذا هو دخن ذيل الثعلب (Panicum miliaceum) الذي يدعى الآن *χεγχί*، يُنظر:

Heldreich, *Nutzpflanzen Griechenlands*, p. 68.

(574) يُقارن:

Dalman, *PJB* (1926), pp. 126f.

(575) يُنظر:

Auhagen, *Beiträge zur Kenntnis der Landesnatur und der Landwirtschaft Syriens*, p. 59.

للتعشيب ذكر في العهد القديم البتة، في حين أنه موضوع معروف في الأدبيات ما بعد التوراتية؛ ففي قائمة الأعمال الضرورية لإنتاج الخبز[576]، يتبع التعشيب (بالعبرية "نِكّيش")[577]، حيث يضيف بعض النصوص عملية القص (بالعبرية "كِسَّح") أي قص تلك الأعشاب التي لا يمكن اجتثاثها والتي تظهر في سياق آخر في إشعيا (12:33)[578] والمزامير (17:80). ويبدأ المرء بالقص حين يكون طول سنابل الحبوب قد بلغ شبرًا، ويفترض أنه لن يُلحق الضَرر بنباتات الحبوب حين دخوله الحقل من أجل هذا الغرض، ثم تبدأ السنابل بالتشكل في نهاية نيسان/ أبريل. وقد لاحظنا هذا في 31 آذار/ مارس 1911 في سهل "خربة المقنع" [سهل حوارة] بالقرب من "نابلس"، وفي 20 نيسان/ أبريل 1914 بالقرب من بيت نِتّيف، وفي جبال يهودا لا يزال يحدث هذا الأمر في نيسان/ أبريل وبداية أيار/ مايو. والتعشيب هو شغل النساء اللواتي تصطحب منهن المرأة المرضعة رضيعها إلى الحقل. وعن اللواتي يشتغلن بذلك، يقول أحدهم: "بِعَشِّبُ"، أي "يزلن العشب"، لأن مهمتهن هي إزالة "العشب" من بين الزرع. أما الأهمية التي تُنسب إلى التعشيب، فتتضح من الأقوال[579]: "العشّاب غلب الكرّاب" أي: "العشَّاب غلب الحرَّاث". و: "النقّا غلب السقا"، أي: "منقي (الأرض) يعلو على عامل السقي". أما ما هو نوع العشب الذي ينمو في الحقول، فهذا ما يحدده النبات البري المنتشر في المشهد الطبيعي ذي الصلة. وفي هذا الصدد، لا تكون المناطق الجبلية والساحلية، والتربة الجيرية والبركانية، هي ذاتها. وسيكون ذلك حكمًا إلهيًا لو أنه، بدلًا من القمح الذي أتلفته الريح الشرقية، كان هناك في الحقل (إرميا 13:12؛ إشعيا 13:32) نباتات شائكة وزعرور، حيث لا تميز الكلمة العبرية "قوصيم" كما في الخروج

---

(576) j. Ber. 13c, Schek. 48c, Pesikt. 69a,

مختصر:

Tos. Ber. VII 7, Vaj. R. 28 (76a), b. Ber. 58a.

(577) يُقارن:

Vogelstein, *Landwirtschaft*, pp. 55f.

(578) يترجمها سعديا بالكلمة العربية "كَسَح"، أي "اجتث، قطع".

(579) Sonnen, *Landwirtschaftliches vom See Genesareth*, p. 86.

(5:22) بين نباتات شائكة ونباتات ذات شوك حقيقي. إلا أن هناك العديد من الأماكن، حتى في حقل الزرع الطبيعي، يسعى "الشوك" إلى أن تكون له اليد العليا فيها (متّى 13:7؛ مرقس 7:4؛ لوقا 7:8)[580]. وفي الجبال، يُعتبر العصفر البري (Carthamus glaucus، بالعربية "قوص"، "قوس") النبات الشوكي الأكثر انتشارًا في الحقول[581]. وهناك الشبرق الشائك (Ononis antiquorum، "شِبرُق")، ولكن لا ريب في أن من غير الممكن إطلاقًا إزالة الأعشاب بالكامل، بحيث يتوافر للمرء سبب في الإشفاق على المُغمِّر، أي مَن يشد السنابل في حُزَم؛ إذ إن عليه جمع حزم السنابل بين الأعشاب الشائكة والواخزة، فينادي المرء عليه[582]: "يا مغَمِّر يا حزين - كِم دَفَنّالك دَفين - بين بُلانا وشِبرُك - وقرصعنّة ما تلين"، أي: "أيها المغمّر، يا حزين! كم أخفينا عنك [الشوك] بين البلان والشبرك، والقرصعنة غير الطرية". وتبقى رغبة جميع الحصادين معقولة[583]: "يا ريت الشوك ما بان - ولَ تخلّق ولَ كان": "ليت الشوك ما ظهر ولا وُجد ولا خُلق". ولكن في كل مكان في البلاد يوجد نوع من العشب يُدعى زؤان (Lolium temulentum، "زُوّان"، "زَوان"). ويعتبره المرء قمحًا مسحورًا، زاعمًا أنه قد يحصل أن يزرع المرء قمحًا فينمو ثلثاه "زؤانًا"، لأن القمح قد حوّل نفسه إليه ("القمح بقلب بِزوان"). وهكذا قيل في فلسطين [القديمة] عن الزَوانين أيضًا[584]: "إنها نوع من بغت الثمار (ولذلك أثمرت نباتات منحلة)". لقد كان معروفًا في الفترة

---

(580) يُقارن:

Dalman, *PJB* (1926), pp. 126f.

(581) يُقارن أعلاه، ص 51، 339 وما يليها. يُذكر الاسم اللاتيني، الذي يظهر بالعربية "قُرطُم"، بكلمة "قُرطُب" التي يستخدمها سعديا في إشعيا 23:7 بدلًا من الكلمة العبرية "شَيت" التي تماثل بالمسيحية الفلسطينية في التكوين 18:3 الكلمة العبرية "دَردَر"، وبالسريانية في متّى 16:7 *τριβολος*، حيث من المفترض أن يكون قد قصد شجيرة شائكة خفيضة لا يستطيع المرء أن يقطف منها تينًا، وحيث تطابق شجيرة العليق التي استخدمها هافا (Hava) الكلمة العربية "قُرطب" بشكل أفضل.

(582) Dalman, *Pal. Diwan*, p. 8.

(583) Ibid., p. 5.

(584) J. Kil. 26d;

يُقارن:

Siphra zu 3. Mos. 19, 29 (90d),

وعادة يقرأ المرء "زونين"، والتي هي في أغلب الظن غير صحيحة.

التي سبقت الطوفان أن انحطاط الأرض يتجلى في تحول القمح هذا. "زرع المرء القمح وهو أثمر زؤانًا. والزؤان الذي تثمره مصدره جنس الطوفان"(585). كما أن من المفترض أن يكون قد جرى التفكير في الزؤان؛ إذ يرد في أيوب (40:31): "بدلًا من الشعير ينمو 'بائشا' أي شيء بغيض"، والذي يترجمه سعديا بكلمة "زُوّان". وتعرف Geoponica II 43 أن *ζιζανιον* تتلف القمح، وإذا دخلت الخبز، أظلمت عيون الناس، على الرغم من أن بذوره جيدة كعلف للدجاج والحمام، وهي حقيقة (XIV 1.7) معروفة في فلسطين اليوم. وهكذا يُزال الزؤان من الحقل، كما يذكر متّى (28:13)(586)، جنبًا إلى جنب مع أعشاب أخرى، خاصة النباتات الشوكية، ولكن ليس في كل مكان. ومن تعليمات رب البيت في حكاية يسوع (متّى 29:13 وما يلي) ترك الزؤان *ζιζανια* ينمو حتى الحصاد ثم فصله بعد ذلك عن القمح. ويستنتج فوغلشتاين(587) تقليدًا مماثلًا عند بعض الفلاحين لإزالة الأعشاب مباشرة قبل جني المحصول. وهذا ليس مجديًا لأن المرء لا يستطيع أن يدوس الحبوب الناضجة للحصاد من دون أن يُلحق بها ضررًا، وهو ما ليس مفترضًا في الحكاية. بل على المرء أن يُفكر في فصل الأعشاب عن القمح بعد الحصاد، وبعد الدرس على البيدر، كمحطة انتقالية بين الحصاد والنقل إلى المخزن، وهذا ما لم يؤخذ في الاعتبار هنا. ويمكن، خلال الحصاد، من ناحية فنية، ترك الزؤان يسقط عند حزم القمح المحصود باليد، ثم التعاطي معه بشكل منفصل، في حين أن العملية المعاكسة لن تحدث أبدًا. ومن هنا جرى تحديد التعبير في متّى (30:13) من خلال الرغبة، بحسب (41:13)، لتصوير حكاية الإزالة الأولية للملحدين من حيز الرب؛ لأن المرء قد يُثمن حتى الزؤان في حال كان جزءًا من الوطن، وهذا ما تقوله الأمثال التي تبالغ(588): "زوان بَلَدَك ولا قمح الناس"، أي: "زؤان بلدك أفضل من قمح

(585) Ber. R. 28 (57b).

(586) يُقارن:

Dalman, *Orte und Wege Jesu*3, pp. 200ff.

(587) Vogelstein, *Landwirtschaft*, vol. 1, pp. 55f.

(588) Bauer, *Volksleben*2, p. 262.

الآخرين"، و: "زوان بِلادنَ وَلا قمح الصليبِة[589]"، أي: "زوان بلادنا ولا قمح كومة الغرباء".

قَطْعُ النباتات البرية والحبوب الطرية

ثمة حقيقة معلومة هي أن إنتاج القش غير موجود في فلسطين، أي لا تُقص نباتات برية بغية تركها تجف والاحتفاظ بها علفًا دائمًا؛ لأن الطبيعة توفر بديلًا من ذلك، كما ورد في ص 328. ولا يستثني ذلك أن يقوم المرء بين الحين والآخر بقطع نباتات برية نضرة لإطعام الماشية، حين لا يكون سَوْقُ الماشية إلى المرعى ممكنًا، بل عليها أن تحصل على ما هو ضروري في مكان ثابت في البيت أو في الطريق. وهذا ما كان يحصل في آذار/ مارس ونيسان/ أبريل مع الخيول والبغال والحمير التابعة لِقافلة مؤسستنا، والتي كانت تُربَط قرب خيامنا، ويُلقى إليها ليلًا علف أخضر ("حشيش") طري كمكمِّل للشعير المحمول معنا. ولا بد أن قول القزويني العربي الوارد في ص 330 والخاص بـ 9 "اِذار" يُذكِّر بمثل هذا الحشيش المقصوص حديثًا[590].

من أجل علف الماشية يُحصد في فلسطين اليوم، بين الحين والآخر، الشعير القصير في آذار/ مارس بمنجل الحصّاد التقليدي، خصوصًا إذا نما الشعير في ربيع رطب بشكل سريع جدًا، بحيث يكون هناك خوف من أن تسقط سنابله. وبعد هذا الحصاد المبكر، يعود الشعير فينمو ويُعطي محصولًا عاديًا. وتحصل أنواع الماشية كافة، من الجمال حتى الماعز، على الشعير الحديث القص، والذي يُطلَق عليه عادة "قَصيل". وقد سمعت ذلك بنفسي قرب القدس وفي السلط. وأكد لي صحة ذلك الأب مولر في القبيبة وكبير المعلمين باور في القدس، وقد أخبرَنا الأخير أن هذا القص يحصل أيضًا للقمح، ولكن بشكل نادر. كما أن قاموس **محيط المحيط** يعرّف "القصيل" على أنه شعير، والذي

(589) Harfouch, *Drogman*, p. 325,

مع تفسير خاطئ لِـ "صليبة".

(590) ويُذكَر العلف الأخضر في الأقوال المأثورة: "في آذار - بشنهق الحمار"، وذلك بسبب العشب الأخضر النامي الذي يتم الآن توقعه، و: "بـ نيسان شِمّ وجِمّ [اقطع]" ما قد نما الآن (Ibid., pp. 667ff.).

يُقصّ (إنجزٌ) كعلف للماشية أخضر نضرًا. وعند دوزي (Dozy)[591]، يجري الحديث عن شخص قام سنويًا بزراعة 1000 مكيال شعير كـ"قصيل" لدواب الركوب الخاصة به. وفي اليونان غالبًا ما يُزرع الشعير علفًا أخضر، وترعاه الماشية في نيسان/أبريل أو يُقص بدلًا من ذلك ليكون تِبنًا[592]. ولا يُذكر بشكل صريح إذا كان الأمر يتعلق هنا بتبن جاف. وفي جميع الأحوال، لا يجري الحديث عن حصاد لاحق. وفي الشريعة اليهودية، فإن حصاد الحبوب عندما يكون أخضر "شحت" [حشيش مجفف] (لعلف الحيوان) هو مسألة معروفة؛ فالحبوب تُحصد لهذه الغاية[593]. وقد يُستأجر حقل لهذه الغاية[594] أو يُباع الحصاد المكتمل[595]، وتُستخدم علفًا للماشية[596]. وربما يُشير الاسم العبري إلى أن نموًا إضافيًا للمحاصيل المحصودة لا يعوّل عليه دائمًا، بل إن الحبوب كانت تُستخدم علفًا أخضر. ومع ذلك، لا يُعدَم برهان أن ثمة غلة تأتي بعد الحصاد. ويُعتبر ذلك بركة ربانية، لأن الأمر لا يستوجب إرسال الماشية إلى البرية بحثًا عن الكلأ، حيث يرد في التثنية (11:15): "واعطِ لبهائمك عشبًا في حقلك، فتأكل أنت وتشبع". ويعلق المدراش[597]: أنت تقص ("جوزيز") [العشب] وتلقيه طوال الشتاء أمام ماشيتك وتُوقِفْ هذا [الأمر] ثلاثين يومًا قبل المحصول، ولا يعود (الحقل) عليك، بسبب ذلك، بغلّة أقل". ويتوافق مع ذلك، أن ابن ميمون يقدم في Pea II 1 الكلمة العربية "قصيل" بدلًا من "شحت"، وكذلك في Kil. V 7، حيث تُدعى نباتات الحبوب الناشئة قبل تشكل السنابل "عسابيم"، والتي يعزوها إلى "قصيل".

(591) تحت كلمة "قصل".

(592) Mommsen, *Griech. Jahreszeiten*, p. 64; Heldreich, *Nutzpflanzen*, p. 5.

(593) Pea II 1, Siphra, Ked. 2 (87^c),

يُقارن:

Pea VI 10; Vogelstein, *Landwirtschaft*, p. 64.

(594) Tos. Bab. mez. IX 30.

(595) Tos. Ab. z. II 4.

(596) Sabb. XXIV 2, Men. X 8.

(597) Siphre, Dt. 43 (80^b), Midr. Tann. zu 5. Mos. 11, 15 (S. 36).

فما يقوله عاموس (1:7) عن الجراد، يجب فهمه على خلفية هذه الحقائق: لقد خلقهم الرب "في بداية نمو الزرع المتأخر ("لِقيش") بعد جزات ("جِزّي") الملك"، أو كما يُوردها الترجوم: "في بداية نمو الزرع المتأخر ("لِقيش")، أي إخراج الحَبِّ الجديد، تُجَزّ الجزة الخضراء ("شِحَتا") للملك ('اتجِزيزَت')"[598]. ولذلك، من الواضح أن الترجوم يقصد النمو الذي يبدأ بعد حصد الحبوب، وأن "ليقش" بالنسبة إليه ليس مجرد أي حبوب زُرعت في وقت متأخر، بل النمو الثاني بعد قص "شحت". وبذلك يكون معروفًا أن الجراد وصل في وقت يكون فيه النمو الثاني غير وارد إطلاقًا. ويشرح كيمحي: "بعد أن يُقص العشب كعلف لحيوانات الملك، ينمو من جديد ويطلق عليه (في هذا الوضع) 'ليقِش'". وقد يكون التفكير هنا معنيًا بالنباتات البرية. ولكن، بحسب Kil. V 7، ربما يكون قد عنى بِـ"العشب" نباتات الحبوب الناشئة كما تبدو في قاموسه تحت كلمة "جَازز". ويبقى سيان إذا كانت الإشارة في عاموس (1:7) إلى "'ليقش' بعد جزات الملك" مجرد حاشية تفسيرية إضافية، أو أن تكون الإشارة عائدة إلى النص الأصلي، خصوصًا أنها تشهد على تقليد فلسطيني قديم. والمعروف أن الجراد يأتي في وقت غير ملائم، وأن كلمة "ليقِش" تشير إلى زرع متأخر، فإذا سقط فريسة للجراد، لا يمكن تعويضه بزرع جديد لأن وقت المطر المتأخر يكون قد انتهى، ووقت الجفاف قد بدأ. ولذلك، يجب أن يكون الجراد قد وصل قبل نهاية نيسان/ أبريل. وهذا يتماشى مع "النار"، أي الحر الذي يأتي، وفقًا لعاموس (4:7)، بعد الجراد، أي في أيار/ مايو الذي تسوده الرياح الجنوبية الشرقية الحارة. ولكن يبقى السؤال مفتوحًا هل قصد بجزات الملك وبِـ"لقيش" نباتات برية، وبالتالي قص النباتات البرية في حوالى نهاية آذار/ مارس ونموها الثاني تحت تأثير المطر المتأخر؟ أو قُصد في كلتا الحالتين الحبوب، وبشكل أساسي الشعير، كما يفترض الترجوم؟ ويتحدث عاموس (2:7) عن "عشب البلاد" ("عاسِب هآرِص") الذي يبيده الجراد، وهذا يجب أن يشمل الحبوب لأن من غير المعقول أن يلتهم الجراد النباتات البرية ويترك محاصيل الزرع سليمة. وليس من المحال أن تشير عبارة "جزات الملك"، مثل

(598) في تقويم جيزر (أعلاه، ص 7) ربما كانت "لاقيش" ("لِقِش") تعني "نموًا متأخرًا" [القّيس].

كلمة "لقيش"، إلى عشب الأرض وحده، بل يجب أن يكون أكثر احتمالية، حين يكون متوقعًا النمو المتأخر اللاحق، ادعاء الملوك الحق في رعي النباتات البرية أو قصها في كل مكان في البلاد، بدلًا من بسط هذا الحق على الحقول. ويتعلق الأمر في الحالة الأولى باعتداء على ممتلكات البلدات، وفي الحالة الأخيرة بإتلاف الممتلكات الخاصة، ولا سيما أن ليس في وسع الملّاك أن يقرروا هل كان القص في حالات منفردة ذا جدوى أم لا. وفي الملوك الأول (5:18)، يُنظَر إلى مسيرة عوفاديا التي أمر بها آخاب في سنة جفاف، بغية البحث عن عشب ("حاصير") عند عيون الماء والأودية في البلاد لخيول الملك وبغاله، كتدبير استثنائي ولا علاقة لها بالحق الخاص بالملك[599]. وعلى المرء أن يفكر في ذلك كشيء حصل في أيار، كأقرب وقت ممكن، حين تكون امكانية سقوط مطر غزير قد فاتت، وحين يكون محصول الشعير لم ينتج العلف الضروري الجاف، بحيث يخاف الناس على بهائمهم من الفناء، كما يقول ذلك آخاب بشكل صريح. كذلك في المزامير (6:72)، حيث يُقارن حكم الملك بالمطر النازل على "جيز"، أي النباتات المجزوزة التي تنهض من أجل نمو جديد نتيجة هذا الانتعاش. وهنا يفكر سعديا بالحبوب ("زَرع")، في حين أن الترجوم، متآلف مع عاموس (1:7)، فهو يتحدث عن الـ"عشب" الذي "جزه" ("جِزيز") الجراد، ويفكر المرء بجز الغنم[600]؛ فذلك ما لا يجد سندًا له، لا في المزامير (6:72) ولا في عاموس (1:7). فكلاهما يعود إلى بداية الصيف، حين لا يعود "النمو المتأخر" متوقعًا.

بداية الحصاد

بعد الانتهاء من إزالة الأعشاب الضارة وبعد جز محتمل لأعشاب خضر ("قصيل")، يسود الهدوء في الحقول بضعة أسابيع إلى أن يحين موعد الحصاد. ويقول المرء عن "أيار" أنه يدعو إليه "جمادى"، لأن في سياقه "يتخثر الغذاء في الزرع" ("بِجمد العيش بالزَرع") (القبيبة). وفي الشهر ذاته يبدأ في جميع أنحاء البلاد الحصاد ("حصيدة")، ولكن في المناطق الجبلية يبدأ الحصاد في

(599) يُقارن أعلاه، ص 334.

(600) هكذا ميخيليت (Michelet)، عاموس، ص 217.

منتصف الشهر، لأن الحبوب تكون الآن قد نضجت، وهو ما يدل عليه لون الشعير الأصفر الذي ينضج أولًا، ولون القمح الفاتح الذي ينضج لاحقًا. ولذلك يتحدث المرء بالتساوق مع يوحنا (35:4) عن ابيضاض الزرع، وهو ما يجب تمييزه من ابيضاض اللون قبل أوانه جراء هبوب مبكر للريح الشرقية[601]. وهكذا يقال حينئذ عن أيار: "في أيار – اسحب مِنجلك وغار"، أي: "في "أيار" اسحب منجلك واسرع!" (رام الله)؛ ذلك أن المرء "يسحب" المنجل مثلما يسحب السيف، أي أنه يقوم باستخدامه، فهو العدة الأساسية في الحصاد. وبناء عليه ليس أساسيًا أن يستخدم المرء منجل القص الحاد والمسنن (بالعربية "مِنجل")، أو منجل اقتلاع الثلم ("قالوش") في حال الحبوب القصيرة الطول. ولم يكن الأمر مختلفًا في الأزمنة القديمة، وفقًا لسفر التثنية (9:16، 26:23)، حيث تُستخدم الكلمة العبرية "حِرميش" للمنجل، وبحسب إرميا (16:50) ويوئيل (13:4) (يُقارن يوحنا رؤيا 15:14 وما يلي)، يُستخدم لذلك "مَجّال"، في حين في صموئيل الأول (21:13) قد تكون كلمة "قِلّشون" على صلة بالكلمة العربية "قالوش".

أما هيسيود، فيقول[602] إن الطلوع المبكر للثريا (في 19 أيار/ مايو، التقويم اليولياني) هو علامة بداية الحصاد، كما في أتيكا [اليونان] فإن 4–16 "أيار" هو الوقت الأوسط لحصاد الشعير[603]. ويُثبِّت القزويني[604] "قص الزرع" في 24 "أيار". أما في 22 "حزيران"، فيقول القزويني: "يوضع المنجل في الزرع"، في تساوق مع وصفه للصيف الذي يبدأ لديه في 18 "حزيران": "يبلغ المحصول كامل وقته" (أدرك الحصاد")[605]. ومع ذلك، ربما كان ممكنًا أنه يدرك "وضع المنجل في الزرع" كنهاية للحصاد، والذي سوف يتزامن حينئذ مع طلوع قوس

(601) يُقارن أعلاه، ص 326.

(602) Hesiod, *Opera et Dies*, pp. 383f.

(603) Mommsen, *Griech. Jahreszeiten*, p. 54.

(604) Kazwini, *Kosmographie*, I, p. 78.

(605) Ibid., p. 85.

"الجوزاء" في اليوم نفسه[606]. من جهة أخرى، يعلم القزويني[607] أن في "نَوّ الشرطان" (قرون الحمل)، أي بين 16 و29 "نيسان"، يُحصَد الشعير، وفي "نو البُطين" (بطن الحمل) من 29 "نيسان" حتى 13 "أيار" ينتهي حصاد الشعير ويبدأ حصاد القمح. ولذلك يبقى للأخير ما يكفي من الوقت حتى 22 "حزيران" (يُنظر أعلاه). وفي الطفيلة وقرية ذات راس في الكرك، حيث تحظى الشهور بأهمية قليلة كعامل محدد للوقت، ذكر أحدهم لي أن غياب الثريا المتأخر (حوالى 25 "آذار")[608]، أي في وقت متأخر نسبيًا، هو موعد لبدء الحصاد. وهناك يُقال: "لَ غابت الثريا - احصُد زَرعَك لَ- وِنوّ حلايا"، أي: "حين تغيب الثريا، احصد زرعك حتى لو كان رقيقًا". وهذا يتساوق مع الجملة: "ما بتغيب الثريا غير علَ غِمر يابس - وَلَ علَ عُشب حابس"، أي: "لا تغيب الثريا فوق حزمة سنابل جافة ولا فوق عشب يابس". هكذا قيل لي في الطفيلة. ولكن يقال في قرية ذات راس: "الثريا تغيب عَلَ زِرع حابس[609] وتطلع علَ غِمر يابس"، أي: "الثريا تغيب فوق زرع مقيد (عالي النمو) وتطلع فوق حزمة سنابل جافة"، وبكلمات أخرى يبدأ الحصاد في 13 "أيار" بما يتساوق مع الوقت الذي ذكره هيسيود، ومع بداية حصاد القمح (يُنظر أعلاه) الذي اقترحه القزويني.

والأوقات التالية المأخوذة من الواقع الفلسطيني تمت مقارنتها بالأحكام المذكورة أعلاه الخاصة ببداية الحصاد؛ فما ينضج في الحقل في أوائل أيار/ مايو أولًا ويمكن اقتلاعه، هو الفول ("فول")، وهو الذي يستطيع التنبؤ كيف سيكون عليه محصول السنة. إذ يُقال[610]: "خُذ فالهَ مِن اِفوالهَ": "خُذ فالها (للسنة) من أفوالها [جمع فول]!"، أي من غلة الفول. ويتبع ذلك محصول الـ"كرسنة" والـ"عدس"، والتي يقوم المرء باقتلاعها (يِقلعُ الكِرسِنّة والعدس) أيضًا. وقد شاهدت جني محصول الكرسنة بالقرب من القدس في 8 أيار/ مايو

---

(606) Ibid., p. 44.

(607) Ibid., pp. 42f.

(608) يُنظر أعلاه، ص 285.

(609) عندما يقول المرء في قرية إلجي: "عَلَ سِدّ حابِس": "فوق سد يعيق تدفق الماء (بسبب ماء جارف)"، يكون المرء قد انصرف ذهنه إلى الغياب الخريفي المبكر للثريا في 13 (17) تشرين الثاني/ نوفمبر. يُنظر ص 38 وما يليها.

(610) Canaan, *JPOS*, vol. 3, p. 33.

1925، في حين كان الشعير والقمح لا يزالان يُزهران، وفي منتصف الشهر ذاته بدأ حصاد الشعير، حيث أمسكت في 24 أيار/ مايو بمنجل القلع. وفي 19 أيار/ مايو 1926 شاهد باور بالقرب من القدس حصاد الشعير، وقد كان على وشك أن يكتمل، في حين كان محصول القمح وشيكًا[611]. وفي أريحا بدأ حصاد الشعير في منتصف نيسان/ أبريل أو نهايته، إذ رأيته هناك في 18 نيسان/ أبريل 1909 وقد نضج تقريبًا. وفي السهل الساحلي، يُعتبر نيسان/ أبريل وقت حصاد الشعير، وأيار/ مايو وقت حصاد القمح[612]. وبالقرب من الطابِغة على بحيرة طبرية، يحسب المرء بداية حصاد الفول والكرسنة والشعير من منتصف نيسان/ أبريل فصاعدًا، في حين يبدأ حصاد القمح في أيار/ مايو ويستمر حتى تموز/ يوليو. وفي ما يتعلق بالقبيبة في مرتفعات القدس، يُعتبر "حزيران" شهر حصاد الشعير، و"تموز" لحصاد القمح. وفي بيت لحم، يُعتبر أيار/ مايو شهر حصاد البقول، وحزيران/ يونيو شهر حصاد الشعير والقمح[613]. وبشكل عام، يمكن، في المناطق الجبلية، اعتبار بداية حصاد الشعير حوالى منتصف أيار/ مايو، وبداية حصاد القمح في مطلع حزيران/ يونيو صحيحًا. وفي المنطقة الساحلية وغور الأردن، تكون بداية المحصول أبكر بحوالى 14 يومًا. وسوف يجري التطرق إلى تقنيات الحصاد في المجلد الثاني [الخاص بالزراعة]. وهنا سيشار إلى أن النهوض المبكر هو جزء من تقاليد الحصاد، ويمكن القيام بذلك على أفضل وجه حين يكون الندى لا يزال يرطب سنابل الحبوب. ومن هنا الشكوى الساخطة: "يا شعير ابُو - صَفّين - قوّمتنِ مِن تالِ الليل"، أي: "أيها الشعير ذو الصفين، جعلتني أقوم في نهاية الليل!"[614]، والكلمة الحكيمة (الأمثال 10:5): "من ينام عميقًا في وقت الحصاد، هو ابن يأتي بمهانة".

يوضع المحصول كما الزرع في حماية الله من خلال التضرع والابتهال، فيقول المرء في البداية ثم بشكل يوميّ: "بسم الله الرحمن الرحيم!" ويضيف

---

(611) *Neue kirchl. Zeitschrift* (1926), p. 799.

(612) يُقارن ص 8.

(613) رسالة مشكورة من الأب مُولر.

(614) لأن الشمس في أيار/ مايو تشرق حوالى الساعة الخامسة (ص 44)، وينتهي الظلام الطبيعي حوالى الرابعة صباحًا.

شيئًا على غرار: "يا ربّ تحُطّ البركة كرامِة الأنبيا والمُرسَلين"، أي: "يا رب امنحنا بركتك كرامة للأنبياء والمرسلين!" (الطفيلة). وكنوع من النذر لله، لضمان البركات، يخبز المرء خبزًا غير مختمر ("قُرص مَلّ") من قمح قديم في الحقل فوق فحم نباتي مشتعل، ويفتته في طشت، ويخلطه بالزبدة والحليب ويأكله مع الحصادين. ويُسمي المرء ذلك "أم الزَماليط" [أو "لزاقيات"]؛ ذلك أن العادة جرت في نهاية الحصاد أن تُذبَح معزاة، ويدعى ذلك "جورعة"، ومنح "صاع" قمح للفقراء (حوالى 15 لترًا)، وكلاهما مع تخصيص الفضل لإبراهيم ("الخليل")، لأن لذلك أهمية في تقويم التقاليد اليهودية المتعلقة بعيد الفصح وعيد العنصرة، وهو ما يشبه التيس الصغير الذي أحضره شمشون إلى زوجته خلال حصاد القمح (القضاة 15:1). ويُسمي المرء ذلك "جُرعة" "رشفة" أيضًا، حين يقوم المرء في نهاية الحصاد بشَي بضعة أغمار من السنابل في الحقل، وكمية أكبر من الحبوب في داخل البيت، ويوزع الحبوب المشوية ("قَليّة") بين الحصادين أو بين الجيران والفقراء (رام الله).

وفي العهد القديم، يوضع حصاد الشعير قبل حصاد القمح (راعوث 22:1، يُقارن 23:2)، وفي تقويم جيزر، يوضَع حصاد الشعير قبل جميع المحاصيل الباقية، بحيث يُحصد الشعير في نيسان/ أبريل، وباقي المحاصيل في أيار/ مايو[615]. إن "باكورة الحصاد" تظهر بداية حصاد الشعير في صموئيل الثاني (9:21) موعدًا لفترة متأخرة نسبيًا لا يتوقع خلالها حصول عواصف رعدية، في حين أن حصاد القمح مذكور في صموئيل الأول (17:12) ومحدَّد في التكوين (14:30) في الوقت الذي تنضج فيه ثمار اليبروح[616] (ربما في بلاد ما بين النهرين). ويفترض الخروج (31:9 وما يلي) أن الشعير في مصر يُشكل سنابل غير ناضجة (بالعبرية "آبيب"، سعديا "فَريك") قبل سنابل القمح والعلس، وأن الكتان يُشكل عليبة بذور (بالعبرية "جِبعوليم"، سعديا "مُشَلَّف") في الوقت نفسه. وفي يشوع (10:5 وما يلي)، يعلم المرء أن بالقرب من أريحا، ومنذ اليوم الأول بعد عيد الفصح فصاعدًا، يصبح قمح البلاد، الذي يبدو الآن

(615) يُقارن ص 7.

(616) ص 250 وما يليها.

ناضجًا على نحو واضح، جاهزًا للخَبْزِ والتحميص. ولذلك، من الممكن أن ما يُسمى خبز "باكورة الحصاد" يقدم قبل 50 يومًا من عيد الشعانين (سفر اللاويين 10:23 وما يلي). وفي يوم الشعانين ذاته، يقدَّم خبز باكورة المحصول الجديد في الهيكل المقدس (سفر اللاويين 17:23 وما يلي؛ يُقارن الخروج 22:34). وبحسب التثنية (9:16)، فإن حصاد سبعة أسابيع يمتد بين التاريخين، ووفقًا لسفر إرميا (24:5)، فإن الرب هو الذي يرعى ذلك بشكل منتظم.

بالنسبة إلى المجال اليهودي، فمما لا ريب فيه أن تقديم حزمة يُمكِّن الحصّاد من الحصول [على البركة]. لذلك، فإن الحصاد يبدأ في 16 نِسان، لأن التقليد اليهودي، شبيه بيشوع (10:5 وما يلي) (يُنظر أعلاه) يفكر في السبت في 15 نِسان (يُنظر أدناه 12 [أعياد الربيع]) كونه أول أيام عيد الخبز غير المختمر الذي يجب تقديم الحزمة في أيامه اللاحقة بحسب سفر اللاويين (11:23، 15). والاستثناء مسموح به للأماكن ذات الحصاد المبكر مثل أريحا[617]. ولذلك يُعتبر مسلّمًا به أنه إذا بدأ حراس رِصفة الذين كانوا يحرسون جثث ذرية شاؤول بحصاد الشعير (صموئيل الثاني 9:21)، فقد قاموا بذلك في 16 نِسان[618]. وإذا ما احتُسب قطف راعوث للسنابل من بداية حصاد الشعير حتى نهاية حصاد القمح (راعوث 22:1، 23:2) بثلاثة أشهر[619]، فإن الوقت من 16 نِسان وحتى 16 تموز (40 يومًا بعد الشعانين) ربما كان هو المقصود. وإذا احتسب المرء لكل محصول من المحصولين شهرًا ونصف شهر، عندئذ سوف ينتهي حصاد الشعير في إِيار ويبدأ حصاد القمح أسبوعًا قبل الشعانين، مع سيفان [الشهر التاسع في السنة العبرية]، كما هي الحال في المناطق الجبلية الفلسطينية. وكقاعدة، تعتبر الشريعة اليهودية "الحصاد" ببساطة حصاد القمح، فإذا كان الحصاد منذورًا، بحيث يضع النذر "المحصول" هدفًا أمام عينيه، فيبقى

---

(617) Men. X 6-8, Chall. I 1, Pes. IV 8.

(618) j. Kidd. 65b, Midr. Shem. 28:6,

(طبعة بوبر 67أ)،

Bem. R. 8 (41b),

يُقارن أعلاه، ص40 .

(619) Ruth R. 5 (16a).

حصاد الشعير حينئذ خارج الاعتبار(620)، وإلا اعتُبرت تُقفا [فترة] نيسان، أي الأشهر نِسان، إِيار، سيفان، كلها فصل الحصاد(621) إذا لم يُطالب المرء، في حال تقسيم السنة إلى ستة أجزاء، بشهرين للحصاد من بداية نِسان أو منتصفه أو نهايته(622). ويبقى حصاد أولى السنابل مهمًا بسبب التبعات المترتبة على شرعية الواجب بعدم حصاد الحقل حتى حده النهائي (سفر اللاويين 9:19، 22:23)(623)؛ ومع ذلك لم يُذكر أي شيء له صلة بذلك عن تقليد التقوى.

بساتين الفواكه

تتحدث ترجمات الكتاب المقدس والقواميس عن "جبال عنب" (Weinberge) [مصاطب متصاعدة بشكل تدرجي]، لأن العنب في ألمانيا ينمو في المنحدرات المشمسة وحدها. إلا أن "كيرِم" العبرية و"كرم" العربية لا تميز أرض العنب (بالعربية "كَرم عِنِب") من أرض الزيتون (بالعربية "كرم زيتون")، ولا تذكر شيئًا عن بستان الفاكهة، بل تترك الأمر معلقًا(624)، وهل كان موجودًا

---

(620) Ned. VIII 4.

(621) Pirke R. Eliezer VIII, Targ. Jer. I zu 1. Mos. 8, 22.

(622) يُقارن أعلاه، ص 48.

(623) j. Pea 15[a].

(624) ومهما يكن الأمر، فإن "كيْرِم" العبرية الواردة في العهد القديم تشير دائمًا إلى كرم العنب، والتي إلى جانبها قد تُدرج، مع "زيت" أو "زيتيم"، أرض الزيتون (الخروج 11:23، التثنية 11:6؛ 20:24 وما يلي، صموئيل الأول 14:8، الملوك الثاني 26:5، نحميا 11:5؛ 25:9، أخبار الأيام الأول 27:27 وما يلي، يُقارن التكوين 20:9، إشعيا 1:5 وما يلي). وبالنسبة إلى "كيْرِم زيت" الوارد في القضاة 5:15 والمنحرف عن طريقة الاستعمال اللغوي هذا، فيجب أن يُقرأ بحسب السبعونية "كيرم وِزيت". وتستخدم الشريعة اليهودية "سِدي هإيلان"، أي: "أرض الأشجار"، تسمية عامة لتلك الأرض المزروعة كرمة أو تينًا أو زيتونًا (Bab. b. III 1، يُقارن Schebi. I 1 f., Mo. K. I 4). ويمكن أيضًا الحديث عن "سدي تِئينيم"، أي: "أرض التين" و"سدي زيتيم"، = أي: "أرض الزيتون" (Tos. Bab. mez. IX 20, 22). إلا أن "كيرم" هو دائمًا "كرم العنب" (يُنظر أيضًا Tos. Bab. mez. IX 19). وجنبًا إلى جنب يقف "كيرم" و"بيت زيتا" (Schir R. 8, 7 (76[a]))، ويتم لفت الانتباه إلى أن "كيرم" وحده يعني كرم عنب، وأن كلمة "زيت"، كما في القضاة 5:15، يجب إضافتها في حال انصرف التفكير إلى شيء آخر (b. Ber. 35[a], Bab. mez. 87[b]). ويفرق العربي بين "كرم عنب" و"كرم زيتون"، ويقوم بترك التسمية الدقيقة فحسب في حال لم يكن الاختلاف مهمًا. وهما كلاهما، "كيرم" كما "كرم"، لا يوحيان بشيء في ما يتعلق بموقع بستان الثمار، أي أنهما يتركان الأمر مفتوحًا.

على أرض منبسطة أو على منحدر جبلي مع مصاطب ضيقة، حيث يجب استبدال المحراث بالمعزقة، كما في الأزمنة القديمة. وتشدد الشريعة اليهودية على أن الأرض الجبلية التي يجب فلاحتها بالمعزقة، والتي لا يستطيع الثور مع المحراث شق طريقه فيها، أن تُعتبر وحدة قياس حدود الحقل[625]، بحيث إن ليس كل مصطبة يجب النظر إليها كحقل منفرد.

حرث أخير (ثانٍ أو ثالثٍ)[626] يشق التربة في البساتين في "نيسان" من أجل المطر المتأخر، ويمنحه في الوقت نفسه الغطاء الذي يثبت الرطوبة في الأرض خلال فترة الجفاف. ومن هنا التذكير[627]: "اِن كان بِدَّك القيض - اشتِغل (وُحْرُثْ) في جمعة البيض"، أي: "إذا كنت تريد محصولًا جيدًا من الثمار، كن نشطًا (واحرث) في جمعة البَيْض (في بداية وقت الصيام)!". قبل ذلك، منذ نهاية كانون الثاني/ يناير فصاعدًا، وفي بعض الأماكن في آذار/ مارس[628]، يحصل تقليم (بالعربية "تَقنيب") كروم العنب، بحيث يُقصر كل حالق حتى حوالى أربعة براعم، قبل أن يرتفع إليها النسغ وتظهر البراعم الجديدة، ويتبع ذلك نمو الأوراق[629]. وفي أيار/ مايو، يتبع النوّار، الذي سبق الحديث عنه، وهو ذو صلة بنوّار التين والرمان، ص 378. ويترك القزويني[630] اللوز والمشمش يشكلان عقدهما في 18 "اِذار"، وفي 28 "نيسان" ينضج اللوز، وتأخذ الثمار بشكل عام في التشكل. وفي 24 "أيار" يسمَرُّ العنب، على الرغم من أن نضوجه يظهر في 27 "تموز". وعندما تطلع الثريا في 13 "أيار"، يكون التين المبكر (بالعربية "ديفور"، بالعبرية "بِكّورا"، ناحوم 12:3)[631] قد

(625) Pea II 2.

(626) يُقارن ص 264.

(627) Canaan, *JPOS*, vol. 3, p. 32.

(628) يُقارن ص 264. يحذّر القول التالي من أن على المرء عدم التأخر كثيرًا بالعناية ببساتين الثمار: "في أربعين شاهد - جاهد عَكرمك جاهد"، أي: "في أربعين الشهداء (9 آذار) كن مجتهدًا في حقلك، كن مجتهدًا!" (Ibid., p. 866).

(629) يُنظر أعلاه، ص 287.

(630) Kazwini, *Kosmographie*, I, pp. 77f.

(631) يُقارن أعلاه، ص 379.

بات حاضرًا، والذي يمكن تمييزه من ثمار التين الأصلي من نسغه[632]، لأن "اِن طَلعت الثريا والمَيازين - دَوِّر مَشاريق التين"، أي: "إذا طلعت الثريا والميزان (الجوزاء)، إبحث عن التين الموجود في الشرق (الجانب المشمس)" (مصح المجذومين). قبل ذلك بحوالى 14 يومًا، أي في منتصف أيار/ مايو[633]، يظهر المشمش (Prunus armeniaca، بالعربية "مِشمِش")، وهو غريب في أسواق القدس في الفترات العبرية واليهودية في فلسطين كأول ثمار العام الجديد، جنبًا إلى جنب مع خيار[634] "عين جِدي" الذي يكون قد نضج في هذا الوقت في السهل الساحلي[635]. وعن ذلك يُقال: "أيار - المِشمِش والخِيار"، أي: "في "أيار" ينضج المشمش والخيار"، وحينئذ يحين وقت حراسة بساتين الثمار التي ينضج فيها المشمش والتين. وحده "من يحرس شجرة التين سوف يستمتع بثمرها" (الأمثال 27:18)؛ فمهمة حارس الحقل (بالعربية "ناطور")[636] في قرية ما تصبح أكثر تعقيدًا حتى يقرر المالك الانتقال إلى بستان الفاكهة مع عائلته، وهو ما قد يحدث تحت ظروف معيّنة في نهاية أيار/ مايو، ويتوقف الأمر دائمًا على الثمار التي يجب حراستها[637]. حينئذ ينشد المرء في بيت لحم: "صاف الصيف وَرَّقَن الدوالِ - طِلِعن البِيْض في فيّ العَلالِ (أو: "يِنطُرن الدَوالِ")"، أي: "جاء الصيف والعنب ورّق، والبيض (البنات) ذهبن إلى ظل العلالي (الخاصة بعرائش بساتين الثمار)" أو: "لحراسة العنب" (سعيد عبود).

---

(632) ينظر ص 160.

(633) وفي لبنان يُنتظَر المشمش والخيار أيضًا في أيار/ مايو، إذ: "نوّار شرنقة ومشمشة وشقّ تتن"، أي: "في "أيار هناك شرانق حرير ومشمش وغرس دخان"، و: "عشرة في نوار - قزة وسنبلة وزر خيار"، أي: "في 10 أيار هناك دودة قز وسنبلة وخيار" (Ibid., p. 866).

(634) يُقارن ص 99.

(635) يُقارن بالنسبة إلى القدس:

Bauer, *Volksleben*, p. 171; Duhm, *PJB* (1921), p. 68,

بالنسبة إلى دمشق:

Bergsträßer, *Zum arab. Dialekt v. Damaskus*, vol. 1, p. 76.

(636) ص 162.

(637) يُقارن ص 161 وما يليها.

وبحسب إشعيا (6:5)، فإن العزق (بالعبرية "عادَر") والتقليم (بالعبرية "زامَر") هما جزء من العناية المعتادة بكرم العنب، والذي بحسب سفر اللاويين (3:25 وما يلي) (حيث يُذكَر التقليم وحده) يجب التوقف عنهما في السنة السبتية. وبالنسبة إلى "زامر" في إشعيا (6:5)، يستخدم سعديا الكلمة العربية "زَبَرة" الدقيقة جدًا من الناحية الفنية، ولكن يستبدلها في سفر اللاويين (3:25 وما يلي) على نحو ملائم بالكلمة العربية "رَفَقَ" أي "يعتني"، لأن جميع المهمات في كروم العنب مقصودة هنا، كما تنص على ذلك الشريعة اليهودية[638]. وفي السنة التي تسبق السنة السبتية التي تبدأ في 1 تشري، يُسمح الاستمرار بالحرث في الأرض المشجرة حتى عيد العنصرة، في حين يجب الانتهاء في الفصح من الحرث في الحقل المفتوح[639]، لأن البذور تحتاج إلى تربة رطبة حتى السطح، في الوقت الذي لا تحتاج فيه الأراضي المشجرة إلى ذلك[640]. والربيع هو وقت تقليم العنب (بالعبرية "زامير"، بالعربية "زَبار": "يختن")، وهو مذكور بحسب سعديا في نشيد الأنشاد (12:2 وما يلي)، حيث كل شيء جرى تلخيصه منذ ظهور الأزهار فصاعدًا، ويُعتبر مميزًا للوقت من السنة بعد نهاية مطر الشتاء[641]؛ ذلك أن التقليم الأول للعنب لا يستطيع التزامن مع إزهار العنب، وقد سبق التعرض له في V 13، فهو أمر مسلَّم به، لأن ذلك سيعني خسارة كبيرة في النسغ. ولهذا السبب، بالنظر إلى كلمة "زامير"، بحسب إشعيا (5:25)، تعني "الغناء"، كما يُطبق ذلك اليوم أيضًا خلال المكوث المرح والمريح في بساتين الثمار[642]؛ ففي نشيد الأنشاد (12:2)، يفهم الترجوم "زامير" على أنه وقت قطف الثمار المبكرة (بالعبرية "بِكّوريم"، العدد (26:28)؛ يُقارن التثنية (10:16، 2:26

(638) Siphra, Behar (105^{b}), j. Kil. 31^{c}, Sabb. 10^{a},

يُقارن:

Schebi. I 1, II 3.

(639) Schebi. I 1, II 1.

(640) j. Schebi. 33^{d}.

(641) ص 332.

(642) Dalman, *Pal. Diwan*, pp. XX, 25ff., 344;

يُقارن أدناه، IV 8.

وما يلي)، والتي تشمل بالضرورة التين المبكر (يُنظر أعلاه)[643]. ويمكن أن يكون العنب الطازج الذي يُقدم مع التين[644]، قد قُطف في عيد الشعانين الذي يصادف 6 سيفان في أريحا وعين جدي، لأن عنب بحيرة طبرية لا يظهر قبل نهاية حزيران/ يونيو[645].

الحيوانات الداجنة

بعد انقطاع في ولادة الماشية الصغيرة في الشهر الأكثر برودة، "كانون" الثاني، تبدأ في نهاية "شباط" فترة ولادة جديدة تفترض تعشير الغنم انطلاقًا من 1 "تشرين" فصاعدًا. ويُطلِق المرء صفة "شباطي" على الحملان المولودة في نهاية "شباط"، ولكن يطلق على الحملان المولودة في "إِذار"، فترة وضع الخراف الرئيسة، "رَبيعيات" أو "رَبيعات" ("رِبعيّات")، أي "حملان الربيع". وهي تحظى بحليب وافر في ضروع أمهاتها، إضافة إلى كثير من الكلأ، ولذلك تصبح أكثر سمنة من "الحملان المبكرة" ("بِدارة") المولودة في الشتاء والتي تتمتع بأهمية في أعياد الربيع لدى المسيحيين والمسلمين والسامريين (وفي الماضي لدى اليهود أيضًا)[646]، ولكن نموها يسير بشكل أكثر بطئًا من الأخريات، بحيث تصبح قابلة للإخصاب بعد 8 أشهر فقط. وبناء عليه، فهي تصلح للنحر أكثر مما تصلح للتربية. وتُسمى الحملان المولودة في "نيسان" أو في أشهر الصيف اللاحقة "صيفي"، أي "حَمَل صيف" أو "وخري"، أي: "حَمَل متأخر". إلا أن هناك من يُقصر تعبير "ربيعيات" على تلك المولودة في "نيسان". وفي حزما، أطلق المرء على حملان "جمادى" (أيار/ مايو) "صيفيات"، وحملان أشهر الصيف المتأخرة "قيظيات". وهذه كلها تكاد تكون غير مرغوب فيها نهائيًا، لأن حر الصيف يؤثر في نموها بشكل سلبي، وهي تحتاج إلى 9-10 أشهر قبل أن تصبح قادرة على الحمل.

---

(643) Bikk. I 3, III 1. 3, Tos. Bikk. II 8.

(644) Bikk. III 3;

يُقارن أدناه، III 12.

(645) وفق رسالة مشكورة من الأب زونن (Sonnen).

(646) يُنظر ص 268 وما يليها.

تُستخدم أبقار القرى في الربيع في الحراثة[647]، وتحدد ظروف الرعي مكان وجود الماشية الصغيرة في هذا الوقت. فإذا كانت في الشتاء في السهل الساحلي أو في غور الأردن، تعود إلى المنطقة الجبلية في آذار/ مارس أو نيسان/ أبريل، وترعى النباتات البرية في محيط القرية. وهذا مهم لأنه أفضل وقت لإدرار الحليب الذي يُنتج فيه مؤونة السنة من دهن الطبخ ("سِمنة") المصنوع من الزبدة الطازجة ("زِبدة") ومن الجبن ("جِبنة")[648][649]. وهنا يحتاج القطيع إلى مأوى ليلي محميّ (بالعربية "مِعزَب") في كهوف ومغر، حتى مع حلول عيد الفصح، بحسب المثل القائل[650]: "عَيِّد واطلع"، أي: "احتفل بعيد الفصح واخرج إلى الخلاء!"، ويكون الوقت قد حان لخروج الماشية، حيث لا برد في الليل ولا مطر، وتستطيع القطعان الخروج إلى الخلاء من جديد. وفي اليونان، فإن عيد القديس جورج في 23 نيسان/ أبريل بحسب التقويم اليولياني (= 6 أيار/ مايو بحسب التقويم الغريغوري)، وفي الأزمنة القديمة يمثل الطلوع المبكر للثريا في 10 أيار/ مايو (بحسب التقويم الغريغوري)، الموعد الحاسم لخروج القطعان إلى الجبال[651]. ويعرف التقليد اليهودي عيد الفصح في 15 نِسان على أنه الوقت الذي يخرج فيه قطيع الرعي (بالعبرية "مِدباريوت")[652] إلى الصحراء، وأول مطر الخريف ("رِبيعا

---

(647) ذلك أنه في آذار/ مارس لا يعود القطيع مقيدًا بالإسطبل، وهذا ما تظهره الأقوال: "في آذار – طلع بقراتك عالدار"، أي: "في آذار أخرج بقرك إلى فناء البيت!"، و: "في تسعَ آذار – طلع بقرك من الدار" (يُقارن ص 284)، هذا بحسب كنعان:

ZDPV (1913), p. 281,

هذا ما تريده الأبقار أيضًا؛ إذ: "في آذار البقرة بتعج [تخور] وبتنادي آه على غبره من غبار البيادر" (Ibid., p. 667).

(648) يُقارن أعلاه، ص 337.

(649) في حزيران/ يونيو فحسب، يصل ما تعطيه القطعان من حليب إلى أعلى مستوى؛ إذ: "حزيران – بسوي الدور عيران"، أي: "حزيران يغمر البيوت بـ'اللبنة'" (Ibid., p. 866).

(650) يُقارن ص 169.

(651) يُنظر:

Mommsen, *Griech. Jahreszeiten*, pp. 47f.;

يُقارن أعلاه، ص 169.

(652) هذا ما يُميِّزه من الحيوانات الداجنة (بالعبرية "بيتوت") التي تمضي دائمًا الليل في البيت وترعى في محيط القرية. لكن، كان هناك خلاف بشأن التعريف الدقيق للتعابير.

رِشونا")[653] كموعد لعودته[654]. وفي ما يتعلق بالتقاليد الدينية ذات الصلة بالماشية، يُنظر ص 30 وما يليها وأدناه 12 III.

وعلى الدوام، يُشترَط لجزّ الغنم (بالعربية "قصاص الغَنَم") طقسًا دافئًا، ولذلك يمكن القيام به انطلاقًا من "نيسان" فصاعدًا. وفي اليونان، يُعتبر أيار/ مايو الوقت الملائم لذلك[655]. وترتبط بذلك أحيانًا في فلسطين الذبيحة القربانية[656]، كما افترض قبل ذلك نابال وأبشالوم في شأن جز الغنم (صموئيل الأول 11:25؛ صموئيل الثاني 23:13). وفي ما يتعلق بالدجاج التي يكون مكانها الدائم في المزرعة، يبدأ الجيل الأصغر بالرقود على البيض إلى جانب الدجاج البياض العتيق. وعن آذار/ مارس يُقال، والحمام أيضًا لا يغيب هنا عن البال[657]: "في اِذار - بِبيض الزغار بالطيار"، أي: "في "اِذار" - (حتى) صغار الطير تضع بيضًا".

وبالنسبة إلى اليهود، يصادف موعد العُشر الخاص بالذبائح القربانية الربيعَ (سفر اللاويين 32:27؛ صموئيل الأول 17:8؛ أخبار الأيام الثاني 6:31؛ يوبيل 26:13، 15:32)[658]، وبحسب العرف، نصف شهر قبل عيد الفصح وعيد الشعانين، أو في 29 أدار أو 1 نِسان و1 سِفان، حيث يعني الأخير أن الموعد قد جرى تقريبه إلى ستة أيام قبل عيد الشعانين. ويبدو أن الاعتبارات المتعلقة باحتياج العيد من الذبائح القربانية، كانت هي الفيصل هنا. وفي حال كانت الذبائح التي ولدت في تلك الفترة قد قُدّمَ العُشر عنها في المواعيد المحددة، كان الباقي متاحًا للبيع أو للذبح من أجل الاستهلاك الذاتي في المآدب والقرابين. أما القانون، من حيث هو قانون، فلم يأخذ مثل ذلك في الحسبان.

---

(653) يُقارن ص 125.

(654) Tos. Bez. IV 11, j. Bez. 63^{b}, b. Bez. 40^{a}.

(655) Mommsen, *Griech.*, p. 66.

(656) يُقارن أيضًا:

Musil, *Arabia Petraea*, vol. 3, p. 285.

(657) يُقارن ص 287.

(658) Bech. IX 5, Tos. Bech. VII 9, Schek. III 1.

ل. أعياد الربيع

سبق أن أشرنا، من بين "تقاليد السنة الجديدة"، إلى تقديم الأضاحي في ص 30 وما يليها، والتي يُفترض في 1 "مَرت" (آذار/ مارس)، كيوم سنة جديدة، أن تؤمّن الحماية الربانية للبيت والأملاك. وعلى صلة بذلك هو الاستخدام الغريب للدم. ويبقى تقليد كذبة نيسان/ أبريل غريب الأصل. وثمة من يرى: "حلال الكِذب أول نيسان": "الكذب حلال في أول نيسان فحسب (وفي ما عدا ذلك ممنوع)". ويتماثل هذا التقليد مع نوادر وحفلات التنكر الخاصة بالكرنفال الذي يسبق وقت الصوم المسيحي، والذي لم أشاهد منه شيئًا في القدس. ولكن عند المسيحيين الروم قبل بداية صوم الفصح، هناك "خميس الذبائح"، لأن المرء ينحر مرة أخرى ويتناول اللحوم يوميًا حتى السبت. وهذا ما يُسميه المرء الكرنفال ("المرفع"). وبذلك يربط المسيحيون، عن طيب خاطر ورغبة، المرفع بنحر المولود الأول ("بِكر") للأغنام أو الماعز، والتي لا ترتبط عند المسلمين بيوم محدد[659]، لأن استهلاك الخمر بوفرة يمكن أن يكون له صلة بذلك، على الرغم من أنه غير مألوف في فلسطين، حتى لدى المسيحيين الفلسطينيين، بينما في لبنان يتحدث الناس عن "خميس السكارى"[660]. وثمة معلومات مهمة عن "ثلاثاء المرفع" عند المسيحيين اللبنانيين يوفرها الرحباني [إبراهيم متري الرحباني، مبشّر من أصل لبناني أرثوذكسي، 1869-1944، له كتاب **المسيح السوري**][661] فيُتناول لحم مدقوق ممزوج بالبرغل، أي "كِبّة"، بكميات كبيرة في الأسبوعين الأخيرين قبل بداية الصوم، ولكن باحتفال خاص في المساء الأخير، حين تجتمع العائلة الصغرى. وهذه الوجبة تحتاج إلى قدح من الخمر [وتُقرع الكؤوس] يدًا بيد مصحوبة بالأماني والبركات. ومن هذه الوجبة لا يجوز ترك شيء حتى الصباح. ويتبع عيد المرفع أسبوع البيض ("جُمعة البيض")، وفيه لا يزال

(659) يُنظر أيضًا أدناه، ص 432.

(660) Harfouch, *Drogman*, p. 71.

(661) *Morgenländ. Sitten im Leben Jesu*, pp. 99f.,

وللأسف، من غير إيرادٍ للمصطلحات العربية.

يأكل المرء خلاله البيض والجبن، ثم بعد ذلك يأتي الصوم الكامل، وهذا ما يخطر في بال المسلمين حين يقولون عن المسيحيين: "لبن آذار محرم على الكفار". ومن الجدير بالملاحظة أن المسيحيين في دمشق يتناولون قبل الصوم الكبير في ثلاثاء المرفع شعيرية مطحونة مع الجبنة ("كنافِة بجبنة" وتُسمى أيضًا "بَصمة") وفطائر محشوة باللحم ("سَمبوسك")[662]، ويضعون الأقنعة. وفي الاثنين الأول من الصوم الكبير، يذهبون إلى الحقول مقنّعين يرتدون لباس الرهبان لطبخ العدس مع الأرز ("مجِدّرة")، وبالطبع ليس من دون سَمن[663]، وهذا سيتم إدراكه كتعبير عن الفرح باستهلاك الطعام الذي لا يزال مسموحًا به اليوم. ولكن قد يكمن خلف ذلك تقليد على صلة بالشتاء المنتهي، وكنتيجة لذلك، أعيد الصوم إلى وقته. إلا أن العرب يعتبرون 12 "شباط" أول موعد للشتاء المنتهي[664].

شهر الأعياد الإسلامية

يصل الربيع أوجه في فلسطين اليوم في "نيسان"، لأنه شهر أعياد السنة الكبير، "شهر الخميس"[665]، والذي يُطلق عليه المسلمون ببساطة "الموسَم": "موسم الأعياد". وأول خميس فيه هو خميس النباتات (خميس النِبات")، وفيه يقوم المرء بزيارة شعرات لحية [النبي] محمد ("شعرات النَبي") في قبة الصخرة في القدس. وكتفسير للاسم يقول أحدهم في القبيبة إن في هذا الوقت "يُطلق النبات البري أوراقه بقوة" ("الحشيش بِطلع قوِي"). إلا أن ذلك ربما كان في الأصل له صلة برغبة الناس، في هذا اليوم، في التردد على الطبيعة الخضراء. وحتى البدو يقولون: "مَشِي النَبات واخذ البنات ورُكب المُحسَنات بِمِدّ في العمر"، أي: "المشي على العشب اليانع والزواج من فتيات شابات وركوب الأفراس الأصيلة يُطيل الأعمار". وفي المقابل: "مَشِيَ الجِنّازات واخذ العَزَبات

(662) Schmitz, *Heil. Land* (1917), p. 118.

(663) Bergsträßer, *Zum arab. Dialekt von Damaskus*, vol. 1, p. 68.

(664) يُنظر أعلاه، ص 225.

(665) يُقارن أعلاه، ص 22.

وقَطّ الفَرَسات بِنَقِّص العُمر"، أي: "المشي في الجنائز وزواج أرامل[666] والركوب العنيف على أفراس عادية يُقصِّر الأعمار" (عبد الولي). فعادة المشي في الطبيعة الخضراء ("شِمّ الهَوَا"، "شِم النسيم"، واقع الأمر "شم الهواء") تلتصق في مصر بِـ3 برمودا (10 نيسان/ أبريل)[667]. وفي شمال أفريقيا، حيث يميل الناس إلى جمع "لقية نباتات الربيع" ("مِلقَ الربيع")[668] مع تناول الطعام على الحشيش، قريبًا من الاعتدال الربيعي، وما عدا ذلك، تكون عادةً على صلة بعيد رأس السنة الفارسية ("نوروز")، في الوقت ذاته الذي يقوم فيه الناس في صيدا ودمشق بالنزهات الصباحية [السيران][669]. وفي هذا اليوم يستيقظ المرء مبكرًا ويذهب إلى الخلاء ويتأمل الزهور[670]. ويلتصق التقليد في القدس بوقت متأخر (يُنظر أدناه). وفي قرية "اللُبَّن"، حدثني أحدهم عن عادة شبيهة خلال الاحتفال السنوي في "النبي موسى". إلا أن كنعان[671] وجد أماكن تخرج الفتيات فيها إلى الحقول في "خميس النباتات"، وهناك يجمعن الزهور والأعشاب ذات الرائحة العطرة ويسألن: "طقش ونَتش شو دوَا الراس يا شجيرة"، أي: "فرقعي وكوني قابلة للسَحِب! ما هو دواء الرأس[672] أيتها الشجيرة؟"، وفي اليوم التالي يقوم المرء بغسل رأسه بالماء الذي وضعت فيه الأزهار المقطوفة ليلًا تحت سماء مزدانة بالنجوم، أو يخلطه بماء الاستحمام ثم يذهب للتنزه مرتديًا أفضل ثيابه. ذلك كله بغية تعزيز السعادة الذاتية،

---

(666) هكذا فسر عبد الولي تعبيرًا بدويًا شائعًا، في حين أن الكلمة يُقصد بها عذارى عوانس.

(667) Landberg, *Proverbes et Dictons*, p. 177; Lane, *Manners and Customs*, vol. 1, p. 233,
يتحدث عن تقليد مناظر للـ "علماء" [رجال الدين] في القاهرة خلال الأيام الثلاثة الأولى من الربيع، ولدى آخرين في اليوم الذي يلي عيد الفصح القبطي.

(668) Doutte, *Magie et Religion*, p. 553.

(669) Landberg, *Proverbes*.

(670) Bergsträßer, *Zum ar. Dialekt von Damskus*, vol. 1, p. 75,
وفي نابلس، حيث يُصادف العيد 9 آذار/ مارس، يود المرء ملامسة النباتات بدنيًا، وهي مبللة بالندى،
Jaussen, *Naplouse*, pp. 9, 181f.

(671) *JPOS*, vol. 3, p. 24.

(672) "صداع" ("وجع الراس") غالبًا ما يعني للعرب "حيرة، وضعًا صعبًا". وهنا "الرأس" هو المقصود، عسى أن تتضح صورة مستقبل غير معلوم.

ولا سيما الزواج. وقد يحصل أيضًا أن يُقدَّم الفداء السنوي ("فِدُ") للقطيع في "خميس النَبات"، حيث يقوم المرء بالمسح بدم الضحية على ظهور الحيوانات وترطيب باب البيت به ("البيرة")[673]. وهنا ربما كانت العلاقة بين ذلك اليوم وطعام الماشية التي ترعى هي السبب وراء خيارها.

والخميس الثاني هو "خميس الأموات"، ويُطلق عليه أيضًا "خميس الأقارب" ("خميس الوَلايَا") و"خميس البيض". ويُحتفل به بزيارة قبور الأقارب القريبين وتقديم الصدقات عن أرواح المتوفين. وفي القبيبة يجمع الأطفال البيض والتين المجفف صدقةً عن أرواح الموتى. وفي يوم الخميس تنوح النساء طوال اليوم على القبور وتوزع كعك الخبز المدهون بالزيت وبيضًا مصبوغًا باللون الأحمر أو الأخضر. كما أن وجبات لحوم بأكملها تُرسَل إلى بيت الضيافة في القرية ("مِضافة") للاستهلاك العام، حيث يقوم متناولو الطعام بقراءة السورة الأولى من القرآن [الفاتحة] "صدقة عن روح الميت". وفي الطفيلة يقوم المرء بعد الظهر بعملية ذبح احتفالية قائلًا: "اجرك وثوابك اِلَى روح أمواتنَ"، أيَ: "أجرك وثوابك ستكون (من نصيب) أرواح أمواتنا!". بعد ذلك يوزَّع لحم الذبيحة عند قبر أقرب الأقرباء[674]. وجميع هذه العادات والتقاليد جرى تكييفها بحيث تتناغم مع الدين الرسمي على نحو يُمكِن اعتبارها أعمالًا خيرية لها أجرها عند الله في حساب المتوفى. وفي الأصل ربما كان المرء يقصد الإرضاء المباشر للموتى على افتراض أن أرواحهم تسعى، جنبًا إلى جنب مع نباتات الربيع المتبرعمة، إلى العالم العلوي، ولذلك تحتاج إلى التهدئة، لأن عودتها، كما لا تزال الحال لدى الشعوب البدائية، تخيف الأحياء. وقد سبق لقدماء اليونانيين أن احتفلوا بمهرجانات أثينا لتكريم باخوس في شباط/ فبراير، كأيام يظهر فيها الأموات، وفي نهايتها يُكرس المرء أواني لهرميس فيها بذور مطبوخة، كي يقوم بإعادة الهدوء إليها.

---

(673) تُقارن عادات ذات صلة، ص 32.

(674) إلى ذلك ينتمي "عيد الضحية" في العاشر من الشهر الثاني عشر من التقويم الإسلامي. وهذه الأضحية، كما هي حال أضاحي المسلمين بشكل عام، يجب التعاطي معها في مكان آخر.

ويوم الجمعة الذي يلي هذا الخميس، يخرج الناس في موكب احتفالي من القدس إلى مقام "النبي موسى"، حيث يبقون هناك أسبوعًا، ثم يعودون في الخميس الذي يلي، أي في الخميس الثالث من شهر الأعياد، حيث يزورون "الحرم" بشكل احتفالي في الجمعة التي تعقبه. أما المزاج الاحتفالي، فتعكسه اثنتان من أغاني النساء المخصصة لذلك[675]:

"أهي العرس ما هو فَرَحَ	أَهي، العرس ما هو فرح
أهي وَلَ طهور الصُبيان	أَهي، ولا طهور الصبيان
أهي فرحَ زيارة موسَى	أَهي، الفرحة زيارة موسى
أهي عليه الصلا والسلام"	أَهي، عليه الصلاة والسلام

لُلُلُلُليش

"أهي شَجَرَتنَ خَضرَ	أَهي، شجرتنا خضراء،
أهي ثمرتهَ حمرَ	أَهي، ثمرتها حمراء![676]
أهي شَطَحنَ السِنِة هاذِه	أَهي، خرجنا من هذا العام[677]،
أهي عُقبال السِنِة الوخرَ"	أَهي، عقبال السنة الأخرى [المقبلة]

"لُلُلُلُليش"

هذا الاحتفال الذي يُشارك الناس فيه من جميع أنحاء فلسطين تقريبًا[678] هو السبب وراء تسمية الجُمَع؛ فالجمعة التي تسبق خروج الموكب تسمى "جمعة الإعلان عن الاحتفال" ("جمعة المناداة")، وجمعة الخروج براية النبي موسى المرفوعة ("جمعة البيرَق")، والجمعة التي تلي العودة "جمعة الأعلام":

---

(675) Kahle, *PJB* (1912), pp. 167f.

(676) يجب أن تكون صورة شجيرة الرمان عالقة في الذهن.

(677) ربما كان المقطع الشعري قد أشار في الأصل إلى المرح الصاخب في بساتين الفاكهة قبل عيد الفصح (يُنظر أدناه، ص 431).

(678) يُنظر بهذا الشأن:
Kahle, *PJB* (1910), pp. 84f.; (1912), pp. 155ff., 165ff.; Dalman, *Pal. Diwan*, pp. 158f.

("جمعة العَليمات")، ربما لأن أعلام أهل الطرق الصوفية تُعاد إلى مكانها[679]. وتهتدي جميع هذه الأيام من حيث الزمن بعيد الفصح اليوناني، لأن موسم "النبي موسى" ينتهي دائمًا يوم الخميس قبل هذا الفصح[680]. وفي حال صادف عيد الفصح اليوناني، كما في سنة 1912، 25 آذار/ مارس (التقويم اليولياني)، حينئذ يتم الاحتفال به من 15-22 آذار/ مارس قبل "نيسان". وفي حال أراد المرء ضبط "شهر الخميس" بأكمله وفقًا لذلك، حينئذ على "خميس النباتات" أن يُصادف وقوعه في هذه السنة في 8 "إِذار". لكن، بدا لي أن في مثل هذه الحالة كثيرًا ما يتخذ موسم النبي موسى مساره الخاص به وتبقى أيام الخميس تلك مرتبطة بشهر "نيسان"، بحيث صادف وقوعه في سنة 1912، 5 و12 نيسان (التقويم اليولياني).

ينتهي الموسم بعد أسبوع من ذلك، بعد زيارة الحرم الإبراهيمي في الخليل، مدفن الأنبياء، أو زيارة "النبي صالح" في "الرملة" في الخميس الرابع، و"جمعة الأماني": ("جمعة الغَرايب") التي تدعى أيضًا "جمعة الحلاوي"[681]. وفي هذا اليوم يأتي الفلاحون إلى المدينة ويشترون لذويهم العديد من الأشياء الجديدة: ملابس وأحذية وحلويات. ويُرثى لحال المرأة التي تكون بلا رجلٍ في البيت، فيُقال[682]: "في جمعة الغرايب - يا ويل اِلِّي جوزهَا غايب"، أي: "في جمعة الأماني، ويل للمرأة التي يكون زوجها غائبًا". وفي أمكنة كثيرة تجد تلبية الأماني هذه تتمة لها في أيام الجمع التي تعقبها؛ في "جمعة الأغراب" ("جمعة الغُرَبَ")، أو في "جمعة الحزانى"[683]، حيث يحصل الغرباء والحزانى في أثنائها على الحلويات. ومن بين هذه الحلويات قد يكون للحلاوة الحقيقية، وهي

---

(679) يُنظر:

Canaan, *JPOS*, vol. 3, p. 23.

(680) بداية الاحتفال بشكل خاطئ في هذه الجمعة يحددها:

Spoer, *ZDPV* (1909), p. 208.

(681) يُقارن:

Canaan, *JPOS*, vol. 3, pp. 23f.

(682) Ibid., p. 24.

(683) عن هذه حدثني أحدهم في القبيبة، ولكن يبدو أنهم لا يعرفون "جمعة الغرباء".

مزيج من زيت السمسم [السيرج] وعرق الحلاوة (Saponaria officinalis)[684] وعصير العنب، شأن خاص من دون أن تكون هي الوحيدة المأخوذة في الحسبان. إن تقديم الهدايا، على ما يبدو، مكون أساسي من مكونات فترة الأعياد، كما يفترض ذلك سفر أستير (9:19-22)، ولكن لا يُذكر ذلك في العهد القديم. وبقدر ما يرتبط ذلك كله بموسم النبي موسى، فهو نتاج العصور الوسطى العربية وقابل للتدليل عليه منذ سنة 1269؛ إذ بنى السلطان المملوكي بيبرس في حينه قبة تغطي ضريح النبي موسى[685]. وهي من ضمن سلسلة احتفالات الحج الإسلامية التي تعرف فلسطين العديد منها، ويشكل بعضها، جنبًا إلى جنب مع احتفال النبي "موسى" مجموعة قائمة بذاتها، كما ذُكر ذلك أعلاه. أما العلاقة الزمنية مع عيد الفصح، فتقوم بلا شك على النية في وضع ثقل مضاد في وجه العيد المسيحي الذي ورث تقليد الحج اليهودي، ويعمل على معادلته. وبذلك تكون تقاليد الحج الفلسطينية القديمة مُنحت محاور اهتمام جديدة، وفي الوقت نفسه وُضِعت المركزية القديمة لموقع الهيكل في القدس في صورة جديدة.

في هذا السياق، لابد من الحديث عن العادات والتقاليد الإسلامية المرتبطة بأيام منفردة من أسبوع الآلام، وهي، زمنيًا، لها صلة بعيد الفصح اليوناني. وفي الخليل، في الثلاثاء الذي يسبق عيد الفصح، يُوزَّع كعك غير مُخَمَّر على جميع أفراد العائلة (يُقارن الخبز غير المخمر في عيد الفصح اليهودي). أما الأربعاء الذي يسبق عيد الفصح، فيطلَق عليه أربعاء أيوب ("اِربعة أيوب")، لأن أيوب، بحسب التقليد، تعافى في ذلك اليوم (يُقارن ص 138). وفي صيدا، يحب الناس في مثل هذا اليوم غسل أرجلهم وأيديهم ووجوههم بماء البحر قبل طلوع الشمس لوقاية أنفسهم من المرض[686]. وفي مصر، يقوم المرء في مثل هذا اليوم بغسل بدنه ومسح جسده بِـ"رعرع أيوب"

---

(684) بحسب

(Meyerhof, *Bazar*, no. 130, (Gypsophila Struthium

إلا أن Prosopis Stephaniana ذكرتها لي بصيغة "شِلش".

(685) Hartmann, *MuN des DPV* (1910), p. 67.

(686) Abela, *ZDPV* (1884), p. 113.

و"غُبّيرة" (Inula arabica) (Inula undulata أو Ambrosia maritima) والتي يقال إن أيوب استخدمها لشفائه[687]. وبالنسبة إلى الخميس، ذُكر لي في دير دبوان، أن ذبيحة الأضاحي مميزة، ولهذا يُطلق عليه "خميس اللحم"، وبه يربط المرء صبغ البيض[688] وتزيين اليدين بالحناء، وهو ما تتقنه النساء في صيدا عشية عيد العنصرة، ويُفترض أن يحميهن من الهموم[689]. وفي القاهرة يتناول المرء في مثل هذا اليوم، بحسب لين (Lane)[690]، بيضًا ملونًا، وفي يوم الجمعة عصيدة "كِشك" (وهو نوع من الكريات الشعرية) والفول والعدس والأرز والبصل.

يسترعي الانتباه، بصورة خاصة، تعليم الحيوانات بمغرة حمراء، وهو ما يحدث في فلسطين الغربية على نطاق واسع في جمعة الأسبوع الذي يسبق عيد الفصح، ويطلق المرء عليه "جمعة المغرة". وقد رصدتُ ذلك في الخليل والقبيبة ورام الله والبيرة وفي اللُّبّن ونُص جبيل [في منطقة نابلس]، وفي الجليل في سَهل الأحمةَ [الحمة]. وبعد جني المحصول يحصل ذلك في شرق الأردن بالقرب من لِبّ [بالقرب من مادبا]، وبعد المطر الأخير في كفر أبيل. ويقوم المرء بصبغ القرون والجبهة البيضاء ("صَبحة") للماشية بمغرة حمراء اللون. ويتم تعليم الخيول على الجبهة والأفخاذ والذيل، والجمال على الجبهة والأفخاذ، في حين تُستثنى الحمير من التعليم[691]. ويُطلى شريط أحمر حول باب البيت الخارجي (رام الله). ويعتبر المسيحيون التقليد كله نوعًا من الزينة الخاصة بعيد الفصح. وفي كفر أبيل يرغبون في ألا يُذهِب المطر اللون، وأن يبقى أطول مدة ممكنة. ويتعزز التأثير الواقي الذي يُنسب إليه التعليم بالأحمر، في حال تقديم حليب اليوم كـ"قرينية" إلى الفقراء (القبيبة)[692].

---

(687) Lane, *Manners and Customs*, vol. 2, pp. 222f.

(688) يُقارن أعلاه، ص 426.

(689) Abela, *ZDPV* (1884), p. 89.

(690) Lane, *Manners and Customs*.

(691) الحمار عند بني إسرائيل لم يكن حيوانًا يُضحى به (سفر الخروج 13:13)، فهو مثل الغريب.

(692) هكذا أيضًا:

Bauer, *ZDPV* (1915), p. 55.

هذا التقليد قديم؛ إذ سبق لإبيفانيوس (Epiphanius)[693] أن ذكر أن المصريين عمدوا إلى طلاء الأغنام وأشجار الفاكهة بمغرة حمراء اللون في الاعتدال الربيعي، لأن النار في هذا اليوم حرقت العالم بأكمله، في حين أن "الدم الشبيه بالنار" يُستخدم مادةً واقية. ولذلك يُعتبر الصيف، برياحه الشرقية أو الجنوبية، خطرًا يسعى المرء إلى حماية الحيوانات والأشجار منه. كما أن المعنى الواقي للون الأحمر يمكن العثور عليه في المضمار اليهودي؛ فقد حمل الأطفال أشرطة مصبوغة بحمرة الصباغ[694]، وما كان يُقصد بها الزينة، بل الحماية، إلا أنه كان ممنوعًا، كتقليد وثني، عقد خيوط حمر حول الإصبع[695]. والبقرة التي يُفترض أن يُستخدم رمادها للتطهير يجب أن تكون حمراء اللون (العدد 2:19)، ووفقًا للتقليد، حمراء كليًا[696]، لأن اللون الأحمر يجعلها ملائمة لذلك[697]. وفي جميع الحالات ليس من الممكن دحض العلاقة بين جميع هذه العادات ومسح قوائم الباب وعتبته بدم حملان عيد الفصح [اليهودي] لحماية أهل البيت (الخروج 22.7:12 وما يلي)[698]، حيث يؤدي هذا الفصل من السنة دورًا في ذلك كله.

والسبت أو الخميس الذي يسبق عيد الفصح، يُعتبر لدى بنات الخليل يوم اللهو والتسلية ("نيس البَنات") في بساتين الفواكه، فيتمشين ابتغاء النزهة ("بِشْطَحُ")، ويتأرجحن في أراجيح ("مَراجيح") معلقة بالحبال على الأشجار، ويتناولن الطعام في الطبيعة الخضراء، ويرقصن بدق الأرض بأقدامهن

---

(693) Haeres. XVIII (Migne, P. G. 41, Sp. 260).

(694) Sabb. VI 9;

يُقارن:

j. Sabb. 8[c], b. Sabb. 66[b].

(695) Tos. Sabb. VII 1,

يُقارن:

Scheftelowitz, *Bauernglaube*, p. 63.

(696) Siphre Num. 123 (42[a]), Par. II 2ff.

(697) يُقارن:

Scheftelowitz, *ZAW* (1921), pp. 113ff.

(698) للمزيد في هذا الشأن، يُنظر أدناه.

("دِبكة"). وفي الماضي، كان يُفترض أن يشاركهن الشبان في ذلك، لكن فقيهًا منعهن. إلا أن 24 حزيران/ يونيو هو اليوم الذي يميز ذلك في شمال أفريقيا، إذ يُسمح للفتيات الشابات وحدهن بالدخول إلى بساتين الفاكهة والطواحين والمناحل ومخازن الحبوب[699]. واستثناء الرجال ربما كان ضروريًا في الخليل أيضًا. وعن هذه التسلية واللهو يُقال: "بِنَيسُ الأواعي"، بحيث يمكن نسب الجذر "نيس" إلى "نيسان" وبالتالي يمكن ترجمته على النحو التالي: "يُنيِّسون الألبسة، أي يخرجونها من أمكنتها". وفي القاهرة، ثمة طلاء لجفون الرجال والنساء بِإثمد أسود اللون ("كُحل")، والذي من المفترض أن يكون مقويًا للرؤية[700]، وهو أمر مميز لهذا السبت: "سبت النور"[701].

ولا بد من ذكر ذبيحة الربيع للـ"خليل" (إبراهيم) التي تحصل في وقت ما من الربيع من دون أن تكون زمنيًا محددة بشكل دقيق. وهي تحصل بشكل طبيعي في الخليل، حين يفترض البدء باستخدام أول دهن الطبخ ("سَمنِة") من حليب الربيع. وفوق لحم الذبيحة المطبوخ، يُفتَّت الخبز ثم يُصب السّمن الساخن فوقه. وهذا يُطلَق عليه "القرينة"، ربما لأن الأمر يتعلق بِـ"ذروة" سمن الربيع[702]. وفي الكرك يُطلق المرء اسم "القرينية" على طبق من لباب الدقيق ("جِريشة") مع لبن مصفى ("لبن") ودهن الطبخ ("سمنة") من باكورة حليب الربيع. ومنه، كما من الزبدة الطازجة، يدهن المرء القليل على حجارة الموقد الثلاثة تبريكًا قائلًا: "باسم محمد وعلي وفاطمة (ابنة [النبي] محمد زوجة عليّ)"،

---

(699) Doutté, *Magie*, pp. 565ff.; Merrakech, pp. 377ff.

(700) للمزيد في هذا الأمر، يُنظر أدناه.

(701) Lane, *Manners and Customs*, vol. 2, p. 223,

وفي مصر العليا يُستخدم رماد مشيمة قطة لهذا الغرض،

Blackman, *The Fellahin of Upper Egypt*, p. 262,

يُقارن أعلاه، ص 271، 273 وما يليهما.

(702) يُقارن أعلاه، ص 32. ويشتق

Bauer, *ZDPV* (1915), p. 55,

"قرينية" من "قَرَّن"، التي يفترض أن تعني: إعطاء "أول نتاج الحيوانات ذوات القرون". ولكن التعبير هذا لا يتضمن أي شيء من النتاج الأول، في حين أنه طبقًا لتفسيرنا يشكل هذا المدلول للقرينة نقطة الانطلاق لمعنى هذا الفعل المشتق من اسم.

أو كمسيحي: "باسم الآب والإبن والروح القدس"، وبعد ذلك يُقدم المرء وجبة الطعام إلى المدعوين قائلًا: "هاذَ سماط عَ- الغَنَم لَجعفر، لا يِضُرّ الغنم ولا ياسيهَ"، أي: "هذا الطبق[703] دفع بلاء عن الماشية من أجل 'جعفر'[704]، حتى لا تُصاب الماشية بضرر ولا يقوم هو بالتخلي عنها".

وفي الخليل يقوم المرء في "شهر الخميس" بذبح أول مواليد ("بكر") حملان أواخر الخريف، والتي يقوم المرء بتحديدها لهذا الغرض من خلال حز الأذن ("بِسَمِّطُ"). ويُطلق المرء على مثل هذا الحيوان المكرس لإبراهيم ("الخليل") "أُليمِة" [وليمة]. وفي أماكن أخرى، تُكرَّس ذبائح بكر الخرفان والماعز لأولياء آخرين على غرار "النبي داود"، "النِبِي موسَى"، "شيخ صلاح"، "الخضر"، والتي يتركها المرء تصل إلى سنة أو سنتين قبل أن يُقْدم على ذبحها وتناولها مع ضيوف مدعوين[705].

وقت الفصح المسيحي

تبدأ الأعياد قبل الفصح في القرى المسيحية في فلسطين يوم السبت عشية أحد الشعانين، سبت لعازر ("سبت لعازَر")، بمواكب الأطفال. ويقوم أحد المعلمين بكتابة قصة لعازر لهم على ورق، ثم يقومون بإلصاقها على قطعة قماش مستخدمين مادة صمغية ("جِلبوح") من شجرة لوز، وينتقلون بها من بيت إلى بيت. وفي حين يغني الأطفال، يتمدد أحد الصبيان على الأرض فيُغطّى بقطعة القماش. ويقدم سكان البيوت البيض إلى الأطفال، ثم يقومون لاحقًا بالذهاب إلى كروم الزيتون وقطع أغصان زيتون ("شَعانين"، مفردها "شعنينة")، ويحملونها إلى الكنيسة، حيث يقوم القسيس بتكريسها وتوزيعها، وهكذا هو الأمر عند اللاتين. أما عند الروم الشرقيين، فلكل واحد غصنه

---

(703) من أجل معنى "سماط"، يُنظر:
Canaan, *JPOS*, vol. 6, pp. 30. 51ff.

(704) "جعفرالطيار" هو الشفيع الإسلامي المهم للـ"كرك" حيث يُبجَّل. ويقع قبره على بعد 14 كم إلى الجنوب من الكرك. كان قائدًا ميدانيًا أرسله [النبي] محمد في الغزوات الأولى. وقد استشهد هناك سنة 629.

(705) يُقارن:
Musil, *Arabia Petraea*, vol. 3, pp. 286f.

الخاص به. وتُزين البيوت بأغصان الزيتون. وفي كل ورقة يُعمل حز صغير، وفيه تثبَّت زهرة من أزاهير الربيع، خاصة الحوذان القرمزي الذي يُطلق عليه بعد ذلك "حنّون الشعانين" (ص 355). ويُثبِّت المرء الأغصان في الفتحات العليا لكواير القمح ويتركها معلقة حتى خميس العهد. وفي قبرص يُشكل قيام لعازر [يوحنا 11]، الذي يُرمى بالورد من سرير الأزهار الخاص به، الفصل الأخير في الاحتفال، هو الذي يُذكِّر بعيد أدونيس[706].

وفي أحد الشعانين (حدّ الشعانين")، يذهب الأولاد مبكرًا إلى الكنيسة حاملين معهم أغصان زيتون كبيرة مزينة بالزهور ويقفون أمام مدخل الكنيسة. ويجري ضرب الرجال والصبيان (في رام الله الأولاد وحدهم) الذين يذهبون إلى الكنيسة بالأغصان. فإذا ما قدمت النساء، رفع المرء الأغصان مثل المعرّش ("عريشة") فوقهن ("بِعَرشُ") قائلًا: "عرش" (= "عرِش"، مفردها "عريشة"). وبعد الظهر تستمتع البنات برقصة دائرية ("سَحسِل") على البيدر. وعند اللاتين يُحتفَظ بجزء من الأغصان حتى أربعاء الرماد ("أربعة الرماد") في العام المقبل. ثم يحرقها أحد الأشخاص، في حين ينثر القسيس الرماد على رؤوس المؤمنين. وفي القدس يُكرَّس سعف النخل التي يؤتى بها من يافا، بدلًا من أغصان الزيتون. ومن أجل وضعها في البيت، يقوم أحدهم بجدل السعف بشكل فني متخذة شكل أعشاش يُوضع البيض فيها. وعليها تُعلّق أزهار الربيع والكعك المشبك. وتذكِّرنا أغصان الزيتون وسعف النخل بالدخول الاحتفالي للمسيح إلى القدس (متّى 21:8؛ مرقس 11:8؛ يوحنا 12:13)[707]، وبأكاليل زيتون يهوديت (15:13)، التي تبرهن أن تحفّظ فيلهاوزن (Wellhausen) عن أن المرء يستطيع بصعوبة أخذ أغصان من أشجار الزيتون ليس له أساس من الصحة. ومنذ أن كان إزهار الزيتون لا يحصل قبل أيار/ مايو، فإن نمو الثمار لا يتعرض من خلال ذلك للضرر. ويعود استخدام أغصان الزيتون لأغراض احتفالية، كما يُشار إليه في مرقس (11:8) ومتى (21:8)[708]، بشكل أساسي إلى حقيقة أن

(706) Ohnefalsch-Richter, *Griech. Sitten*, pp. 86ff.

(707) Dalman, *Orte und Wege Jesu*³, pp. 274.

(708) يُقارن ص 349 وما يليها.

أشجار الزيتون الدائمة الخضرة وهي تنتشر في كل مكان في المناطق الجبلية، في حين أن أشجار النخيل المذكورة في يوحنا (13:12) نادرة. فمن قبل، في القرن الرابع، كان إبيفانيوس[709] قد ذكر في موعظة أحد الشعانين أن المرء في مثل هذا اليوم يحمل نخلًا ويهز أغصان زيتون. وقد يكون قد وقف خلف هذا التقليد في الأصل الرغبة في إدخال حياة الطبيعة في حياة الإنسان من أجل تقويته، كما هي الحال في ألمانيا عند الضرب بأغصان الصفصاف التي أطلعت نورة هِرِّية [عسيل أو زهرة الصفصاف][710]، وعلى صلة بذلك باقة لعيد العُرُش اليهودي الذي سبق الحديث عنه[711].

وعن أسبوع الآلام يُقال:

" الحَد حَد الشعنينة (أو الشعانين)،

الاثنين اثنين الطَويل،

والثِلاثة بنت عمِّه (أو ثِلاثَة الحَمير)

والأربعَ أربعة أيوب

الخميس الغُسل (أو القُربانة)

الجُمعة جُمعة الحزينة

السبت سبت النور

والحَد حَد الهنَ والسرور"

أي:

"الأحد أحد الشعنينة (أو الشعانين)

الاثنين هو الاثنين الطويل،

والثلاثاء ابن عمه (أو ثلاثاء الحمير)،

---

(709) Homil. I (Migne, P. G. 43, S. 450).

(710) Mannhardt, *Baumkultus*, p. 251.

(711) يُنظر أعلاه، ص 150 وما يليها، حيث كان يفترض أن يتم ذكر سفر اليوبيلات 31:16 كشهادة قديمة لباقة العيد.

والأربعاء أربعاء أيوب.

الخميس خميس الغسل (أو العشاء المقدس الأخير)،

الجمعة هو الجمعة الحزينة،

ولكن السبت هو سبت النور،

والأحد هو أحد الهناء والسرور".

ويُعتبر يوما الاثنين والثلاثاء طويلين، لأن الإحساس بالضيق يبدأ لدى المرء منذ بداية الصوم؛ إذ ما من تقليد احتفالي يُقصِّر الوقت. أما التسمية "ثلاثاء الحمير" التي لم يستطع أحد تفسيرها لي، فربما تعني أن المرء يشعر بنفسه كما لو كان حمارًا يحمل أثقالًا. ومن المفترض أن أيوب شُفي يوم الأربعاء بعد حمام في بئر أيوب[712] بالقرب من القدس. ومن ذلك يستنتج المرء أن الاستحمام في ماء عين في هذا اليوم مفيد. وفي بعض القرى، يتوجه رجال ونساء إلى أقرب عين، حيث يجري تسخين الماء ويستحم فيه ("بِتحَمّمُ") الرجال بشكل منفصل عن النساء، ويبقى المرء هناك من الصباح حتى المساء.

وغسل الأرجل كطقس كنسي هو من نصيب الخميس، وهذا الطقس يقوم به في القدس بطريرك الروم في باحة كنيسة القيامة، فيغسل أقدام 12 أسقفًا في الهواء الطلق. وفي دمشق يقوم الأسقف بالأمر نفسه لـ 12 قسيسًا في الكنيسة[713]. والرقم 12 حدده يوحنا (13:4 وما يلي)، والفعل ذاته وفقًا لأمر يسوع كما في يوحنا (13:14 وما يلي). وثمة خرافة تلتصق بالماء المستخدم لذلك، حين يتم غمر قشور كرز بري ("محلب") (Prunus Mahaleb) فيه مع سعف نخل مكرسة قطعت بشكل دقيق، من أجل تبخير المرضى بِـ"قِشرة الخميس" لحمايتهم[714].

---

(712) يُقارن ص 138، 205 وما يليها.

(713) Bergsträßer, *Zum ar. Dialekt*, vol. 1, p. 68.

(714) Canaan, *Aberglaube und Volksmedizin*, p. 88.

أما الجمعة الحزينة، كونها اليوم الذي مات فيه يسوع المسيح، فلها علاقة بالدم، ولهذا السبب تتميز الجمعة بتعليم الغنم بمغرة حمراء اللون وصبغ أطر الأبواب باللون الأحمر، وهو ما تم الإتيان إلى ذكره في ص 430 عندما تحدثنا عن التقاليد الإسلامية؛ فالحليب الذي يُحلب في هذا اليوم يُقدّم إلى الفقراء، وإذا أراد المرء مخضه لصنع زبدة منه[715]، فسوف يتحول إلى الأحمر بحسب معتقد شعبي. والسَلَطة المكونة من أعشاب مُرَّة تعتبر طبقًا مفيدًا في هذا اليوم ("حلال أكل المُرّ") ما يشبه تقليد عيد الفصح عند اليهود[716].

وفي سبت النور يقوم اللاتين بإشعال النار في الصباح المبكر أمام الكنيسة باستخدام حجر صوّان وفولاذ وصوفان. وبها يُشعل أحدهم فحم الموقد المحمول ("كانون") ويحرق بخورًا فوقه. وينتظر المسيحيون الروم في القرى وصول النور المقدس من القدس، حيث يُوصل إلى هناك من قبر المسيح في حوالى الساعة الواحدة بعد الظهر، وكان، وفق المعتقد الشعبي، قد اشتعل من تلقاء نفسه كمعجزة[717]. ويذهب المرء باتجاه جالب النور ويرافقه مصحوبًا بالتهليل والغناء إلى الكنيسة. وهنا تدوي دعوة الفصح: "المسيح قام!" الجواب: "حقًا قام"، وتُضاء أنوار الكنيسة. كما يُجلب النور الجديد إلى داخل البيوت، بغية إضاءة أنوار البيت به. وقبل انتشار قطع الفولاذ المخصصة لاستخراج الشرر من الصوان وعيدان الثقاب في فلسطين، كان يُحافَظ على النور مشتعلًا. وذلك كله يرتبط بسبت النور الذي يضيئه المسيح من جديد في عالم الأموات، والذي بقيامته ينير العالم. وهو على صلة بطقوس الضوء في عبادات الأسرار اليونانية والمصرية التي تعني الحياة في الموت[718]، ولكن في الوقت ذاته ربما

---

(715) الزبدة العربية تُنتج دائمًا بهذه الطريقة.

(716) يُقارن أعلاه، ص 346 وما يليها.

(717) عن الاحتفال في القبر المقدس ومعناه وتاريخه، يُنظر:
B. Schmidt, *PJB* (1911), pp. 85ff.; Hartmann, *PJB* (1916), pp. 76ff.; Schmaltz, *PJB* (1917), pp. 53ff.; Klameth, *Das Karsamstag-Feuerwunder der heil. Grabeskirche* (1915).

(718) يُنظر:
Schmaltz, *PJB* (1917), pp. 80ff.

كان لها صلة بفكرة سنة جديدة[719] تبدأ مع عيد الفصح. وتفترض الكنائس أن النور المقدس يتخذ بدايته الجديدة في الفصح، مثل إشعال نار الفستا المقدسة [إلهة الموقد] في روما من جديد في 1 آذار/ مارس[720].

يتميز عيد الفصح، الذي يُدعى "العيد الكبير"، علاوة على الطقوس الكنسية، بالزيارات المتبادلة بين الأقارب والجيران لتبادل التهاني. وتُستهلّ الأمنيات الطيبة بتحية الفصح (يُنظر أعلاه)، إلا أنها عادة ما تتمتع بالشكل المعتاد: "كُل سِنِي وِانت سالم"، أي: "كل سنة (عندما يعود العيد ثانية) عسى أن تبقى بخير!". والجواب: "وانت سالم"، أي: "عساك تبقى سالمًا!". وبعد الاستمتاع بالحلويات المقدمة، تتكرر الأمنيات مرة أخرى. وهذه المعايدة (بالعربية "عيَّد" من "عِيد") تُعتبر شكلًا من أشكال اللطف والمجاملة، وتعزيزًا لتأثير العيد. وهناك كعك وفطائر خاصة بالعيد، ففي دمشق، بحسب شميتس[721]، "مَحمُل"، "كُرَسّة"، "غُرِيبة"، أي: "مَعمول" وكعك مصنوع من السميد والسكر والزبدة، "قْراص"، فطائر كروية، "غريّبة"، حلقات، وكلها مصنوعة من المواد نفسها. والكعك في القدس ومعه الفطائر معروفة، لكنها غير مخصصة لعيد الفصح وحده، إلا أن معمول الفصح يكون مثقوبًا، فتوضع بيضة ملونة فيه. ويميل المرء إلى استخدام حليب يوم الفصح لصنع الهيطلية [المهلبية]، وهي حلوى مصنوعة من الحليب والنشا والسكر يقدمه المرء للمهنئين. وفي أي حال، يُشكل تناول البيض المسلوق جزءًا من عيد الفصح، ويُطلى بالألوان الصفر أو الخضر أو الزرق، ويُزيّن بصور جميلة، خاصة صورة المبعوث من قبره، بعد خدش اللون الذي يصبح بنيًا داكنًا[722]. ويُقدَّم البيض الملون ("بيض مَصبوغ") إلى الأطفال والكبار على حد سواء. ويحب الرجال والأطفال استخدام البيض الملوّن في ألعاب الحظ. أما الدعوة إلى ذلك،

---

(719) يُنظر:

Drews, *PRE*³ 14, pp. 746, 748f.

(720) Markwardt & Wissowa, *Röm. Staatsverwaltung*, vol. 3², pp. 342, 344.

(721) Schmitz, *Heil. Land* (1917), p. 118.

(722) يُستفاد من البصل والرصاصية الأوروبية (Plumbago europaea) ("خمشة") ووردة الذرة ("شَبِّة") كمواد ملونة.

فتقول: "تاع تَ- نِتكامَش"، وبلهجة أهل المدينة: "تاع تَ- نطاقَش"، أي: "تعالَ، لنكسر البيض". أما ذلك الذي تبقى بيضته سليمة بالكامل، فيكسب بيضة الخصم. وتمارَس اللعبة كنوع من الشراكة ("ندامى") في حال قام طرف ثالث بتأمين البيض. فإذا جرى، على سبيل المثال، تقديم خمس بيضات، توضع في صف واحد، ويقوم أحد اللاعبين بأخذ البيضة الأولى، والثاني الأخيرة. أما ذلك الذي تنكسر بيضته عند التصادم، فعليه دفع ثمن جميع البيض للمزوّد. أما الرابح، فيعيد بيضة إلى المزوّد ويمكنه الاستمرار في اللعب على الباقي.

وفي الريف يُقدم العريس إلى عروسه ("عيدية") حوالى 100-200 بيضة، وزوجًا من الأحذية وحزامًا وخروفًا، ويُفترض به أن يحمل "مجيدِية" [العملة التركية التي كانت سائدة في حينه] (حوالى 4 ماركات) ملفوفة بقطعة قماش ومربوطة حول عنقه. وعلاوة على ذلك، إن أمكن، 2 "رُطل" (حوالى 5 كغ) تسالي ("نُقل")، مثل اللوز والبندق والحمص المحمص ("قضامة") وحبوب مغلفة بالسكر ("ملبَّس"). وهنا ينبغي عدم الاقتصاد إذا كان يُفترض تحقيق الهدف المتمثل في زواج قريب. أما هدايا الأعياد الأخرى، فغير مألوفة[723].

ولمّا كان الدجاج قد دخل فلسطين في العهد الهيليني، فإن العادات والتقاليد المرتبطة ببيض الدجاج ربما كانت في الأصل غير فلسطينية. ومع ذلك، وفي الوقت الذي كان فيه الدجاج لا يزال غائبًا، ربما كان الحمام وبيض الحمام هو ما قصد إليه أيوب (6:6) عند الحديث عن أكل بياض البيض، وهو الذي كان له شأن كبير في تغذية الشعب أكثر مما هو الوضع عليه اليوم.

أعياد أيار/ مايو

لا شيء أصبح معروفًا لدي في ما يتعلق بعيد الورد في فلسطين في أيار/ مايو. إلا أن القزويني[724] يُشير إلى "عيد الورد الجديد" ("عيد الوَرد المُستَحدَث") في 15 "أيار"، وإلى "عيد الورد وفرك السنابل" ("عيد الورد وَفريك السُنبُل") في 25 "أيار". وشبيه بذلك عند اليعاقبة السوريين في

(723) ما ورد أعلاه مقتبس من مخطوطة لبشارة كنعان.

(724) Kazwini, *Kosmographie*, I, p. 78.

15 أيار/ مايو عيد والدة الإله "من السنابل" ("دِعَل شِبِّلي")، وهو نظير عيد والدة الإله "من الزرع" ("دِعَل زَرعي") في 15 كانون الثاني/ يناير[725]. ويتواءم الأول، بحسب التاريخ، مع عيد الورد لدى القزويني في 15 أيار/ مايو، وبحسب الموضوع، مع عيد 25 أيار/ مايو. ويبدو أن تقويمًا مصريًا وضع خطأ "عيد الورد في سوريا" ("عيد الورد في الشام") في 25 حزيران[726]، وهو ما يود المرء الاستنتاج منه أن العيد في 25 أيار/ مايو، إضافة إلى عيد 15 أيار/ مايو، هما حقيقة قائمة. وفي أي حال، تُطلَب في أيار/ مايو شفاعة مريم من أجل السنابل الناضجة التي أصبحت الآن قادرة على توفير السنابل الخضر الصالحة للأكل (بالعربية "فريك"، بالعبرية "مِليلوت"، التثنية 23:26) (يُقارن متّى 12:1، مرقص 23:2، لوقا 6:1)[727].

وبموازاة أيام الموتى عند المسلمين[728]، هناك أيام الموتى عند الروم؛ يوم السبت قبل أول أحد من فترة الصوم، وفي يوم السبت قبل عيد العنصرة[729]. ويُطلق المرء على هذه الأيام "سبت الأموات" ويُقدم خلالها في الكنيسة حبوب منقوعة (*χολυβα*، "سِليقة") عن أرواح الموتى. كما أن الأموات لا يُنسَون في الأعياد الكبيرة؛ إذ يقوم المرء بوضع طبق من اللحم والأرز وقطع من الخبز ("فتات") على القبر. وتقوم النساء بالنواح بعض الوقت، ثم يأتي الرجال ويأكلون، ليكون الباقي من نصيب الفقراء. وبناء على ذلك، يُطلق المرء على هذا اليوم صفة ("فُقدة"). ويُصادف 7 "أيار" عيد "إحياء ذكرى الصليب المقدس" الذي يأتي القزويني إلى ذكره أيضًا. ويفترض أن يُكرَّس لصليب ظهر ليلًا فوق القدس خلال عهد الإمبراطور قسطنطين[730]، ولا يُعرف عنه إلا الاحتفال الكنسي.

(725) Baumstark, *Festbrevier und Kirchenjahr der syr. Jakobiten*, pp. 196, 273.

(726) Volck, *Calendarium Syriacum*, p. 31.

(727) Dalman, *Orte und Wege Jesu³*, p. 206.

(728) يُنظر أعلاه، ص 426 وما يليها.

(729) يُقارن:

Baumstark, *Festbrevier und Kirchenjahr*, pp. 188ff., 255,

إلا أن *Άγιοταφιτιχον Ήμερολογιον* للقدس بالنسبة إلى سنة 1912 *Των ψυχων* في ما يتعلق بالسبت الذي يسبق أحد الصوم الثالث في نهاية أسبوع الزبدة (*Τυρινη*).

(730) Volck, *Calendarium Syriacum*, p. 30.

من الخواص المميزة للوقت بين الفصح والعنصرة أن المسيحيين، بعد ظهر السبت قبل الفصح، وانطلاقًا من كل سبت، يذهبون إلى التنزه خارج المدينة ("بِشطَحُ")، ويجلسون تحت أشجار الزيتون، ويستمتعون هناك بأشكال مختلفة. وقد حدث ذلك قبل الحرب [العالمية الأولى]، خاصة قرب قبر الوليَّين "سَعد" و"سْعيد" في شمال المدينة، حيث، في غضون ذلك، تكون أشجار الزيتون قد اختفت كليًا. وتُنصب أكشاك القهوة، ويبدأ بائعو الحلوى بالتجوال، وتجلس العائلات والأصدقاء على الأرض لاحتساء القهوة، ويستمتع الأطفال بمراجيح من الحبال أُعدّت على عجل. وقد اعتبر المرء هذه الـ"شَطحة" في العراء كما لو كانت نوعًا من عقد زواج مع الطبيعة، ولذلك دُعي السبت الأول "طلب اليد" (الطُلبة)، والثاني "الخطوبة" ("الخِطبة") والثالث "الرؤية" ("الشوفة") والرابع "الزفاف" ("العِرس") والخامس "أسبوع الزفاف" ("اِلسِبوع")، والسادس "الانفصال" (الإفراد)، أي الزيارة الأولى للمرأة الشابة لوالديها بعد الزفاف، والذي يعني فراقًا ("هي تِفرِد عنهم"، أي تنفرد عنهم وتنفصل). وفي الأسبوع السادس، يُصادف "خميس الصعود"، الذي يُدعى أيضًا "عيد جبل الزيتون" ("عيد الطور")، حيث يحرص الناس، إضافة إلى الطقوس الكنسية، على التنزه والجلوس في الخلاء على جبل الزيتون. والتقليد بأكمله يتصل بشكل موضوعي بتقاليد "النوروز" التي سبق الحديثُ عنها في ص 424 وما يليها، والتي يتم هنا دمجها في موسم الأعياد المسيحية؛ لأن القيام بها يجري في يوم السبت لا الأحد، ما يبين عدم صلتها بالأشكال الكنسية. ويشكل الجو الحار غير الماطر في هذا الوقت، الذي ربما يُصادَف فصحًا مبكرًا كما في سنة 1912 بين 6 نيسان/ أبريل و16 أيار/ مايو - التقويم الغريغوري (عيد الصعود)، الشرط الضروري لذلك. وهنا يعتقد المسيحيون بشكل أساس أن الشتاء انتهى، وأن الصيف على الأبواب. ولكنهم يربطون هذه الفكرة بسعادتهم في عيد الصعود الذي يشكل صحو الطبيعة والتوق إلى حياة نابضة بالحيوية تعبيرًا مجازيًا عنه.

ولا يتحلى عيد العنصرة (بالعربية "العنصرة" على صلة بـ"عصيْرِت" العبرية، و"عَصَرتا" الآرامية) بتقاليد خاصة غير المعايدات وزيارة القبور كما في الأعياد الأخرى. وفي دمشق يحب الناس خلال هذا العيد الخروج إلى

الحدائق، حيث يستمتع الفتية بالمراجيح[731]. أما فطائر العيد، فهي "عرموش فُستُق"، أي فطيرة بفستق[732]. وفي يوم السبت قبل ذلك تقوم النساء في صيدا بتخضيب أنفسهن بـ"الحِنَّة" [حناء]، يُنظر أعلاه، ص 430. وفي شمال أفريقيا يتم إسقاط تسمية "العنصرة" على الانقلاب الصيفي في 24 حزيران/يونيو الذي يتحلى بتقاليد خاصة به[733]. ولا يوجد في فلسطين نظير لعيد أفروديت التقليدي في قبرص الذي يقع في اثنين العنصرة، حيث الطقوس المائية[734].

تقاليد الأعياد اليهودية

من عادة يهود القدس استغلال كل أحد وكل يوم قمر جديد للتنزه سيرًا على الأقدام[735]. وبوسع المرء الافتراض أن ذلك يحدث بشكل أساس في الربيع، من دون أن تكون هناك صلة حقيقية بين هذا التقليد وفصل السنة. وهذا ما يحدث حين يأخذ اليهود الشرقيون في نهاية عيد الفصح حبوبًا خضرًا مقطوعة وحزمة سنابل ويضرب بعضهم بعضًا بها[736] وهم يقولون: "ليمنحك الرب من ندى السماء ومن خصوبة الأرض ووفرة من الحبوب والنبيذ" (التكوين 27:28). وبكلمات يتسحاق هذه التي قالها حين أدرك رائحة الحقل الذي باركه الرب على ملابس يعقوب، يُتحوَّل التقليد، الذي لا بد أنه كان في الأصل مجرد هِبَة من قوى الطبيعة، إلى الرغبة في بركة إلهية. وعلى ذلك، يُطلق المرء تمنيات متبادلة بِـ"سنة خضراء" ("سِنة الخَضرَة")[737].

وفي الأزمنة القديمة، يُظهر نشيد الأنشاد (10:2 وما يلي، 11:6، 12:7 وما يلي) أن من المألوف أن يهيم الفتية والفتيات في بساتين الفاكهة في نهاية الربيع بطريقة تجعل المرء يفكر بتقليد له صلة بهذا الوقت من السنة، والذي

(731) Bergsträßer, *Zum arab. Dialekt von Damaskus*, vol. 1, p. 69.

(732) Schmitz, Heil. *Land* (1917), p. 118.

(733) Doutté, *Magie*, pp. 565 ff.; *Merrakech*, pp. 377ff.

(734) Ohnefalsch-Richter, *Griech. Sit*ten, pp. 96ff.

(735) Luncz, *Jerusalem*, vol. 1, pp. 36f.

(736) شيء مختلف هو نفض الصفصاف في عيد العُرُش، ص 149 وما يليها.

(737) Luncz, *Jerusalem*, vol. 1, p. 47.

وفر فرصة لنشوء الحب الطبيعي بين الرجل والمرأة؛ فرقصات العذارى الدائرية في بساتين الفاكهة لها صلة بأحد الأعياد في شيلو (القضاة 21.19:21)، والذي لم يُحدد بشكل أكثر تفصيلًا، ربما كانت لها صلة بعيدي الفصح والشعانين، وبالتالي انتسبت إليهما؛ فالتقليد اليهودي يتحدث عن عادة ذات صلة بِـ 15 "أب" [آب]، وهذا ما سنتحدث عنه تحت فصل الـ"صيف". وفي حال نشيد الأنشاد (12:2)، لم يكن زمن "زامير" الموصوف في الربيع ليشير إلى تقليم الكرمة (يُنظر أعلاه، ص 332)، بل إلى غناء مع عزف، حينئذ على المرء أن يتذكر أن التمشي وتزجية الوقت في بساتين الفاكهة كان مرتبطًا بالغناء. وفي تقويم جيزر [المدينة الكنعانية التي تبعد 30 كم إلى الغرب من القدس] (في الأعلى ص 7)، ربما صادف وقت الغناء هذا في حزيران/ يونيو وتموز/ يوليو من أشهر الصيف. وعلى ذلك يمكن الاعتراض بأن غناء الإنسان في نشيد الأنشاد (12:2) لاءمَ بشكل جيد جدًا "صوت القُمرية"، إلا أن مثل هذا التحديد لمعنى الشهرين في تقويم جيزر سوف يخرج عن نطاق المعنى المألوف للتقويم الزراعي. يُقارن أدناه 8 IV [الزراعة في الصيف].

ومن الأعياد اليهودية يصادف في الربيع عيد البوريم [عيد المساخر]، الذي يُحتفَلُ به في القدس في 15 أذار [شباط/ فبراير- آذار/ مارس] وفي الخليل وطبرية وصفد في 14 و15 من الشهر ذاته[738]، لأن ما يبدو مشكوكًا في أمره هو إن هذه المدن كانت في عهد يهوشواع مسوّرة، كما يقضي بذلك المشنا كاستكمال لسِفر أستير (18:9 وما يلي)[739]. وبالنسبة إلى دمشق يصف بيرغشتريسر (Bergsträßer)[740] "عيد هامان" على النحو التالي: "في ليلة عيد هامان يخرج (اليهود) عند غروب الشمس إلى الكنيس، حيث يبقون حتى منتصف الليل وهُم يتضرعون إلى موسى أن يُبعد عنهم هامان ويلعنه[741]، ومن أجله يصومون الليل بطوله حتى صباح اليوم التالي. وفي يوم العيد، من

(738) Reischer, *Sepher Sha'are Jeruschalajim* IX.

(739) Meg. I 1, Tos. Meg. I 1.

(740) Bergsträßer, *Zum arabischen Dialekt von Damaskus*, vol. 1, p. 69.

(741) أقرأ: "وَيِهلِكوه" بدلًا من: "ويِهلِكو".

المساء فصاعدًا، يُزينون جميع المساكن ويضيئونها بالقناديل. وفي هذه الليلة يُعتبر البقاء في البيت ممنوعًا. وعلى هامان[742] الذي يضعون صورته أمام المعبد، يطلِق المارّون أمام الصورة الرميات من اليد أو من بندقية هوائية. ثم يبقون مستيقظين في الطرقات حتى الصباح. وعند الصباح يذهبون إلى الكنيس ويقدمون هدايا إلى موسى لأنه خلصهم في هذه الليلة من هامان. هكذا يظهر ذلك العيد في عيون عربي لا يعرف ماذا يحصل في داخل الكنيس. وفي القدس، حيث يُطلق المرء على عيد البوريم، نظرًا إلى ما يستمتع به اليهود من حلويات، "عيد السكر"، لا يخلو الأمر من مواكب ليلية بأقنعة وكل ما تيسر من هزل وفكاهة. وتشهد الأزمنة القديمة على تقافز (بالآرامية "مِشوَرتا") فوق النار[743] التي يجري إشعالها، بحسب آروخ، لإحراق دمية هامان، وبحسب راشي [الحاخام شلومو بن يتسحاق] لا علاقة لها بتقليد هامان. وأساس الاحتفال الرسمي هو قراءة من سفر أستير المكتوب على لفيفة خاصة، ومأدبة طعام مصحوبة باحتساء كميات كبيرة من النبيذ، وتقديم الهدايا إلى المعارف، والهبات إلى الفقراء، كما يأمر بذلك سفر أستير (9:17 وما يلي، و21 وما يلي)، وتشترط الشريعة اليهودية ذلك[744]، وحتى يوم السبت لا تُمارس استثناءات[745].

ويستطيع المرء الاستنتاج من عيد رأس السنة في وقت الاعتدال الربيعي، أن في خلفية العيد ذي الدوافع التاريخية، وإن لم يكن الدافع دينيًا حقًا[746]. وبحسب سفر أستير، يقف عيد بابلي يتمحور حول انتصار الربيع على الشتاء، وليس ثمة مردخاي وأستير، بل إن مردوك وأستير هما الإلهان الفاعلان. وعلى

---

(742) مع تقسيم آخر للجملة خلافًا لما عند:
Bergsträßer, *Zum arabischen*.

(743) b. Sanh. 64b.

(744) Meg. I 3, 4, Tos. Meg. I 4,
تبادل الهدايا في الأعياد يحصل من أجل السنة الجديدة في:
Neh. 8, 10, 12.

(745) Luncz, *Jerusalem*, vol. 1, p. 44.

(746) يُقارن سفر المكابيين الثاني 15:36 وما يلي،
Megillath Taaniyh XII, Josephus, Antt. XI 6, 13.

ذلك تنطبق تقاليد العيد الشعبية[747]، ويذكر القفز فوق النار بِالتقليد الجرماني المعروف والخاص بعيد الانقلاب الشمسي، وربما انطبق هنا على الاعتدال الربيعي. ويناظر طقس حرق أمان حرق دمية يهوذا في ألمانيا[748]، كما في قبرص أيضًا[749]. ومن الممكن أن يكون قد قُصد به في الأصل روح الشتاء المعادية لنمو النبات. وفي ما عدا ذلك، يُتّبَع في دمشق في عيد الصليب، في 14 "اِيلول"، قريبًا من وقت الاعتدال الخريفي، تقليد قفز المرء فوق النار[750]، في حين أن عادة النار القديمة الخاصة برأس السنة الجديدة قد اختفت[751].

ووفقًا لأحكام المشنا[752]، يجب إصلاح الطرقات والأماكن العامة وحمامات التطهير، إضافة إلى تبييض القبور في 15 أدار؛ فللأمر صلة باقتراب عيد حج الفصح، ولكنه يفترض مسبقًا أن مطر الشتاء بتأثيره المدمر قد انتهى. وحين يُبحث في الوقت نفسه عن بذور مخلوطة ممنوعة[753]، يجب أن تكون البذور قد نقفت مع نباتات الربيع على قدم وساق. وذلك كله يتساوق مع عيد فرح يقول للشتاء وداعًا.

عيد الفصح[754]

الفصح في التقاليد اليهودية هو عيد واحد يمتد من 15 إلى 22 نِسان، وبحسب التقويم اليهودي الحالي، تصادف بدايته 26 آذار/ مارس و25 نيسان/ أبريل، في حين أن قوانين العهد القديم تفصل عنه تناول أكل الفصح عشية

---

(747) Mannhardt, *Wald- und Feldkulte*, vol. 2, pp. 504f.; vol. 2, pp. 305f.

(748) Ibid.

(749) Ohnefalsch-Richter, *Griech. Sitten*, pp. 92ff.

(750) يُنظر أعلاه، ص 94.

(751) يُقارن ص 275 وما يليها.

(752) Schek. I 1, Mo. k. I 2, Tos. Schek. I 1f. 4f.

يُقارن أعلاه، ص 211.

(753) Schek. I 1 f, Tos. Schek. I 3.

(754) من الطبيعي، كما هي الحال في عيد الشعانين، ألا يتم القيام بمحاولة تقديم ما هو نهائي نظرًا إلى المصادر المنفصلة أيضًا: فالمصادر التوراتية وما بعد التوراتية تفترض بشكل أساسي ربطها بالسنة الطبيعية الفلسطينية.

"عيد الخبز غير المُخمَّر". وهنا سنتحدَّث عن عناصر الاحتفال بالعيد ككل، ما دام بينها وبين موسم السنة صلة؛ لأن أعشاب وجبة الفصح المُرة لا يمكن فصلها عن الاستمتاع بنباتات ربيع البلاد، فقد سبق أن جرى التعرض له أعلاه في ص 346 وما يليها. وبالنسبة إلى حملان الفصح (الخروج 3:12 وما يلي، وص 21 وما يليها)، والذي عرضنا لها مع أعمارها المحددة قانونًا في ص 268 وما يليها، فمن المهم أن يكون ذبحها على صلة بالوقت الذي تكون فيه الحملان في الشتاء المبكر قابلة للذبح(755)، بحيث يستطيع المرء القول إن الفصح يقود استخدامها إلى التغذية. أما أهمية عُمر الحملان القابلة للذبح، فتتضح من رسالة غملائيل(756) التي تبرر الحاجة إلى تطبيق شهر كبيس، من ضمن أمور أخرى، نظرًا إلى أن "الحملان لا تزال طرية"، حتى لو لم تكن هذه النقطة حاسمة، لأن المرء يستطيع اللجوء إلى حملان ولدت قبل ذلك(757)؛ ذلك أن القطعان في هذا الوقت تعيش قريبًا من أماكن إقامة أصحابها(758)، وهذا يشكل نقطة تزكي الفعل الاحتفالي. كما يبدو طبيعيًا أن يحصل ذلك قبل خروج القطعان ثانية إلى مراعٍ بعيدة(759). عند الوقت المهم لبدء فترة انقطاع الأمطار، الذي يمكن اعتباره سنة جديدة، وهو يشكل في جميع الأحوال بداية سنة للقانون الكهنوتي (الخروج 2:12)(760)، والقيام بإجراءات يفترض بها تأمين البيت والعائلة وربما القطعان أيضًا. إنها إجراءات مشابهة في بداية السنة، وفي الربيع أيضًا، ويمكن التدليل عليها في ص 30 وما يليها، من خلال التقاليد الشعبية المعاصرة. كما يحصل في لبنان، أي أن تقوم كل عائلة بتقديم ذبيحة سنوية في الخريف بعد تسمينها في الصيف لهذا الغرض، ورش دمها

---

(755) يُقارن ص 268 وما يليها، 421 وما يليها.

(756) Tos. Sanh. II 2, j. Sanh. 18[d], Maas. sch. 56[c], b. Sanh. 11[b]; Dalman, *Aram. Dialektproben*[2], p. 3; يُقارن ص 20، 269.

(757) كما أن سن الحمام قد أُخذت أيضًا في الاعتبار، لأن ذبيحة التطهر للمرأة النفساء وغيرها (سفر اللاويين 7:5، 6:12؛ لوقا 22:2 وما يلي) تم وصلها بالعيد عن طيب رغبة. يُقارن: Dalman, *Orte und Wege Jesu*[3], pp. 318f.

(758) ص 421.

(759) ص 422.

(760) ص 24.

على عتبة البيت. ويجري ذبحها في المساء ثم تتناول العائلة وأصدقاء مدعوون لحمها[761]، بينما في الإسلام يعني اليوم العاشر من الشهر الأول عيد رأس السنة (ص 27)، فمن غير المستغرب أن بدر الشهر الأول عند بني إسرائيل قد أعطى الموعد لذلك. ومن المهم هنا أن عمليات الذبح المقدسة عند العرب، حتى لو حصلت بالقرب من أماكن مقدسة، ليست على صلة أبدًا بحرق أجزاء من الحيوان المذبوح أو حتى الحيوان بأكمله، وهو ليس في حاجة إلى مكان خاص للقيام بذلك. وفي هذه الأمور يبقى عيد فصح بني إسرائيل بحسب تقليده كما لو كان بقايا تقليد تقديم قرابين لا تعرفها شريعة العهد القديم في أي مكان[762]. أما المسح بالدم على قوائم الباب وعتبته العليا المنصوص عليها في الخروج (22.7:12)، والتي حصرها اليهود بعيد الفصح المصري[763]، فإن السامريين لا يزالون يمارسونها حتى اليوم ويبسطونها حتى على أطفالهم[764]، فتجد ما يُضاهيها في شعائر الدم الخاصة بعمليات تقديم القرابين هذه (ص 31 وما يليها)، والتي تُعتبر علامة (بالعربية "علامِة")، مبينين للرب أن تقديم القربان الذي قصد به التكفير عن إثم (بالعربية "فدُ") قد حصل. وفي حال اعتبر المرء وجود مثل هذا الدم على البيت أو الجبهة "بركة" (بالعربية "بركة")، حينئذ ربما عكس ذلك انطباعًا أن الدم ذاته مسكون بقوة معززة وواقية يحصل عليها من الذبح المقدس الذي جاء أصلًا منه. وبالطبع، ربما كانت للقوى الشيطانية الضارة صلة بذلك؛ فعلامة الدم على مدخل البيت التي يُفترض في التثنية (9:6) وفي إشعيا (8:57) تمتعها بقوى واقية[765]، تحرم هذه القوى الشيطانية

---

(761) Rihbany, *Morgenländliche Sitten im Leben Jesu*, p. 98.

(762) ولكن يُنظر صموئيل الأول 14:34 وعن تقليد تقديم القرابين عند الأنباط، يُنظر
Dalman, *Petra*, pp. 56ff., 79 ff.; Dalman, *Neue Petra-Forschungen*, pp. 49ff.

(763) Pes. IX 5.

(764) Dalman, *PJB* (1912), p. 124; Whiting, *Samaritanernas Paskfest*, p. 36.

(765) الكتابة على قوائم البيت اليهودي (مِن 3/ 7، مسيخت مِزوزاه) تدل حتى اليوم على أهمية مدخل البيت. وعن الإجراءات الواقية من الشر في المكان نفسه لدى الحثيين والبابليين. يُنظر:
Gustavs, *ZAW* (1927), pp. 135f.;

في فلسطين أعلاه، ص 30 وما يليها؛ وكنعان:

Canaan, *JPOS*, vol. 6, pp. 42f.

وإلا:

Frazer, *The Golden Boughi*³, vol. 2, p. 96.

من الدخول، وهو ما يجعلنا قريبين من الخروج (23:12)، عدا أن الرب هناك هو الذي يمنع "المفسد" من دخول البيوت التي كان قد عُلِّمَ عليها بالدم. كما أن تعليم الخراف والحيوانات الداجنة بالمغرة الحمراء في يوم الجمعة الحزينة (ص 430 وما يليها) لا بد أنه يعود إلى فكرة ذات صلة، وحتى لو لم يُؤخذ في الاعتبار أن يوم موت المسيح التكفيري هو في الوقت ذاته يوم الفصح، ولذلك يمكن اعتباره مناسبة للقيام بطقوس التكفير.

في الخروج (15:13)، يُقارن سفر العدد (17:8)، يُقرَن تقديم القربان أو الافتداء المنصوص عليه بالإبقاء على المولود البكر لقدماء الإسرائيليين خلال الخروج من مصر. وفي كتاب اليوبيلات (18:18) هناك عيد الخبز غير المخمر مع التضحية بيتسحاق، ولذلك حري أن تُعتبر ذبيحة الفصح ذاتها حلًا لمسألة البكر. وهذا ما قصده فريزر[766] حين يتحدث عن تقديم الأطفال البكور في ليلة الفصح كقرابين. هذا القتل عُوِّض لاحقًا من خلال ذبح حملٍ، ومسح المرء بدمه الباب بدلًا من دم الإنسان، ما يُفترض أن يكون قد خدع ملاك الموت ليقوم على توفير الحماية للأطفال البكور. ولكن في فلسطين اليوم، يسير تقديم الحمل البكر كقربان جنبًا إلى جنب مع تقديم الأضحية للتكفير أو درء الشر[767]؛ فالأولى لها صلة بجميع الضرائب والرسوم المتعلقة بغلة الحقل وبستان الثمار وحليب المواشي[768]، والأبناء لا يُنظر إليهم من هذا الجانب، ولا يوجد، في حدود علمي، افتداء للمواليد البكور. وعند بني إسرائيل كان الأمر مختلفًا، وهو ما وفر فرصة لربط افتداء المولود البكر بالتعرض الاستثنائي لحياة المواليد البكور خلال الخروج من مصر، والتي على ما يبدو قد أُلمح لها في الخروج (19:34)، حيث يحصل افتداء الطفل البكر بعد ذكر عيد الخبز غير المخمر. ومع ذلك، يختفي أي رابط مع الفصح في الخروج (2:13؛ 19:34 وما يلي)، والعدد (15:18)، حيث يُطالب الرب بلا مواربة، بالمواليد البكور كملك خاص به، وافتداء المولود الأول كان دائمًا،

(766) Frazer, *The Golden Bough*³, vol. 3, pp. 176ff.

(767) يُقارن ص 30 وما يليها، 423، 432.

(768) يُنظر ص 432.

نظرًا إلى توقيته، يتخذ طريقًا خاصًا به[769]. ولذلك يبدو منفصلًا بشكل كلي عن الفصح، إلا أن هذا لا يمنع الافتراض أنه كان يومًا ما قربانًا لدرء الشر، وقد أخذ في المقام الأول المواليد البكور في الاعتبار، ما عدا أن الرب كان هو ذاته الذي رفض تقديم المواليد البكور كقرابين، كما في حال يتسحاق في التكوين (12:22 وما يلي)، وتقبّل بدلًا من ذلك الكبش. وبالنسبة إلى شريعة بني إسرائيل، كان تقديم قرابين الفصح لاحقًا، بحسب الخروج (12:12 وما يلي)، يُقارن Pes X 5، مجرد تذكير بالإبقاء على حياة المواليد البكور. علاوة على ذلك، فهو لا يتمتع بأي قيمة أخرى تختلف عن أي تقديم آخر للقرابين يستدعيه الواجب ويخلو من أي دوافع شخصية. ومن حيث المبدأ، كان هذا بدهيًا حالما فُصلت ذبيحة الفصح، بحسب التثنية (6:16 وما يلي)، عن البيت ونقلت إلى الهيكل، حيث يُرَش المذبح بدم الفصح مثل دم أي قربان آخر. وبحسب الملوك الثاني (21:23 وما يلي)، يُقارن أخبار الأيام الثاني (6.1:35 وما يلي)، فقد حصل ذلك في أيام يوشيا، في حين أن أخبار الأيام الثاني (1:30 وما يلي) يورد تزيين الملك حزقيا بالمرسوم المُناظِر، لأن ذبائح الفصح لها صلة بقرابين الشكر (بالعبرية "شِلاميم")، على الرغم من أن القيام بها ليس بالطريقة نفسها[770]، وربما نشأت فكرتها منذ ذلك الوقت فصاعدًا. إلا أن كتاب اليوبيلات الذي يشدد (في19:49 وما يلي) على أن مكان ذبائح الفصح ووجبة الفصح في الهيكل، يتضمن بقية من الفكرة القديمة، حين يعزو (في15:49) إلى الفصح تأثيرًا واقيًا من البلايا في السنة المقبلة، ولذلك يعتبره ذبحًا وقائيًا. كما أن التقليد اليهودي المتعلق بصيام المواليد البكور عشية الفصح[771] يبدو كما لو كان يقف خلفه أكثر من مجرد استذكار للاستبقاء المصري. ومع تدمير الرومان الهيكل، اختفى بشكل طبيعي ذبح الفصح من عادات اليهود وتقاليدهم، مع القرابين الأخرى، ولم يبقَ ما يذكّر بها غير عظمة

---

(769) يُنظر رسالة بِخوروت في المشنا والتُسفتا.

(770) Zeb. V 7. 8;

يُقارن:

Dalman, *PJB* (1912), pp. 132f.; Dalman, *Jesus-Jeschua*, pp. 114f.

(771) j. Pes. 37[a], Sopherim XXI 3, Schulchan Aruch, Orach Chajjim # 470.

مشوية على مأدبة الفصح[772]. والسامريون وحدهم استمروا في ممارسة هذا التقليد بالقرب من مركزهم المقدس على جبل جرزيم، مفصولًا بالطبع عن الهيكل، بحسب الطريقة الأصلية، وليس باعتباره قربانًا[773]؛ فاختفاء ذبح الفصح لدى اليهود عنى انصهارًا أكبر لوجبة الفصح، وقد جُردت الآن من غاياتها الأصلية في عيد الخبز غير المخمر، وجعل من الممكن أن يمتد اسم الفصح ليشمل العيد كله.

يود المرء الافتراض أن الخبز غير المخمر (بالعبرية "ماتسوت")، والذي يُفترض تناوله مع حَمَل الفصح (الخروج 12:8؛ العدد 11:9)، ويجوز تناوله خلال فترة العيد المسمى على اسمه (الخروج 12:15 وما يلي، 13:6 وما يلي، 23:15، 34:18، سفر اللاويين 23:6؛ العدد 28:17؛ التثنية 16:3 وما يلي، 16:8) قد عنى في الأصل أول خبز من المحصول الجديد. وكان ذلك الخبز غير مخمر؛ لأن لا شيء من عجين المحصول القديم يوجب على المرء القيام بتخميره، بل يجب أن يضم إليه لو لم يكن الأمر يتعلق بأن خبز العيد كان مفترضًا به أن يتمتع بخاصية خبز الرعاة وعمال الحقول الذي هو خبز غير مخمر. وفي فلسطين اليوم، يمثّل نظيرًا لذلك الخبزُ غير المخمر المذكور في ص 416 والذي يُعَدّ في الحقل مع بداية المحصول. وبالطبع، فإن هيرنر[774] لا يجانب الصواب في اعتقاده أن هذا الخبز غير المخمر لم يكن "خبزًا من المحصول الجديد الذي أُعِدّ بشكل سريع"؛ إذ يجب أن يكون قد حمل معنى ما لحماية المحصول الذي كان قد بدأ جنيُه للتو. علاوة على

---

(772) أورَخ حاييم، مادة 473، 4، يُقارن:

Pes. X 3

(مع نص مشكوك في أمره)،

j. Pes. 37d, b. 114b,

حيث يُوضع، وفقًا لذلك، طبق على مأدبة الفصح يفترض به أن يذكّر بحَمَل الفصح، وطبق ثانٍ (من البيض) يذكّر بقربان العيد. عظمة وبيضتان مسلوقتان بشكل متصالب في صحن على مأدبة الفصح في 13 نيسان/ أبريل 1900 في البيت اليمني الذي حللت ضيفًا عليه.

(773) Linder, *PJB* (1912), pp. 111f.; Dalman, *PJB* (1912), pp. 123ff.; Whiting, *Samaritanernas Paskfest I ord och bild*, pp. 35ff.

(774) Herner, *Vegetabilisches Erstlingsopfer im Pentateuch*, p. 6.

ذلك، فإن عيد الأسابيع الذي بدا مشكوكًا فيه لدى هيرنر، ربما كان يحتفظ بخلفية عملية تتمثل في إمكانية نضوج الخميرة من المحصول الجديد، في سياق الأسبوع، وهو بالطبع يستثني التشريع اللاحق المنبثق من آراء أخرى؛ لأن الإسرائيليين الأوائل مهدوا لهذا التقليد بعملية ذبح، كما هي الحال في فلسطين اليوم، في نهاية جَني المحصول، حيث يُجمع عن طيب خاطر بين ضريبة المحصول وذبح الماشية[775]، أو حتى يُربط ذبح الربيع الوقائي الخاص بهم (ص 32) بذلك التقليد قبل بداية جَني المحصول. ويبدو ذلك طبيعيًا، خصوصًا إذا استطاع الفرد القيام بهذا الاحتفال العائلي في الوقت الذي يراه ملائمًا له. ذبح الفصح وتناول الخبز غير المخمر والأعشاب البرية المرة كانت عادات ربيعية حددت وقتها الطبيعة والزراعة. ولأن عيد الخبز غير المخمر لم يُربط بيوم محدد في الشهر، بل كان مرتبطًا بشهر أبيب وحده (الخروج 15:23، 14:34؛ التثنية 1:16 وما يلي)، فإن كل شيء، علاوة على ذلك، يشير إلى الاحتفال به يجري في هذا الشهر الذي صادف دائمًا بعد الاعتدال الربيعي، بعد أن كان "أبيب"، الذي سمّي الشهر على اسمه، قد نمت خلاله حبوب الشعير، وحتى لو لم تكن قد نضجت بالكامل بعد، جاعلة من قدوم المحصول خلال وقت محدد حقيقة لا يدنو إليها الشك. ولأن تقاويم مكتوبة لم تكن قد استُخدمت على مستوى شعبي، فإن وضع البذار كان هو الفيصل. وفي محاذاة ذلك، كانت هناك بالطبع مراقبة النجوم. وفي هذا الوقت يمهد برج الحمل أو برج الثور، لطلوعهما الشمسي في سنة الربيع الجديدة[776]. ويدافع السامري مونغا (Mungga) عن التطبيق السامري للفصح الذي يأخذ الشهر الشمسي "نيسان" في الاعتبار[777]، من خلال حقيقة أن "أبيب" الشعير والقمح في فلسطين يدخل دائمًا في ذلك الشهر، حين تكون الشمس قد اجتازت

(775) يُنظر أعلاه، ص 416 ثم أدناه 9 IV [الصيف/ العادات والتقاليد الدينية عند زراعة الحبوب والثمار].

(776) Wreschner, *Samaritanische Traditionen*, p. 4.

(777) وبذلك يمكن أن يبدأ الفصح السامري، كما حصل في سنة 1912، في 1 أيار = 18 نيسان بحسب التقويم اليولياني.

نصف برج الحمل[778]. كما أن غياب الثريا المتأخر ربما حظي بالاهتمام في هذا السياق، كما الحال اليوم لدى العرب في المناطق التي لا يمكن الاستعلام فيها عن التقويم الشهري للكنيسة، وعلى المرء أن يعوّل على الحسابات الشاقة لبدايات الأشهر وفقًا للنجوم[779]، وهذا لم يكن ليقدم أي يقين بخصوص أيامٍ فردية، إلا أنه ساعد في رصد وضع الطبيعة التي عادت وانتعشت بعد مطر الشتاء، بحيث انتشر الناس في كل ناحية في فلسطين معًا بالقرب من أماكنهم المقدسة، كما يتطلب ذلك الخروج (17:23، 23:34). ومن أجل الاحتفال الذي أمر به قانون سفر التثنية (في 5.2:16 وما يلي) بالقرب من مكان مقدس مركزيّ، لم يبق من شيء غير تحديد الوقت هناك، وإعلان ذلك مسبقًا في جميع أنحاء البلاد من خلال مراسيل، كما حصل في أخبار الأيام الثاني (1:30 وما يلي). وقد اعتبرت الشريعة اليهودية هذا الأمر نظامًا ثابتًا حدد القانون الكهنوتي بموجبه موعد العيد مرة وإلى الأبد في 15-20 نِسان. كما أن عبارة "عقد اجتماع مقدس" (بالعبرية "قِرو مِقرا قودِش" في الخروج 16:12، يُقارن إشعيا 13:1) لاحتفال العيد تشير إلى مثل هذا التقليد الذي استمر حتى بعد ربط الأعياد بتواريخ محددة. وحتى خلال فترة الهيكل الثاني، انتشر سعاة في بداية كل شهر عبر أنحاء البلاد، وفي حال الفصح 15 يومًا قبل ذلك، مبشرين ببداية الشهر ودافعين بكل واحد للاستعداد للعيد[780].

لا تتضمن شريعة بني إسرائيل إشارة إلى الخلفية الطبيعية لعيد الخبز غير المخمر، والذي يُفترضُ أعلاه؛ فبالنسبة إليها، يشكل الفصح اللاحق، جنبًا إلى جنب مع العيد الموصول به، عمل طاعة لدى بني إسرائيل يُبقى من خلاله في الذاكرة على العفو السابق من العقاب الإلهي وتحررهم من العبودية المصرية، والتي أضحت ممكنة بفضل هذا الحكم. وهُم يعترفون من خلال ذلك بعلاقة الرب بهم في جوهره الصحيح، ولكنهم يضعون علاقتهم بالرب على أساس صحيح. وشهر أبيب ليس حاسمًا من حيث هو كذلك، بل من حيث كونه شهر

(778) يُقارن ص 24.

(779) ص 23.

(780) R. h. S. I 3, Tos. R. h. S. I 14f.

الخروج من مصر (الخروج 17:12، 15:23؛ التثنية 1:16)، كما أن الخبز غير المخمر يعَلَّل كتقليد احتفالي على خلفية حقيقة أن الخروج السريع من مصر لم يتح فرصة للحصول على خبز مُخمّر كطعام للرحلة (الخروج 34:12، 39)، وهو ما لا ينطبق على وجبة الفصح التي يجب البدء بإعدادها من 10 نِسان فصاعدًا بحسب التقرير الكهنوتي في الخروج (3:12)؛ إذ استوجب على المرء حينئذ أن يشير، بحسب الخروج (18:23، 25:34)، إلى أن الخبز المخمر لا يجوز ربطه بأي قرابين، في حين يذكر في الخروج (6 و13:3) (يُقارن التثنية 3 و16:1)، أنه استذكار للخلاص من العبودية في مصر، ولا يجوز تناول خبز مخمر طوال 7 أيام، وهو ما يشدد عليه المشنا[781] وطقوس الفصح الدينية في أيامنا هذه. وتُسمي الأخيرة الخبز غير المخمر "خبز البؤس" (بالآرامية "لَحما عَنيا")، وكان على الأجداد أن يأكلوه في مصر، في حين أن سفر التثنية (3:16)، من حيث أتى التعبير، يفكر، في ما يتعلق بِـ"ليْحِم عوني"، مثل سفر الخروج (39.34:12)، بالخروج السريع؛ فخبز البؤس كان بالطبع الخبز غير المخمر، وحين يفكر المرء هنا، على النقيض من الخبز الرخو المصنوع من العجين المخمر، بِـ"خُبز مَلّة" غير المخمر والمعد سريعًا على الفحم، وهو خبز السفر المعتاد عند العرب، ولذلك يؤدي دورًا كبيرًا عند البدو[782]، فإن الفلاحين يخبزونه أحيانًا في الحقل[783]. وبالتأكيد، لم تفكر الشريعة [اليهودية] بخبز الماتسوت ذي الطعم اللذيذ والمخبوز من الدقيق الأبيض في الـ"تنّور" أو في الفرن، والذي يستخدمه المرء في القدس بنوعين، سميك أو رقيق، من أجل عيد الفصح. ويُشدَّد في يشوع (11:5) على أن الإسرائيليين الأوائل أكلوا بعد عبور الأردن من غلة البلد خبزًا غير مخمر وحبوبًا محمصة (بالعبرية "قالوي") "من اليوم الذي يلي الفصح فصاعدًا"، أي مع استثناء وجبة الفصح، والتي ربما كان خبزها لا يزال يعد من المنّ. علاوة على ذلك، يُحرّم في سفر

---

(781) Pes. X 5.

(782) يُقارن:
Jacob, *Altarb. Beduinenleben*, p. 89; Rihbany, *Morgwnländ. Sitten im Leben Jesu*, p. 67.

(783) يُقارن أعلاه، ص 416.

اللاويين (10:23 وما يلي) أكل الخبز والحبوب المحمصة (بالعبرية "قالوي") وحب القمح الطري (بالعبرية "كَرمِل")، حتى اليوم الذي تُقدَّم فيه حزمة باكورة المحصول الجديد إلى الرب. وهذا اليوم يوصف في الآيتين 15 و11 بأنه اليوم الذي يأتي بعد السبت، والذي يفهمه العهد القديم اليوناني، فيلو Philo)[784] LXX) ويوسيفوس[785] بالتساوق مع التقليد الشرعي اليهودي، كونه اليوم الذي يعقب اليوم الأول من عيد الخبز غير المخمر، ويتحلى بخاصية السبت ابتداءً، من 16 نِسان. وقد ذُكر أن سوق القدس سبق أن كانت يومًا ما مليئة في وقت مبكر جدًا، أي في اليوم الثاني للعيد، بالدقيق والحبوب المحمصة، بحيث أمكن المرء البدء بالأكل من المحصول الجديد مباشرة بعد تقديم حزمة الباكورة الأولى. وفي الأرياف، كان على المرء الانتظار حتى الظهيرة، مع أن الرأي كان يتضمن أن على المرء الانتظار طوال اليوم[786]. ولذلك قام المرء بإعداد الخبز غير المخمر من المحصول القديم لليوم الأول من العيد وحده، وللأيام الأخرى من المحصول الجديد[787]. وبحسب **شولحان عاروخ** [الكتاب الذي وضعه الحاخام يوسيف كارو في سنة 1565، وجمع فيه جميع الفرائض والفتاوى اليهودية][788]، فإن جميع الأحكام لا تزال سارية حتى الآن. وكما أخبرني د. برافر من القدس، لا تحصل جراء ذلك صعوبات في فلسطين، لأن الحبوب حتى الفصح لا تزال غير ناضجة للطحن، بحيث إن جميع المتساه يُخبز من الحبوب القديمة. ولا يأخذ السامريون في الاعتبار عند خبز المتساه أصل الدقيق من حيث كونه من غلة قديمة أو حديثة العهد[789]. ولكن من الواضح أن التمييز بين غلة قديمة وغلة حديثة العهد هو نتيجة كون موعد استخدام غلة المحصول الجديد، والذي كان قد رُبط بِتقديم الحزمة الأولى،

---

(784) يُنظر:

Ritter, *Philo und die Halacha*, pp. 113f.

(785) Antt. III 10:5.

(786) Chall. I 1, Men. X 5. 7, Tos. Men. X 25f., Siphra, Emor 11 (100^{c}).

(787) Siphre Deut. 134 (101^{b}), Targ. Jer. I, Deut 16:8, b. Men. 66^{a}.

(788) Jore Dea # 293.

(789) *PJB* (1912), p. 130.

قد أُدخل إلى عيد الخبز غير المخمر بواسطة قانون كهنوتي. وإذا تغاضى المرء عن ذلك، يبقى المحصول الجديد مكشوفًا، فيما الخبز غير المخمر كان احتفالًا بالبدء بالأكل من المحصول الجديد. وتقديم الحزمة هو شعيرة [من شعائر] أخرى تحمل المعنى نفسه، والتي ربما جرى القيام بها إضافة إلى الأخرى. وعلاوة على ذلك، لا يجوز إغفال إمكانية أن وجبة الفصح وذبيحة الفصح كانتا ذات يوم قيمة مستقلة بذاتها، حيث بقي الخبز، كخبز للرعاة والبدو، غير مخمر، أكان من غلة قديمة أو من غلة حديثة؛ فالمحصول الجديد كان بالنسبة إلى عيد الخبز غير المخمر ذا أهمية حاسمة.

بالنسبة إلى وجبة الفصح اليهودية الحالية، كما عشتها في اسطنبول لدى اليهود السفارديم [وهُم يهود إسبانيا أو بشكل عام اليهود الشرقيون]، وفي القدس، ولدى يهود من جنوب شبه الجزيرة العربية بطريقة أصلية خاصة، حيث تشكل كؤوس النبيذ الأربعة، جنبًا إلى جنب مع الخبز غير المخمر، مكونًا أساسيًا. وقد أُشير إليها في المشنا[790] واليوبيلات (6:49، 9)، وفي وصف العشاء الأخير للمسيح (متّى 27:26؛ مرقس 23:14، لوقا 20.17:22، وكورنثوس الأولى 25:11)[791]. ومن الواضح أن النبيذ لا يلائم كثيرًا حفلًا ربيعيًا جديًا، ولا يلائم البتة حفل إحياء ذكرى وجبة الشريعة، ولذلك لا يستخدم السامريون النبيذ في طعام الفصح الخاص بهم[792]. إلا أن لوف[793] يجاوز الهدف حين يرى أن عادة النبيذ غير التوراتية في ليلة السدر [تعني بالعبرية نظامًا أو ترتيبًا، وهنا تعني ليلة عيد الفصح] هي جزء من نظام وجبة طعام رومانية. ومع نقل يشعياهو ذبح الفصح إلى الهيكل في القدس، بحسب التثنية (6:16 وما يلي)، لم يتحول الذبح ذاته إلى قربان، بل تحولت الوجبة المرتبطة به إلى وجبة قربانية، والتي لم يكن لتنقصها الفرحة التي تأمر

(790) Pes. X 1ff, Tos. Pes. X 1.

(791) يُنظر:

Dalman, *Jesus-Jeschua*, pp. 134ff.

(792) *PJB* (1912), pp. 129f.

(793) Löw, *Flora* I 1, p. 148.

بها الشريعة في التثنية (7:27)، (يُقارن 18.12.7:12؛ 26:14؛ 14:16). وبالتساوق مع المزامير (15:104)، فكر المرء بشكل رئيس في احتساء النبيذ الباعث على الفرح[794]. ويفترض كذلك أن يبعث البندق والتمر الفرح في نفوس الأطفال[795]، على الرغم من أن المرء استثنى حلوى مؤلفة من بندق وتمر وحبوب محمصة أو أي مسرّات أخرى خاصة بمأدبة دنيوية[796]. وإلى الوجبة الكاملة، لا بد أن تنتمي صلصة مرق اللحم المعتادة في أيامنا هذه في الشرق (بالعربية "غَماس")[797]، والتي يغمس المرء الخبز فيها (متّى 23:26، مرقس 20:14). ومن أجل ذلك كانت تُستعمل في عيد الفصح اليمني الذي شهدته في القدس، فاكهة مطهوة ومخففة بالخل أو النبيذ (بالعبرية "حَروسِت")[798] ومؤلفة من الزبيب والتمر واللوز والبندق والتفاح والرمان، وربما من التين أيضًا، جامعة بذلك جميع ثمار فلسطين المحلية. وفي وقت متأخر، اعتُبر ذلك تقليدًا للملاط الذي كان على الإسرائيليين الأوائل استخدامه للبناء في مصر[799].

بناء عليه، ليست البهجة التي تأمر بها الشريعة من أجل وجبات الأضاحي، بل عادات الأكل الفلسطينية القديمة[800] هي التي تركت خلفها نصبًا تذكاريًا في نبيذ الفصح اليهودي، مع أن شكلها الأقدم لم يُعرف. وفلسطين اليوم، حيث

---

(794) Tos. Pes. X 4, j. Pes. 37b, b. Pes. 109a, Erach. 11a.

(795) Tos. Pes. X 4, j. Pes. 37b, b. Pes. 108bf.

(796) Pes. X 8, Tos. Pes. X 11, j. Pes. 37d, b. Pes. 119b,

يُقارن:

Lietzmann, *ZNW* (1926), pp. 4f.; Dalman, *Jesus-Jeschua*, p. 121.

(797) عادة زيت متبل بالزعتر، ولكن أيضًا عصارة العنب الحلوة ("دِبس").

(798) يُنظر:

Pes. II 8; X 3, Tos. Pes. X 9.

(799) Schulchan Aruch, Or. Chajjim # 473, 5 (Isserles).

(800) يُقارن القضاة 19:19؛ إشعيا 13:22؛ المزامير 5:23، 13:116؛ الأمثال 2:9، 30:23 وما يلي؛ أيوب 13:1، 18؛ الجامعة 19:10؛

j. Mo. K. 82b, b. Taan. 30a; Dalman, *Jesus-Jeschua*, pp. 134ff.,

يُعتبر اللحم والنبيذ جزءًا أساسيًا من وجبة غذائية عادية،

Sanh. VIII 2.

محا الإسلام فيها جميع التقاليد ذات الصلة بالنبيذ، وإلى درجة كبيرة زراعة الكرمة، ليست حاسمة بمآدبها التي تخلو من النبيذ بحسب تصورنا للأزمنة القديمة. وفي لبنان، لا تزال بقايا العادة القديمة قابلة للاستبيان عند المسيحيين في عيد المرفع (ص 423 وما يليها)، وكذلك في ولائم أخرى التي غالبًا ما تدور فيها الكأس نفسها على المشاركين[801].

حزمة الترديد

يُطلَق على أول حزمة (يُقارن بالعبرية "عومر ريشيت قِصيرِخِم" سفر اللاويين 23:10) اسم حزمة الترديد [الغلة الجديدة من السنابل التي تُقرّب إلى المذبح في عيد الفصح من حصاد الموسم الجديد] (بالعبرية "عومر هتِنوفا سفر اللاويين 23:15)، لأنها تُحرّك أمام المذبح ذهابًا وإيابًا (سفر اللاويين 23:11 وما يلي). وحين يكون تاريخها مرتبطًا بعيد الفصح بالطريقة المذكورة في ص 452، فإنها تشكل حينئذ وصلة مهمة بين العيد ووضع البذار. وهذا ليس متضمَّنًا في الشريعة التي تحدد عيد الخبز غير المخمر، على الرغم من الارتباط المفترض بين العيد ووضع الزرع بحسب وجهة نظرنا (ص 449)؛ فطقس غير مرتبط بالعيد لا يتيح القيام به إذا كانت الحبوب لم تنضج بعد. ولذلك يقول المدراش[802]: "حافظ على الفصح من أجل الحبوب الطرية (بالعبرية "أبيب")، بحيث تنضج الحبوب في موعدها (في الفصح)، ولكن كيف؟ هل نجعل أدار كبيسًا حتى يحصل ذلك؟" وهنا يجب فهم الكلمة العبرية بالطريقة نفسها التي فهم سعديا بها اسم نِسان القديم المؤتلف معه[803]، من خلال ترجمته بالكلمة العربية "فَريك"، وليفكر بالتالي بِـ"الحبوب المفروكة" التي لم تَقْسُ تمامًا بعد، والتي يُعدها المرء في الحقل من خلال فرك السنابل المقطوفة بالراحتين قبل

---

(801) Rihbany, *Morgenländ. Sitten im Leben Jesu*, p. 36.

(802) Mech., Bo 2 (Ausgabe Friedmann, 3ª),

يُقارن سفر التثنية 127 (100ب)/ مدراش تانيت (Midr. Tann)؛ عن التثنية 16:1 ص (89).

عن التثنية 16:1 (ص 89).

(803) الخروج 13:4؛ 23:15؛ 34:18؛ التثنية 16:1.

حلول الحصاد. ويُفترض هذا التقليد في لوقا (1:6) وفي التثنية (26:23). وقد ترجم سعديا كلمة "مِليلوت" العبرية في المقطع الأخير بـ"ما تَفرُكُه"، أي "ما تقوم بفركه"، أي أنه يضع "مِليلوت" على صلة وثيقة بِـ"أبيب". وبناء عليه، كان أحد أسباب استخدام أدارٍ ثانٍ كشهر كبيس يكمن في أن وقت "أبيب"، كما يُفهَم أعلاه، لم يكن قد حلَّ بعدُ[804]؛ فتقديم "حزمة الترديد" كان مرتبطًا بالمحصول الوشيك من خلال فكرة أن التقديم يرمي إلى إنزال بركة الله على محصول الحقل[805]، والذي يحدده الحكم الإلهي في يوم عيد الفصح[806]. وعلاوة على ذلك، فإن الغاية من "ترديدها" أمام المذبح هي تجنيب وقت الحصاد رياحًا قوية وندًى سيئًا[807].

لا تذكر الشريعة نوع الحبوب الذي على الحزمة الأولى أن تأتي منه. لكن العادة جرت على أن تؤخذ من الشعير الذي ينضج في وقت أبكر، وهو ما مثّل الإمكانية الأكبر في أن تكون تحت التصرف في 16 نِسان. كذلك سبق لفيلو ويوسيفوس[808] والشريعة اليهودية[809] أن افترضوا، دونما مقدمات، أن الأمر يتعلق بالشعير الذي يُعتبر الفصح موسمًا له لا للقمح[810]. ويقول الرب

---

(804) Tos. Sanh. II 6, j. Sanh. 18[d], b. Sanh. 11[b].

(805) Tos. R. h. S. I 12, Sukk. III 18, Sot. II 1, j. R. h. S. 57[b].

(806) R. h. S. I 2, Tos. R. h. S. I 13, b. R. h. S. 16[a].

(807) Pesikt. 70b, Pes. Rabb. 18 (92[a]), Vaj. R. 28 (77[a]).

(808) Antt. III 10, 5,

يُقارن:

Olitzki, *Flavius Josephus und die Halacha*, p. 55,

وبالنسبة إلى

Ritter, *Philo und die Halacha*, p. 113.

(809) يفترض

Men. VI 6

الشعير لدى الكيل المعطى. وتجري محاولة القيام بالبحث عن الأسباب في:

Siphra, Vajj. 13 (12[c]) 28 (76[c]) j. Chall. 57[b], b. Men. 84[b]f.;

يُنظر أيضًا:

Sot. II 1, j. R. h. S. 57[b], Ester R. 10 (27[a]).

(810) Tos. R. h. S. I 12, Sukk. III 18.

في المدراش[811]: "حين أعطيتكم (في الصحراء) الـ'عومر'، أعطيت كل واحد منكم 'عومر' (منّ الخروج 16:6)؛ والآن، ولأنكم تعطونني الـ'عومر'، أستلم 'عومر' واحدًا منكم جميعًا، وهو، علاوة على ذلك، ليس من القمح، بل من الشعير". لقد مثّل ذلك تسهيلًا آخر حين لم يُقدم أي واحد حزمة الشعير ذاتها، بل حبوبها المشوية والمطحونة[812]؛ إذ اعتبر المرء التحديد الوارد في سفر اللاويين (2:14) بتقديم باكورة الثمار (بالعبرية "بِكّوريم") المؤلفة من "أبيب" مشوي في النار أو برغل معد من حبوب طرية (بالعبرية "كَرمِل")[813] ملائمة للحزمة الأولى. وقد حدث هذا بشكل موازٍ للعادات والتقاليد الحالية، والمتعلقة بتوزيع حبوب مشوية في نهاية جني المحصول[814]. وما هو أكثر قربًا من حيث الوقت، وأكثر صلة من حيث المضمون، وإن كان في مجال آخر، كان الاستخدام الخاص لباكورة الحليب أو سمن الطهي المشتق منه (ص 432). ومن المحتمل جدًا أن "بداية المنجل على الحبوب" في التثنية (16:9) كان لها صلة بعملٍ مُناظِرٍ في الحقل. وما حصل هنا في الموطن كعمل جيد جرى ربطه، من خلال الشريعة اللاحقة، بالقدسية، وفيه حرمان الحياة الخاصة من ذروتها بغية استئصال تقاليد تدين متدنٍ، أو خرافات من الحياة الشعبية. وقد عنى الشكل المحدد للقيام بالواجب القانوني ألّا تكون حبوب الحزمة الأولى ناضجة للحصاد، ما جعل ربطها بأسبوع الفصح أكثر سهولة. وبناء عليه، لم يكن قابلًا للتصور أن فلسطين ما كانت قادرة، حتى في حال فصح مبكر حين كان مبكرًا جدًا جرى في واقع الأمر تفاديه (ص 455 وما يليها) على تزويد حزمة الشعير نصف الناضجة الضرورية، خاصة أنها هي ذاتها تمتعت بمناخ متفاوت، وبالتالي لديها هامش للمناورة مقداره نصف شهر للوصول إلى الهدف؛ إذ

---

(811) Pesikt. 70ª, Pes. Rabb. 18 (91ᵇ).

(812) Men. X 4.

(813) هنا يترجم سعديا: "فَريك مُحَمّص بالنار جَريش مِن الهَرَف": "فريكة مشوية بالنار، برغل من الثمار الأولى"؛ إلا أنه استخدم في سفر اللاويين 14:23 مقابل الكلمة العبرية "كرمل" الكلمة العربية "فريك" (واستخدم لترجمة كلمة "قالوي" الكلمة العربية "سَويق": "برغل من قمح ناضج مسفوع")، في حين استخدم الترجوم في كلا المكانين "بيروخين" أي "برغل".

(814) يُنظر أعلاه، ص 416.

حصل أن الحزمة الأولى أُحضرت من جَنّوت زِريفيم (غالبًا صرفند في السهل الساحلي)، لأن الشعير بالقرب من القدس في سهل بيت مِقلا في وادي الجوز، حيث اعتاد المرء إحضار الحزمة من هناك(815)، لم يكن قد نضج بعد(816). وحتى لو حدث أن وقع يوم السبت في موعد حصاد الشعير(817)، فإن ذلك شكّل تسهيلًا زمنيًا آخر. ولم يكن المرء محتاجًا إلى تأجيل الحصاد والتقديم في حال صادف وقوع يوم العيد الثاني في يوم سبت.

لم يكن الأمر ليختلف كثيرًا حين فكر المرء، بحسب نص سفر اللاويين (15.11:23)، في اليوم الذي يجب تقديم الحزمة الأولى التي يبدأ بعده العد التنازلي للخمسين يومًا حتى عيد الحصاد [يقابله عيد العنصرة عند المسيحيين]، وهو يوم سبت يقع في نطاق أسبوع عيد الفصح. وهذا لم يكن يعني تقلبًا جوهريًا ليوم عيد الحصاد. وقد تحقّق الهدف المتمثل في ألا يصادف وقوعه، لا هو ولا أول حزمة في يوم سبت، بحيث جرى تجنب أي انتهاك لأحكام السبت في ما يتعلق بالعمل والتنقل من مكان إلى آخر، وهو ما يترتب على الحزمة الأولى وباكورة الثمار. هكذا كان رأي البيتوسيم [طائفة يهودية عاشت في فترة الهيكل الثاني] في فترة الهيكل الأخير(818)، ورأي القرّائين أيضًا(819) [طائفة يهودية عاشت خلال القرن الثامن] والسامريين(820). وبحسب رأي قديم، اعتُبرت الفترة من 8 إلى 21 نِسان معفاة من الصوم، لأن

---

(815) Tos. Men. X 21,

تعني بيت مِقلَ (مِقلِ) "مكان القطيع"، وربما تعلق الأمر بِـ وادي "سِلوان" كمكان التضحية ("توفِت")، أو بالجزء العلوي من "وادي النار".

(816) Men. X 2.

(817) Men. I 1. 3, Tos. Men. I 20.

(818) Men. X 3, Tos. Men. X 23, R. h. S. I 15, j. R. h. S. 57d,

يُقارن:

b. R. h. S. 22b.

(819) يُقارن:

Siddur Tephillot hak-Karaim (Wilna 1871), pp. 24a, 39a; Neubauer, *Beiträge und Dokumente zur Geschichte des Karäertums*, p. 96, *hebr.* appendix, p. 11.

(820) Wreschner, *Samaritan. Traditionen*, pp. XXIII, 20; Hanover, *Festgesetz der Samaritaner*, pp. 26, 40, VII.

خلالها جرى التخلص من تطبيق هذا الرأي[821]، وهكذا جرى التوصل إلى التحديد الدقيق لكلا اليومين في التقويم. إلا أن المعنى الأصلي للقانون الذي مثّله البيتوسيم من دون أدنى شك بشكل صحيح، قد تُخلي عنه. وفي المقابل، من الصعب أن يتساوق مع ما ذكر آنفًا، وفقًا لنهج التثنية (9:16) ورأي السبئيين السامريين (Samaritan Sebuaeans)[822] بالنسبة إلى فحوى القانون، حين فُصل اليوم الذي يعقب السبت بالكامل عن عيد الخبز غير المخمّر، واعتبار البداية الحقيقية للمحصول هي العامل الحاسم الذي استُعمِل بموجبه أول أحد لحزمة باكورة الثمار وبداية الخمسين يومًا. وكان يجب قول ذلك بشكل أوضح.

مع ذلك، فإن كل شيء قد حصل من أجل تساوق حزمة الترديد وعيد فصح الربيع المتأخر (يُنظر أعلاه). ويبوح واقع الأمر بأصل التقليد في شكله الأصيل الذي يعود إلى زمن كانت البداية الحقيقية لحصاد الحبوب مكتملة النضوج هي الفيصل. وفي حال كان قوام المحصول حبوبًا غير ناضجة بشكل كامل، فمن المحال حقًا أن تكون سوق القدس قد امتلأت بطحين من المحصول الجديد بعد تقديمه بيوم واحد، كما يزعم التقليد الحاخامي[823]. وكان المرء قد تذكر أن من الجائز، وفقًا للشريعة، الأكل من الحبوب الجديدة اعتبارًا من يوم تقديم حزمة الترديد فصاعدًا، إلا أن ذلك لم يكن ملزمًا، بحيث أمكن المرء الاستمرار بلا تردد في إعداد الخبز المخمر من الحبوب القديمة. أما الترتيب الدقيق للأعياد في التقويم، كما سعى إليه القانون الكهنوتي، فكانت له سيئاته،

(821) يُنظر: b. Men. 65ª، وشارحي: Meg. Taan. I 2، يُقارن: Dalman, *Aram. Dialektproben*², p. 41.

(822) يُنظر: Hanover, *Festgesetz der Samaritaner*, p. 26.

(823) Tos. Men. X 25، يُقارن أعلاه، ص 452 وما يليها.

كما يبدو على الأقل للتقويم البابلي الذي أصبح سائدًا في فلسطين. وإذا كانت هناك، قبل ذلك، أشهر شمسية، أو أن أشهرًا قمرية استمرت وتلقّت أسماءها بحسب طبيعة الوقت الذي صادف وقوعها فيه، فإن الشهر الأول بعد الاعتدال الربيعي، أي بعد "أبيب" [تعني أبيب في التوراة والتلمود: سنابل الحقل قبل نضوجها] لن يكون قابلًا للتحديد في الوقت الحاضر.

يتضمن كتاب اليوبيلات محاولة لتحديد عيد باكورة الثمار (عيد الحصاد عند اليهود والعنصرة عند المسيحيين) بفصله بشكل كلي عن عيد الفصح، وإلحاقه بمنتصف الشهر الثالث (1:15؛ 3:16)، واضعًا إياه بعد انقضاء الفصح وعيد العُرُش في طور بدر شهره. ولكن ليس هناك من آثار تشهد على أن أحدًا تجرأ على اتباع هذا النظام الذي يستحق التزكية، خصوصًا أن الشريعة تقول خلاف ذلك.

ووفقًا لترتيبات العيد المفترضة الموغلة في القدم، من الواضح أن عيدَي الفصح والحصاد، لا يظهران في العهد القديم مجرد علامة من علامات الوقت. فتحديد كلا العيدين في التقويم كان من عمل التشريع الكهنوتي الذي تتكشف تأثيراته لاحقًا. وفي العهد الجديد ينفرد سفر يوحنا (4:6) بذكره عيد الفصح كوقت لحصول معجزة الإطعام، بكونه وثيق الصلة بالموضوع. ويفترض بذلك أن يلمح إلى أن الخبز في ذلك الوقت كان مرتفع الثمن ونادرًا (يُقارن الآية 7)، وأن من الطبيعي تخزين كمية وافرة من نباتات البرية بشكل مريح (الآية 10)[824]؛ ففيما يخص عيد الحصاد أو العنصرة، ينتمي العيدان إلى الأيام الخمسين كما في أعمال الرسل (2:1، 20:16)، كورنثوس الأولى (8:16)، سفر المكابيين الثاني (31:12 وما يلي). أما عيد الغفران فالإشارة إليه في أعمال الرسل (9:27) (يُقارن ص156). وفي الأدبيات اليهودية التي تفترض تحديدًا تقويميًا لجميع الأعياد، يَظهر عيد الفصح، على سبيل المثال،

---

(824) يُقارن:
Dalman, *Orte und Wege Jesu*[3], pp. 187f.

هدفًا زمنيًا للنذور(825) ونهايةً لموسم الأمطار أيضًا(826). وبالنسبة إلى عيد الفصح، يُنظر أيضًا ص 40 وما يليها، وص 171، وبالنسبة إلى عيد الحصاد الذي يتبعه ص 156 و171، وعيد العُرُش ص 40 وما يليها، وص 156 وما يليها، وص 171، وعيد تدشين الهيكل ص 156، ويوحنا (22:10)، وقد أُضيف هنا لأنه لم يُذكر في ص 9.

اكتسب 18 إِيار عند اليهود أهمية خاصة؛ فهو اليوم الذي يعقب الطلوع المبكر للثريا (ص 124 وما يليها، وص 296)، والذي يمكن اعتباره بداية الصيف (ص 38 وما يليها، وص 125). إنه اليوم الـ 33 من أيام العد حتى عيد الحصاد الذي يبدأ بيوم تقديم العومر، وهو، والحال هذه، "لَج بِعومِر" [عيد الشعلة وهو اليوم الـ 33 من بدء إحصاء العومر غداة عيد الفصح ويقع في 16 أيار العبري (بحسب دالمان 18 أيار، يُنظر أعلاه). وفي هذا اليوم يُقطع الحزن ويصبح في الإمكان حلاقة الرأس والذقن وإجراء طقوس الزواج]. وفي حين يعتبر الوقت بين عيد الفصح وعيد الحصاد/ العنصرة وقتًا مغلقًا (tempus clausum)(827)، لا تجري خلاله حفلات زفاف ولا تشذيب اللحية، ويُستثنى هذا اليوم كعيد للفرح من دون أن يتمكن أحد من تقديم سبب مقنع لذلك. وفي فلسطين، يقيم الناس في هذا اليوم احتفالات شعبية على قبور الأولياء، مستخدمين نموذج عيد الحج إلى قبر شمعون بار يوحاي في ميرون بالقرب من صفد الذي يشارك فيه الشرق كافة. ويؤدي دورًا مشابهًا قبر شمعون هَتسيدِك [شمعون الصديق] في القدس، ومغارة إلياهو على قمة الكرمل، في فلسطين الغربية(828). أما الوقت المغلق، فيبرَّر من خلال طلاب عكيفا في هذا

---

(825) Ned. VII 8.9, VIII 2.

(826) Ned. VIII 5.

(827) هكذا:
Maharil (Warsaw 1874 ed.), 21a; Tyrnau, *Siddur ham-Minhagim* I, 80a;
مع حصرها بالفترة حتى اليوم الثالث والثلاثين ضمنًا،
Orach Chayyim # 493, *Sepher hat-Takkanot* (Jerusalem 1883) 56b.

(828) يُنظر:
Dalman, *Saat auf Hoffnung* (1890), pp. 219ff.; Luncz, *Jerusalem*, vol. 1, pp. 49ff.; Reischer, *Sepher Scha'are Jeruschalajim*, IX.

الوقت[829] أو طوال فترة عقوبة المَطْهَر [مكان تُطهر فيه نفوس الأبرار بعد الموت بعذاب محدود الأجل] من الفصح وحتى عيد الحصاد[830]. إلّا أن فترة الـ"خُماسين" المصرية تقدم سببًا أكثر أرجحية[831]؛ ففي الخمسين يومًا، يترك الأقباط صلاة الأموات على القبور لأنه، كما يقال، خلال وقت الرياح الحارة هذا يموت أناس كُثُر[832]، وبسبب الريح الشرقية وما تتسبب به من أمراض[833]، ربما أمكن اعتبار الفترة الانتقالية من الربيع إلى الصيف وقت ضيق وشدة، وهو ما يتلاءم مع حقيقة أن العقاب في النار للكفار من الإسرائيليين الأوائل حري به أن يناظرها (يُنظر أعلاه)، على الرغم من أن مجموعة مؤتلفة من سبوت [جمع سبت] في إشعيا (23:66) مع السبوت التي تسبق عيد الحصاد في سفر اللاويين (15:23 وما يلي) هي التي شكلت الحجة التأويلية لذلك؛ فالطلوع المبكر للثريا (يُنظر أعلاه) كان يمكن اعتباره علامة ميمونة، بعد أن كان غيابها المتأخر قد واكب وقت الحر[834]، ويوم ظهورها كسر الوقت المغلق.

عيد الأسابيع

يُطلَق على عيد الحصاد (بالعبرية "حَجْ هقّاتصير" الخروج 16:23)، الذي يربطه الخروج (22:34) بحصاد القمح، عيد الأسابيع أيضًا (بالعبرية "حج شابوعوت" الخروج 22:34، التثنية 10:16)، لأنه يختتم سبعة أسابيع معدودة (سفر اللاويين 15:23 وما يلي؛ العدد 26:28؛ التثنية 9:16)، بحيث يأتي بعدها لكونه اليوم الـ 50، ويصادف وقوعه دائمًا في يوم أحد (سفر اللاويين 16:23). وهو يتمتع بيوم عيد واحد له خواص السبت (سفر اللاويين 21:23؛ العدد 26:28)، في حين يستمر عيد الخبز غير المخمر سبعة أيام، وعيد العُرُش 8 أيام، وهو الاحتفال الختامي لموسم الحصاد. ولهذا السبب

---

(829) B. Jeb. 62b.

(830) Eduj. II 10.

(831) يُنظر أعلاه، ص 320 وما يليها.

(832) Lane, *Manners and Customs*, vol. 2, p. 288.

(833) يُقارن أعلاه، ص 322.

(834) يُقارن أعلاه، ص285.

سُمي باليونانية *η πεντηχοστη* "الخمسون" (أعمال الرسل 1:2)؛ فالأسابيع السبعة التي تبدأ، وفقًا للتثنية (9:16)، مع البداية الحقيقية للمحصول، يُعتبر موسم الحصاد، على الرغم من عدم ذكر أن الحصاد لا يمكنه الاستمرار إلى ما بعد العيد، وأن الأمر يتعلق بالجزء الأكثر أهمية لموسم الحصاد. وهنا يوضح سفر التثنية أن على العيد أن ينحو نحو الحصاد، ولذلك ربما يصادف وقوعه كل عام في وقت مختلف، في حين أن القانون الكهنوتي، ربما[835]، وتقاليد الشريعة اليهودية بلا شك، قد منحاه مكانًا محددًا في التقويم؛ إذ عليه أن يصادف 6 سيوان، أي 50 يومًا بعد يوم الفصح الثاني في 16 نِسان. وكنتيجة لذلك، وفق تمييزنا للفصول الأربعة، يمكن في حالات معيّنة أن يصادف وقوعه في الصيف. ولا يمكن استثناء الاحتمال بأن يكون للرقم 7 شأن عند احتساب الأسابيع السبعة، وبالتحديد حين يظهر أسبوع العمل مع يوم راحته في موسم الحصاد مضروبًا بـ 7، كي يتمكن المرء من تحديد فترة زمنية مدتها حوالى الشهرين لحصاد الشعير والقمح، وبهما يتعلق الأمر هنا. وإذا ما انطلق موسم الحصاد في منتصف أيار/ مايو، فربما ينتهي في بداية تموز/ يوليو. ولكن من البدهي أن فترته لا تعتمد كثيرًا على الطقس القليل التقلب في مثل هذا الوقت، بقدر ما تعتمد على مقدار المحصول وعدد العمال. ولهذا يعثر المرء في فلسطين اليوم على طقوس دينية ذات صلة بالتقاليد الشعبية المرتبطة هي أيضًا بنهاية الحصاد[836]، ولكن ليس هناك عيد حصاد محدد زمنيًا. وليس من المستبعد أن رصدًا فلكيًا يقف خلف الـ 49 أو 50 يومًا. وبحسب هيسيود[837]، فإن نضوج ثمار الحقل يحصل خلال فترة احتجاب الثريا الذي يستمر 40 يومًا، في حين يبدأ الحصاد مع الطلوع المبكر للثريا، ويستمر حتى الطلوع المبكر للجوزاء الذي يمهد لزمن درس الحبوب. وربما كان هذا، بالنسبة إلى عصر هيسيود، فترة نضوج تمتد من 10 نيسان/ أبريل حتى 19 أيار/ مايو، وفترة

(835) يُنظر أعلاه، ص 452.

(836) يُنظر أعلاه، ص 416، وأدناه، IV 9 [الصيف/ التقاليد الدينية عند زراعة الحبوب والثمار].

(837) Hesiod, *Opera et Dies*, pp. 383ff., 598ff.

حصاد تمتد من 19 أيار/ مايو حتى 9 تموز/ يوليو (التقويم الغريغوري)[838]، وتمتد، بحسب التقويم اليولياني، من 28 آذار/ مارس ("إِذار") حتى 6 أيار/ مايو ("أيار")، أو من 6 أيار/ مايو حتى 26 حزيران/ يونيو ("حَزيران"). وهذا يمنح موسم الحصاد 52 يومًا، أو 50 يومًا في حال لم يُحتسب اليومان الأول والأخير. ويتحدث القزويني من جهته عن احتجاب الثريا 50 يومًا تبدأ في 25 "إِذار" وتنتهي في 13 "أيار"[839]، وتزامن ذلك في سنة 1912 مع الفترة التي تمتد من عيد الفصح الشرقي حتى عيد العنصرة. أما طلوع قوس الجوزاء، فيحصل، وفقًا للقزويني، في 22 "حزيران"، والذي يقيده أنه النهاية المحتملة لجني المحصول[840]. وإذا حسب المرء بداية الحصاد في 13 "أيار"، كونه يوم طلوع الثريا باكرًا، بحسب القزويني، حينئذ ينبثق عن ذلك موسم حصاد مدته 41 أو 40 يومًا. أما بالنسبة إلى القزويني الذي يترك المحصول يبدأ في 24 "أيار"، فيترتب عليه 30 يومًا فقط. هكذا لا تتولد لديه علاقة واضحة في ما يتعلق بِـ50 يوم حصاد وفق حسابات الإسرائيليين الأوائل. إلا أن احتجاب الثريا 50 يومًا، بحسب القزويني (يُنظر أعلاه) ربما ارتبط بعلاقة موضوعية مع فترة الحصاد البالغة 50 يومًا عند هيسيود، أو مع أيام الحصاد البالغة 49 يومًا بحسب شريعة الإسرائيليين الأوائل. ويحسب كوغلر[841] فترة 50 يومًا للقرن السابع قبل الميلاد، وهي التي تستمر من الاعتدال الربيعي حتى الطلوع المبكر للثريا؛ لأن الثريا هي عنقود نجمي من 7 آلهات[842]، وهو ما دفع غريميه[843] إلى الخروج باستنتاجات بعيدة الاحتمال جدًا، من دون أخذ طابعها الفلكي في الاعتبار، وربما أدى ذلك إلى أن يعزو المرء إلى مجالها 7 مرات 7 أسابيع، تاركًا إياه يتخطى حدود شهر إِيار الذي[844] يعود إلى

---

(838) يُنظر:

Ideler, *Handbuch der Chronologie*, vol. 1, p. 247

(839) يُقارن أعلاه، ص 285 وأدناه، IV 2 [الصيف/ كواكب الصيف].

(840) ص 413 وما يليها.

(841) Kugler, *Sternkunde und Sterndienst in Babel, Ergänzungen*, p. 5.

(842) Ibid., pp. 149ff.

(843) Grimme, *Das israelitische Pfingstfest und der Plejadenkult* (1907).

(844) Kugler, *Sternkunde und Sterndienst*, vol. 1, p. 229.

مجالها؛ ذلك أن الثريا تُقرَن حتى في أيامنا هذه بالحصاد بأشكال مختلفة، وهذا ما ذُكر في ص 414. وجدير بالملاحظة أيضًا عند القزويني فترة الـ 50 يومًا تقريبًا التي تسود خلالها الـ "سَموم" أو رياح مشابهة في أيار/ مايو وحزيران/ يونيو، إضافة إلى الـ "خُماسين" المصرية[845]. وفي أي حال، حرر قانون بني إسرائيل الكهنوتي فترة الحصاد البالغة 49 يومًا من أي اعتبار للكواكب؛ ذلك أن الفترة الممتدة من الفصح حتى الحصاد أو عيد العنصرة قد يصادف وقوعها بين 26 آذار/ مارس و15 أيار/ مايو (التقويم الغريغوري)، أو بين 25 نيسان/ أبريل و14 حزيران/ يونيو، وفق التقويم اليهودي الحالي، وهذا يُظهر إلى أي حد أصبح هذا الفصل مكتملًا، وكم كان قليلًا مراعاة الظروف الحقيقية في فلسطين عند تحديد مواعيد الأعياد في مثل هذا التقويم. لقد أصبح هذا ممكنًا منذ أن توقف تقديم محاصيل الحقل في الهيكل في القدس بعد دماره، وما عاد هناك حاجة إلى مراعاة ذلك. والعودة إلى عبادة الرب وتقديسه تقوم مباشرة على دورة العام في الطبيعة، وهي ما لم يحاول اليهود قط القيام بها. كما أن العودة إلى الخلفية التاريخية لعيد الفصح وعيد العُرُش، ولاحقًا إلى عيد الحصاد (يُنظر أدناه)، وجّهت الاهتمام باتجاه آخر. أما العزاء في ذلك، فتمثَّل في أن بواكير الثمار حتى لو كان الهيكل قد دُمر، وتوقف تقديمها، فإن الصلوات ذات الصلة بها والمنصوص عليها في التثنية (10:26) قد أُدّيت ثلاث مرات في اليوم، لأن "الصلاة أمام الله خير من مئة عمل صالح"[846].

إلى عيد الحصاد تنتمي بواكير الثمار (بالعبرية "بِكّوريم")، أي الثمار التي نضجت مبكرًا كما يفهمها بشكل صحيح التقليد الشرعي اليهودي[847]، حيث يقصد الخروج (16:23) ثمار الحقل، الخروج (22:34) محصول القمح، والتثنية (2:26) (يُقارن الخروج 26:34) جميع ثمار الأرض. وعلى التقديمات

(845) يُنظر ص 320 وما يليها.

(846) تنحوما عن التثنية 1:26.

(847) Siphre, Dt. 301 (128a), Midr. Tann.;

عن التثنية 10:26 (ص 174)،

Bikk. III 1, Tos. Bikk. II 8.

أن تكون طوعية (التثنية 10:16). ويظهر كعطية رسمية[848] رغيفان من الخبز من جريش القمح الأولى (سفر اللاويين 17:23، 20؛ يُقارن العدد 26:28)، كنظيرين للحزمة الأولى في بداية المحصول. وبعد جميع هذه التقديمات، يمكن تسمية عيد الحصاد بِـ"يوم بواكير الثمار" (العدد 26:28). أما واجب تقديمها، فيعلَّل بأن الرب منح بني إسرائيل أرضه (التثنية 10.9:26، يُقارن 12:16)، ولهذا اعتُبرت منتوجات هذه الأرض السبعة الواردة في التثنية (8:8): قمح، شعير، كرمة، تين، رمان، زيتون مفعم بالزيت، عسل، هي التي يجب تقديم باكورة الثمار منها، ويُشدَّد على أن المقصود هو نوع من الزيتون[849] يحافظ بشكل خاص على زيته، وعسل التمر، وليس عسل النحل[850]. علاوة على ذلك، يجب أن يكون مصدرها من فلسطين، هذا الجانب من الأردن الذي وُعد به بنو إسرائيل كحقيقة مؤكدة[851]. وليس هناك من شيء شعبي شائع ذي طابع فلسطيني في التقليد الشرعي اليهودي بأكمله أكثر من وصفهم موكبًا مصحوبًا ببواكير الثمار إلى الهيكل[852] بسلال مصنوعة من أماليد مجدولة مليئة بجميع أنواع الثمار، ومكللة بعناقيد العنب التي تُحمَل إلى هناك، وثور بقرنين مذهبين يقع عليه الاختيار كأضحية، وإكليل من الزيتون على الرأس حيث يقاد على رأس الموكب، وعازف ناي يتقدم، عازفًا نغمات مرحة إلى حين الوصول إلى الهيكل. وبعد إعلان التقدمة (التثنية 3:26 وما يلي)، يقوم الكاهن بالترديد الاحتفالي لسلة الثمار أمام المذبح.

---

(848) ذلك أن التقدمة يفترض بها أن تأتي، بحسب سفر اللاويين 17:23، "من أماكن سكناكم"، وهي ذات صلة تقليدية، وبشكل سليم.

(Siphre, Emor 13 (101a), b. Men. 83b,

في الأصل من أرض إسرائيل، وليس من جميع بيوتها، هكذا:

Grimme, *Das israel. Pfingstfest*, p. 22,

كما يتطلب السياق ذلك.

(849) j. Bikk. 63d, b. Ber. 39a;

يُقارن:

Goldman, *Der Ölbau in Pal.*, p. 23.

(850) Siphre, Dt. 297 (127a f.), Bikk. I 3, 10, j. Bikk. 63a, b. Men. 84a, Pes. 53a.

(851) Siphre, Dt. 301 (128a), Bikk. I 10, j. Bikk. 64b.

(852) Bikk. III 3-6;

يُقارن:

j. Bikk. 64b, 65c, Tos. Bikk. II 8.

أما عيد الحصاد أو العنصرة، فإنه اعتُبر اليوم الذي أصدر الرب فيه حكمه على ثمار الأشجار[853] التي يفترض بها أن تنضج في الصيف. ولهذا يحسن المرء صنعًا بمنح الرب في مثل هذا اليوم تقدمة، حتى تكون "ثمار" العاطي "مباركة"، أي أن يكون الحكم ملائمًا. وتتألف التقدمة من باكورة القمح التي يُخبز منها رغيف الخبز، لأن الوقت هو وقت القمح[854]، وينبغي أن تأتي تلك الأرغفة من الغلة الجديدة[855]، ويجوز، عند الضرورة، استخدام حبوب من مخزن العلية[856]؛ ذلك أنه يفترض بها أن تكون مخمرة (سفر اللاويين 23:17)[857]، فربما كان ذلك على صلة بحقيقة أن الطابع الجدي للفصح والمظهر المستهل للحصاد قد غابا هنا، وعلى الخبز وحده الذي يجري تناوله، أن يظهر هنا كتقدمة. وفي الوقت الذي تقدم فيه التقدمة مرة واحدة، وهو ما ينطبق على بواكير الثمار بحسب الشريعة الحاخامية، وفي تساوق مع سفر التثنية 26، حيث لا وقت منصوصًا عليه لتقديمها، لا يجوز تقديمها قبل عيد الحصاد، وأن تقديمها بلا صيغة اعتراف يُعتبر قانونيًا منذ ذلك الحين فصاعدًا حتى عيد العُرُش، لا بل حتى عيد تدشين الهيكل[858]. وفي حال اشتملت العطايا على ثمار مثل العنب والرمان والتمر والزيتون[859]، يتضح أن ظهور هذه الثمار ما كان ممكنًا في وقت عيد الحصاد في القدس، وأن خروج مواكب جديدة إلى المكان المقدس طوال الصيف كان ممكنًا، بل ضروريًا. وفي حال عيد حصاد بكر، الذي وفق التقويم الحالي قد يصادف وقوعه في 15 أيار/ مايو، ربما كانت ستنشأ صعوبات حتى لخبز القمح من غلة جديدة (ص 464). وعندما صادف في سنة 1926 وقوع عيد الحصاد اليهودي في 26 أيار/ مايو، لم يكن حصاد

---

(853) R. h. S. I 2, b. R. h. S. 16ª.

(854) Tos. R. h. S. I 12, Sukk. III 18, j. R. h. S. 57ᵇ, b. R. h. S. 16ª.

(855) Men. VIII 1, Tos. Men. IX 2.

(856) Tos. Men. X 33, b. Men. 83ᵇ, Maimonides, *Hilch. Tem. uMus.* VIII 2.

(857) يُقارن:
Siphra, Emor 13 (101ᵇ), Men. V 1.

(858) Bikk. I 3, 6, Chall IV 10, Tos. Bikk. I 1, Siphre Dt. 297 (127ᵇ), b. Pes. 36ᵇ.

(859) يُنظر أعلاه، ص 466،
j. Bikk. 64ᵇ, 65ᶜ.

القمح بالقرب من القدس قد بدأ[860]. وكـ"ثمار مبكرة"، ربما كان من الممكن إحضار شعير وربما تين. ويجب عقد مقارنة مع التقاليد والعادات العربية ذات الصلة بنهاية الحصاد وقطف الثمار التي سنتحدث عنها في IV 9.

ثمة عادة غريبة تُذكِر في ترجوم شني [الثاني] عن أستير (9:3)[861]، وهي قيام أحدهم برمي التفاح في يوم عيد الحصاد من على سطح الكنيس ثم جمعه من جديد. ويُفترض بعملية الجمع أن ترمز إلى تجميع اليهود مستقبلًا من المنفى، وربما كان هو الشيء الأساسي في هذه اللعبة. ولكنه ربما عنى، في واقع الأمر، انشغالًا بثمار أشجار مبكرة، ربما كان من بينها التفاح، خاصة أن له علاقة بعيد الحصاد؛ فـ 50 يومًا تفصل بين إزهاره وإثماره، ووقت نضوجه يصادف في شهر عيد الحصاد[862]. وفي أسواق القدس، ظهر في حزيران/ يونيو تفاح صغير حامض من "أرطاس"[863]، وكذلك في دمشق بدءًا من حزيران/ يونيو فصاعدًا[864]. وبشكل عابر، فإن التين المبكر الطري لن يكون ملائمًا لمثل هذه اللعبة. ولكن لماذا نوم ليلة عيد الحصاد القصيرة هنيئة ولا يزعجها برغوث؟ وكما يذكر المدراش في ما يتعلق بنشيد الأنشاد (12:1، 3:5) (21أ، 57أ)، وليس لي قدرة على توضيحه، ربما كان تقليد نثر أعشاب خضراء وحتى وضع أشجار في البيت والكنيس في عيد الحصاد أوروبي المنشأ[865]؛ فعيد

(860) يُنظر أعلاه، ص 415.

(861) بحسب

Munk, *Targum Scheni z. B. Esther*, p. 31,

يفترض أن هذه العادة لا تزال قائمة في المجر.

(862) Schir R. 2, 3 (26ᵃ); 8, 5 (74ᵇ), Pesikt. 103ᵇ,

يُقارن أعلاه، ص 376.

(863) بحسب

Bauer, *Volksleben*, p. 171,

يوجد تفاح ناضج في نهاية أيار/ مايو.

(864) Bergsträßer, *Zum arab. Dialekt von Damaskus*, vol. 1, p. 76.

(865) Orach Chajjim 494, 3 (Isserles & Aschkenasi);

يُقارن:

Brück, *Pharis. Volkssitten*, p. 123; Kirchner, *Jüdisches Ceremoniel*, p. 100.

الحصاد الأخضر أو شجرة أيار الشمال[866] [شجرة توضع في الأعياد الشعبية، بحسب تقليد قديم، ما بين الربيع وبداية الصيف، وتكون مجردة من الفروع واللحاء] تكون قد وجدت طريقها إلى الكنيس.

لقد منح كتاب اليوبيلات العيد خلفية تاريخية، من خلال ربطه بميثاق نوح في التكوين (8:9 وما يلي)، وميثاق إبراهيم في التكوين (18:15)[867]، من دون فصل للثمار المبكرة والكعك المخبوز من حبوب نضرة. ويفترض بنوح أن يكون قد ترك القوس في الأول من الشهر الثالث، بعد أن كانت التربة قد جفت في 27 من الشهر الثاني (التكوين 14:8)؛ فالوصل مع الأحكام الشرعية التي نزلت على موسى في سيناء، والتي حددت طقوس احتفالاته حتى اليوم، إلى حد أن دوشاك (Duschak) يدعوها "يوم ميلاد الديانات جميعها"[868]، كان لا يزال غير معروف حتى العهد الروماني، وقد ذُكر أول مرة في ترجوم شني عن أستير (9.7:3)[869]. وأغلب الظن أنه كان من الممكن رفع العيد إلى مستوى أعلى بعد احتساب ما يجري في الفصح وعيد العُرُش من خلال مضمون تاريخي. ولأن بني إسرائيل وصلوا سيناء في الشهر الثالث بعد الخروج من مصر (الخروج 1:19، وبحسب المدراش في الأول من الشهر الثالث)[870]، كان حريًا بهم تحديد يوم نزول الأحكام الشرعية (الخروج 16:19) في السادس أو السابع من الشهر ذاته[871]، ليصل المرء من خلال

---

(866) يُنظر:

Mannhardt, *Wald-und Feldkulte*, vol. 1, pp. 157, 160ff.

(867) Jubil. 6:17-21, 14:1-20, 22:1ff.

(868) *Geschichte und Darstellung des jüd. Kultus*, p. 107.

(869) بحسب

Moore, *Judaism*, vol. 2, p. 3,

كان هذا في:

b. Pes. 68b,

وهو رأي عام مقبول، ولكن الحديث هناك يقتصر على تاريخ الأحكام الشرعية، وليس على احتفال خاص بها.

(870) Mech., Jithro 1 (Ausg. Friedmann 61b), b. Sabb. 86b, Targ. Jer. II;

عن الخروج 1:19.

(871) Mech., Jithro 3 (63b), Mech. deR. Schim. b. Joch,

عن الخروج 10:19 (ص 96). =

ذلك إلى يوم عيد الحصاد. وقد اعتقد المرء أنه كان قادرًا على تحديد أن بني إسرائيل تلقوا في حينه "الوصايا العشر" في يوم جمعة في الساعة السادسة من ذلك اليوم، أي عند الظهيرة(872)، ولكن لم يجرؤ أحد في العهد الروماني على تغيير مضمون العيد من دون سند مباشر من القانون. وبالنسبة إلى العادات والتقاليد، بقيت "عَصيرِت"(873)، بالآرامية "عصَرتا"(874)، أي اليوم الختامي لفترة الـ 50 يومًا التي تبدأ مع الفصح، مثل اليوم الختامي للفصح (بالعبرية "عصيرت") وعيد العُرُش الذي حددته الشريعة (سفر اللاويين 23:36؛ العدد 29:35؛ التثنية 16:8). وصلته بعيد الفصح هو السبب لغياب إعلان خاص عن بداية الشهر، كما حدث مع ستة أشهر أخرى بسبب الأعياد في سيوان(875). إن الفصل بين فلسطين وموسم حصادها أدى إلى الروحنة [من روحاني] اللاحقة لمضمون عيد الحصاد الذي لم يكن يفترض سرديات أعمال الرسل الثاني. ولكن ربما ألمح الراوي إلى أن ما بدأ في عيد الفصح وجد ختامه في يوم عيد الحصاد أو عيد العنصرة.

4. فصل الصيف

أ. حر الصيف

يبقى للصيف ("صيف") أشهر "حزيران" و"تموز" و"آب"، أي الوقت الممتد من 14 حزيران/ يونيو حتى 13 أيلول/ سبتمبر (التقويم الغريغوري). أما الوصف البدوي للأشهر الثلاثة كـ"أول" و"وسيط" و"أتلَ قيظ"، أي: "أول وأوسط وصيف تالٍ"، فيجمعها في فصل واحد، تمامًا مثل أشهر "صفر" الثلاثة

= الخروج 19:16، يُقارن: b. Sabb. 86[b]. 88[a], Taan. 28[b], Jom. 4[b], Targ. Jer. I, j. Sabb. 12[a].

(872) Pirke R. Eliezer 46.

(873) Schek. III 1، وهنا وهناك.

(874) Josephus, Antt. III 10, 6; يُقارن: Dalman, *Gramm. Des pal. Aram.*[2], pp. 147, 248; Grünbaum, *ZDMG*, vol. 41, p. 647.

(875) R. h. S. I 3, Tos. R. h. S. I 14.

في الخريف (ص 21)، و"كوانين" الشتاء الثلاثة و"خمسوات" الربيع الثلاثة التي يدلل عليها موزل[876]. ومن يحسب لفلسطين فصلين فقط، كما لا يزال ذلك كثير الحدوث اليوم[877]، فسوف يفكر بصيف ممتد من أيار/ مايو حتى تشرين الأول/ أكتوبر، كونه، من حيث الجوهر، الوقت الذي لا تهطل فيه الأمطار[878]. وسوف تبرر أوضاع درجات الحرارة هذا التقسيم للسنة، بقدر ما يتصاعد معدل درجات الحرارة اليومي بشكل ثابت انطلاقًا من كانون الثاني/ يناير وبتزايد أخير يبلغ 4° تقريبًا في نيسان ليصل إلى 19.4° في القدس في أيار/ مايو، ثم يعود فيتراجع إلى 20.5° في تشرين الأول/ أكتوبر، في حين أن المعدل في غضون ذلك يصل إلى 23.9° فقط. ثم بعدئذ، وبانخفاضٍ قدره 6.4°، يعرض تشرين الثاني/ نوفمبر، وبشكل واضح، لبداية موسم ذي طبيعة مختلفة.

في حال احتساب فصول أربعة، كما نقوم بحسابها، لا يزال "أيار"، الذي يبدأ في 14 أيار/ مايو (التقويم الغريغوري)، يقع ضمن الربيع، وكلا الشهرين اللذين ينطلقان من 13 أيلول/ سبتمبر يقع في الخريف، وهو احتساب قابل للتبرير لأن ثمة زخات مطر الشتاء الأخيرة تحدث في أيار/ مايو، وبشائره تحدث في أيلول/ سبتمبر وتشرين الأول/ أكتوبر. وفي أي حال، تسمح أوضاع درجات الحرارة بفصل أيار/ مايو عن الفترة التي تليه، لأنه بِدرجة حرارته 19.4° لا يزال يتخلف عن حزيران/ يونيو بِـ 2.9° الذي يتصدر بِـ 22.3° قائمة الأشهر ذات درجات الحرارة الأعلى، والتي يتساوى فيها تموز/ يوليو وآب/ أغسطس بـ 23.9°. ثم يعود أيلول/ سبتمبر بِـ 22.4° ليتصدر الانخفاض، إلا أنه لا يزال يتفوق على حزيران/ يونيو (22.3°). وحده تشرين الأول/ أكتوبر يشكل بـ 20.4 انخفاضًا أكبر في الحرارة. وبـ 14.0° في تشرين الثاني/ نوفمبر، يستطيع المرء حتى التحدث عن هبوط حاد. ولذلك، فإن أوضاع درجات الحرارة مثل هذه ربما سوغت احتساب الصيف من حزيران/ يونيو حتى أيلول/ سبتمبر، لو أن الانخفاض في درجات الحرارة من آب/ أغسطس إلى أيلول/ سبتمبر لم يُحس

(876) Musil, *Arabia Petraea,* vol. 3, pp. 6f.

(877) يُقارن ص 34؛

Musil, *Arabia Petraea*, vol. 3, p. 6.

(878) ص 36.

به بشكل أقوى من الارتفاع في درجات الحرارة من أيار/ مايو إلى حزيران/ يونيو. وعلاوة على ذلك، لم يكن أعلى مما تُظهره الإحصاءات، لأن أوقات الريح الشرقية العائدة الآن إلى الظهور بدرجات حرارة عالية تدفع معدل درجات الحرارة إلى الأعلى. والخريف بشكل عام أكثر من الربيع دفئًا، لأن ارتفاع الحرارة في الصيف مرتبط بارتفاع حرارة البحر القريب والتربة الجافة، وهذا الارتفاع لا يزال يتمتع بتأثير لاحق، ويؤخر الانخفاض في درجات الحرارة.

بُنيَت الأرقام الواردة أعلاه على جمعٍ معدل الأرقام التي جمعها غلايشر[879] على مدى 20 سنة، وتلك التي جمعها إكسنر[880] على مدى 10 سنوات أخرى. وهي تعني بذلك معدلًا لِـ 30 سنة من الرصد. أما المجموعة التي تم الحصول عليها بهذه الطريقة، فتبدو على الوجه التالي:

الشهر	الحرارة	الفصل
كانون الأول/ ديسمبر	°9.7	شتاء
كانون الثاني/ يناير	°7.0	
شباط/ فبراير	°8.7	
آذار/ آذار	°11.6	ربيع
نيسان/ أبريل	°15.6	
أيار/ مايو	°19.4	
حزيران/ يونيو	°22.3	صيف
تموز/ يوليو	°23.9	
آب/ أغسطس	°23.9	
أيلول/ سبتمبر	°22.4	خريف
تشرين الأول/ أكتوبر	°20.4	
تشرين الثاني/ نوفمبر	°14.0	

(879) Glaisher, *Meteorol. Observations*, table VII to p. 18.

(880) *ZDPV* (1910), p. 154.

يجب الإشارة هنا إلى أن هذه الإحصاءات مبنية على أشهر التقويم المعمول به بحسب التقويم الغريغوري، وأن الصيف يبدأ، لذلك، في 19 أيار/ مايو (التقويم اليولياني)، في حين أننا نحسبه انطلاقًا من 1 حزيران/ يونيو (التقويم اليولياني). وهذا يعني دنوًا وشيكًا لبدايته من ذروة الشمس في 8-21 حزيران، ونهاية 8 أيام فقط قبل الاعتدال الخريفي في 8-21 أيلول. ويحسبُ القزويني[881] الصيف بشكل مشابه انطلاقًا من الوضعية الصيفية للشمس في ظل برج السرطان وانقلاب الشمس الصيفي في 18 "حزيران" حتى دخول الشمس في برج الميزان، والانقلاب الخريفي في 18 اِيلول. وقد يكون التعليم الأوروبي هو السبب وراء قول لبناني مأثور[882]: "في وَحَد وعشرين آذار - يِتساوَ الليل والنهار"، أي: "في الحادي والعشرين من آذار يتساوى الليل والنهار"، حيث يُنقل هنا تاريخ تقويمنا إلى التقويم اليولياني [التقويم الذي أدخله يوليوس قيصر إلى روما في عام 46 قبل الميلاد].

نظرًا إلى الإختلاف بين درجات حرارة النهار والليل (يُنظر أدناه)، فإن معدل الأرقام المذكور أعلاه لا يُظهر أي درجات الحرارة هي العليا خلال ساعات النهار. فجمع مشترك لأرقام غلايشر[883] وإكسنر[884] الخاصة بذلك يُسفر عن 29.1° لشهر حزيران/ يونيو، 30.7° لشهر تموز/ يوليو، 31° لشهر آب/ أغسطس، أي سلسلة متصاعدة. إلا أن هناك درجات حرارة أعلى فعليًا تحصل في حالات منفردة. وقد سجل أميركان كولوني في القدس[885] سنة 1921 في 27 و28 آب/ أغسطس 37.7°، وفي 29 و30 آب/ أغسطس 38.3° و37.4°. وفي سنة 1925، قست في 21 أيار/ مايو 33.5°، في 28 أيار/ مايو 35.5°، في 7 تموز/ أغسطس 38.0°، في 8 تموز/ يوليو 37.0°. إلا أن غلايشر يذكر، كدرجات حرارة عليا، 42.2° في حزيران/ يونيو 1886، 41° في تموز/

---

(881) Kazwini, *Kosmographie*, I, pp. 78f.

(882) الجميّل، مجلة **المشرق** (1905)، ص 668.

(883) المرجع نفسه، الجدول رقم 4 الخاص بصفحة 18.

(884) المرجع نفسه.

(885) وذلك وفقًا لرسالة مشكورة من السيد دينسمور (J. E. Dinsmore).

يوليو 1888، 40.5° في آب/أغسطس 1884، وشابلن[886] 44.5° في 28 و30 آب/أغسطس 1881، و35° كمتوسط درجة حرارة للأيام السبعة الأخيرة من آب/أغسطس من تلك السنة، وقاس إكسنر[887] 42.2° في حزيران/يونيو 1894، وفي أغلب الأحوال كانت أيام حزيران/يونيو وآب/أغسطس هي الأكثر حرارة في السنة، ولكن بشكل عام يجب اعتبار تموز/يوليو وآب/أغسطس الشهرين الأشد حرارة.

ما قيل حتى الآن عن المناخ ينطبق بشكل عام على مناطق فلسطين الجبلية، في حين تتمتع كل من المنطقة الساحلية وغور الأردن فعليًا بصيف آخر؛ فدرجات الحرارة في المنطقة الساحلية تكون في المعدل أعلى بِـ 2-4 درجات. وفي يافا، تبلغ الأرقام في معدلها اليومي 24°-26°، وفي فلهيلما (Wilhelma) [مستوطنة ألمانية أقيمت في العهد العثماني تقع جنوب غرب قرية العباسية بالقرب من يافا] 24.5°-26.9°، أي أعلى بعض الشيء بعيدًا عن الشاطئ[888]، في حين يتمتع غور الأردن الجنوبي بدرجات حرارة أعلى كثيرًا؛ إذ وصل المعدل اليومي في حزيران/يونيو 1899 إلى 30.5° في أريحا، وفي تموز/يوليو 31.7°، وفي قصر حجلة، الأكثر قربًا من البحر الميت، وصل في حزيران/يونيو 1906 إلى 33.6°، وفي تموز/يوليو 34.7°، وفي آب/أغسطس 34.8°. وقد بلغت درجات الحرارة الأكثر علوًا في أريحا 39.8° في حزيران/يونيو و39.1° في تموز/يوليو، وبلغت قصر حجلة 44° في حزيران/يونيو، و45° في تموز/يوليو وآب/أغسطس[889]، وفي طبرية بلغت 45.6° في حزيران/يونيو 1899[890]. كما بلغت درجة حرارة الماء في نهر الأردن عند

---

(886) *PEFQ* (1883), p. 13.

(887) *ZDPV* (1910), p. 122.

(888) هكذا وفقًا لإكسنر:

Exner, *ZDPV* (1910), pp. 147, 149,

أرقام مشابهة جدًا في سهل سارونا:

Ha-Aklim, p. 12.

(889) وفقًا لبلانكنهورن:

Blanckenhorn, *ZDPV* (1909), pp. 99ff.

(890) Exner, *ZDPV* (1910), p. 122.

المغطس 26.8° في 16 حزيران/ يونيو 1916، وبلغت في الطرف الشمالي للبحر الميت 32.2° في 13 آب/ أغسطس[891]، وهذا دليل آخر على ارتفاع درجات الحرارة في هذه المنطقة. ويمكن تسمية حرها الصيفي بالاستوائي، ما دام المرء أخذ في الحسبان أن رطوبة الهواء العالية التي توجد عادة في المناطق الاستوائية، تغيب هنا. وقد يجد المواطن المقدسي في مناخها جحيمًا ولكن ليس ثقيل الوطأة في أي حال[892].

البرودة الليلية

ربما كان من الصعب تحمّل الصيف الفلسطيني، لو لم يكن متضمنًا انخفاضًا ملحوظًا في درجات الحرارة في أثناء الليل؛ وهذا الانخفاض يبدأ مع غروب الشمس ويستمر حتى الصباح، على الأقل في الظل، وحتى بعد طلوع الشمس، بحيث إن قياس درجات الحرارة في السابعة صباحًا لا يزال يشير إلى درجات حرارة منخفضة. فمن قبلُ، أي في أيار/ مايو، كان قد ارتفع الفرق بين درجات الحرارة العظمى والصغرى في القدس إلى 13.4°، ووصل في حزيران/ يونيو إلى أعلى مستوياته حين بلغ 14°، والتي لم يحد عنها إلا قليلًا في تموز/ يوليو وآب/ أغسطس بدرجتي حرارة 13.6° و13.4° على التوالي. ومع ذلك، علينا ألّا نغفل أن معدل درجات الحرارة العظمى في تموز/ يوليو وآب/ أغسطس مقابل حزيران/ يونيو ترتفع 1.6° درجة فقط، في حين أن درجات الحرارة الصغرى ترتفع درجتين، الأمر الذي يعني انخفاضًا في البرودة الليلية المطلقة[893]. وقد أظهرت الأيام الحارة 27-29 آب/ أغسطس 1921 (ص 475)، حين تختلف النهايات الصغرى عن النهايات العظمى بِـ17°-18°، أي أن الفروق قد تكون محتملة. ويورد غلايشر[894] كأدنى درجات حرارة

(891) Schroetter, *Das Tote Meer* (1924), pp. 58f.

(892) يُقارن:

Schwöbel, *Der Jordangraben in Hettner-Festschrift*, pp. 128, 131.

(893) كل شيء وفقًا لِ:

Exner, *ZDPV* (1910), p. 154.

(894) Glaisher, *Meteorol. Observations*, table II to p. 18.

في 20 سنة: في حزيران/ يونيو 1882 بلغت 9.2°، وفي تموز/ يوليو 1894 بلغت 10.6°، وفي آب/ أغسطس 1886 بلغت 11.4° وربما تكون شبيهة بدرجات الحرارة النهارية في الشتاء.

أما درجة الحرارة المنخفضة في الليل، فتثني، بعد حر النهار، عن الجلوس مساءً في العراء، لكنها تسمح بذلك في الصباح، في ظل البيت، حتى الساعة العاشرة تقريبًا قبل الظهيرة. وهي قبل كل شيء توفر الفرصة في داخل البيت للاحتفاظ بدرجات حرارة منخفضة، أكثر من الممكن عادة، من خلال ترك الهواء يهب بشكل حر إلى الداخل، شريطة حجب أشعة الشمس وحرارة النهار بشكل مبكر كافٍ عن الحجرات الداخلية من خلال إغلاق النوافذ ومصاريعها. وفي المنطقة الساحلية، حيث البيوت مبنية بشكل أسهل، يجري حجز الشمس الساطعة، في حين تبقى النوافذ مفتوحة ليلًا ونهارًا في محاولة لإيجاد مجرى هوائي، فيصبح تحمُّل الحر ممكنًا. وربما كان هذا هو المقصود في سفر القضاة (3:20) في شأن "علية البرود" في بيت عجلون [بيت ملك مؤاب] وفي البيوت ذات الحجرات الصيفية الواردة في سفر عاموس (3:15). وبالطبع هناك، ما يكفي من الأسباب لنقل مكان النوم إلى خارج البيت بغية الاستمتاع بشكل كامل بالبرودة الليلية، وفي الوقت نفسه الإفلات من بق البيت وبراغيثه. ومن أجل ذلك، لا يملك الفلاح غير عريشته ("عريشة") المفتوحة من ثلاثة جوانب والمغطاة بشكل غير كامل بغصونٍ مورقة أو بالقصب، وتكون ملحقة بالجدار الخارجي لبيته أو مبنية على السطح. ويُتاح للمرء رؤية ذلك بشكل خاص في "المجدل" على بحيرة طبرية. ومن أجل التمتع بالهواء من جميع الجهات، تُرفَع أرضية العريشة المكسوة بالكامل بغصون مورقة والمقامة على أربعة أعمدة حوالى متر واحد فوق سطح البيت، بحيث يستطيع المرء الصعود إلى المدخل بواسطة سلّم قصير. وينقل ابن المدينة فراشه ("فرشة") إلى السطح المنبسط، حيث يمكنه رؤية الجيران في الصباح في الوضع نفسه، وفي الليالي المقمرة، غالبًا ما تزعجه أحاديثهم. وهنا يحتاج المرء بالطبع إلى غطاء ("لِحاف") يسحبه

المرء إلى ما فوق رأسه. أما النصيحة التي تسري على نيسان/ أبريل[895]: "مَتَى صارت وَرَقة التين قدّ رِجل البطة - نام وَلَ تتغَطّ"، أي: "عندما تصبح ورقة التين بحجم قدم البطة، نَم من دون غطاء!" فيمكنها، إذا أُخذت على محمل الجد، أن تنطبق على البيت فحسب. إلا أنها أنها تفترض، إلى جانب ذلك، أن يرقد المرء بكامل ملابسه، وهو ما تقصده النصيحة المضادة[896]: "يا نايم اتغَطّ طِلعُ المَوازينِ"، أي: "أيها النائم عليك بتغطية نفسك، فقد بانت 'الموازين'"[897].

وفي القدس يُعيق مجرى هواء ليلي مرات عديدة استخدام السطح مكانًا للنوم، في حين أنه أمر عام في حلب، بمناخها الداخلي، حيث يحدد قول شعبي موعد بداية هذه الفترة ونهايتها[898]: "عَنصَر وَ- اِطلع وَصَلّب وَ- اِنزِل"، أي: "في عيد الخمسين ("العنصرة") إصعد، وفي عيد الصليب (أيلول 14/ 27) إنزل!"

كأمثلة لبضع تجارب شخصية، أُورد ما سجلتُه في ملاحظاتي: في القدس تمتع صيف 1912، الذي اعتُبر باردًا باعتدال، بدرجة حرارة صباحية بلغت 17.5° حتى 21.5°، ودرجة حرارة عند الظهيرة بلغت حتى 31.5°. و19 آب/ أغسطس كان، على سبيل المثال، يومًا معتدلًا؛ ففي الخامسة صباحًا، قِسْتُ 18.7° ووجدت المرطاب [جهاز قياس الرطوبة الجوية] قد بلغ نقطة الندى [الحرارة التي يبدأ عندها البخار في التكاثف]، وفي الساعة التاسعة، بلغت 23.5°، والمرطاب 70 في المئة، وفي الساعة 1:30 بعد الظهر 28.5°، والمرطاب 41 في المئة، وفي السادسة مساءً مرة أخرى 23.5°، والمرطاب 70 في المئة، وفي الساعة 10:45، بلغت 22.5° والمرطاب 19 في المئة، ربما لهبوب هواء شرقي. وعلى النقيض من ذلك، كان 10 آب/ أغسطس، الذي بدأ صباحًا في الساعة السادسة بدرجة 25°، وأشار إلى 34.5° عند الظهيرة.

---

(895) الجميِّل، مجلة **المشرق** (1905)، ص 668.

(896) كنعان بعد:

Stephan, *JPOS*, vol. 3, p. 31.

(897) بحسب كنعان، برج الميزان، وهو ما قد يُناظر تشرين الأول/ أكتوبر. وفي حال كان برج الجوزاء هو المقصود، حينئذ سوف يتعلق الأمر بمنتصف تموز/ يوليو.

(898) الجميل، مجلة **المشرق** (1905)، ص 866.

وفي الطبقة السفلية من بيتي الذي كان مغلقًا عند طلوع الشمس، كانت درجات الحرارة عند الظهيرة 24° فقط، ولكن في الطبقة العلوية 27.5°، وخلال الأيام الحارة 27-29 آب/ أغسطس 1921، بلغت درجات الحرارة عند الظهيرة 40°-42°[899]، وكانت درجة الحرارة في غرفتي المقببة في الطبقة العلوية لمصح المجذومين 26°-30°. وفي 3 أيلول/ سبتمبر صباحًا، وبعد أيام معتدلة، عدت لأسجل في غرفتي 22.5° فقط. وحين تكون درجات الحرارة عالية في الصيف، من الصعب القيام بأي جهد ذهني في البيت خلال اليوم الأشد حرارة، بين الساعة 2-4 بعد الظهر، والجهد البدني يصبح متعبًا. وفي العراء، تكون الصعوبات مشابهة في حال لم تتدخل حركة الهواء ملطفة.

أشهر الصيف بإضاءة عربية ويهودية

بعد كل ما ذُكر حتى الآن، لا بد من اعتبار الأقوال العربية التالية المتعلقة بدرجات حرارة أشهر الصيف محقة، في حال أدرك المرء أسلوب التعبير الشرقي بحسب المقصود؛ فعن حزيران/ يونيو يُقال: "حزيران فيه نيران"، أي: "في حزيران هناك حر ولهيب". وعن تموز/ يوليو: "في تمّوز تِسخُن الميه فِ الكوز"، أي: "في تموز يسخن الماء في الوعاء الفخاري"[900] (المأخوذ مثلًا إلى بستان الفاكهة)، أو بشكل أشد[901]: "تموز - ميته بِتِغلِ بالكوز"، أي: "ماء تموز يغلي في الوعاء الفخاري". وعن آب/ أغسطس يُقال: "آب اللهّاب"[902]، أي: "آب الملتهب"، أو: "آب المَهاب"، أي: "آب الذي يخشاه الجميع"، وذلك حري بالمقارنة بحقيقة أن درجة حرارة الماء في ماسورة معرضة للشمس قد وصلت في 30 آب/ أغسطس 1921 في القدس إلى 53° (ص 111)، وليس

---

(899) سجل أميركان كولوني في القدس درجات حرارة أدنى (47.1).

(900) شيء آخر هو بالطبع وعاء الفخار الكبير الذي يختزن فيه الماء في البيت ("هِشّة"، "هَشّيّة"، "عَسليّة"، "زير"، في الشمال "خابية") والذي يحفظ الماء باردًا من خلال ترشيح الماء من مسام الفخار.

(901) الجمِّيل، مجلة **المشرق** (1905)، ص 688،
يُقارن:

Canaan, *ZDPV* (1913), p. 296.

(902) ليس "لهاب"، هكذا:

Tallquist, *Arab. Sprichwörter und Spiele*, p. 11.

هناك من شيء شبيه بشأن شهر آخر. وعن أيار/ مايو، الذي يُطلِق عليه المرء في لبنان "نُوّار"، يُقال[903]: "نوّار نور الدِنيَا" و"اقعد بِفي الوَرد - واتذكر لِيالِ البرد"، أي: "اجلس في ظل الورد وتذكر ليالي البرد!". والآن يُصبح الحر حقيقة لا يمكن تجاهلها، مع أن المرء يتوقع نهاية الصيف في عيد مار الياس في 20 "تموز"، وهو الأمر ذاته الذي يقال عن عيد التجلي في 6 "آب" وعن شهر "آب" كله[904]. ومثل هذه الأقوال لا تسعى إلى إنكار حر آب/ أغسطس، وإنما تسعى بشكل أساسي إلى تقديم العزاء من خلال فكرة أن الصيف بحرّه هذا يقوم بالوداع. وعن 20 "تموز" يُقال[905]: "اِلجحاش اِلبيض ما بِدفا راس ذَنَبه اِلا في عشرين تموز"، أي: "في 20 'تموز' وحده يصبح ذنب الجحش الأبيض دافئًا"، وحينئذ يجب أن يكون الحر في هذا اليوم قد بلغ أوجه. ووفقًا لقول عن السهيل[906]، يتوقع المرء ليالي ذات برودة معتدلة بدءًا من نهاية آب/ أغسطس (التقويم اليولياني). وحتى بتبريز أكبر يُعتبر آب/ أغسطس في شمال اليونان بداية الشتاء، ويُنصح بالعودة إلى ارتداء رداء إضافي ومعطف[907].

أما القول إن الصيف حار، فهو أمر مفهوم ضمنًا بالنسبة إلى الفلسطيني. "مِن ذاق الصيف عِرِف الحَرّ: "من ذاق طعم الصيف عرف الحر"[908]. ومع ذلك، لا يخلو الأمر من الشكوى من حره الشديد[909]؛ إنها تعابير قوية تظهر بشكل خاص لدى أهل المدن، على غرار[910]: "حريق"، "فَطيس"، "جهنَّم اِنفتحت"، أي: "يحترق المرء، يختنق، أبواب جهنم انفتحت"، أو[911]: "ختَنَقَن

(903) الجميل، مجلة **المشرق**، ص 687.

(904) يُنظر: **أقوال العرب**، ص 89 وما يليها.

(905) الجميل، مجلة **المشرق**، ص 866.

(906) ص 90، يُقارن IV 2.

(907) Mommsen, *Jahreszeiten*, pp. 23, 75, 77.

(908) Freytag, *Arabum Proverbia*, vol. 3, p. 174.

(909) يُقارن ص 223.

(910) Harfouch, *Drogman*, p. 215.

(911) Bergsträßer, *Zum arab. Dialekt von Damaskus*, vol. 1, p. 76,

حيث يُشدد في ص 75، على أن ميزان الحرارة في دمشق لا يرتفع في الصيف إلى 42°، وإنما حتى 42° تقريبًا.

مِن كُثر الشوب"، "قَلَبت مي"، "قلبت كُلّي عَرَق"، "ساحِت مَويتِ ما بِقدِر اشتِغِل"، أي: "اختنقنا من شدة الحر، تحولت [ثيابي] إلى ماء، غمرني العَرَق، ساح دمي[912]، لا أستطيع العمل!"[913]. إلا أن المرء على اقتناع بأن ليس في الحر أذى، من حيث المبدأ، وحتى لو قيل عنه[914]: "هاذَ الحر بِحرِق ذَنَب العصفور". ويقال[915]: "الدفَ عَفَ ولو بِعِزّ الصيف"، أي: "الدفء عافية حتى في عز الصيف". ويشدد في مقابل الحكم المضاد على الشتاء (ص 219)[916]: "الصيف بَي الفقير ولو لِه اِم تِبكِ عليه"، أي: "الصيف هو أبو الفقير حتى لو كانت له أم تبكي عليه (كونه على فراش الموت)". وحين يبتهج المرء في "نيسان"[917]: "صاح حبل القَرّ - ما بِقِ عالدِنيَا شَرّ"، أي: "صاح حبل البرد (الذي كانت قوته في نهايته): لم يبق شر في الدنيا"[918]. وعن شخص ما يستطيع المرء القول[919]: "اَفصَ عنه الشتَ"، أي: "لقد تركه الشتاء"، ومع ذلك لا يزال المرء يُشدد على: "الحر بِحُرّنَ والبِرد بضُرّنَ"، أي: "الحر يجعلنا محرورين، والبرد يضر بنا"؛ فالجسد والملابس والسكن معدة للحر بشكل أفضل منه للبرد[920]. ولكن هذا لا يمنع من أن يصل المرء بين الحين والآخر إلى الاستنتاج التالي[921]: "الحر يؤذي والبرد يؤذي"، لأن كل ما زاد عن حده

---

(912) شبيه بالعرق قطرات دم في لوقا 22:44. يُقارن:
Dalman, *Orte und Wege Jesu*[3], p. 345.

(913) كل شرقي يفهم التعابير كما هو مقصود بها، ولا يأخذ في الوقت ذاته توصيفات لأوضاع تعيسة، مثل المزامير 6:7 وما يلي، 31:10 وما يلي، حرفيًا. والأمر عينه ينطبق على الألوان القوية التي يحاول متّى 5:29 وما يلي، 18:8 وما يلي، ولوقا 14:26 وصفها بشكل حي باستخدام الإفراط في الوصف.

(914) Baumann, *ZDPV* (1916), p. 225.

(915) الجميل، مجلة **المشرق**، ص 867.

(916) المرجع نفسه.

(917) المرجع نفسه، ص 668.

(918) يُقارن: "المطر هو أصل الإزعاج".
Schir R. 2, 11 (31b).

(919) Freytag, *Arabum Proverbia*, vol. 3, p. 391.

(920) يُقارن ص 219 وما يليها.

(921) Freytag, *Arabum Proverbia*, vol. 3, p. 93.

ضار. وبالطبع يسعى المرء إلى تكييف ملابسه بما يتلاءم والصيف، لأن[922]: "صاف الصيف يا نَدامِة اِلّ انكَسَ"، أي: "حل الصيف وسيندم مَن تزود بملابس (الشتاء)". ومع ذلك، من يجوب البلاد لا يفوته وضع المعطف فوق كتفيه، لأن هناك حاجة إليه عند حلول برودة المساء؛ فرداء خفيف جدًا، كما غطاء رأس خفيف جدًا، يبقى بلا فائدة، لأنه لا يقي الرأس بشكلٍ كافٍ حرارة الشمس الساطعة. ولكن، في الوقت ذاته، يكون المرء مسرورًا لأنَّ جفاف التربة يسمح للمرء - في الظل - بالجلوس في أي مكان[923]؛ إذ إن "بِساط الصيف وَسيع"، أي: "بساط الصيف واسع"، ذلك أنه ليس بالأمر الجيد حرمان الأجزاء المعرضة للشمس من مناعتها بالإكثار من الغسل والاستحمام، فهو حقيقة قائمة على التجربة. ولطالما نُصِحتُ، وليس دونما سبب، بالعدول عن غسل اليدين والوجه بعد التنقل ركوبًا في يوم حار. وقد تفاخر سائسو خيلنا بأنهم لا يغتسلون عمدًا خلال مثل هذه الارتحالات. ويروي زونن[924] أن عمال الحصاد على بحيرة طبرية يقومون بالاستحمام في العيون الحارة قبل البدء بعملهم، ثم بعد ذلك لا يغتسلون طوال وقت الحصاد بأكمله.

ولحرارة الصيف بالطبع تأثيرها في التدبير المنزلي؛ فحفظ وجبات اللحوم ليس ممكنًا، بحيث إن كل وجبة يجب أن تطبخ طازجة. وإذا لم يكن ذلك ممكنًا، كما هي الحال في بيتٍ يهوديٍ يوم السبت، فعلى المرء حينئذ ألا يتوجس من حساء صار فاسدًا [حامضًا]. الحليب يَتْلَفُ بدلًا من أن يتحمض كما ينبغي، ويجب وضعه رهن عملية تحميض متسارعة. وبالكاد تحتاج عجينة الخبز إلى أي خميرة، لأن درجة الحرارة المرتفعة وحدها تجعله يختمر. كذلك تجفيف التين، فالحر الشديد غير مرغوب فيه. وحين يكون المرء قد سئم من شيء ما، يقول: "فاض الحَرّ عل - مِسطاح"، أي: "أصبح الحر شديدًا على مكان التجفيف (تجفيف التين)"[925].

---

(922) Canaan, *JPOS*, vol. 3, p. 34.

(923) المرجع نفسه؛ الجميِّل، مجلة **المشرق**، ص 867.

(924) *Biblica* (1927), p. 189.

(925) Baumann, *ZDPV* (1916), p. 206.

وفي العهد القديم (سفر التكوين 22:8)، يتشابه الحر (بالعبرية "حوم"، سعديا "حما") والصيف (بالعبرية "قيص"، سعديا "قيظ")، في حين يُشير البرد والشتاء بشكل مشابه إلى الفصل الآخر الذي يقف ثلجه على نقيض صارخ من الصيف (الأمثال 1:26). وبالنسبة إلى الاشتقاق المتأخر لفصول ستة من سفر التكوين (22:8)[926]، يُنظر ص 48. وبالتقسيم اللاحق للسنة إلى أربعة فصول (ص 46 وما يليها) الغريب على العهد القديم، يُناظر الصيف تقوفات [من تُقْفَا أي فترة] تموز [الانقلاب الصيفي][927] الذي يتضمن تموز/ يوليو وآب/ أغسطس وأيلول/ سبتمبر، أي أنه يصادف متأخرًا شهرًا عن الصيف القائم على تقسيمنا للسنة، لأن المحطات الأربع للمدار الشمسي تُعتبر حاسمة. ويحصل حر الصيف الأسوأ خلال هذه الفترة[928]. ومن وجهة نظر طقسية خاصة، تُربَط بداية "وقت الشمس" باقتلاع سنابل الحبوب، وبداية "وقت المطر" في "رِبيعا" الثاني، أي مطر الخريف في موعده (ص 125)[929]، وهذا مرة أخرى على افتراض أن السنة مقسمة إلى فصلين.

تتحدث المزامير (4:32) عن "حر الصيف القاسي" الذي يستنزف نسغ الحياة، على افتراض، أن يد الرب المعاقِبة تتمتع بالتأثير نفسه في الإنسان الذي يتمتع به حر الصيف في النباتات. ولا بد أن الوقت كان صيفًا حين أعد صموئيل لشاؤول المبيت على السطح (صموئيل الأول 25:9؛ السبعونية). وفي متّى (17:24) ولوقا (31:17)، يتضمن وجود المرء على السطح من دون الدخول إلى البيت، باستخدام درج يؤدي إلى الأعلى من الخارج، ما يدل

---

(926) يستنتج

Klein, *ZDPV* (1914), p. 312

من المحاولة الحاخامية هذه أن "التقويم الزراعي يُشير إلى الفترة من منتصف أب حتى منتصف تشري كونها وقت الحر الأشد"، ويتعارض هذا مع الواقع ويُظهر تصنع التفسير الذي يسمح بمثل هذا الانطباع.

(927) Pirke R. Elizer 6,

يُقارن ص 46 وما يليها.

(928) Tg. Hsl. 1:7,

يُقارن ص 47.

(929) Tos. Teh. VII 8.

ضمنًا على نوم المرء على السطح. والإبعاد في تُقُفات [=تُكفات] تموز، أي في الصيف الذي يبدأ بتموز/ يوليو (يُقارن أعلاه)، يُعتبر علامة على رحمة إلهية، ولا سيما أن في هذا الوقت يستطيع المرء النوم بلا أذى ولا ضرر في الأزقة والميادين[930]. وفي الأشهر نفسها، من الممكن حتى قلي البيض في الغبار أو الرمل[931]، أو حتى تركها تتدحرج على سطح منبسط من أجل ذلك الغرض نفسه[932]. ويصف سفر أخنوخ على الوجه الصحيح الصيف في الفصل الرابع، كونه الفصل الموضوع في مواجهة الشتاء، ولكن ليس دونما تلوينات شرقية: "في الصيف تقف الشمس في مواجهة الأرض. ثم تبحثون عن أماكن معتدلة البرودة وحماية من حر الشمس. فالأرض هي الأخرى، نتيجة للاتقاد، حارة بشكل لاهب بحيث لا يمكنكم الدوس لا على تراب ولا على حجر". "والحر والجفاف" في سفر أخنوخ (19:82) هو المميز للثاني من أربعة لـ 91 يوم فصول (ص 46 وما يليها)؛ ذلك أن الحمار لا يزال إلى حينه يشعر بالبرَد، فتلك خاصية غريبة[933]. ويُحسن المرء صنعًا إذا ارتدى ما يلائم وقت السنة؛ إذ إن رداء الكتان يلائم الصيف، مثلما يلائم المعطف الشتاء[934]. وبالطبع، ليس من الممكن توفير حماية كاملة ضد حر الصيف (بالعبرية "شاراب")، في حين أن مضاعفة الملابس في الشتاء يجعل البرد غير فعّال. ولذلك يجب اعتبار التضرع إلى الله طلبًا للمساعدة في الصيف في غاية الأهمية[935]؛ لأن 99 في المئة من الناس يموتون نتيجة حر الصيف، فذلك ما يعتبره الحاخام ناثان حقيقة[936]،

---

(930) Ech. R. 1, 14 (33ᵇ),

يُقارن:

Tanch. Tazaria' 13.

(931) Sabb. III 3.

(932) j. Sabb. 6ᵃ.

(933) b. Sabb. 53ᵃ,

تُقارن الملاحظة المناظرة أعلاه، ص 491.

(934) b. Men. 41ᵃ.

(935) Vaj. R. 16 (42a), j. Sanh. 29ᶜ.

(936) Vaj. R. 16 (42ᵃ), j. Sabb. 14ᶜ.

يُقارن الرأي نفسه المتعلق بتأثير البرد، ص 219.

والصحيح أن إنقاص قدرة الجسم على المقاومة من خلال الحر تجعله عرضة للعدوى وتنامي الجراثيم الموجودة في الجسم، متسببة بأمراض متوطنة. أما الرأي العربي القائل إن الأمراض تأتي إما من الجو ("طَقس") وإما من الإعياء ("تَعبِ") وإما من الأوعية الدموية ("شروش")، فيجد هنا سببًا مضاعفًا للتطبيق. وهذا يصح بشكل خاص في أوقات الريح الشرقية في أواخر الصيف، أي في الخريف، عند تقسيم السنة إلى أربعة أقسام. وهذا يتناغم مع الرأي القائل إن نهاية الصيف، الذي يشكل الفرن المتوقد علامة عليه، هو الجزء الأسوأ[937]، وأن الرأس بشكل خاص يحتاج إلى حماية الرب حين يلامس الصيف الشتاء[938]. من جهة أخرى، من المعروف أن قوة الشمس تتلاشى بعد 15 آب/ أغسطس[939]، والتباين بين حر النهار وبرودة الليل معروفٌ (سفر التكوين 40:31؛ إرميا 30:36). ويعني حر النهار صعوبة إضافية للراعي (سفر التكوين 40:31)، إضافة إلى العامل في كروم العنب (متى 12:20) والعبد (أيوب 2:7)، وقد يأتي بالموت للإنسان والحيوان إذا تُركا بلا حماية من الشمس[940].

تأثير الشمس في طول النهار

يعرف العربي جيدًا أن الشمس ("شمس") خلافًا للقمر ("قَمَر") تتخذ صيغة المؤنث، وهي تهب الدفء كما تهب الضوء، مع أنها تظهر كما لو كانت من ناحية لغوية خاضعة للقمر، فهذا ما لا يعود عليها بضرر؛ إذ[941]: "ما – تأنيثُ لِسمِ الشَمسِ عِيبٌ وَلَ التَذكيرُ فخرٌ للقَمَرِ"، أي: "ما التأنيث لاسم الشمس عيب، ولا التذكير فخر للقمر"، وعن الشمس يُقال[942]:

---

(937) B. Jom. 29ª.

(938) J. Jeb. 14ᵈ.

(939) b. Taan. 31ª, Bab. B. 121ᵇ.

(940) b. Sanh. 76ᵇ f.

(941) Baumann, *ZDPV* (1916), p. 217.

(942) الجميِّل، مجلة **المشرق**، ص 689.

"شمس الربيع بِتسُرّ	"شمس الربيع تبعث على الفرح
شمس الصيف بِتحُرّ	شمس الصيف تبعث الحر
شمس الخريف بِتهُرّ	شمس الخريف تطرح (الأوراق)
شمس الشتَا بتضرّ"	شمس الشتاء تسبب الضرر"

ويوضح المثل[943]: "ما أصنع بِشِمس لا يُدفينِ"، أي: "ما فائدة شمس لا توفر الدفء لي؟"، وما الذي يتوقعه المرء فعلًا من الشمس؟ أما الاعتقاد أن الجمرات الهابطة من السماء في 7 و14 و21 "شباط" تطرد برد الشتاء[944]، فيعني تحضيرًا لما ستأتي به الشمس الصاعدة أكثر إلى الأعلى. وحتى القول الشعبي يعرف أن[945]: "في اِذار بتِنتقل الشِمس لِبُرج الحوت - وَبِتقول للبِرد موت"، أي: "في اِذار تنتقل الشمس إلى برج الحوت وتقول للبرد: مُت!". ويبدأ الصيف، وفقًا للقزويني[946]، حين تدخل الشمس في بداية برج السرطان ويصل طول النهار إلى أوجه، والذي يحدث وفقًا لجدوله الخاص بالأشهر اليونانية ("شهور الروم") في 18 "حزيران"[947]. كذلك وفقًا للرصد اليهودي[948]، فإن الوقت حين لا تطرح الشمس ظلًا أبدًا (ظهرًا)، أي تتموضع في الذروة، هو تقوفات [فترة] تموز/ يوليو الذي يُناظر الصيف. فالتعبير عن ساعة اليوم التي يطرح فيها الحصان المندفع ظلًا[949]، يجب أن تفترض أن الشمس في موقعها الصيفي، لأن الظل يسقط تحت الحصان، وبالتالي يُمكن اعتباره خطًا مستمرًا.

---

(943) Freytag, *Arabum Proverbia*, vol. 3, p. 284.

(944) الجميِّل، مجلة **المشرق**، ص 692؛ يُقارن أعلاه، ص 225 وما يليها.

(945) المرجع نفسه، ص 866.

(946) Kazwini, *Kosmographie*, I, p. 85.

(947) Ibid., p. 78.

(948) Midr. Teh. 19, 7.

(949) B. Pes. 50ª,

يُقارن:

j. Pes. 30ᵇ.

وقد حسب الفلكي ك. شوخ في برلين-شتيغلتس (Berlin-Steglitz) الأوقات التالية للشروق والغروب في القدس للأشهر من حزيران/ يونيو حتى آب/ أغسطس، وفقًا لمعدل الوقت المحلي:

	شروق	غروب
1 حزيران/ يونيو	الساعة 4 و56 دقيقة	الساعة 7 و0 دقيقة
1 تموز/ يوليو	الساعة 4 و58 دقيقة	الساعة 7 و9 دقائق
1 آب/ أغسطس	الساعة 5 و15 دقيقة	الساعة 6 و57 دقيقة
1 أيلول/ سبتمبر	الساعة 5 و35 دقيقة	الساعة 6 و25 دقيقة

وهذه لا تناظر تمامًا الأرقام الواردة في ص 44، ولكن وقت شروق الشمس المرصود في القدس في 6 حزيران/ يونيو في الساعة 4 و34 دقيقة، وفي 1 تموز/ يوليو في الساعة 4 و38 دقيقة، ووقت الغروب في الأيام نفسها في الساعة 6 و41 دقيقة، والساعة 6 و48 دقيقة، إذا أخذ المرء في الاعتبار أن التوقيت الشرق الأوروبي المعتاد يسبق "الوقت المحلي" بِـ 21 دقيقة.

وفي 22 حزيران/ يونيو (= 9 "حزيران") يبلغ طول النهار في القدس 14 ساعة و14 دقيقة[950]، في حين يجب احتساب ساعتين و12 دقيقة إضافية لبرلين. إلا أن الشمس في الظهيرة، وبارتفاع 40' 81°، لا تقف بعيدة جدًا عن الخط العمودي فوق القدس[951]، في حين يبلغ الارتفاع في برلين 4' 59° فقط[952]. هذا الموقع العالي للشمس هو إذًا السبب الحقيقي لحر الصيف الفلسطيني مقارنة بالسبب المتعلق بحر صيفنا [الصيف الألماني]، على الرغم

---

(950) هكذا أيضًا، وفقًا لرصد حقيقي في القدس. يُنظر ص 43. وقد أظهر الرصد 10 ساعات و3 دقائق بالنسبة إلى أقصر نهارٍ، في حين أظهرت القياسات 10 ساعات و4 دقائق. وقد قاس كوهلر 14 ساعة و10 دقائق بالنسبة إلى النهار الأطول، و9 ساعات و50 دقيقة بالنسبة إلى الأقصر، كما ورد من حسابات هـ. ماير:

H. Meier, *ZDPV* (1927), p. 297.

(951) Brawer, *Ha-Rephua* (1926), p. 320; *Ha-Ares*, p. 116.

(952) هذا وفقًا للمدرس في مدرسة ثانوية شلوسر في غرايفسفالد، الذي خصص 81.5° للقدس.

من أن ذلك له مغزى كونه يحدث في بداية الصيف، ثم يتراجع في مساره من دون تناقص مناظر في حرارة الصيف. ومع ذلك، لا تزال الشمس على ارتفاع 4' 66° في 1 أيلول/ سبتمبر في القدس، في حين أنها هبطت في برلين إلى 9' 45°؛ ذلك أن القزويني[953] الذي يعزو البشرة السوداء للشعوب الجنوبية إلى الموقع العالي للشمس في بلادهم، يُظهر أن التأثير الأكثر حدة لأشعة الحر العمودية كان معروفًا؛ فكل فلسطيني يعلم - بحكم التجربة - كم هو صعبٌ إيجاد ظلٍ حين تكون الشمس في أقصى علوها، لأن الأسوار والجدران الصخرية العمودية بالكاد يمكنها توفير ذلك. وفي حال نقص الضباب الرقيق في الهواء، يبدأ تأثير الشمس المشعة مباشرة بعد طلوعها. ويحسن المرء صنعًا إذا قام في هذا الوقت بإغلاق جميع فتحات البيت من الجهة الشرقية بشكل محكم[954]. وفي حلب، سعيت إلى إنهاء مشواري إلى الحمّام في نهر قويق القريب قبل طلوع الشمس، حتى لا أخسر انتعاشة الحمّام في طريق العودة إلى البيت. والشرقي أقل عرضة لخطر لفح الشمس (Erythema solare)[955]، لأنه، لأسباب تتعلق بالأدب والاحتشام، يخلع رداءه الطويل حين ينزل إلى الماء، ثم يرتديه على الفور لحظة خروجه. وخلال النهار، تشكل المظلة ("شمسيّة") لابن المدينة نعمة وبركة، والتي عززتها عباءة حريرية بيضاء. وحتى في مثل هذا التجهيز، يتجنب المرء في أفضل الأحوال جبروت الشمس الكامل من 1-4 ظهرًا كونها أكثر أوقات النهار حرًا. وفي الساعة الخامسة فحسب، يمكن أن يكون الخروج لطيفًا. وبالنسبة إلى يافا، جرى التأكد من أن أعلى درجة حرارة في النهار من نيسان/ أبريل حتى أيلول/ سبتمبر تصادف بين الساعة 3 والساعة 4 بعد الظهر، وإلا تقع عادة بين الساعة 2 والساعة 3[956]. آنذاك، يسبق الانخفاض المفاجئ غير المألوف في درجة الحرارة ظهرًا الصعودَ التدريجي لميزان الحرارة إلى أعلى درجاته.

---

(953) Kazwini, *Kosmographie*, I, p. 25.

(954) يُقارن أعلاه، ص 473.

(955) يُقارن ص 288 وما يليها.

(956) Rosenstein (Baruch), *Ha- Aklim*, p. 11.

في آب/ أغسطس، يصبح النهار أقصر، حتى لو بلغ الفرق مقارنة بأطول نهار في 1 أيلول/ سبتمبر (= 19 "آب") ساعة و34 دقيقة فقط، وهو ما يلاحظ. وهنا يُطرح السؤال(957): "بعد عيد السيّدة – وين السهّيرة الجيدة"، أي: "بعد عيد السيدة (ذكرى وفاة مريم في 15 "آب")، أين الساهرون الجيدون ليلًا؟"؛ فالمرء يحتاج إليها، لأن المساء يصبح أطول. وبشكل مشابه، يمدح المرء في اليونان قمر آب/ أغسطس، لأن المرء يستطيع الاستمتاع به مساءً بوجود هواء دافئ(958)، في حين أن العربي يستخدم قمر الشتاء من أجل حكمة يُفترض أن تصف شيئًا عديم الجدوى كليًا(959): "أضيع من قمر الشِتَ"، أي: "لا يوجد ما هو بلا فائدة أكثر من قمر الشتاء". وفي إشعيا (10:49) والمزامير (6:121) يقارَن تأثير حرارة الشمس بالضربة، لأنها تحرق الجلد، فهذا ما يفترضه حزقيال (6:1) وأيوب (28:30)، وأمام عرش الإله، لكن لا يتعرض المتقون لها نهائيًا (يوحنا رؤيا 16:7). وهنا على الأرض، تبدأ تأثيرات الشمس في الصباح (سيراخ 2:43؛ يُقارن يعقوب 11:1؛ متّى 6:13؛ مرقس 6:4)(960)، ومن المحال الهروب من هنا (المزامير 7:19). ويربط الحاخامون الشمس بتأثيرها المستقبلي عندما تأتي بالشفاء إلى التقي، لكنها تحرق الكافر(961). سيراخ (4:43) يعرف أن الشمس لا تحتمل وقت الظهيرة، وأنها "تشعل النار في الجبال". كما يعرف ناظم المزامير (6:91) أيضًا أن شهادته في شأن الهلاك (بالعبرية "قِيْطِب") الذي يُمارسه العنف ظهرًا يقف وراء افتراض وجود عفريت واحد أو اثنين باسم "قيْطِب" يسيطران خلال ساعات الظهر من الصيف "أيام الخوف" (يُنظر أدناه IV 2) من الساعة العاشرة حتى الساعة الثانية(962). وحين يُوعد يابيش بالمساعدة "حين تكون الشمس حامية" (صموئيل الأول 9:11)، فذلك لن يكون قد حدث بعد الساعة العاشرة، ولأن الهجوم المفاجئ على

---

(957) Canaan, *JPOS*, vol. 3, p. 35.

(958) Mommsen, *Jahreszeiten*, pp. 111f.

(959) Freytag, *Arabum Proverbia*, vol. 2, p. 15.

(960) يُقارن:

PJB (1926), p. 125.

(961) Midr. Teh. 19, 7, Ber. R. 26 (54ª), 78 (167ª), Koh. R. 1 (67ᵇ), b. Ned. 8ᵇ.

(962) Midr. Teh. 91, 6, b. Pes. 111ᵇ.

شاؤول خلال الحراسة الصباحية، سبقته تصفية مُحَاصري يابيش فعلًا حوالى هذا الوقت (الآية 11). وعلى المرء ألّا يُرسل أعمى في وقت الظهيرة إلى الخارج[963]؛ فجلوس إبراهيم في مدخل الخيمة في أوج حر النهار (التكوين 1:18)، و"معسكر الظهيرة" الخاص بإيشبوشت (صموئيل الثاني 5:4)، والأريكة التي ينهض منها داود في المساء (صموئيل الثاني 5:4) كل ذلك يشير إلى قيلولة الظهيرة التي تنتمي بلا شك إلى زمن الصيف؛ ففي هذا الوقت تستحم بتشبع خارج البيت. وأصحاب المقام لا بد أنهم سمحوا لأنفسهم بالراحة في الوقت الأشد حرًا[964] كما قمنا نحن بذلك أيضًا. وشاي الساعة الرابعة جعل الجسم يتعرق، وبالتالي أتى بالراحة المنشودة. وهناك نقاش في المدراش في شأن هل إن "وقت حر" النهار يجب أن يحدد في الساعة 10 صباحًا أو في الساعة 12. ويشار إلى أن في الساعة 12 يكون الظل والشمس ساخنَين، في حين أن في الساعة 10 يكون الظل لا يزال باردًا والشمس وحدها الساخنة[965]، وهو ما يحصل في الواقع. ويجب أن يكون قد جرى التفكير في درجة الحرارة العالية السائدة بانتظام انطلاقًا من الظهيرة، حين يُقارن في إشعيا (4:18) انتظار الرب بصبر وهدوء بِـ"حرٍ يكف البصر في ظل سماء صافية" (بالعبرية "حوم صح علي أور")[966]؛ فالمساء وحده هو ما يُظهر كيف سيكون الطقس لاحقًا.

ب. كواكب الصيف

عقد علم الفلك القديم صلة بين حر أشهر الصيف وبعض الكواكب. وهنا يذكر القزويني[967] أولًا "الدِبران" (نجم ضمن برج الثور). ويقول الشاعر عن الدبران الذي يطلع في 26 "أيار": إِذَ طَلَع الدِبَران – توقّدت الحُزان – وَكَرُهت

(963) Siphra zu 3. Mos. 19, 14 (88[d]).

(964) اعتاد مروداخ بلادان (Merodach Baladan) أن يُمضي قيلولة الظهيرة حتى الساعة التاسعة، Schir R. 3,1.

(965) Ber. R. 48 (100[a]), j. Ber. 7[b], Midrasch Aggada zu 1. Mo. 18,1.

(966) اللافت أن سعديا وكيمحي يفكران في حرارة صافية "بعد المطر"، لأن الحديث هنا عن عطاء رباني.

(967) Kazwini, *Kosmographie*, I, pp. 44ff.

النيران – واستعرت الدِنان[968] – وَيَبِست الغِدران"، أي: "إذا طلع 'الدِبَران' تكون الأرض الصخرية قد احترقت، والنيران (التي يطبخ المرء عليها) تصبح كريهة، وسخنت الجرار، وجفت برك الماء". وما كان قد بدأ في نهاية "أيار"، يستمر في "حزيران". وكما في "نو الدبران"، كذلك في "نو الهقعة" (رأس الجوزاء) الذي يظهر في التاسع من هذا الشهر، فتكون الحرارة شديدة والـ "سَمايم" تهب. ومن 22 "حزيران" فصاعدًا، تصل الحرارة إلى أعلى درجاتها حين تطلع "الهِنعة" (γ،α،ξ من برج الجوزاء، قوس الجوزاء)[969]، وعنها يُقال: "اِذَ طَلعت الجوزا – كَنَسَت الظَبا – وعَرَقت العليا – وطاب الخبا"، أي: "حين تطلع الجوزاء، تتوارى الظباء، والعنق يعرق ويطيب البقاء في الخيمة". وفي 4 "تموز"، وبطلوع الذِراع (α،β من برج الجوزاء)، تتصاعد شدة الحرارة أكثر: "اِذَ طَلَع الذِراع – حَسَرَت الشِمس القِناع – وَأشعلت الأفق الشِياع – وَتَرَقرَق السَراب في كُل قاع": "حين يطلع 'الذراع'، تخلع الشمس القناع، وتشعل الأشعة الأفق، والسراب يهتز[970] في كل قاع.

وفي 17 "تموز" تعود "النِثرة" (المهد في السرطان) ثانية وتأتي بحرارة شديدة جدًا و"سَموم" مضرة. إنها رياح سيئة و"سَموم" تأتي مع الطرف (ξ في السرطان، λ في الأسد) في 1 "آب". وفي 14 "آب"، أي في اليوم الذي تطلع فيه "الجِبهة" (ζ، γ، η، α في الأسد) وتبدأ الحرارة بالانخفاض[971]، ينزل الندى. وعن ذلك يُقال: "لو لا طُلوع الجِبهة – ما كان للعَرَب رِفهة"، أي: "لولا طلوع الجبهة، لما كان للبدو حياة رفاهية"، وهو ما يُدلَّل عليه من خلال حقيقة أن ماء المطر الجاري في الأودية يجلب معه نموًا جديدًا لعشب الرعي[972]. وعن

(968) هكذا يُقرأ بحسب فلايشر (Fleischer) في:
Ethe, p. 445.

(969) عن انتماء "الهِنعة" إلى الجوزاء، يُنظر:
Hommel, *ZDMG* (1891), pp. 601f.

(970) يُقارن ص 328 وما يليها.

(971) على المرء حقًا أن يقرأ: "انكَسَر الحرّ" "لقد انكسر الحر"، بدلًا من "انكسر البرد" "لقد انكسر البرد" وهو ما لا يلائم الموضوع هنا.

(972) يُنظر القول المأثور الخاص بذلك، ص 116.

"الزُبرَة" (δ، Φ في الأسد)، الذي يطلع في 24 "آب"، يذكر القزويني أن مطرًا يهل في أثنائه، وهو إما مطر شديد وإما بَرْد.

وفي التقويم اليوناني، يورد القزويني[973] حرارة شديدة في 22 "حزيران" (يُقارن أعلاه "الهِنعَة")، وفي 25 منه تبدأ فترة "سَموم" مدتها 51 يومًا، أي يفترض بها أن تستمر حتى 14 "آب"، والحر الأشد في 24 و25 "تموز" (يُقارن "النِثرة")، وفي 20 "آب" وبشكل لافت، تنتهي الـ"سَموم"، وفي 22 "آب" ينخفض الحر (يُقارن "الزُبرة")، وفي 28 "آب" نعثر على ليلة لطيفة وسقوط ندى، وفي سوريا يسقط المن والسلوى.

لا يذكر القزويني الشعرى اليمانية في هذا السياق، والسبب يعود إلى أنها لا تمثل محطة قمر بالنسبة إليه، ولكنه يورد وقت طلوعها في 5 "تموز" كموعد مهم[974]، ويُطلق عليها بين الأبراج الجنوبية النجمة التي تفوق بريقًا جميع النجوم الأخرى في فم الكلب الكبير الذي يُعتبر كلب الجوزاء[975]؛ فهي تُدعى "الشِعرَى اليَمانية"، لأن غيابها يحصل في اتجاه "اليمن"، وهي "شِعرى العَبور" أيضًا، لأنها تجاوزت درب التبانة بغية الاقتراب من "سُهيل". ولذلك كان القول المأثور[976]: "أتلَ مِن الشِعرَى"، أي: "أكثر تعلقًا من الشِعرى"، وذلك حين يريد المرء أن يصف تعلق شخصٍ بشيء بصورة استثنائية. وبذلك تترك شقيقتها "الشِعرى الشامية" (الغميصاء) في الخلف، والتي على ما يبدو كانت قد وقفت قريبًا منها في حزن عميق وعين دامعة، لأنها كانت تود المشاركة في قطع هذه الطريق. والشُعرَيان شقيقتا "سهيل"، كما سُمّيتا في أماكن أخرى[977]،

---

(973) Kazwini, *Kosmographie*, I, p. 78.

(974) Ibid., p. 29.

(975) Ibid., p. 39.

(976) Freytag, *Arabum Proverbia*, vol. 1, p. 255.

(977) Niebuhr, *Beschreibung von Arabien*, p. 116,

بحسب

Ulugh Beigh,

كذلك:

Lane, *Arab.-Engl. Lexicon.*

وهما بالفعل تشكلان مع أخيهما مجموعة(978)، والضوء الساطع للـ"شِعرى" هو الذي يتمحور التفكير فيه حين تُسمى، جنبًا إلى جنب مع البدر المعتم، كالساجدة أمام مُتنبي [متنبي كما في الأصل، إذ ظهرت الكلمة بحروف لاتينية](979). كذلك "سهيل" الذي، بالضرورة، يجب أن يكون هنا سهيلًا (α أرغونس)(980)، الذي لا تشمله محطات القمر، مع أن القزويني(981) يذكر أنه يظهر في الحجاز، جنبًا إلى جنب مع "الجِبهة" في 14 "آب"، وفي العراق يصبح قابلًا للرؤية مع "الزُبرة" من 24 "آب" فصاعدًا. وبحسب لان، يشهد "الصغانِي" [الصغاني رضي الدين] في القرن السابع على طلوع الـ"سهيل" في 4 آب/ أغسطس (التقويم اليولياني). ولأنه ينتمي إلى السماء الجنوبية، يتخذ لدى القزويني مكانه في خلفية المشهد. لكن من الواضح أن ما قيل عن الـ"زُبرة"، يجب أن ينطبق أيضًا على هذه النجمة: "سهيل" جالب للبرد. في المقابل، فإن "الشِعرَى "اليَمانية" التي تظهر يومًا واحدًا بعد "الذِراع" (يُنظر أعلاه)، جالبة للحر من الدرجة الأولى، و"الذِراع" ذاته، وفق القزويني، على صلة وثيقة بتلك "الشِعرى"، حيث المقصود هنا زوج من النجوم، إحداها "الشِعرَى الشامية"، أي الغميصاء(982).

في أيامنا هذه، يُرصد الجوزاء عند التحدث في شرق فلسطين عن مطر الـ"جوزة" [مطر الجوزاء] الذي يسقط بعد مطر الثريا (ص 180 وما يليها). بالطبع، ومنذ أن كان كوكب الجوزاء كوكبًا غائبًا، لا يمكن أن يؤخذ في الاعتبار كجالبٍ للمطر في الصيف، ولكنه المقصود حين يُذكر اسم "الميزان" في فلسطين، لأن "الميزان" الآن هو الاسم المعتاد للجوزاء، ولا سيما حزامها،

---

(978) كذلك يسرد البستاني في **محيط المحيط** "كذبة العرب"، إذ رغب "سهيل" بالزواج من الـ"شعرى" وبالتالي دفعها إلى التحرك نحوه.

(979) Von Bohlen, *Comment. De Motanabbio*, p. 20.

(980) يُقارن:

Ideler, *Untersuchungen über den Ursprung und die Bedeutung der Sternnamen*, p. 250.

إلا أن القزويني، ص 40، يتحدث عن شكوك العرب في أي نجمة في "السفينة" التي تدعى "سهيل".

(981) Kazwini, *Kosmographie*, I, p. 46.

(982) Ibid., pp. 39, 44ff.

كما وجدت ذلك مرة بعد أخرى[983]. وهنا ميَّز المرء "الميزان الصحيح": ("ميزان الحَقّ") من "الميزان الخاطئ": ("ميزان الباطل")[984]؛ فالجوزاء إذًا هي المقصودة حين تقارَن الجميلة بكواكب مثل "الميزان" و"الثريَّة" (الثريا)[985]. وحين يُقال بالقرب من حلب[986]: "طِلع الميزان عالِ - وِستوَ عِنَب الدَوالِ"، أي: "الميزان ارتفع عاليًا ونضج عنب الدوالي". وفي فلسطين يُقال[987]: "لَمَّ بتِطلع الثُريَّة والمَوازين - دَوِر مَشاريق التين" أو: "تفَتَّل حول التين"، أي: "عندما تطلع الثريا والموازين، إبحث عن التين في الجهة المعرضة للشمس" أو: "تنقّل (باحثًا) حول شجرة التين (لأنه لن يُفتقد التين المبكر)!"

ليس لدي اليوم في فلسطين معرفة بقول مأثور ينطبق على الشِعرى اليمانية ("الشِعرَى"). وفي إلجي، بالقرب من البتراء، وفي الطفيلة سمعت عن مطر "شعري" في فصل الشتاء (ص 180 وما يليها). كذلك يتحدث موزل[988] عن أن "الشعرى" تأتي بالمطر في ليلة 18 "شباط"، بعد أن كان "سهيل" والـ"ثريا" والـ"جوزاء" قبل ذلك جالبي مطر. ولذلك لا يمكن أن يكون للأمر صلة بأحد أطوار "الشعرى" الذي تكون فيه جالبة للحر. وعن ذلك يقول بطرس البستاني[989]: "الشعرى الكوكب الذي يِطلع فِ-الجوزة وَطُلوعهُ في شِدِّة الحَرّ"، أي: "الشعرى اليمانية هي الكوكب التي تطلع في الجوزاء، وطلوعها يحصل في أشد الحر". والقول الوارد في ص 476، والذي يفترض أعلى درجات الحرارة في 20 "تموز"، أي وقت طلوع الشعرى اليمانية، يُظهر أن هذا يجاري التصور الشعبي؛ فـ"سهيل" هو الجالب الأول للمطر، وبحسب

(983) يُنظر أيضًا:
Baldensperger, *PEFQ* (1893), pp. 203ff.,
يُقارن أعلاه، ص 123.

(984) Niebuhr, *Beschreibung von Arabien*, p. 113.

(985) Dalman, *Pal. Diwan*, p. 120.

(986) Ibid., p. 22.

(987) يُقارن ص 419؛
Canaan, *ZDPV* (1913), p. 297.

(988) Musil, *Arabia Petraea*, vol. 3, pp. 7f.

(989) **محيط المحيط**، تحت كلمة "شَعرَى".

الوقت الذي نحن في صدده، لا يمكن إلا أن يكون السهيل، على الرغم من أني اعتقدت في الصفحات 14 و93 وما يليها، وص 115 وما يليها، أن عليّ ذكر الشعرى اليمانية بما يتسق ورصد قام به نيبور (Niebuhr) في الشرق، والذي بموجبه حدد الـ"سهيل" الشعرى اليمانية[990]. كذلك يمنح بالدنشبيرغر (Baldensperger) الـ"سهيل" الاسم الحالي Canopus، ويمنح الشعرى اليمانية: "سَواق" (بالفصحى "سوّاق") "الميزانِ" ("سائق الجوزاء"). وعنه يقول البستاني أنه "بطلوعه تنضج الفواكه وينقضي الصيف": "عِند طُلوعِهِ تِنضَج الفَواكِي وِينقَضِ القيظ". ووفق موزل، يقول الناس في الكرك: "السهيل اِذَ طلع - جا الشتِا"، أي: "حين يطلع سهيل - يأتي الشتاء"، و: "لَطلَع السهيل - لا تأمن سيل"، أي: "حين يطلع سهيل، لا تثق بأي جدول!". والقول الأخير دونته في الطفيلة[991]. علاوة على ذلك، فإن التحذير معروف: "اِن طِلع اِسهيل - غَطّو الخيل": "حين يطلع السهيل، غطوا الخيول (الموجودة ليلًا في الخارج)" (رام الله)[992]. وفي إنشودة أخرى لدى موزل[993]، يظهر في صيغة: "افرِق نحَرهَ عن سهيل اليَماني"، أي: "افصل (بغطاء) نحرها (الفرس) عن سهيل اليماني!". كما يورد كنعان[994] القول المأثور: "يوم يِطلع اسهيل - بيخمَل قِشر التين"، أي: "حين يطلع السهيل، يصبح قشر التين سميكًا"، وهو ما يُشير أيضًا إلى بداية الخريف. كما يفترض أن تنتشر الأمراض في هذه الفترة. وعن ذلك يقال[995]: "اِذَ طَلَع سُهيل وَقَع الوبا فِ- الأرض وَكِثِر الموت"، أي: "حين يطلع سهيل، يقع الوباء على الأرض، ويكثر الموت"، وهذا يتلاءم مع الفترة الانتقالية من الصيف إلى الخريف. وليس واضحًا لدي لماذا يستطيع المرء القول[996]: "غَرّنِي سهيل وَقُمرِ"، أي: "خدعني سهيل و[طائر] القمرية"؛ إنهما قوتان

---

(990) *Beschreibungen von Arabien*, pp. 113, 116.

(991) ص 115 وما يليها.

(992) يُقارن ص 90، 93.

(993) Musil, *Arabia Petraea*, vol. 3, p. 246.

(994) *ZDPV* (1913), p. 297.

(995) Freytag, *Arabum Proverbia*, vol. 3, p. 374.

(996) Bohlen, *Comm. De Motenabbio*, p. 29.

متخاصمتان يجب أن توضعا وجهًا لوجه، بحسب "قَصيدة"[997]: اِنتم سهيل اِلّ لُ تُلع وِبروج - حِنَّ القَمَر بِليلِة النُصف غَطّاه"، أي: "أنتم سهيل الذي لا يفتقر إلى تلاع وأبراج - نحن القمر الذي في ليلة منتصف الشهر (بدر) يغطيه"، وبذلك يجري التلميح إلى أن المرء قادر على الانتصار على الخصم، وعلى "سهيل" أن يصبح شاحب الوجه أمام البدر.

ربما كان الاستطراد هنا في مكانه للتعويض عما غفلتُ عنه في المقدمة، وهو توضيح أي عملية هي المقصودة في طلوع الكواكب وغروبها، بحيث يُفهَم ماذا تعني هذه الظواهر للمراقبين، وكيف يفهم الخروج (14:1) الأضواء المشعة المانحة للعلامة في حال كان لها علاقة بالنجوم. طبعًا، لا يتعلق الأمر هنا بالعملية الكونية بحد ذاتها، وإنما بِرؤيتها القابلة للإدراك، والتي تصبح ممكنة فحسب حين يكون الشفق قد تلاشى من السماء وبزغت النجوم. ولكن متى تحصل الخطوة الأخيرة؟ ذلك يعتمد على المناخ وحِدة نظر الراصد والفصل وحالة الأفق الطبيعي. ولهذا تكون البيانات المحسوبة تقريبية، وما يُرصد لا بد أن يكون متقلبًا. كل نجم ثابت لا يكون قريبًا جدًا من قطب السماء، بحيث يبقى في السماء بشكل دائم، يطلع ويغيب يوميًا في الفترة الفاصلة نفسها، لكنه يبقى غير قابل للإدراك ما دامت الشمس تنير السماء. ولأن الطلوع والغياب بحسب التوقيت الشمسي يحصلان في كل يوم أربع دقائق أبكر، فيجب أن يأتي يومٌ يحصل فيه طلوع النجم مباشرة قبل الفجر. وفي هذه الحالة، يتحدث المرء عن طلوع مبكر للنجم ذي الصلة (Schoch: Morgenerst [مفهوم فلكي خاص بالتعرف إلى النجوم الساطعة بالعين المجردة في الفجر]). ومع تراجع إضافي لوقت الطلوع نحو الليل، يأتي يوم يكون فيه غروب النجم في الوقت الذي تم ذكره للتو، وحينئذ يُطلق المرء على ذلك عبارة "غياب مبكر". وبشكل مشابه يتحدث المرء أيضًا عن ظهور متأخر وغياب متأخر (Schoch: Abendletzt [مفهوم فلكي خاص بالتعرف بالعين المجردة على النجوم الساطعة والتي تغيب بعد الشمس])، حين يطلع النجم أو يغيب مباشرة بعد تلاشي شفق الغروب. أما

(997) Dalman, *Pal. Diwan*, p. 348.

التسلسل الذي يحصل فيه هذا الظهور وهذا الغياب في سياق الأشهر، فهو ليس نفسه عند جميع النجوم. وإذا مكث نجم في السماء مدةً أطول من الوقت الذي يستغرقه ضوء النهار في الفصل ذي الصلة، حينئذ يحصل الغروب المتأخر بعد الطلوع المبكر، وهو ما لا يحصل في الأمثلة الواردة أدناه. وإذا كانت هذه الفترة أقصر، فإن الظهور المبكر يظهر بعد الظهور المتأخر، وفي غضون ذلك لا يُرى النجم ليلًا إطلاقًا. وفي حال كانت قابلية نجم للرؤية تدوم أطول من الليل، حينئذ يحصل غروبه المبكر بعد الطلوع المتأخر، كما يحصل في حال الثريا والدبران. وفي حال كانت أقصر، حينئذ سيكون التسلسل عكس ذلك، كما هي الحال مع الجوزاء والشعرى اليمانية والسهيل. وجميع هذه العمليات تكرر نفسها في كل سنة، وبياناتها تتزحزح بشكل تدريجيّ في سياق آلاف السنين نتيجة تأخر الاعتدالين أو تقدمهما.

وفي المقام الأول، كان الرصد الشعبي في الأزمنة القديمة، كما هي الحال اليوم، موجهًا إلى الطلوع المبكر لبعض الأجرام السماوية بعد فترة من الاحتجاب المطبق، ولذلك غالبًا ما يتحدث المرء ببساطة عن طلوعها ليس إلا. وهذا يعني أن النجم قد بدأ الدخول في السماء الليلي مجددًا. ويرصد المرء، جنبًا إلى جنب مع الطلوع المبكر، الغروب المبكر، وغالبًا ما يسميه غروبًا فحسب، والذي كان النجم قد حقق فيه سيطرة كاملة على سماء الليل. ومع الطلوع المتأخر في المساء، تبدأ هذه السيطرة بالاقتراب من نهايتها، والتي تكتمل بالغروب المتأخر. وقد تُظهر تأثير النجوم، بحسب قدومها وذهابها، قابليتها للرؤية في سماء الليل. وهي تختفي عند عدم قابليتها للرؤية، وتفسح في المجال لتأثير نجوم أخرى.

من أجل الحصول على صورة واضحة للمعطيات الزمنية السائدة، طلبت من معهد الحسابات الفلكية في برلين - دالم (Das astronomische Recheninstitut in Berlin-Dahlem) حساب أوقات بعض النجوم المهمة بشكل خاص لخط عرض القدس، وللسنوات 500 قبل الميلاد، وكذلك لحاضرنا. وقدَّم لي الفلكي كارل شوخ، مشكورًا، وهو مؤلف *Planetentafeln für jederman* لحساب

المواقع الجيومركزية للكواكب الكبيرة (وللقمر) للفترة الزمنية 3400 قبل الميلاد حتى 2600 بعد الميلاد (Berlin-Pankow: 1927, Linser-Verlag)[998]، المعلومات الواردة هنا، مع استكمال جداول عمله على تحويل تواريخ "اليوم" الغريغورية إلى التواريخ اليوليانية، إلى التقويم اليوناني- العربي.

الثريا

	500 قبل الميلاد	اليوم	
	يولياني	يولياني	غريغوري
طلوع مبكر	15 أيار/ مايو	29 أيار/ مايو	11 حزيران/ يونيو
غروب مبكر	3 تشرين الثاني/ نوفمبر	21 تشرين الثاني/ نوفمبر	4 كانون الأول/ ديسمبر
طلوع متأخر	30 أيلول/ سبتمبر	19 تشرين الأول/ أكتوبر	1 تشرين الثاني/ نوفمبر
غياب متأخر	7 نيسان/ أبريل	21 نيسان/ أبريل	4 أيار/ مايو

وبحسب جدول شوخ، في المرجع السابق، ص 15، والذي ينطبق على بابل ويُناظر خط عرضه سهل يزراعيل [مرج إبن عامر]، ربما كان، بحسب الأشهر البابلية، تاريخ الطلوع المبكر في سنة 500 قبل الميلاد هو 12 إرو (= إيّار)، وفي سنة 1000 قبل الميلاد 6 إرو، وفي سنة 2000 قبل الميلاد 22 نيسانُ، وفي سنة 3000 قبل الميلاد 8 نيسانُ[999]. وفي السنة صفر، حصل الطلوع المبكر في 18 أيار/ مايو (12 إرو)، والغروب المبكر في 7 تشرين الثاني/ نوفمبر، والطلوع المتأخر في 4 تشرين الأول/ أكتوبر، والغروب المتأخر

---

(998) مادة مهمة متوافرة في:

Sp. XXXIII ff.,

والصفحات 13-15 مخصصة لتوضيح علم الفلك البابلي، ولعدد من النجوم الثابتة.

(999) يُقارن أيضًا:

C. Schoch, *Ammizaduga*, p. 9,

مع معطيات ليست دائمًا صحيحة، ولذلك جرى تجاوزها في "جداول الكواكب". ويقدم:

Mahler, "Denkschrift der kais. Akad. D. Wisse.," *M. N. Kl.* (1895), p. 652,

لسنة 500 قبل الميلاد معطيات بدايات الأشهر البابلية (مع إضافة آذار/ مارس ثانٍ لهذه السنة)، والتي لا تتوافق مع تلك المفترضة لدى شوخ.

في 10 نيسان/ أبريل، أي أن عدم القابلية للرؤية تبلغ 38 يومًا[1000]. وبحسب جدول بابلي من سنة 75 قبل الميلاد، حصل الغروب المبكر للثريا في هذه السنة في 4 أَرَخ سَمنَ (= 9 تشرين الثاني/ نوفمبر)[1001].

وبحسب Geoponica I 9، حصل الطلوع المبكر في 23 نيسان/ أبريل حتى 7-19 أيار/ مايو، والغروب المبكر 24 تشرين الأول/ أكتوبر حتى 1 تشرين الثاني/ نوفمبر، والغروب المتأخر 1 نيسان/ أبريل. وبحسب Geoponica I 1، حصل الطلوع المبكر في 4 حزيران/ يونيو، والغروب المبكر في 2 تشرين الثاني/ نوفمبر[1002].

الدبران/ (α الثور)[1003]

	1000 قبل الميلاد	**السنة 0**
	يولياني	يولياني
طلوع مبكر	27 أيار/ مايو	31 أيار/ مايو
غروب مبكر	4 تشرين الثاني/ نوفمبر	11 تشرين الثاني/ نوفمبر
طلوع متأخر	26 تشرين الأول/ أكتوبر	1 تشرين الثاني/ نوفمبر
غروب متأخر	15 نيسان	21 نيسان/ أبريل

احتجاب 40-42 يومًا

(1000) بحسب
Boll, "Sitzungsberichte der Heidelb. Akad.," *Phil. Hist. Kl.* (1910), pp. 12f.; (1911), pp. 30f.,
توجد شهادات مصرية من القرن الثاني بعد الميلاد، والتي وفقًا لها احتُسب عدم قابلية الثريا للرؤية كونها تستمر من 1-5 نيسان/ أبريل حتى 9 أو 7-11 أيار/ مايو، أي 41 يومًا كحد أقصى.

(1001) Kugler, *Sternkunde und Sterndienst*, vol. 2, 471ff.

(1002) ص 40، بشكل خاطئ 4 تشرين الثاني/ نوفمبر.

(1003) بحسب
C. Schoch, *The "Arcus Visionis"*(1924), p. 6.
ولكن يُقارن جدول "Planaten-Tafeln"، ص 15، حيث يظهر 25 نيسان/ أبريل 3000 قبل الميلاد كونه تاريخ الطلوع المبكر، في حين يتم هنا ذكر 17 أيار/ مايو.

وفي Planaten-Tafeln ص 15، يذكر شوخ 25 إرو للطلوع المبكر في سنة صفر، 26 إرو في سنة 500 قبل الميلاد، 20 إرو لسنة 1000 قبل الميلاد، 7 إرو لسنة 2000 قبل الميلاد. ووفق القزويني، طلوع في 26 أيار/ مايو، غروب في 26 تشرين الثاني/ نوفمبر. وكخلف للثريا، يحمل النجم اسمه. وبحسب Geoponica I 9, IX 4، الطلوع المبكر للقلائص في 30 نيسان/ أبريل حتى 19 أيار/ مايو، والغروب المبكر في 15 تشرين الثاني/ نوفمبر.

منكب الجوزاء (α كوكبة الجبار)(1004)

	500 قبل الميلاد	العام 0
	بابلي	يولياني
طلوع مبكر	23 سِوانُ	26 حزيران/ يونيو (21 سوانُ)
غروب مبكر	---	25 تشرين الثاني/ نوفمبر
طلوع متأخر	---	29 تشرين الثاني/ نوفمبر
غروب متأخر	---	6 أيار/ مايو

احتجاب 51 يومًا

رجل الجبار [β رجل الجوزاء اليسرى]

	500 قبل الميلاد		اليوم
	يولياني	يولياني	غريغوري
طلوع مبكر	29 حزيران/ يونيو	30 حزيران/ يونيو	13 تموز/ يوليو
غروب مبكر	7 تشرين الثاني/ نوفمبر	17 تشرين الثاني/ نوفمبر	30 تشرين الثاني/ نوفمبر
طلوع متأخر	4 كانون الأول/ ديسمبر	10 كانون الأول/ ديسمبر	23 كانون الأول/ ديسمبر
غروب متأخر	20 نيسان/ أبريل	27 نيسان/ أبريل	10 أيار/ مايو

احتجاب 70 يومًا

(1004) هذا بحسب
Schoch, *Arcus Visionis*, p. 6; Schoch, *Ammizaduga*, p. 9.

وتحدد I 9 الطلوع المبكر لرجل الجبار في 23 حزيران/ يونيو حتى 10 تموز/ يوليو، والغروب المبكر في 1 تشرين الثاني/ نوفمبر، والغروب المتأخر في 29 نيسان/ أبريل.

الشعرى اليمانية

	500 قبل الميلاد		اليوم
	يولياني	يولياني	غريغوري
طلوع مبكر	18 تموز/ يوليو	21 تموز/ يوليو	3 آب/ أغسطس
غروب مبكر	25 تشرين الثاني/ نوفمبر	30 تشرين الثاني/ نوفمبر	13 كانون الأول/ ديسمبر
طلوع متأخر	31 كانون الأول/ ديسمبر	5 كانون الثاني/ يناير	18 كانون الثاني/ يناير
غروب متأخر	13/ 14 أيار/ مايو	16 أيار/ مايو	29 أيار/ مايو

حصل الطلوع المبكر، بحسب شهور بابلية وسطى، في سنة صفر في 15 دوزُ (تموز/ يوليو)، 500 قبل الميلاد في 18 دوزُ، 1000 قبل الميلاد في 13 دوزُ، 2000 قبل الميلاد في 5 دوزُ، 3000 قبل الميلاد في 27 سِوانُ. والطلوع المبكر في سنة صفر في 19 تموز/ يوليو، والغروب المبكر في 26 تشرين الثاني/ نوفمبر، والطلوع المتأخر في 1 كانون الثاني/ يناير، والغروب المتأخر في 14 أيار/ مايو. احتجاب 65 يومًا.

وقد حدد جدول بابلي من سنة 76 قبل الميلاد الطلوع المبكر في 7 دوزُ (18 تموز)، والطلوع المتأخر في 27 كِسلِمُ (31 كانون الأول/ ديسمبر)، والغروب المتأخر في 2 إرو (13 أيار/ مايو)[1005].

وبحسب Geoponica I 8, 9، يُقارن II 15، طلوع مبكر في 19 و20 و24 تموز/ يوليو، وغروب مبكر في 22 تشرين الثاني/ نوفمبر. ويُحدد علم تنجيم عربي 19 تموز/ يوليو كطلوع مبكر[1006].

(1005) Kugler, *Sternkunde und Sterndienst*, vol. 2, pp. 471ff.

(1006) Dickson, *PEFQ* (1908), p. 147.

السهيل (α Argonis)

	500 قبل الميلاد		اليوم
	يولياني	يولياني	غريغوري
طلوع مبكر	3 أيلول/ سبتمر	24 آب/ أغسطس	6 أيلول/ سبتمبر
غروب مبكر	26 تشرين الأول/ أكتوبر	18 تشرين الأول/ أكتوبر	31 تشرين الأول/ أكتوبر
طلوع متأخر	14 شباط/ فبراير	6 شباط/ فبراير	19 شباط/ فبراير
غروب متأخر	11 نيسان/ أبريل	2 نيسان/ أبريل	15 نيسان/ أبريل

احتجاب 145 يومًا

بناء عليه، يكون الطلوع في جميع الأحوال مبرَّرًا، بحسب فايدنر[(1007)]، حين تكون الثريا عند البابليين مُلمُل، كوكب إرو (إيّار). وفي حال فكر المرء، في ما يتعلق بكواكب الشهر، في موعد ظهورها المبكر، يتوقع حينئذ الجوزاء في سِوانُ، في حين أن فايدنر يسوي بين جُ- أن- نَ (Gu- an- (na هذا الشهر والدبران، والذي حصل طلوعه المبكر، وفق جداول شوخ في العام صفر في 25 إرو، وفي سنة 3000 قبل الميلاد تراجع حتى 25 نِسانُ. والجوزاء عزاها فايدنر إلى دوزُ (Duzu)، في حين أن المرء في حال سِب- زِ- أن- نَ (Sib-zi-an- na) يميل إلى التفكير في الشعرى اليمانية. ويُسمي فايدنر كَك- سِ- دِ (Kak- si- di) أبُ، في حين تُرجح جداول شوخ الكلب الأكبر الذي طلع في العام صفر في 2 أبُ = 5 آب/ أغسطس. إلا أن الأمور تختلف حين لا يكون العامل المحدد وقت الطلوع المبكر للنجوم، بل الموقع الأعلى للنجوم القابل للرؤية في سماء الليل بعد ذلك بحوالى 14 يومًا. حينئذ تكون الثريا لا تزال للعز ولإرو، والدبران يمكنه الانتماء إلى سِوان، والجوزاء إلى دوزُ (تموز/ يوليو)، والشعرى اليمانية إلى أبُ (آب/ اغسطس)، وهكذا ربما كان المقصود

(1007) Weinder, *Handbuch der babylon. Astronomie*, vol. 1, pp. 93ff.; يُقارن: Jeremias, *Handbuch der oriental. Geisteskultur*, pp. 129, 259, والذي وفقًا له تظهر الجوزاء في تموز/ يوليو، والشعرى اليمانية في أب (آب/ أغسطس).

فعلًا بنجوم الأشهر البابلية. ويختلف الأمر بالطبع حين يعتبر العرب طلوع النجوم علامة، على الرغم من أن في الواقع الحياتي، غالبًا ما لا يكون الطلوع المبكر نفسه هو العلامة المحددة، وإنما رصد يحصل مرة واحدة في الوقت الذي يعقب ذلك للنجم الموجود في السماء.

في ضوء المعلومات المذكورة أعلاه عن تواريخ النجوم، عليَّ استكمال ما ذُكر في السابق عن الغروب المبكر للثريا وطلوع الثريا المبكر وتصحيحه[1008]؛ ففي ص 181، تحدثتُ بشكل غير صحيح عن بداية الرؤية الليلية مع موعد الطلوع المتأخر للنجوم، والذي لا بد أن يُشك في صحته، في حال اعتُبر مؤشرًا على عاصفة دانية. ولأن الأمر يتعلق، في حال مطر الثريا، بِالغروب المبكر للثريا، فالآن، في 21 تشرين الثاني/ نوفمبر (التقويم اليولياني)، يود المرء، في حال الجوزاء والشعرى اليمانية، أن يفكر في الغروب المبكر في 25 تشرين الثاني/ نوفمبر أو 30 تشرين الثاني/ نوفمبر (التقويم اليولياني)؛ فالطلوع المتأخر في 29 تشرين الثاني/ نوفمبر أو 5 كانون الثاني/ يناير لن يكون كافيًا في أي حال لتوضيح تاريخ 18 شباط/ فبراير لمطر "الشعرى" (ص 488). والطلوع المتأخر للسهيل وحده سوف يقود إلى شباط/ فبراير. والاستعلام في المكان نفسه يمكن وحده أن يوضح المسألة. وفي أي حال، ما يُرصد هو الغروب المتأخر واحتجاب الثريا بصورة كاملة، وهو ما جرى تناوله في ص 285 وما يليها. وهناك، كان من الممكن أن يُذكر أنه في حال عدم قابلية الثريا للرؤية طوال 50 يومًا، فلا يزال جديرًا بالملاحظة أن طلوعها المبكر يمكن أن يحصل حوالى 50 يومًا بعد الاعتدال الربيعي. وبحسب جداول شوخ، ينطبق هذا على سنة 500 قبل الميلاد، حيث صادف الاعتدال الربيعي في 22 أذّارُ[1009]، إلا أن الفجوة تتقلص بشكل كبير في الماضي البعيد البعيد، وتزداد كلما تقدَّم الزمن (سنة صفر: 57 يومًا، سنة 1000: 44 يومًا، سنة 2000: 29 يومًا، سنة 3000: 15

(1008) ص 23، 38 وما يليها، 48، 123 وما يليها، 166 وما يليها، 284 وما يليها، 294 وما يليها، 308، 315، 413 وما يليها، 419، 422، 460 وما يليها.

(1009) يُنظر أيضًا:

Kugler, *Sternkunde und Sterndienst, Ergänzungen*, p. 5.

يومًا). كما أن اعتراضي في ص 285 على 13 أيار/ مايو (التقويم الغريغوري) كونه وقت الطلوع المبكر للثريا، كان خاطئًا، لأنه يجب أن يكون قد حصل في فلسطين بين 18 و29 أيار/ مايو (التقويم اليولياني)، أي أن تاريخ 13 أيار/ مايو الذي حدده القزويني لم يكن متأخرًا جدًا. إن 38 يومًا، لا 42 يومًا، وهي فترة احتجاب، ستكون هي الصحيحة، بحيث تبدو الزيادة لدى القزويني إلى 50 يومًا مبالغًا فيها، على الرغم من أن المكان الذي من المفترض أن تنطبق عليه غير معروف.

سبق أن تعرضنا في الصفحات 15 و125 وما يليها للغروب المبكر للقلائص، أو "الدبران"، وطلوعهما المبكر في الصفحات 286، 295، 485. وحتى مع حزيران/ يونيو شهرهما، بحسب التصورات البابلية (يُنظر أعلاه)، لن يؤدي طلوعها إلى علاقة مختلفة عما هو مفترض في ص 495.

وفي العهد القديم، تظهر بشكل أساسي "كيما" و"كِسيل" (عاموس 5:8؛ إشعيا 10:13؛ أيوب 9:9، 31:38)، وهما كوكبان يُرصدان، ويستطيع المرء الافتراض أنهما أمارات مهمة على مجرى أحداث السنة وعلى الزراعة؛ فمن أيوب (31:38) يستدل أن كلاهما مؤلّف من نجوم عدة، ومؤلَّف، بحسب مدراش تَدشه 6 [مدراش صغير يبدأ بتفسير التكوين 11:1]، من سبعة نجوم. وفي المضمار اليهودي، نواجه التصور القائل إن "كيما" تربط الثمار، و"كِسيل" تسحبها من عقدة إلى عقدة[1010]. وفي مكان آخر، ليس غير "كيما" التي تقوم بطبخ الثمار وتمنحها طعمها[1011] و"لو لم توجد حرارة 'كِسيل' لما استطاع الكون الوجود لبرودة 'كيما'، كما يرد في التلمود"[1012]. "كيما" إذًا هي نجم

(1010) Ber. R. 10 (19ᵇ).

"معَدِنِت"، التي تستند إلى أيوب 31:38، يجب أن تفهم بالضرورة هنا بحسب "مَعدان" "عقدة".

(1011) Bem. R. 10 (72ᵇ).

(1012) b. Ber. 58ᵇ,

يُقارن أعلاه، ص 39؛

Hamburger, *Real-Enzyklopädie*, vol. 2, p. 81,

يعزو بشكل خاطئ جملًا (b. Ab. z. 28ᵇ, Chang. 5ᵃ)، تنطبق على النحل والعقارب إلى الكواكب (الجوزاء والعقرب).

بارد يتسبب بالبداية الأولى لتشكّل الثمار، ويلطف الحرارة خلال فترة "كِسيل" بشكل يعود بالنفع. وبذلك تكون "كِسيل" نجم حرارة يُكمل تكون الثمار. ولكن بحسب الاعتقاد الوارد في ص 39، من خلال تأثيره الممتد إلى مجال "كيما"، فإنه يجعل من البرد أكثر احتمالًا. وبحسب المدراش تَدشه 6 [يُنظر أعلاه]، فإن غروب "كيما" هو موعد حرث الزرع، وطلوعه موعد الحصاد. ولهذا الطلوع، على ما يبدو، صلة بنمو الثمار. وكل شيء صحيح[1013] إذا كانت "كيما" هي اسم الثريا الذي كان قد دار في خلد السبعونية والصيغة السريانية وسعديا والفلكيين اليهود في العصور الوسطى[1014] بالنسبة إلى "كيما"؛ فطلوعها المبكر في أيار/ مايو هو أمارة على الحصاد، وموضعها في السماء خلال الصيف يمكن تفسيره بأنه ملطف للحرارة. ويبقى السؤال: أي نجم صيفي يجب أن يأتي بالحسبان بالنسبة إلى "كِسيل"؟ الجوزاء عند البابليين هي نجم شهر دوزُ (تموز/ يوليو) والشعرى اليمانية هي نجم أبُ، حيث يهبط إله النار من السماء ويضع نفسه في مستوى إله الشمس[1015]، وهذا يُزكي الشعرى اليمانية عند "كِسيل"، مع أن سعديا والقرّائين[1016] يفكرون بِـ"سهيل" الذي لا يطلع قبل أيلول/ سبتمبر، وهو نجم يأتي بالبرودة[1017]. وقد اعتبرت السبعونية والصيغة السريانية "كِسيل" هو الجوزاء، مشيرين بالتالي إلى نجم أول أو أواسط أشهر الصيف، علمًا بأن الشعرى اليمانية، التي يعتبرها هوميروس وإليانوس والقزويني ومؤلفو المعاجم السريان[1018] كلب الجوزاء، تعود إليه

(1013) يُقارن أعلاه، ص 38 وما يليها، 123، 286، حيث تشير إلى ذلك أيضًا البرودة في وقت طلوع الثريا.

(1014) Cohn, *Jahrb. d. Jüd. Lit. Ges.*, vol. 17 (1926), p. 153.

(1015) Weidner, *Handbuch d. babylon. Astronomie*, vol. 1, pp. 92ff.,

يُقارن أعلاه، ص 495.

(1016) Pinsker, *Liqqute Qadmoniyyot*, p. 210;

وكمعتقد يهودي يروي ذلك أيضًا:

Niebuhr, *Beschreibung von Arabien*, pp. 114f.

(1017) يُقارن ص 489.

(1018) يُنظر:

Payne Smith, *Thes. Syr.*,

أدناه *ganbara* و *kalba*.

حيث يذكر 19 "تموز" كوقت الطلوع في الـ "عراق".

من حيث المبدأ، بحيث تبقى الفرصة قائمة لتحديد "كِسيل" حتى لو فكر المرء بالشعرى اليمانية، كـ"شخص" غير لبق مع الجوزاء الـ"عملاق" (بالعربية "الجِبّار"، بالسريانية "جَنبارا"). أما السهيل الذي لم يكن البابليون يعرفونه، فكان معروفًا في دول الساحل الشمالي للبحر المتوسط كنجم من الجنوب[1019]. وهو، وفق بلينيوس[1020]، قابل للرؤية في الجزيرة العربية في تشرين الثاني/ نوفمبر، وفي مروي (منطقة النوبة في شمال السودان) بضعة أيام قبل السماك الرماح، الذي بحسب Geoponica I 9، يطلع في المنطقة اليونانية في 15 أيلول/ سبتمبر، وبحسب شوخ[1021] في بابل في 26 أيلول/ سبتمبر في سنة صفر. والأمر يختلف كليًا بالنسبة إلى الشعرى اليمانية، نجم الكلب؛ فهي معروفة على نطاق واسع كونها علامة وسببًا لأحرّ أوقات السنة[1022]. وقد سبق أن عرف هوميروس ذلك[1023]، في حين يروي هيسيود[1024]، كيف تجفف بحرارتها رُكَب الناس ورؤوسهم وتحرق جلودهم، حتى يضطر عامل الحقل إلى البحث عن ملاذٍ في ظل صخرة لتناول وجبته. وتنذر نبوءات سيبيل (5 و526) بنهاية العالم، حيث سيبتعد الكلب عن لهب الشمس الجبارة التي ينتمي إليها، كما يبدو. وفي العالم الروماني، يتحدث هوراس[1025] وفيرجيل[1026] وآخرون عن

(1019) يُنظر:

Vitrux IX 5,4.

(1020) *Hist. Nat.* II, 178.

(1021) Schoch, *The Arcus Visionis*, p. 6;

يُقارن:

PlanetenTafeln, p. 15:25 Elul.

(1022) يُقارن:

Röhr, *Philologus*, vol. 78 (1928), pp. 285ff.

حيث تأتي الشعرى اليمانية، عند اليونانيين، بالحر صيفًا، وبالريح والبَرَدِ والثلج شتاءً، في أن الجوزاء تُعتبر سبب العواصف صيفًا وشتاءً.

(1023) Il. V 5, XXII 29 ff.

(1024) Hesiod, *Opera et Dies*, pp. 582f., 587ff.;

يُقارن ص417 وما يليها.

(1025) Sat. I 7, 25, Ep. I 10, 16.

(1026) Aen. X 273 ff.

"أيام الكلب" (dies caniculares) الخطرة التي تشير إليها أيضًا Geoponica[1027] كونها فترة حارة ذات أهمية زراعية. وقد احتُسبت فترتها من 13 تموز/يوليو حتى 13 أيلول/سبتمبر وحُددت بِـ 64 يومًا[1028]. وفي مصر، اعتبر المرء كلب الجوزاء علامة على فيضان النيل[1029] الذي يُحتفل به حاليًا بين 6 و16 آب/أغسطس من خلال تدشين احتفالي لإحدى القنوات[1030]. ومن الطلوع المبكر للشعرى اليمانية فصاعدًا، احتسب المصريون، بحسب فريزر[1031]، سنتهم المقدسة. وبحسب جالينوس، يبدأ معها "وقت الثمار" (*οπωρα*) ويستمر حتى طلوع السماك الرماح[1032]، ويطلِق عليه هوميروس *αστηρ οπωρινος* "نجم فصل الثمار"[1033].

و"أيام الكلب" تناظرها "أيام الخوف" (بالآرامية "يومين دِ- عاقا") الحارة العائدة إلى التقليد اليهودي، والتي تستمر من 17 تموز/يوليو حتى 9 أب (آب/أغسطس)، حيث يفترض خلالها أن يوجه المعلمون عنايتهم

(1027) VII 10, VIII 27, X 55; يُقارن: III 7, XIII 5.

(1028) Pap., بحسب Du Cange, *Glossarium*, canicularis أدناه.
شَبَه غريب هو فترة 62 يومًا بلا مطر ولا ندى، وتمتد من 23 حزيران/يونيو حتى 24 آب/أغسطس، وملائمة للدراس، *Geopon.* III 6, 11.
والبداية مرتبطة بطلوع الجوزاء في 23 حزيران/يونيو، والنهاية مرتبطة بغروب كوكبة القوس والرامي في 25 آب/أغسطس، *Geopon.* I 9.

(1029) Aelian, *De nat. anim.* X 45.

(1030) Lane, *Customs*, vol. 2, p. 227, يُقارن: Kazwini, *Kosmographie*, I, p. 185; Margoliouth, *Liturgy of the Nile*, pp. 15ff.

(1031) Fraser, *Adonis Attis Osiris*[2], p. 287.

(1032) يُقارن ص 48.

(1033) *Iliad*, V 5.

إلى تلاميذهم[1034]. وهنا ربما فكر المرء بعفريت كان قويًا بشكل خاص خلال هذه الفترة، إلا أن صلة فلكية لا بد أنها كانت السبب وراء هذا التأريخ. وربما أشار أحدهم إلى "النِثرة"، أي إلى جزء من السرطان الذي يعني ظهوره في 17 "تموز"، بحسب القزويني، الحر الأسوأ[1035]، خصوصًا أن المعتقد اليهودي يجعل السرطان (بالعبرية "سَرطان") نجم تموز/ يوليو[1036]. وفي أي حال، يستطيع المرء الإشارة إلى النجم "نَعمون" الذي من خلال نافذته تطلع الشمس في بداية التقوفا الخاصة بتموز/ يوليو، أي الصيف، بحسب التقليد اليهودي[1037]، الذي ربما فكر أحدهم بصدده في عطارد (هرمس) الذي يسمى عادة، وببساطة، "كوخاب"، أي "كوكب"[1038]، ولكن الأمر يتعلق على الأرجح بالطلوع المبكر للشعرى اليمانية الذي يعود إلى الأيام 15-21 تموز/ يوليو. وربما كانت نهاية "أيام الخوف" على صلة بطلوع نجم المليك الذي حصل، بحسب شوخ[1039] في سنة صفر في 11 آب/ أغسطس، وفي سنة 1000 قبل الميلاد في 5 آب/ أغسطس.

بناءً على ذلك، يُشير "كِسيل" إلى الشعرى اليمانية على أنها كلب الجوزاء. ولأن الكلب الكبير، بحسب القزويني، يتألف من 18 نجمًا، ويمتلك

(1034) Echa R. 1, 3 (27b), Bem. R. 12 (87b), Midr. The. 91, 6,

يُقارن أعلاه، ص 484.

(1035) يُنظر أعلاه، ص 486. يُقارن:

Dickson, *PEFQ* (1908), p. 254; Lane, *Customs*, vol. 2, p. 224,

حيث يأتي 21 حزيران/ يونيو في القاهرة بِـ "ليلة السرطان".

(1036) Pirke R. Eliezer 6, Pes. R. 20 (95b), 27 (133b).

(1037) Pirke R. Eliezer 6,

يُقارن أعلاه، ص 47.

(1038) هكذا أيضًا:

Pirke R. Eliezer 6

(يُقارن b. Sabb. 156a). وفي .Ibid، يجري التمهيد للخريف والشتاء لدى الزهرة وزحل، بحيث لا بد أن هناك كواكب تنتمي إلى فصول السنة الأخرى. "تَعلوما"، جالب الضوء بحسب أيوب 28:11، يُعزى إلى الربيع. كما يترجم الترجوم: "ميحَرَكّا دِتَعلوما يَبّيق نِحورا": "من نافذة "تعلوما" يترك الضوء ينفذ". وتتضمن I 12 Geoponica علاقات مشابهة بين الأشهر والكواكب.

(1039) *The "Arcus Visionis,"* p. 6.

ستة نجوم من المرتبة 1-3، فهو يلائم تعدد النجوم عند "كِسيل". والثريا مؤلفة، بحسب القزويني من ستة نجوم. إلا أن المرء يستطيع بالعين المجردة في الليالي الصافية رصد سبعة إلى عشرة نجوم، ما يعني أن الصورة الأشورية ذات النجوم السبعة التي يعلق عليها فايدنر صحيحة[1040]، كما أنها تلائم الرأي اليهودي المذكور أعلاه، على الرغم من أنه لا يجوز التغاضي عن حقيقة أن الجوزاء التي تنتمي إليها ستة نجوم من المرتبتين الأولى والثانية، كانت تُعتبر سباعية النجوم[1041]. ذلك أن الثريا تُعتبر سببًا للبرد، فلا بد أن لذلك علاقة بغيابها المبكر في تشرين الثاني/نوفمبر والذي به تمهد لحلول الشتاء[1042]. أما طلوعها المبكر في أيار/مايو الذي يمهد لحلول الصيف[1043]، فسوف يعني حينئذ التأثير في الصيف الذي يرفع من حرارته الطلوع المبكر للشعرى اليمانية، في حين أن غروبها المبكر في نهاية تشرين الثاني/نوفمبر يعني تأثيرها في الشتاء من خلال حرارتها. مثل هذه الأفكار لا بد أنها وقفت، عند عاموس وأيوب، خلف ذكر "كيما" و"كِسيل"، وليس مجرد الإعجاب بلمعانهما في ليل من دون قمر، مثلما تكرر حدوث الأمر معي عندما كنت مساءً أنظر إلى السماء من أمام خيمة السفر الخاصة بنا. شَعْبٌ تَتْبعُ أشهُرُه القمرَ مجبر على تقسيم مسار العام من خلال وسائل أخرى في الوقت ذاته؛ فافتراض أن النجوم تتمتع بتأثير في بعض الأمور، معلنة قدومها وذهابها، ربما أدى إلى المغالاة في تقدير قوتها وعزو إجلالٍ إلهي إليها (الملوك الثاني 21:3-5، 23:4 وما يلي؛ إرميا 7:18، 19:13، 44:17؛ عاموس 5:26؛ صفنيا 1:5؛ أخنوخ 80:7). لقد عرف القزويني أنه حتى خلال عهد العرب بعبادة الأوثان، قدّس الناس الشعرى اليمانية بشكل إلهي[1044]. ومن هنا وجد القرآن سببًا (53:50) للتشديد على أن الله هو رب الشعرى اليمانية "رَبّ الشِعرَى" [سورة النجم، الآية 49]. وقد نظر

(1040) *Archiv für Orientforschung* (1927), table V 1,

يُقارن ص 73، 78.

(1041) *Jeremias, Handb. d. orient. Geisteskultur*, p. 129.

(1042) ص 38 وما يليها.

(1043) Ibid.

(1044) Kazwini, *Kosmographie*, I, p. 39.

العهد القديم والعهد الجديد إلى النجوم على أنها خاضعة للرب وهو خالقها (التكوين 14:1 وما يلي؛ إشعيا 26:40؛ يُقارن التثنية 19:4، 3:17؛ متّى 29:24؛ مرقس 25:13؛ كورنثوس الأولى 40:15 وما يلي). وهذا لا يستثني ظهورها أحيانًا كقوى مستقلة، وهي في القضاة (20:5) تأتي بالمطر، وتلج المشهد الدنيوي بصورة مقاتلين. وحين نزلت إلى الأرض، كما في أخنوخ (88:86)، تتصرف بطريقة أبناء الرب كما في التكوين (2:6 وما يلي)، وكما في أخنوخ (15:18، 6:80)، وتستطيع عصيان النظام الإلهي الذي يقوم عليه مسارهم وعلى ذلك يتلقون عقابهم (يُقارن إشعيا 21:24 وما يلي).

ج. ضوء وظل وغيوم

من الشمس يأتي ضوء النهار (بالعربية "نِهار"، "فَضا")، كما يشهد على ذلك التكوين (16:1) ويعرفه كل فلسطيني. إلا أن شمس الصيف وشمس الشتاء في فلسطين أكثر اختلافًا في حدة الضوء مما هي الحال عندنا [في ألمانيا]؛ فالهواء الخالي من السديم والتغييم الضعيف يشكلان في الصيف كوابح صغيرة للضوء. والشمس البازغة ليست حمراء، بل ساطعة تعمي البصر (سيراخ 16:42) كما دوّنتُ ذلك حتى في 22 تشرين الأول/ أكتوبر 1910 صباحًا في الساعة 5:49 لشمس الخريف؛ فظهورها يشبه ظهور زوج شاب مسرور يأتي من مخدع الزوجية (سعديا: "حَجلَتُهُ") (المزامير 6:19). وضوء النهار شديد في الصيف إلى درجة أن إسدال الستائر على النافذة لا يمنع من بقاء البيت في الداخل ساطعًا إلى حدٍ كافٍ. وفي النهار، في حال عُميت الأبصار جراء انعكاسات الضوء من الأرضية الطباشيرية، يتولد لدى المرء إحساس كما لو كانت العين تحترق في تجويفها، وهو ما كان سيراخ (4:43) يدركه؛ فانتشار التراخوما الواسع في فلسطين مرده، إضافة إلى أمور أخرى، إلى التهيج المتكرر لملتحمة العين[1045]، وقد بدا لي، بعد أن اعتادت العين سطوع ضوء الشمس الفلسطيني، أن الحماية من الانعكاسات الآتية من الأسفل أكثر أهمية من حمايتها من الإشعاع المباشر الذي يسببه عدم الرؤية عند دخول المرء البيت.

(1045) Schneller, *Krankheiten Palästinas*, p. 87.

فالهواء الخالي من السديم يُحدث انتقالًا سريعًا على نحوٍ لافت من النهار إلى الليل، ومن الليل إلى النهار. ويدوم الشفق حوالى ساعة واحدة فقط. وفي 16 أيلول/ سبتمبر 1921، دام غياب قرص الشمس من الساعة 5:50-6:15 مساءً في القدس. وفي 6:30، كان أول النجوم قابلًا للرؤية. وهناك سبب يقف خلف رغبة العربي في عدم البقاء في الخارج وقتًا طويلًا بعد غروب الشمس؛ فإذا كانت السماء ملبدة بالغيوم، يخيم ظلام دامس بسرعة يبعث على الخوف. وقد حصل مساءً، حتى في طريق معروفة، أن فضّلتُ الترجل عن الحصان واستعارة مصباح تجنبًا للاصطدام بكتل صخرية وإضاعة الطرق كليًا. ولكن، حين تكون السماء صافية، تكون النجوم، بلا ريب، قابلة للرؤية بأعداد كبيرة (التكوين 5:15) إلى درجة يصعب معها التعرف إلى الكواكب بينها(1046)، ولاحظت مرتين أن الزهرة طرحت ظلًا(1047)؛ ففي الليلة التي يكون القمر بدرًا تكون الزهرة ساطعة بشكل ساحر(1048)، بحيث يستطيع المرء القراءة دونما صعوبة. وحتى القمر الجديد الذي يحظى باهتمام أكبر(1049)، بدائرته شبه المغلقة، وإمكانية تمييز الجرم السماوي كله، يتمتع بمقاس مختلف كليًا عما هو عندنا [في ألمانيا]. وبلا ريب، تربط الخرافة أخطارًا شتى بضوء القمر، وهي أخطار لها في الواقع أسباب أخرى (ص 13). وعلى سبيل المثال، عندما يُفترض أن النوم في ضوء القمر، حين يكون بدرًا، خلال تقوفات [فترة] تموز أي من تموز/ يوليو حتى اِيلول/ سبتمبر، فإنه يسبب حمى (بالعبرية "أحيلو")(1050)، على الرغم من أنه لا بد من أن تكون البرودة الليلية هي السبب الحقيقي. والضوء الكامل لِـ"المصباحين الكبيرين" [الشمس والقمر] يُفتَرض حين يجري إصدار أحكام بحق أناس أو أشياء(1051): "أحسن من الشمس والقمر" و: "أَنْهَ مِن القَمَرين"، أي: "أكثر اكتمالًا

(1046) يُقارن ص 110.

(1047) في 23 تشرين الأول/ أكتوبر 1910 في القدس، وفي 23 حزيران/ يونيو 1900 على ظهر السفينة مقابل لبنان.

(1048) عن تأثير ضوء القمر، يُنظر ص 12.

(1049) يُقارن ص 10 وما يليها.

(1050) b. Gitt. 70a.

(1051) Freytag, *Arabum Proverbia*, vol. 1, pp. 202, 411; vol. 3, p. 292.

من القمرين (الشمس والقمر)"، أو: "أضوَ مِن الشمس"، أي: "أكثر سطوعًا من الشمس". وشخص "يعتم عين الشمس" ("بِسِدّ عين الشمس")[1052] لا بد أن يكون قد بلغ درجة كبيرة من الكمال. إنها حكمة حقيقية تتعالى على الشمس (الحكمة 29:7)، إلا أن عين الرب أكثر سطوعًا بعشرة آلاف مرة من الشمس التي ترى كل شيء (سيراخ 19:23). وإذا كان الرب بالنسبة إلى الورِع شمسًا وترسًا (المزامير 12:84)، حينئذ تكون طريقه في الحياة ساطعة بلا ظلال، ويكون في الوقت نفسه محميًا من جميع المخاطر. وحين يطلع الضوء ساطعًا مثل الظهر في الظلام من أجل شعب الرب (إشعيا 10:58، يقارن 1:9)، حينئذ ستكون هناك نهاية لضيق الشعب. وعبارة أن الأبرار سيسطعون كالشمس تعني أن الواقع المقبل لمستقبل عظيم سيكون على النقيض من الحاضر الباهت (متّى 43:13؛ يُقارن دانيال 3:12)؛ فالعالم الحالي سوف يجري تجاوزه حين يصبح القمر ساطعًا مثل الشمس، وضوء الشمس سيتضاعف سبع مرات (إشعيا 26:30) حين يُخجِل حكم الله في صهيون الشمسَ والقمرَ (إشعيا 23:24) أو حين تُستبدل الشمس والقمر بنور الله ونور الحمل (إشعيا 19:60 وما يلي؛ رؤية 23:21). وعندما يفكر المرء بضوء الشمس والقمر في فلسطين، حينئذ يعلم أن من غير الممكن تصور عالم أكثر سطوعًا منه. ومن الضوء تنبعث طاقة مانحة للحياة، كما يصف القزويني[1053] صعود الشمس، والتي من دون ضوئها لا يمكن أن ينمو شيء. وهذا ما يُفترض في ملاخي (20:3)، حين يُقارن عدالة الرب الشافية بشمس تشرق بعد ليلة مظلمة، وتأتي بالشفاء معها[1054]. وخلف هذه الكلمات يقف الابتهاج بالضوء والخوف من الظلام؛ فمن يأتي في الصيف من الشرق، يتعجب، أولًا في شمال إيطاليا، فما بالك في تيرول [مقاطعة نمساوية]، من قلة الضوء في السماء وفي المشهد الطبيعي. والذين يعيشون قريبًا من بحر البلطيق [في شمال أوروبا] كثيرًا ما يستحوذ عليهم الشوق إلى عالم مليء بالضوء، حتى لو كان يشبه

(1052) Bauer, *Das Pal. Arabisch*[4], p. 255.

(1053) Kazwini, *Kosmographie*, I, p. 25.

(1054) فُسِّرت بنوع من الحذلقة، حين يبرز، b. Taan. 8[b] أن شمس السبت نعمة للفقير الذي يستمتع بها بشكل خاص. يُنظر أيضًا أعلاه، ص 484.

عالم فلسطين. إن عبادة الشمس والقمر، حين كانت يومًا ما حقيقة في القدس (الملوك الثاني 11:23؛ إرميا 2:8؛ حزقيال 16:8؛ سوكوت 4:5)، تُعتبر في أيوب (26:31 وما يلي)، خطرًا قد يخضع له المرء بسهولة كما خضع آخرون. وصور الشمس والقمر على الأواني وضعت الناس حتى في العهد الروماني أمام السؤال الجدي: هل يشكل وضعها في البيت عملًا وثنيًا أم لا؟[1055]، وقد اعتُبر وجودها على قطع النقود المعدنية غير مؤذٍ. ومع ذلك، فمن وجد قطعة نقود معدنية عليها صورة الشمس والقمر وجب عليه القذف بها إلى البحر الميت[1056] حتى لا تتسبب بتعثر ضرير (سفر اللاويين 14:19؛ يقارن b. Ab. z. 6ª f.).

إن الضوء الشديد، حيث لا انعكاسات، يعني ظلًا عميقًا. ومثل هذا الظل (بالعربية "فيّ"، باللهجة البدوية "ظل"، بالعبرية "تصيل")، خاصة عند الظهر، سيكون ملاذًا لا مثيل له (إشعيا 3:16). وستكون غيمة مانحة للظل، كما يجري توقعها في إشعيا (5:25)، عونًا كبيرًا. ولكن عند الظهر، حين يكون المرء في أمس الحاجة إليها، فإن آخر شيء يمكن توقعه هو الغيمة، إلا إذا رافقتْ المترحل لتحميه من الشمس، كما حصل قديمًا في الصحراء بفضل معجزة (العدد 34:10؛ المزامير 39:105؛ إشعيا 5:4)، والتي كانت، وفقًا للتقليد اليهودي، مفيدة بشكل خاص للأعرج والضرير ومن يُعاني السيَلان المنوي وكذلك المجذوم[1057]. وعلاوة على ذلك، فإن ظل غيمة زائلًا (المزامير 4:144) لا يشبه ظل الجدار ولا ظل الشجرة[1058]. وفي الصيف، يفضل العربي ظل الشجرة على ظل الجدار[1059] لأنه يود الاستمتاع بالنسيم الذي يهب. وظل شجر الزيتون والبطم مرغوبًا فيه، وبناء عليه ليست مصادفة

(1055) Ab. z. III 3,

هجِمَرا [الجمارا]

j. Ab. z. 42d,

تستثني هنا كواكب.

(1056) Tos. Ab. z. V I.

(1057) Siphre Num 83 (22a), Midr. Tann.

عن العدد 34:10 (ص 79).

(1058) Ber. R. 96 (206ª).

(1059) يُقارن المثل ص 59.

أن هوشع (13:4) يمدح شجرة البطم، ويمدح (7:14 وما يلي)[1060]، شجرة الزيتون كأشجار مظللة. وفي إشعيا (10:52)، حين يشار إلى شجرة زيتون ("رَعَنَان")، التي قمت بترجمتها في ص 66 وفي أماكن أخرى بِـ"أخضر"، يفكر الترجوم بغصونها الكثيرة حين يستخدم "عَبّوف"، أو بشكل أصح "عَنّوف"، في حين أن الصيغة السريانية تقترح كلمة "مِشَبِّحا"، بظهورها الجدير بالثناء والتمجيد. ويفكر التثنية (2:12) بالنسبة إلى "رعنان"، "مَطّيل"، بالظل، في حين أن كلمة سعديا "ريّان" تذكّر بالنمو المترف، وباللون الأخضر، وهو في شجرة الزيتون غير لامع وبالتالي لا يجري التفكير فيه أبدًا[1061]. وفي أيامنا هذه، يتم تجنب ظل إكليل شجرة الجميز العريض[1062] الذي ينافس في حجمه أكليل شجرة البلوط، جنبًا إلى جنب مع ظلال أشجار أخرى[1063]، إذ يُقال: "اِلِّ بِنام تحت الجُمّيزِة بِجِنّ"، أي: "من ينام تحت شجرة الجميز يصاب بالجنون". وهذا يُظهر كيف تتوافر للناس الفرصة للاختيار حتى بين العدد القليل من الأشجار المتوافرة. ومثل هذه الخرافة التي كانت معروفة لدى اليهودية البابلية أيضًا[1064]، كانت غريبة على فلسطين القديمة. ويمكن تنظيم حفل زفاف غير رسمي عند أسفل شجرة جميز أو خروب[1065]، وفي ظل أشجار التفاح وجدتْ نساء بني إسرائيل في مصر ملاذًا للولادة[1066]، واستُخدم ظل شجرة التين لغايات كثيرة، حتى كمكان للتعليم[1067]. وبالطبع كان لا بد من تجنب كل شجرة كُرستْ لعبادة الأوثان[1068].

(1060) اقرأ "يَشوبُ يشِبو" "سوف يسكنون مجددًا".

(1061) ليس إرميا 8:17 أيضًا، حيث ورق الشجر المزروع على الماء هو "رعنان" الذي تترجمه السريانية إلى "راويز"، "مسرور، وافر"، والترجوم إلى "عبّوف" ("عَنَوف").

(1062) Baldensperger, *PEFQ* (1893), p. 204; Hanauer, *Folklore*, p. 268.

(1063) يُقارن ص 57.

(1064) ص 57، الهامش 3.

(1065) Ber. R. 18 (37[a]).

(1066) Schem. R. 1 (3[b]).

(1067) j. Ber. 5[c], Koh. R. 5, 11 (96[b]), Schir. 6 (62[b]), Ber. R. 62 (130[b]),

يُقارن ص 379.

(1068) ص 66.

كم هو جميل أن يسند المرء ناظرَيه إلى المشهد الطبيعي المبهر، مستلقيًا تحت شجرة عريضة الظل! كم يشعر المرء بالسكينة في مثل هذا الهدوء الذي يستطيع المرء العثور عليه في أيامنا هذه، على الأرجح، تحت شجرة بلوط قديمة كُرستْ لوليّ مسلم[1069]، فلا عجب أن يتوق العبد الذي يعمل في الشمس إلى مثل هذا الظل (أيوب 2:7). وحتى الكائنات الرباعيات الأرجل والطيور تتخذ منها ملاذًا (حزقيال 23:17؛ 6:31؛ دانيال 4:9-18؛ مرقس 32:4)؛ ذلك أن العبري يتحدث عن ظل الأجنحة (المزامير 8:17؛ 8:36، 8:63) وحتى عن ظل اليد (إشعيا 2:49، 16:51)، لأنه كثيرًا ما يستخدم الظلَّ صورةً للحماية (على سبيل المثال العدد 9:14؛ إشعيا 4:25؛ 2:30، حزقيال 17:31؛ المزامير 1:91)، وبهذا المعنى لا يتجنب التعبير التالي: "ظل في النهار من الحر" (إشعيا 6:4، يُقارن 4:25) الذي ربما كان غير قابل للتفسير لو لم يكن ضوء الشمس الساطع والحرارة المشعة في صيف فلسطين قد أوحيا بفكرة نعمة الظل، وجعلا منه ذا أهمية عملية. وهنا، كما في حال صور كثيرة من الكتاب المقدس، يقف في الخلف تباين شديد غير معروفٍ في مناخنا [الألماني] الأكثر اعتدالًا والأكثر اتزانًا.

خرافة غريبة تتعلق بالظل الذي يطرحه إنسان؛ فمن يمشي فوقه يعرّض نفسه لمخاطر العفاريت ("بِلتِمِس": "يتم مسُّه"، "لمس جِنّ": "يمسه جن"). وفي حال سقط على حجر الأساس لبيت من البيوت، يشكل حينئذ خطرًا على الإنسان[1070]، ربما لأن شيطان البيت سيقلبه عليه. إذًا للعفاريت علاقة بالظل، بحسب التصور اليهودي؛ إذ يحتل عفريت الظُهر مقعده على حافة الظل[1071]. إنها مسألة أخرى حين يجري توقع القدرة الخارقة لشخص ما من ظله أيضًا، ولذلك يضع المرء نفسه تحت إمرته (أعمال الرسل 15:5).

(1069) يُقارن ص 65 وما يليها.

(1070) Hanauer, *PEFQ* (1908), p. 78,

كذلك الحال في اليونان المعاصرة، بحسب

Schmidt, *Das Volksleben der Neugriechen*, vol. 2, pp. 169f.

(1071) Ech. R. 1 (27b),

يُقارن أعلاه، ص 484، 499.

وعلى الرغم من أن المرء في الصيف يود الهرب من أشعة الشمس، فإن العربي لا يريد أن يفتقد الشمس أو القمر؛ فكسوف الشمس وخسوف القمر يؤديان إلى اهتياج كبير في صفوف الشعب. ويسري الاعتقاد أن غُولًا يستعد لابتلاع جرم السماء، فيقوم الأطفال بإحداث ضجيج في الشوارع، وتُقرع أواني الصفيح، ويطلِق الرجال النار. وينادي المرء: "دَشِّر شمسنا يا حوت (قَمَرْنَ)"، أي: "اترك شمسنا (قمرنا) يا حوت!"[1072]، وهذا كله يحدث مع أن العلم العربي يعرف أن ظل الأرض هو الذي يتسبب بخسوف القمر، وظل القمر يتسبب بكسوف الشمس، حتى لو كان يُنظر إلى ذلك كعلامة على غضب إلهيّ[1073]. وقد دار جدل في الماضي على سؤال محدد هو: هل كان كسوف الشمس علامة سيئة لغير اليهود وحدهم، وهم الذين يسيرون بحسب النظام الشمسي، وهل إن خسوف القمر ينطبق على اليهود حصرًا؟[1074] إن معاقبة الكواكب التي يترتب عليها إصابة القمر والشمس بالخجل (إشعيا 21:24 وما يلي) مرتبطة بفكرة المراقبة الإلهية للكواكب، كما يرد ذكر ذلك في سيراخ (31:17 وما يلي) أيضًا[1075]. ووفقًا للتصورات اليهودية، فإن الخطيئة الإنسانية هي سبب لعقابه[1076]. وكجزء من يوم الحساب الإلهي المستقبلي، يظهر كسوف الشمس وخسوف القمر في إشعيا (10:13)، ويوئيل (10:2) ومتّى (29:24) ورؤية (12:6). أما وجه الظاهرة الذي يُرعب الناس، خصوصًا أنها تمثل تفكك نظام عالمي وضعه الرب، فهو بلا شك الجزء الجوهري.

غيوم صيفية

إن ضوء الشمس وحرارتها يتأثران تأثرًا جوهريًا بدرجة التغييم. وبحسب إكسنر[1077]، فإن أدنى معدلات السنة بالنسبة إلى حزيران/يونيو وتموز/

(1072) هكذا عِشت ذلك في حلب في 1899-1900. والأمر ذاته يرويه بشارة كنعان عن بيت جالا.
Niebuhr, *Beschreibung von Arabien*, pp. 119f.
عن شبه الجزيرة العربية.

(1073) Kazwini, *Kosmographie* I, pp. 18f., 24.

(1074) Tos. Sukk. II 5 f., Mech. Bo. 1 (3^a), b. Sukk. 29^a.

(1075) يُنظر أيضًا أعلاه، ص 501.

(1076) Tos. Sukk. II 5.

(1077) *ZDPV* (1910), pp. 146, 152, 154ff.

يوليو وآب/ أغسطس وأيلول/ سبتمبر هي: 1.2، 0.8، 1.0، 1.3. وهذه المعدلات ستتبعها أرقام أعلى في الاتجاهين تصل ذروتها إلى 5.2 و5.1 في كانون الثاني/ يناير وآذار/ مارس. هذا ما ينطبق على القدس، في حين تتمتع طبرية والخليل بسماء أكثر صفاء في أشهر الصيف الحقيقية، مسجلة 0.5، 0.5، 0.6 (الخليل 0.5 أيضًا). أما حيفا، والناصرة بصورة خاصة، فتحظيان على نحوٍ ملحوظ بتغييم أكبر. ويحسب برافر[1078] ما معدله 3000 ساعة من نصيب سماء صافية النهار في فلسطين، مقارنة بِـ1500–1750 ساعة في شمال ألمانيا، أي أعلى من النصف تقريبًا، وفي اسكتلندا 750 ساعة، أي الربع فقط تقريبًا. وفي المعتقد الشعبي، تبدأ الغيوم بالظهور في السماء في عيد مار الياس في 20 تموز/ يوليو (التقويم اليولياني)[1079]، وكنتُ في سنة 1910 قادرًا على ملاحظتها قبل ذلك بِـ 18 يومًا. وربما كان المعتقد الشعبي لا يزال يفترض أن مار الياس هو جالب الغيم والمطر كما في السابق (الملوك الأول 44:18 وما يلي). وليست مصادفة أن الناس في اليونان يتوقعون في يوم وفاة مريم (15 آب/ أغسطس) عاصفة ممطرة باردة[1080]. وفي هذا السياق، فإن مريم هنا هي وريثة عشتروت، ملكة السماء وجالبة المطر[1081]. وفي ما يتعلق بالتغييم، يتساوى إحصائيًا تقريبًا عدد الغيوم في تموز/ يوليو وآب/ أغسطس. وفي أيلول/ سبتمبر وحده، يحصل بعض التقدم الطفيف. ولكن هذا لا يستثني أن بعض الأيام الفردية الملبدة بالغيوم طوال اليوم قد يظهر مبكرًا، في حين تظهرالغيوم عادة قبل الظهر، ويكون المساء غالبًا خاليًا منها. بالطبع، تؤدي أحوال الريح دورًا مهمًا؛ ففي 31 تموز/ يوليو 1921، كانت السماء صافية والريح ساكنة، وفي الساعة 9 هبت ريح شمالية غربية ضعيفة، ثم ريح غربية اشتدت تدريجًا وجلبت ظُهرًا بعض الغيوم الصغيرة، ثم لم تلبث أن اختفت مساءً مع سكون الريح. وفي الساعة الخامسة من صباح 16 آب/ أغسطس

(1078) "هـ َ- رفوآ" 1926، ص 324، حيث تتوافر لدي بطبعة خاصة.

(1079) يُقارن ص 110.

(1080) Mommsen, *Griech. Jahrezeiten*, pp. 75f.

(1081) يُنظر أعلاه، ص 144 وما يليها.

1921 الباكر، كانت السماء في الغرب متلبدة بالغيوم والريح ساكنة، وفي الساعة 8 صارت السماء صافية بشكل كامل.

إنه لأمر نادر أن تكتسي السماء في تقوفات [فترة] تموز/يوليو (تموز/يوليو حتى أيلول/سبتمبر)، بالغيوم، وما يشبه قوس قزح يصبح مرئيًا[(1082)]. إن ظل غيمة قد يكون نعمة كبيرة في وقت الحر (إشعيا 5:25)[(1083)]، وحين يأتي يوم الحساب أو الخلاص ملبدًا بالغيوم (حزقيال 3:30؛ 12:34، يوئيل 2:2؛ صفنيا 15:1)، يكون يومًا ملبدًا بالغيوم بعد فترة تكون السماء فيها صافية، ويبشر بعاصفة وانهمار مطر. والمنطقة الواقعة أسفل مكان ظهور الرب في سيناء (الخروج 10:24) كانت صافية (أي كصفاء السماء)[(1084)]. وحين تُقارن الظاهرة هذه مع عبارة "الأبيض من سَفير"[(1085)]، عندئذ يكون قد جرى التفكير في فلسطين بلون سماء صافية، ليس أزرق غامقًا، ولكن تحت تأثير ظروف الضوء القوية، يظهر أزرق فاتحًا. والحاخامون ليسوا متأكدين هل كان يجب أن يحدث تمجيد الخالق الإجباري في مشهد من سماء صافية حين تنقّي الريح الشمالية بتنقية السماء بعد ليلة ماطرة[(1086)]، أو حين تعود إلى الظهور في فترة المطر، سماء صافية بعد أيام ثلاثة؟[(1087)] ثم يسقط هذا التمجيد في الصيف؛ فمنذ تدمير الهيكل، ما عاد ثمة سماء صافية حقيقية. والسماء الموشحة بالسواد في إشعيا (3:50) أصبحت واقعًا دائمًا[(1088)]، إلا أن صورة السماء الملبدة بالغيوم التي تقصي كل ضوء نهاري، تهدف إلى وصف وضعٍ ميؤوس منه. والصورة تُفهم بالمعنى الفلسطيني حين تقابَل بالضوء الساطع في سماء فلسطين.

(1082) B. Chang. 14[b].

(1083) يُقارن أعلاه، ص 505.

(1084) Vaj. R. 23 (62[a]), Schir R. 4 (51[a]), Targ. Jer. I. II,

عن التكوين 10:24.

(1085) يفكر سعديا بـ "بياض البلور" ("بياض [عيون] المها").

(1086) b. Ber. 59[a].

(1087) j. Ber. 13[d].

(1088) b. Ber. 59[a].

د. حركة الهواء ورطوبته والندى

في لبنان تصف الرياح نفسها بأقوال ذاتية على النحو التالي[1089]:

"القِبلِ بِقول كَم رُكن هَدّيتَه
الغَربِ بِقول كَم نَهر جَرّيتَه
الشِرقِ بِقول كَم غُصن لَويتَه
الشَمَالِ بِقول كَم شَبّ بَكّيتَه".

أي:

تقول الريح الجنوبية: كم جدارًا قويًا دمرت!
تقول الريح الغربية: كم من الأنهر جعلتها تجري!
تقول الريح الشرقية: كم من الغصون لويت!
تقول الريح الشمالية: كم من الشبان أبكيت!

ووفقًا لهذه الأقوال، تأتي الرياح الغربية بالمطر، والشرقية بالجفاف، والشمالية بالبرد، والجنوبية بالعواصف. وقد يكون هذا صحيحًا بالنسبة إلى الشتاء[1090]، ولكنه ليس قابلًا للتطبيق على الصيف، دونما قيد ولا شرط، مُظهرًا لنا أن للصيف خصوصيته المميزة وغير القابلة للتعميم. وفوق ذلك، قد يعني الصيف جفافًا تامًا للأرض الذي لا بد أنه مدمر لكل ما ينمو، لو لم يكن هناك الانتظام العظيم لحركات الهواء فيه، على غرار تلك التي تميز الصيف أمام الربيع والخريف في القدس وفيلهلما وحيفا[1091]. وهنا يمثل العدد الصغير من فترات سكون الريح في حيفا وحدها ثلث فترات القدس، في حين تكون في فيلهلما وغزة، أي في المنطقة الساحلية الجنوبية، أكثر عددًا[1092]. ولكن الأكثر أهمية هو أن ما يميز الصيف وجود ريح غربية مسيطرة بشكل قوي، جنبًا إلى

(1089) الجِميّل، مجلة **المَشرق** (1905)، ص 691.
(1090) يُقارن ص 239 وما يليها.
(1091) هكذا بحسب
Exner, *ZDPV* (1910), p. 142.
(1092) وتناظر هذه المعلومات باروخ روزنشتاين (Baruch-Rosenstein) عن سارونا، "ها – أقليم شِل – يافا"، "تل أبيب"، ص 18.

جنب مع ريح شرقية متراجعة[1093]، ولذلك يعتبر الفلسطيني منتصف الصيف بشكل خاص موسمًا صحيًا، ويتخوف من بدايته ونهايته بسبب الرياح الشرقية التي يصعب تحملها. وهذا ما توضحه النصيحة التي تعتبر الصيف غير مؤذٍ: "شَتِّ بِمَصْر وَرَبِّع بالشام - وِتْعيش ميت عام"، أي: "إقضِ الشتاء في مصر والربيع في سوريا، عندئذ ستعيش مئة عام".

ويمنح إكسنر الصيف في القدس (الذي يحتسبه ممتدًا من تموز/ يوليو حتى أيلول/ سبتمبر) الرقم الأعلى من الرياح الغربية والشمالية الغربية بِـ 115 و91 في الألف (pro Mille) في السنة. وفي المقابل، تختفي الرياح الشرقية والشمالية الشرقية بِـ 4 و1 في الألف بشكل كلي تقريبًا. ولا تظهر أبدًا الرياح الجنوبية الشرقية والجنوبية، في حين أن الريح الجنوبية الغربية تتمثل في 2 في الألف. كما أن غلبة الريح الغربية تنطبق أيضًا على حيفا وفيلهلما وغزة والناصرة، في حين أن الريح الجنوبية الغربية حاضرة بشكل أقوى، ولا سيما في حيفا وفيلهلما والناصرة[1094]. وفي سارونا، يعتبر هبوب الريح الجنوبية الغربية في الفترة الواقعة بين تموز/ يوليو وأيلول/ سبتمبر أكثر اعتيادًا من الريح الغربية الخالصة[1095]. ومن خلال ذلك، تتعزز الصفة المرطبة لهواء البحر الذي تحمله الريح، على الرغم من أن ثمة شكًا كبيرًا في ذلك، لأن منسوب الماء في النيل، وهو يصل إلى ذروته في آب/ أغسطس[1096]، لا يتمتع بأي تأثير في ذلك كما زعم المعتقد الشعبي في الماضي، والذي لا يزال يفترض ذلك حتى يومنا هذا. ويروي القزويني[1097] عن 29 "حزيران" أن المرء (في سوريا) يمكنه الحكم على ارتفاع النيل الذي يصل إلى ذروته بحسب القزويني في 13 "اِيلول"، بحسب كمية الندى.

(1093) عن سيطرة الريح الغربية خلال جميع الفصول، يُقارن ص 243، وتراجع الريح الشرقية في الصيف، ص 318.

(1094) هكذا بحسب

Exner, *ZDPV* (1910),

(1095) بحسب روزنشتاين، في:

Ibid., p. 12.

(1096) يُقارن أعلاه، ص 499. والذروة يجري بلوغها في أيلول/ سبتمبر أو تشرين الأول/ أكتوبر،

Anderlind, *Landwirtschaft in Ägypten*, pp. 72ff.

(1097) Kazwini, *Kosmographie*, I, pp. 78f.

أما حركة الريح اليومية، فهي أيضًا شديدة الانتظام، خصوصًا في تموز/ يوليو. وبعد أن يكون الليل قد أتى بسكون الريح، تهب ظهرًا في القدس الريح الآتية من الغرب، وفي البداية تهب بعصفات منفردة وأكثر قوة (بالعربية "زوبَعة"، ج. "زَوابِع")، وهي تثير الغبار في الطرقات والعصافة على البيادر، كما يصف ذلك أيوب (18:21)، ذارية الغبار في عيون الناس. وينادي الأطفال: "عَ- الظالِمين": [لتهب] على الظالمين، أي متمنين أن ينزل هذا الإزعاج بالظالمين. ومن الساعة الثانية بعد الظهر فصاعدًا، تصبح الريح منتظمة وقوية، بحيث إن صوتها كـ"صوت ريح عظيمة" غالبًا ما ذكّرني بأعمال الرسل (2:2) ويوحنا (8:3). وعند المساء، تضعف ("بِخِفّ")، ثم في النهاية تهمد ("بِخُور") وتصبح ساكنة ("خَماد")، وحينئذ يُقال: "مافيه هَوَا ولاَ نَسيم"، أي: "لا يوجد هواء ولا نسيم". وفي الصباح، تهب تلك الريح كنسمة خفيفة (بالعربية "نَفنوف") التي هي شرط ضروري للتذرية فوق بيادر الحنطة. وفي الساحل، يحل في سكون الريح في الليل، وحتى الصباح، تيار هوائي من الشرق نتيجة البرود الليلي للأرض والحرارة الأعلى للبحر، ويبلغ ذروته قبل شروق الشمس بقليل، بحيث إنه في يافا قد هبّ عبر نافذتي من جهة الشرق[1098]. وبعد ذلك بقليل، يعود الوضع مرة أخرى إلى سكون الريح الذي تنطلق منه (بالعربية "بِضرُب") قبل الظهيرة الريح الغربية التي تأتي بداية من الجنوب الغربي، وتكون على أشدها في الساعة الثالثة من بعد الظهر. إن مثل هذه الظروف توضح كيف أن الأرصاد في تل أبيب في الساعة السابعة صباحًا في حزيران/ يونيو حتى أيلول/ سبتمبر تسجل في معظم الأوقات ريحًا جنوبية شرقية وريحًا شرقية، وتسجل في الثانية من بعد الظهر ريحًا شمالية غربية وغربية[1099]. والتصور اليهودي المفترض أصلًا في الجامعة (6:1)، هو أن الريح تهب يوميًا من الجهات

(1098) في:

Guthe, *Palästina*², p. 49,

يبدو كما لو أن الريح الشرقية اليومية كانت حاضرة في الجبال، حيث يحل، جراء ذلك، سكون الريح في مكانه.

(1099) Baruch, *Hat-Ta~pijjöt ham-meteörölögijjöt beTel-äbib bas-sänim* 1923 we 1924, pp. 4, 11.

الأربع[1100] – في منتصف الليل من الشمال، وصباحًا من الشرق، وظهرًا من الجنوب، وفي بداية الليل من الغرب – ويجب أن تهب من المنطقة الساحلية. ومن المفترض أن داود امتلك نافذة في غرفة نومه من الجهة الشمالية. والريح الشمالية، في منتصف الليل، بحسب المزامير (57:9؛ 108:3)، جعلت القيثارة التي علّقها تترنم لإيقاظه من أجل دراسة القانون[1101]. وخلال تيه بني إسرائيل في الصحراء، قيل إن الريح الشمالية كانت دائمًا من نصيبهم قرابة منتصف الليل[1102]. وإلى ما قبل الظهيرة، تنتسب الريح الشرقية التي تشتد حرارتها، ثم تهب ريح غربية بعد الظهيرة تزداد برودة[1103]، وتهب في الظهيرة ريح جنوبية، وفي الليل ريح شمالية[1104].

العاصفة الحقيقية ليست شيئًا مميزًا للصيف. والعدد الأقل من أيام العواصف يُسجّل في القدس في آب/ أغسطس وأيلول/ سبتمبر بِـ 0.1 يوم، ولكن تبقى الفترة من أيار/ مايو حتى تشرين الثاني/ نوفمبر هي تلك الفترة التي تقل فيها العواصف[1105]. وبحسب شابلن، فإن الأشهر من آب/ أغسطس حتى تشرين الأول/ أكتوبر هي فترة الرياح الأضعف، ولكن هذا يُسجل على خلفية رصد في الساعة 9 قبل الظهر الذي لا يمكنه تقديم أي معلومات حقيقية عن حركة الهواء في ذلك اليوم[1106]. وفي سارونا، تستطيع الأشهر من أيار/ مايو حتى تشرين الأول/ أكتوبر، مع حركة الهواء الأقل في تموز/ يوليو، أن تدّعي الادعاء نفسه[1107].

(1100) b. Bab. b. 25ª, Gitt. 31ᵇ

(حيث تمتزج الريح الشمالية بجميع الرياح)، يُقارن:

Raschi,

عن:

b. Sanh. 16ª.

(1101) j. Ber. 2ᵈ, b. Ber. 3ᵇ, Sanh. 16ª.

(1102) b. Jeb. 72ª.

(1103) Ber. R. 19 (40ª).

(1104) Koh. R. I, 6 (67ᵇ).

(1105) Exner, *ZDPV* (1910), p. 154.

(1106) *PEFQ* (1883), p. 40.

(1107) Rosenstein (Baruch), *Ha- Aklim*, p. 13.

ولذلك، يمكن افتراض أن العواصف لا تصعّب العمل على البيادر، بل إنها قد تزيد الجفاف وتحرّك الغبار. من جهة أخرى، فإن استدامة حركة هواء معدلة تعني أن القدرة على تحمّل الحر تصبح أكبر، ومن جهة أخرى تتخلل الهواء مع الريح الغربية الغالبة، رطوبة مفيدة للأرض والإنسان.

طبعًا، لا تأتي الريح الغربية في هذا الوقت من العام بأي أمطار نتيجة لدرجات الحرارة التي لا تزال عالية جدًا حتى في الليالي الباردة. ولا يغير في ذلك أنه خلال 39 سنة، أمطرت في حزيران/ يونيو مرة بعد مرة (1885 و1888)، وفي كل مرة مدة يوم بكمية مقدارها 2 أو 5 مم على التوالي، ومرة في آب/ أغسطس (1890) بكمية مقدارها 2 مم. إلا أن المنطقة الساحلية تختلف في ذلك عن المنطقة الجبلية، حيث يمكن احتساب معدل كمية أمطار بـ 0.4 مم في حزيران/ يونيو[1108]. وقد دوّنتُ في 4 حزيران/ يونيو 1904 عاصفة رعدية مع بعض قطرات ماء في القدس، في حين تحدث فرانكنبيرغه (Frankenberge) عن مطر غزير بالقرب من بيت لحم. وحتى في 29 تموز/ يونيو 1909، كان هناك بضع قطرات تساقطت، والطبيعي ألا يكون ثمة مطر في الصيف. وتعتبر المرأة نفسها محظوظة بشكل لا يُصدق، عندما تتباهى[1109]: "اِن غَسّلت بِتموز - أرعدت وَابرقت وأنزلت كُل نُقطة كوز"، أي: "إذا غَسلتُ في تموز، هناك رعد وبرق، وكل نقطة بحجم الإبريق". والصحيح أنها لا تمطر في عيد الصعود فصاعدًا، إذ: "لَمَّ بِكون عيد الصُعود - هيهات المَطَر يعود"، أي: "حين يحل عيد الصعود، من المستبعد أن يعود المطر". ووفقًا لذلك، تعتبر الأمثال (1:26) أن المطرَ في الحصاد مخالف للقاعدة تمامًا كما هي حال الثلج في الصيف. وفي أي حال، يُقال عن شهر "آب"[1110]: "جِدِّ خَبَرنِ عَن جِدُّ وأبوه - كُلّ الشهور بِتشَتّ ما عَدَ شهر آب"، أي: "جدي أخبرني نقلًا عن جده وأبيه أن المطر يهطل في جميع الشهور ما عدا آب"، ولدى الناس في اليونان

(1108) Hilderscheid, *ZDPV* (1902), p. 37.

(1109) الجميِّل، مجلة **المَشرق** (1905)، ص 866. مصيبة تكاد لا تصدق. لا بد أن ذلك هو المقصود: فكرت في شح ماء الصيف.

(1110) Ibid., p. 689.

الاعتقاد ذاته عن تموز/ يوليو[1111]. وفي ما يتعلق بِـ"اِيلول"، يمتلك المرء أفكارًا أخرى؛ إذ إن[1112]: "اِيلول – طَرَفُه بالشِتَ مَبلول"، أي: "أيلول طرفه مبلول بالمطر"[1113].

يُعتبر الندى (بالعربية "نِدَى")[1114]، في الواقع، بركة لا يمكن المبالغة في تقديرها والتي يحملها إلى فلسطين في الصيف الهواء الغربي. ولكن سيكون من الخطأ في فلسطين التفكير في الحر الرطب في بلد مداري. كذلك الأمر مع ما ندعوه في ألمانيا هواءً خانقًا، حين يجعل الحر والرطوبة وحركة هواء غير وافية الجسمَ متراخيًا بليدًا، وهو في أي حال غريب على المنطقة الجبلية في فلسطين، لأن هواءها جاف، ومتحرك. كذلك لا تترك حركة الهواء في المنطقة الساحلية إحساسًا بالاختناق هكذا ببساطة، على الرغم من أن تلك المنطقة أكثر رطوبة. والمواطن المقدسي يقضي الصيف أحيانًا هناك، كي يصرف وقتًا في الرطوبة. وهنا [أي في المنطقة الساحلية] يعرف الفلسطيني أن عليه احتمال المنغصات المتمثلة في العرق (بالعربية "عَرَق")[1115]، والذي لا يتعاطى المرء معه في القدس إلا عند القيام بجهد جسدي (التكوين 3:19؛ حزقيال 44:18)، فيما يتصبب العرق باستمرار في الساحل، ويحتاج المرء إلى تبديل ملابسه الداخلية مرات عدة[1116].

وفي القدس، تهبط رطوبة الهواء في الصيف إلى قيم متوسطة مقدارها 58–71 في المئة في الصباح، 32–36 في المئة ظهرًا، 66–74 في المئة مساءً.

(1111) Mommsen, *Jahrezeiten*, p. 73.

(1112) الجميّل، مجلة **المَشرِق**، 1 ص 689.

(1113) يُقارن أعلاه، ص 115 وما يليها.

(1114) ص 93 وما يليها، 310 وما يليها.

(1115) يُعتبر عرق الوجه غير ضارٍ، وكل عرق آخر يُعتبر سمًا قاتلًا (j. Ter 45^{d}, Ab. Z. 41^{a})، ولكن هناك عادة نقية من ناحية شعائرية (Machsh. II 1, VI7)؛ فرائحة العرق تشوه النساء (Tos. Keth. VII 9, j. Keth. 31^{c}). سودار كان اسم كل قطعة قماش صغيرة (ابن ميمون إلى Kel. XXIXI, Tam. VII 2) ويفترض ألا تترجَم في يوحنا 44:11، 7:20 إلى "قطعة قماش للعرق".

(1116) بالنسبة إلى القادمين من البلدان الشمالية، يُنصح بالمناخ الساحلي للاستشفاء الشتوي، كما يقترح ذلك:

Baruch, Beriüt hä-’.Ä.m I 2.

وتُسجل المنطقة الساحلية أرقامًا مناظرة، في سارونا (2 كم عن الشاطئ): 74 في المئة صباحًا، 64-62 في المئة ظهرًا، 81-79 في المئة مساءً، وفي تل أبيب (مباشرة على البحر) في سنة 1923: صباحًا 74-77 في المئة، ظهرًا 62-67 في المئة، مساءً 79-82 في المئة[1117]، وفي فيلهلما (16 كم عن الشاطئ): فقط 68-69 في المئة صباحًا، 51-53 في المئة ظهرًا، 80-81 في المئة مساءً[1118]. وفي غور الأردن الجنوبي، يُفتقر إلى معطيات مناظرة، إلا أن كميات التبخر المرصودة تسمح بالخروج بنتائج عن مقدار الرطوبة في الهواء. وفي أريحا، يصل معدل التبخر اليومي إلى 16.6 في حزيران/ يونيو، وفي القدس 4.41 فقط، وفي حيفا 1.17 فقط[1119]. وحر الصحراء الجاف يُميز مناخ أريحا على الرغم من قربها من نهر الأردن والبحر الميت.

يتضح من حساب المتوسط الشهري للرطوبة، كما جرى تسجيلها في أماكن متعددة[1120]، أن حزيران/ يونيو وتموز/ يوليو بشكل عام يُظهران درجة أعلى من الرطوبة من نيسان/ أبريل وأيار/ مايو أو آب/ أغسطس حتى تشرين الأول/ أكتوبر، لكنهما يتخلفان عن أشهر الشتاء من تشرين الثاني/ نوفمبر حتى آذار/ مارس. إلا أن هذه العلاقة للصيف مع الربيع والخريف، الجديرة بالملاحظة، تعود إلى أن فترات الريح الشرقية في هذين الفصلين تقلص الأرقام المتوسطة، ومن دونها ربما تُصبح العلاقة مختلفة؛ فالأيام المصحوبة بالضباب التي قيدتْها الإحصاءات للقدس هي، بالتسلسل 0.8، 0.6، 1.4، 2.1 لحزيران/ يونيو حتى أيلول/ سبتمبر، ويمكن اعتبارها أيامًا ذات ندى. ولكن هنا بالتحديد أُخذ البخار في موقع الرصد في الاعتبار، لا الغيوم الواقعة على المرتفعات على سبيل

(1117) هذه وفقًا لِباروخ:
Baruch, *Hat-Ta~pijjöt*, p. 3.

(1118) Exner, *ZDPV* (1910), p. 149.

(1119) Blanckenhorn, *ZDPV* (1909), pp. 100f.;
أما تقارير كوخ:
Koch, *ZDPV* (1920), pp. 127ff.
فهي تنطبق، للأسف، على كانون الأول/ ديسمبر وكانون الثاني/ يناير وحدهما.

(1120) Exner, *ZDPV* (1910), p. 137; Rosenstein (Baruch), *Ha- Aklim*, pp. 8, 16.

المثال، وهي تلك التي رأيتُها من مصح المجذومين في السادسة من صباح 13 تموز/يوليو 1925؛ فقد كانت الجبال في اتجاه بيت لحم مغطاة بالغيوم كليًا، بحيث إن دير مار الياس كان غير مرئي، وقد انتصب حائط من الغيوم في الغرب؛ غيوم مبعثرة انتشرت عبر السماء. وقبل ذلك، في الساعة السابعة، كان الضباب قد تبدد وبقي فترة زمنية قصيرة على قمم الجبال العالية في الجنوب الغربي. وفي هذا الفترة، كانت منطقة عيمق رِفائيم أو وادي العماليق [المنطقة التي يُطلق عليها إلى اليوم تسمية المستعمرة الألمانية (German Colony)]، طوال الوقت صافية. وتشير التسمية العربية للندى إلى هذه الظواهر في جميع مراحلها، ما دامت تنتج ندى. وحين يرى المرء في النهار بضع غيوم صغيرة متفرقة في السماء، يقول المرء عنها: "فَقَسُو"، أي: "فروا أو تشتتوا"، ويُسميها "شرّاد الندى" "مشردي الندى". والبعض يأمل حينئذ بظهورها في الليلة المقبلة. ولكن إذا تعلق الأمر بتشكيلات غيوم كبيرة تتحرك بعد الظهر نحو الشرق، فإن العكس هو المتوقع. وجالبة الندى التي لا ريب فيها هي تلك الغيوم التي تتموضع مساءً في الغرب هادئة فوق الجبال، ثم تهبط إليها في وقت ما عند منتصف الليل[1121]. وبهدوء وبلا جلبة ولا ضجيج، ولكن بطريقة لا يقدر شيء على مقاومتها (صموئيل الثاني 12:17)، ينزل الرذاذ الرطب حينئذ على الأرض والنباتات، وهو قد يظهر أيضًا في الغرب أو الجنوب دونما تشكُّل للغيوم[1122]. ومن خلال لطف السيد الدكتور إكسنر، مدير المركز الرئيس للأرصاد الجوية والجيوديناميكا (Zentralanstalt für Meteorologie und Geodynamik) في فيينا، حصلت على تقارير تتعلق بأيام ندية جرى رصدها في القدس في الفترة بين عامي 1908و1916. وهي تظُهر تقلبًا في حزيران/يونيو من 6-24 يومًا، بمعدل قدره 17.6 يومًا، وفي تموز/يونيو 14-28 يومًا، بمعدل 24.8 يومًا، وبالنسبة إلى آب/أغسطس[1123] 19-26 يومًا، بمعدل قدره 21.2 يومًا. وهذا يعني في

(1121) ص 311.

(1122) يُقارن ص 94 وما يليها، 111، 310 وما يليها؛
Chaplin, *PEFQ* (1883), p. 19.

(1123) مع إحلال السنتين 1906 و1907 بدلًا من السنتين 1909 و1915، اللتين لم تُرصدا بشكل كامل.

المتوسط 63.6 يومًا من أيام الصيف البالغة 92 يومًا، أي ما يقارب ثلثي الأيام، هي أيام ندية. ومن حدود الصحراء السورية يُخبرنا فيتسشتاين(1124) أن الندى هناك، بحسب رأي العرب، له "دورته" (بالعربية "عَدّان")؛ فهو معتاد على النزول في أيام ثلاثة متتالية، ودائمًا في الوقت نفسه، ثم ينقطع 5 و10 أو 15 يومًا.

وكأيام ندية عادية، وفقًا لملاحظاتي، قدمتُ وصفًا ليومي 18 و19 آب/ أغسطس 1912؛ ففي الساعة الخامسة من صبح اليوم الثامن عشر، حين بلغت درجة الحرارة 18.5 درجة مئوية، وقف المرطاب [أداة قياس الرطوبة الجوية] عند درجة الندى في الوقت الذي شعّت فيه في الشرق، فوق ضباب مظلم، حمرة فجر جميل. وفي الساعة التاسعة، عند درجة حرارة 23.5، هبط المرطاب إلى 70 في المئة. وفي الساعة الواحدة وثلاثين دقيقة من بعد الظهر، عند درجة حرارة 28.5، وقف المرطاب عند 41 في المئة. وطوال اليوم لم يكن هناك ضباب قابلٌ للرؤية، بعد أن كانت الشمس الساطعة قد بددته. وبعد الظهر، هبت الريح الغربية المألوفة في الصيف. وفي الساعة 6 مساءً، عاد المرطاب ليقف عند 70 في المئة، في ظل درجة حرارة مقدارها 23.5. وفي اليوم التالي، وبالتحديد في الساعة السادسة وثلاثين دقيقة صباحًا، وفي ظل درجة حرارة مقدارها 18 وغيوم ضبابية في الشرق والغرب، كان هناك ندى ثانية. وفي المساء، في الساعة التاسعة وثلاثين دقيقة، وفي ظل درجة حرارة مقدارها 20، كان الندى هناك أيضًا. أما يوم الصيف بلا ندى، فوقع في 31 تموز/ يوليو 1921، بعد أن كان الندى قد سقط في 30 تموز/ يوليو(1125)؛ إذ بدأ في ظل سماء صافية وريح ساكنة. وفي الساعة التاسعة، هبت ريح شمالية غربية خفيفة، لم تلبث أن تحولت ظهرًا إلى ريح غربية شديدة، وظهرت غيوم صغيرة. وفي المساء، سكنت الريح وصفت السماء، وبقي الأمر كذلك حتى الصباح التالي، ولم يسقط الندى. وهنا ينطبق المثل العربي الذي

(1124) Wetzstein, *Sprachliches aus den Zeltlagern der Syr. Wüste*, p. 97.

(1125) يُقارن ص 111.

يشير إلى رجلٍ لا يخجل، "وقح"[1126]: "وِجْهو ما بِنَدِّ"، أي: "وجهه لا يندى". وفي حالة أخرى، شكل الندى سببًا لتوجيه سؤال إلى من أراد السفر قبل بزوغ الفجر[1127]: "بِدَّك تشيل النِدَ عَلَ ظَهرَك"، أي: "هل تريد نقل الندى على ظهرك؟". وثمة أهمية فريدة لطقس الشتاء المقبل تُعزى إلى نزول الندى في "الأيام الحاسمة" في "تموز" أو "اِيلول" (يُنظر ص 28 وما يليها). وفي لبنان، تُعتبر هذه الأيام هي الأيام الـ 12 بين عيد الصليب عند اللاتين وعند الروم، أي 2-13 "اِيلول"[1128]. وخلف ذلك ربما تقف فكرة أن بداية الموسم الجديد سوف تكون حاسمة لمجراه.

أما إلى أي مدى تصل حدة الندى الساقط في الصيف، فهذا ما تخبر به رحلتي المسائية من الخليل إلى القدس في 10 تموز/يوليو 1921؛ إذ كان عليّ فتح المظلة في السيارة المفتوحة على الجانبين لأحمي نفسي من رطوبة الريح الشرقية. ونزل رفيق سفر عربي مرتين فترة زمنية طويلة، وراح يعدو بغية إحماء أطرافه المرتجفة من البرد. وفي مثل هذا الوقت يكون لدى الراعي أسبابه للشكوى[1129] من "الندى الذي رشه بقطرات صغيرة لها ألف لون، والريح سَرَتْ في جسده من خلال نَفَسِهِ البارد". ويتذمر الجمّال[1130]: "يا ما سِرينَ والنِدَ مِنشِرِّ - عقِد عَلَ فَراسِنهِن عَجاج البِرِّ"، أي: "كثيرًا ما خرجنا ليلًا، حين كان الندى ينتشر، وعلى أقدامها (الجمال) [تجمّع] غبار الصحراء (بعد أن أصبح رطبًا) مثل الكتل!" وبقدر ما يكون الندى مهمًا للحصاد، تصبح الحاجة إليه قليلة عند الدرس (ص 327). ولذلك يغني الدرّاس لحصانه[1131]: "طار النِدَ يا طِيرِ - مالك جَواد الخيلِ"، أي: "طار الندى يا طيري! ماذا دهاك أيها الأفضل بين الجياد؟".

(1126) Baumann, *ZDPV* (1916), p. 227.

(1127) Ibid., p. 186.

(1128) الجميّل، مجلة **المَشرق**، (1905)، ص 692.

(1129) Schoen, *Traditionelle Lieder und Spiele - zu Nazereth*, p. 17.

(1130) Dalman, *Pal. Diwan*, p. 138.

(1131) Ibid., p. 17.

ومن غير الندى في صيفها الخالي من المطر، كانت فلسطين ستفقد أكثر فأكثر رطوبتها التي تجمعت في تربتها وشرايينها المائية بالتبخر، حيث لا طبقة تشكل غطاء يمنع التبخر من خلال المحافظة على سطح الأرض نفيذًا. صحيح أن حصاد الحبوب قد انتهى، إلا أن زرع الصيف[1132] الحقيقي لا يمكنه النمو من دون الندى. والأمر ذاته ينطبق على الخيار وأنواعه المختلفة، خصوصًا Cucumis chate (بالعربية "فَقّوس"، "مُقثى"، "قُثّي"، بالعبرية "قِشّو"، العدد 11:5، سعديا "قُثّا")، وCucumis citrullus، والبطيخ ("بَطيخ أخضر"، "جِبَس"، بالعبرية "أبَطّيَخ"، العدد 11:5)، وكذلك القرع (Cucurbita Pepo، بالعربية "قرع"، بالعبرية ربما "دِلَعَت" Kil 1)، وحتى على القرع الصيفي الأكثر أهمية (بالعربية "كوسا")[1133] الذي لا أعرف اسمه النباتي الأكثر دقة. ومن غير ندى، سوف تبقى ثمار الأشجار صغيرة وبلا عصارة، وتجف أوراق الشجر قبل أوانها، وستختفي كليًا النباتات الخفيضة القادرة في مواضع معينة على تقديم شيء ما للحيوانات ما دامت لم تتخشب. في حغاي (1:10) في 1 اِيلول، أي في نهاية الصيف، تُلقى نظرة إلى الوراء على الموسم الذي كان انتهى للتو، مصحوبة بحكم حزين: "لقد منعت السماء الندى والأرض غلتها". وإنها لكارثة أليمة تحل بالبلاد هي سنوات الجفاف التي يتشكل فيها الندى بشكل نادر وضعيف، كما يرد في الملوك الأول (17:1)[1134]، إضافة إلى تلك السنوات التي يسقط فيها الندى بشكل متفرق، كما يفترض ذلك صموئيل الثاني (1:21)[1135]. في مثل هذه الحالات، قد يكون سبب ذلك الرياح الغربية الضعيفة جدًا وغير المنتظمة، أو الريح الشمالية الصرف، كما حدث في سنة 1910 على مدى أسابيع عدة في تموز/يوليو. ولأسباب أخرى، يجب دائمًا افتراض تشكُّل ضعيف للندى في غور الأردن، إذ من غير ري صناعي لا يمكن أن ينمو شيء هناك. كما تُظهر

(1132) Ibid., p. 404f.

(1133) للاسم، على ما يبدو، صلة باليونانية الحديثة χολοχυϑια. يُنظر:
V. Heldreich, *Nutzpflanzen*, p. 50.

(1134) يُقارن ص 195 وما يليها.

(1135) يُقارن أمطار متفرقة، ص 131 وما يليها.

الصور الجوية[1136] الفارق الحاد والمهم بين الأرض المروية وكل شيء آخر. ولو قُدّر انقطاع الندى الصيفي كليًا على مدى سنوات، فإن طبيعة فلسطين ستتغير حينئذ بشكل كليّ، وستقترب من طبيعة الأرض الصحراوية الجافة التي لا ماء فيها. وعلى هذا الأساس يصبح ثمة شك في الصورة المتخيلة عندما تُمجّد الأرض التي منحها الرب لبني إسرائيل كونها أرضًا تقطر سماؤها ندى، والتي لا تفتقر إلى الحبوب أو النبيذ (التثنية 28:33؛ يُقارن التكوين: 28:27)، حيث يفرح المرء أن "الندى يبيت طوال الليل على الغصون" (أيوب 19:29). ولا يتعلق الأمر بمجرد انتعاش عابر، كما قد نعتقد، بل بضرورة حيوية حين يريد الرب أن يكون مع شعبه "مثل الندى" (هوشع 6:14). ويمكن أن يُدرك المرء أن الفلسطينيين، كما في إشعيا (19:26)، يتوقعون من الندى ليس أقل من إحياء الأموات[1137].

هـ. الجفاف الصيفي والغبار

إذا كان الندى على سطح الأرض، الذي لا يلبث أن يعود ويتبخر بسرعة، هو المتمم الوحيد لمخزون المياه في بلد ما طوال ستة أشهر، فإنه يجب حينئذ أن تكون الأرض جافة بشكل لا نعرفه نحن في ألمانيا. وللراعي الآن أسبابه لتبرير هزال أغنامه؛ إذ إن "الجبال قاحلة والأودية جافة"، واعدًا، في حال حصوله على حذاء جيد، أن يقوم بالبحث عن مراعٍ أفضل في أماكن أبعد[1138]. وفي الربيع صارت الأمور مختلفة، وبات المرء قادرًا على القول[1139]: "آذار - مرعى الشَطار، وَنِيسان - مرعى الكِسلان"، أي: "آذار يمنح الراعي الذكي مرعى، ونيسان يمنح المرعى حتى للكسلان". ومن أيار/ مايو فصاعدًا يصبح من غير السهل العثور على مراعٍ، وهناك حيث يستطيع أحدهم أن يُنادي على

(1136) Dalman, *Hundert deutsche Fliegerbilder aus Palästina*, nos. 70-72, 79.

(1137) j. Ber. 9ᵃ;

يُقارن ص 98، 364.

(1138) Schoen, *Tradit. Lieder und Spiele*, pp. 17f.

(1139) الجميّل، مجلة **المَشرق**، ص 866.

راعٍ يجلس فوق حمار[1140]: "أمرعت فَ- اِنزِل"، أي: "لقد وجدت كلأً، فترجل!"، وحتى النملة تجد نفسها في مأزق حين تحاول مثل هذا الوقت جمع ما هو صالح للأكل، ولذلك[1141]: "لا تِكون في زِمان القيظ نَملة"، أي: "لا تكن نملة في وقت الصيف!" وفي البلاد ذات التربة العميقة والرطبة بشكل خاص، تنشأ صدوع (بالعربية "شَقّ"، "سُلَعة")[1142]، كما وصفتُها في ص 70، والتي تصبح كثيرة في الأرض التي غمرها الطمي من شبه الجزيرة المتشكلة عند مصب الأردن[1143]. وسيراخ (4:43) ليس مخطئًا عندما يقول، حتى لو كان ذلك مصحوبًا بمبالغة شرقية: "شعاع؟ الشمس يحرق جبالًا، ولسان الضوء يحوّل أرضًا مسكونة جمرًا". مثل هذه الأرض هي بالطبع "جافة وعطشى" (إشعيا 3:44)، بل "تتحرق" ظمأً إلى النداوة (المزامير 2:63). وهي تشبه من حيث المبدأ الصحراء التي تفتقر دائمًا إلى المطر، والتي، في هذا السياق، غالبًا ما يستخدم العهد القديم تعبير "صِيًّا"، وكذلك سعديا الذي يستخدم "مَفاوِز" في إشعيا (18:41) و"مَفازة" في المزامير (2:63)، يفكر في أرض يهرب المرء إليها من أرض مسكونة ومفلوحة، وقد هجرها سكانها بعد جفافها. والأشجار الخضر، وحدها تبدو الآن نقيضًا للأرض المحروقة، وكذلك زرع الصيف حيثما يكون، وهي توضح في محيط البلدات والقرى أن الأرض المسكونة (بالعربية "حَضَر" [في النص الأصلي حضارة]) وأرض الصحراء البدوية (بالعربية "بَرّيةِ"، "باديةِ") ليست الشيء ذاته على الرغم من أن الأمر يبدو في الصيف، كما لو كانت الصحراء تريد التهام كل شيء آخر. والظمأ إلى شراب طازج في "بلد جاف ومنهك ودونما ماء" هو استعارة جيدة من المزامير (2:63) للشوق إلى الرب الذي هو العون في العسر الشديد. ولا عجب أن المرء في مثل هذا

(1140) Freytag, *Arabum Proverbia*, vol. 1, p. 619.

(1141) Ibid., vol. 3, p. 468.

(1142) يُطلق المرء على مثل هذه الأرض المتصدعة وصف "أرض مشَقَّقة، مفَلّعة".

(1143) يُنظر:

PJB (1924), p. 74, fig. table 3,

وما يدعو إلى الغرابة أن التصدعات في المكان نفسه اعتُبرت في عام 1927 نتيجة زلزال 11 تموز/ يوليو.

الوقت يشعر بالسراب الذي يوهم بالماء (ص 328 وما يليها) كخديعة مُرة بشكل خاص؛ فبالكاد هناك شيء "أغَرّ مِن سَراب"، أي: "أكثر خداعًا من السراب"، إذ هو "يخدع ذلك الذي يراه، ويخيب الأمل فيه": ("يَغَرِّر مَن رآه وَيخلِف مَن رَجاه"). ويقول حُكم مر[1144]: "الدِني كَسَراب بَقيعة، يحسِبُه الظمآن ماء حَتَّ إذَ جاهُ لَم يَجِدُهُ شَيئ"، أي: "الدنيا مثل السراب في سهل، الظمآن يحسبه ماءً، ولكن حين يقترب منه يجده لا شيء". وليس من قبيل المصادفة حين يبشر إشعيا (7:35): "ويصير السراب أَجَمًا، والأرض العطشى ينابيع ماء"، لأن عند الحر المتوهج يفكر المرء في الانخداع الذي يستثيره، إذ يقال[1145]: "الدنياَ بَلَا شَرَاب خَرَاب"، أي: "عالم بلا شراب يفنى".

من المظاهر الجوهرية للصيف الفلسطيني، تحلل الطبقة السطحية الناشفة للأرض وأحجارها الجيرية تحت أقدام الناس وحوافر الحيوانات، إضافة، في أيامنا هذه، إلى عجلات العربات والسيارات وتطاير الغبار (بعربية أهل المدن "غَبَرة"، باللهجة الريفية "عَجاج")[1146]. والغبار، اليوم كما في الماضي، دقيق الحبيبات (التثنية 21:9)، سريع التطاير (المزامير 43:18) دونما مقاومة (الملوك الثاني 7:13؛ إشعيا 5:29) ووافر الكمية (التكوين 16:13؛ زكريا 3:9؛ أيوب 16:27)، إلى درجة يصعب معها تجاهله. وإذا احتاج المرء في الشتاء إلى الطماق [حذاء نصفي] بسبب الوحل، فإنه يحتاج في الصيف إلى مسح الغبار عن قدميه بعناية تامة قبل دخول البيوت. وفي صموئيل الثاني (43:22)؛ زكريا (3:9)؛ المزامير (43:18) يوازي وحلُ الشوارع غبارَ الأرض، ولذلك أسبابه. وكلما تقدم الصيف، تتغطى الشوارع المطروقة كثيرًا في محيط المدن، إضافة إلى شوارعها الداخلية المرصوفة بالحصباء، بكميات متزايدة من الغبار التي تخوض الأقدام فيها عميقًا، وكل عربة تحوّل الغبار دوامة من الغيوم الكثيفة.

(1144) Freytag, *Arabum Proverbia*, vol. 3, p. 160,

الأقوال المأثورة السابقة في:

Ibid., pp. 183f.

(1145) Einsler, *Mosaik*, p. 87.

(1146) يُقارن ص 133 وما يليها.

ويتجنب المرء، في حال أمكن ذلك، السكن على الجهة الشرقية من الشارع. وفي صيف 1899، كانت غرفة عملي الصغيرة في الجهة الجنوبية من بيت يقع على هذا النحو في حلب. وفي كل يوم كان يُكنس ما يملأ مجارف بأكملها بالغبار من أرضية الغرفة، وكل مسح للغبار عن المائدة يبقى فعالًا بضع ساعات فقط؛ فالشجر على الجهة الشرقية من الطريق بدا كما لو أنه مكسو بالثلج، ومن الصعب رؤية خضروات نضرة في أي مكان بالقرب منه، نظرًا إلى أن الريح نشرت غبار الشوارع في كل مكان. ولا يبدو الوضع أفضل حالًا في القرى التي لا تعرف حركة عربات؛ فأفنية البيوت والسطوح والأزقة، إضافة إلى أطراف البلدة، جميعها مغطاة بالغبار. فإذا نام المرء تحت تعريشة (بالعربية "عريشة") أمام بيت المزرعة، كما فعلتُ ذلك أحيانًا، فعليه حينئذ أن يصارع الغبار الذي تنفثه الريح الليلية في الوجه باستمرار. وفي بيت ريفي، حيث لا يجري التكنيس بشكل منتظم، لا يمكن أن يكون خاليًا من الغبار، وما زال يجري استخدام الإشارة القديمة إلى نفض الغبار (لوقا 9:5؛ 11:10، أعمال الرسل 51:13) في بيتٍ سكانه ليسوا جيدين، أو، كما اعتاد المرء القول، عتبته ليست جيدة ("كَعبه مُش مليح"). لذلك ينفض المرء عند الخروج الملابس والأقدام قائلًا: "ينعَ البيت عَلِّ بَناه"، أي: "لينتحب البيت على من بناه!". ثم يروي المرء عنه: "نَفَّضنَ حالنَ عَن هالبيت"، أي: "نفضت نفسي من هذا البيت (أي من غباره كي لا يربطني شيء به). وإنها لبقية من هذا التقليد حين يقوم أحد أبناء المدينة بنفض ياقة سترته كعلامة على أنه لا يريد أي علاقة بشيء ما. وعن ذلك يُقال[1147]: "نَفَض طَوقه"، أي: "نفض ياقته"، والنقيض هو المطلوب، حين يُطلب من تلميذ تغبير نفسه بغبار قدمَي معلمه[1148] بالسجود عندهما. ويُعتبر أقصى درجات الإذلال حين توصف قُبلة القدم التي يقوم بها الناس عند أقدام الملوك (إشعيا 23:49) كلعق غبار الأقدام. وفي الوقت الذي يجلس المرء فيه على تراب جافٍ دونما حرج[1149]، يود المرء قليلًا الجلوس أو التمدد على الغبار، وهو ما

(1147) Harfouch, *Drogman Arabe*, p. 316; Baldensperger, *PEFQ* (1906), p. 191.

(1148) Ab. I 4, Ab. de R. Nathan, ec. II 12.

(1149) يُقارن ص 59، 478.

كان تصورًا قديمًا (صموئيل الأول 2:8؛ إشعيا 47:1؛ 52:2، المزامير 7:6، 22:16، 44:26، 113:7؛ أيوب 7:21)؛ ذلك أن على الأفعى أن تحيا حتى من الغبار (التكوين 3:14؛ إشعيا 65:25)، فقد قُصد بها الحط المهين جدًا. والعبارة[1150]: "غبار في فم أيوب!" ("عَفرا لِفُمّيه دِأيوب") تعني أن الفم الذي تحدث ضد الرب يجب أن يُغلق بأسوأ طريقة. لأن المرء اليوم لا يتفوه بكلمة "حذاء" من دون أن يضيف إليها كلمة اعتذار كالقول: "بِعيد عَنّك"، أي: "ليبقَ بعيدًا عنك!"، ربما كان القول غير قابل للتصور، لو أن الحذاء لم يكن يعتبر شيئًا حقيرًا، كونه على تواصل مستديم مع الغبار والوسخ، ويمكن استخدامه كشتيمة.

ولحسن الحظ، لا تتحلل تربة الحقول الحمراء والبرية في فلسطين إلى غبار من خلال جفاف بسيط؛ فبعيدًا عن البلدات والقرى والطرق المستخدمة بشكل كبير، لا يُعاني المرء كثيرًا من الغبار. ومن كان مثلي يحب التجوال مشيًا أو الركوب في الطرق الجانبية الضيقة، يتنفس بحرية، ويستمتع بالهواء النقي والأشجار الخضر فعلًا؛ فهو يجد طبيعة لم يمسها الإنسان. وبغضّ النظر عن كونها عارية وصخرية، فهي تتمتع بجمال ذاتي حتى في صيف فلسطين الجاف. ولكن إذا تحول التهديد في أن الرب سيحوّل مطر فلسطين إلى مسحوق وغبار (التثنية 28:24)، أي إلى حقيقة، فلن تتبع الريح الغبارية المطر[1151]، بل إن الأرض جميعها سينهال عليها الغبار بشكل كلّي بدلًا من الرطوبة الشتوية، أي المطر، وبالتالي سيحوّلها صحراء مخيفة من الغبار.

و. مخزون المياه الصناعي والطبيعي

تؤثر الطاقة المجفِّفة في المياه الجارية والراكدة بالطريقة نفسها التي تؤثر بها في التربة. والندى لا يستطيع تعويض ذلك، ومن هنا جاء القول حين يتعلق الأمر بمسألة ميئوس منها[1152]: "حَتَّ يِمتِلِ اِلبير مِن النِدَ "، أي: "حتى تمتلئ

(1150) b. Bab. b. 16ª.

(1151) هكذا:

b. Taan. 3ᵇ.

(1152) Baumann, *ZDPV* (1916), p. 191.

البئر من الندى". ويشرح إكسنر[1153] لماذا على البئر التي تجمع ماء المطر في القدس من نهاية تشرين الثاني/ نوفمبر حتى نهاية آذار/ مارس أن تحتوي على 356 مم. لكن نتيجة للتبخر، سوف يتوافر فيها في أيار/ مايو 185 مم فقط، وفي حزيران/ يونيو 50 مم فقط، وسوف تكون فارغة من تموز/ يوليو حتى تشرين الثاني/ نوفمبر. ولسوف تكون هناك حاجة إلى 480 مم إضافية من ماء المطر إذا كان على الماء أن يبقى حتى بداية موسم المطر الجديد. هذا بالطبع في حال كان هناك حوض غير نفاذ وذو جُدُر عمودية، ودونما تدفق من محيط أكبر. ثمة بركة جُعلت حوض تخزين في وادٍ، وهي تجمع مياه أمطار محيط أكبر، لكنها تفقد المياه جراء النز والسيل، علاوة على استهلاك الناس والحيوانات لها. ولهذا السبب كان ثمة تأثير محدود للسدود التي بواسطتها قام المرء في الأزمنة القديمة بجمع الماء بالقرب من القدس من أجل مواجهة الشح في الصيف[1154]، حتى لو لم يقم الإنسان، كما هي الحال اليوم في القدس، بتقليص تدفق الماء من خلال بناء سَدّ الوادي الواقع في الأعلى. ويكون لون ماء هذه البرك في تموز/ يوليو ضاربًا إلى السواد وإلى اللون الأخضر، ويختفي عندما يكون المرء في أمس الحاجة إليه. ويمكن أن يتصور المرء كيف هي حال المنخفضات الطبيعية التي تقوم بجمع الماء في الشتاء. وفي سنة 1925 الشحيحة المطر، شاهدتُ في 7 نيسان/ أبريل بركة "البالوع" بلا ماء[1155]، في حين كان بعض الماء لا يزال موجودًا في قعر الوادي بالقرب من الرام وعين سينيا، لكنه لم يبق بالتأكيد موجودًا حتى الصيف. ومن يعتمد على مثل هذا الماء من أجله ومن أجل أنعامه، كثيرًا ما يصاب بخيبة الأمل. ومن هنا جاء الحكم على إنسان لا يمكن الوثوق به أبدًا[1156]: "اغدَر مِن الغادِر"، أي: "أكثر مخادعة من حوض ماء"[1157]. وفي غور الأردن، تكون أمطار الشتاء أقل، والتبخر أعلى

(1153) *ZDPV* (1910), pp. 138f.

(1154) Dalman, *PJB* (1918), pp. 65ff.

يُقارن أعلاه، ص 72، 199 وما يليها.

(1155) يُقارن ص 200. في نهاية أيار/ مايو 1921 كان "البالوع" مزروعًا بالحمص.

(1156) Freytag, *Arabum Proverbia*, vol. 2, p. 184.

(1157) يُقارن ص 485.

بأربعة أضعاف من التبخر في القدس[1158]، وربما كان تأثير الصيف في مخزون المياه مدمِّرًا لو لم يشكل التدفق المستمر من منطقة تسقط فيها الأمطار بشكل وفير، وعمق الحوض الكبير لبحيرة طبرية والبحر الميت، ثقلًا مضادًا.

في ظل هذه الأحوال، كان لا بد أن يصطدم إمداد البشر والبهائم التي لا تستطيع قطع مسافة طويلة كي تصل إلى الماء - عناتا [في الأصل عناتوت] تبعد عن النبع 5 كم - بصعوبات كبيرة. وقد حاول الإنسان منذ القِدم العمل على التغلب عليها، بحفر آبار ماء في الصخر الصلد بدلًا من البرك المفتوحة، مع غطاء في الأعلى لمنع التبخر، أي حفر آبار (بالعربية "بير"، ج. "بِيار") لتأمين الحاجة إلى الماء في الصيف الخالي من المطر ليكون كافيًا حتى مطر الشتاء الآتي. غير أن هذه الآبار تشكّل في فصل الشتاء، بطبيعة الحال، مخزون الماء بالقرب من البيت وفي الحقل والبرية. وفي ضوء أهمية العناية بالتزود بالماء، يمكن أن يفهم المرء لماذا قام حافر الآبار بمدح نفسه بالقول إن عمله كان مهمًا لرجل صالح مثله، ما يطابق تفسير الشريعة لدى العالِم الكبير يوحنان بن زكاي[1159]. وغير مستغرب أيضًا المثل العربي[1160]: "مِن شِرِب مِن البير لا يرِم حَجَر فيه"، أي: "مَن يشرب من البئر لا يرمي حجرًا فيها". وقد تظهر عقبات على الرغم من مثل هذه العناية، إذا كانت أمطار الشتاء السابق شحيحة، كأن لا تمتلئ الأحواض أو الآبار، أو إن المطر الجديد يأتي متأخرًا جدًا بعد أن يكون مخزون المياه قد استُهلك أصلًا[1161]. لذلك بقي الإنسان، حتى لو اتخذ جميع هذه الإجراءات، معتمدًا على العناية الإلهية. ولكن الأدهى والأمرّ أن يكون المرء معتمدًا على الماء من بئر شخص آخر. لذلك، فإن على كل فرد أن يمتلك بئرًا خاصة به (الأمثال 5:15 وما يلي؛ الملوك الثاني 18:31). أما حقوق ملكية البئر في الحقل أو في البرية، فهي مسألة مهمة (يُقارن التكوين 21:30 وما يلي، 26:20 وما يلي بالنظر إلى آبار المياه الجوفية)، واستخدام

(1158) يُنظر أعلاه، ص 515.

(1159) Koh. R. 4 (91^b).

(1160) Einsler, *Mosaik*, p. 80.

(1161) يُقارن ص 70 وما يليها، 187، 197.

آبار الآخرين من غير إذن هو سبب للحرب بين القبائل البدوية[1162]. ولهذا أيضًا يبقى حفر الآبار مهمًا جدًا. وحتى المدن الواقعة بالقرب من عيون الماء، ينبغي أن تمتلكها كي لا تنقطع المياه منها في أوقات الحصار (يهوذا 7:13.21، 8:31). وقد كان مهمًا أن يجد بنو إسرائيل في فلسطين آبارًا محفورة (التثنية 6:11، نحميا 9:25، Siphre, Deut. 38 (77b)).

أما الشكل الأقدم للآبار، فهو الدائري المتخذ شكل الزجاجة مع فتحة تُغلق بحجر (التكوين 29:2 وما يلي؛ الخروج 21:33)، والذي غالبًا ما يوضع اليوم على الثقب الأوسط لحجر أكبر يشبه حجر الطاحونة (بالعربية "خَرَزة")، وهو يقع مباشرة فوق فتحة البئر. ويحدث أن يُستعاض عن السدّاد الحجري بغطاء خشبي أو حديدي مع قفل؛ فإغلاق بئر، وربما دل في نشيد الأنشاد (4:12) ضمنًا على إغلاق محكم، سيكون ذا قيمة عملية قليلة. وبالطبع، يمكن أن يكون للآبار أي شكل آخر غير الشكل الدائري. والسائد في المدن اليوم، حيث توجد الآبار غالبًا في أسفل البيوت، هو الشكل المربع الشبيه بالقبو. وقد امتلك حوضي في القدس مسقطًا أفقيًا بطول وعرض 3×5 م، ويمكن تعبئته بعلو 2 م، أي 30 م^3 من الماء للبيت والحديقة. وعلاوة على الأسماء العربية للأحواض الواردة في ص 71، يأتي "سيح" الذي ذُكر لي في عجلون تسميةً لحوض كبير يتخذ شكل كهفٍ، في حين استخدم أحدهم بالقرب من القدس كلمة "هُرُبِّي". وتتساوق مع "سيح" كلمة "شيح" الواردة في المشنا[1163]، والتي تعني، وفقًا لابن ميمون، الحوض المستطيل، خلافًا للدائري "بور". وهذا معروف من حيث كونه الاسم التوراتي للحوض الوارد في التكوين (37:24)، في حين أن "بِئير"، في التكوين (26:19) تعني بئر المياه الجوفية[1164]. وفي فلسطين العربية، يميز المرء بين بئر المياه الجوفية، "بير نِبع"، والحوض، "بِر شِتَ" [بير شتاء]، في الواقع "بئر أمطار". وفي حلب، يُسمى الأول "جِبّ"، والأخير "خزان". ويستخدم سعديا مقابل الكلمة العبرية "بِئير" الكلمة العربية

(1162) Musil, *Arabia Petraea*, vol. 1, p. 35.

(1163) Bab. k. V 5, Bab. b. II 1.

(1164) يتم الخلط أحيانًا بين "بور" و"بير".

"بير"؛ وفي المقابل، فإن نظير "بور" الكلمة العربية "جِبّ" (التكوين 24:37)، و"بير" (التكوين 33:21 وما يلي) و"خزان" (التثنية 11:6).

وبواسطة حبل طويل، يُدلّى السطل الجلدي المزود في الأعلى بصليب خشبي (بالعربية "دلو"، بالعبرية "دِلِي"، العدد (7:24)، إشعيا (15:40)، Sukk. II 5، Teh. VIII 3)، والذي يبقى المرء من دونه في حيرة من أمره (يوحنا 11:4)، حيث يترك الحبل في النهاية آثاره على الفتحة في شكل أخاديد. وعن ذلك يُقال[1165]: "الحَبِل مع الزمان بِقطع خَرزة البير"، أي: "يستطيع الحبل مع الوقت أن يقطع حجر البئر". أما الأحواض القُمعية الشكل [المخروطبة] غير المغطاة في القرى والبلدات التي افترض زيغفريد (Siegfried)[1166] وجودها، فلن تكون عملية، علاوة على أنه لم يثبت وجودها في أي مكان. إن تغطية غير مألوفة لفتحة البئر باستخدام قطعة قماش لحجبه (صموئيل الثاني 19:17)، هي أمر ممكن مع كل بئر عاديّة. وتتشكل الأخاديد الرافدة من سطح الأرض المحيطَ أو من سقف منبسط، لزوم ما يلزم لأي حوض. وهي لن تحقق غايتها من غير العناية بها وصيانتها. وعلاوة على ذلك، إذ لم تكن البئر محفورة في صخر كلسي قاسٍ، فإنها تحتاج إلى تثبيتها بالأسمنت أو نحوه (Ab. II 8)، أو بالملاط، كما يجري اليوم، مخلوطًا بقطع فخارية مطحونة (بالعربية "حَمْرَة"). إن الأحواض المتشققة، أي التي أصبحت غير محكمة (إرميا 13:2؛ سيراخ 14:21)، لا تستطيع أن تحجز الماء. والماء الذي يجري إلى بئر جيدة الإحكام، يبقى فيها. وعن ذلك يُقال[1167]: "ما حَطّهاش في بير خارِب"، أي: "لم يضعها [أي الماء] في بئر غير محكمة". ويصبح الأمر أكثر نشاطًا وحيوية لكل بئر بالقرب من القرية والبرية عندما تأتي النساء والجرار على رؤوسهن لنهل الماء (التكوين 11:24)[1168]، وحين تتجمع القطعان حولها للشرب، كما حصل بحضور موسى

(1165) Baumann, *ZDPV* (1916), p. 165.

(1166) Guthe, *Bibelwörterbuch*,

أدناه Brunnen.

(1167) Baumann, *ZDPV* (1916), p. 219.

(1168) ص 533.

في أرض مديان (الخروج 15:2 وما يلي) وكما خبر ذلك يعقوب في أرض بني المشرق (التكوين 2:29 وما يلي). حينئذ تسنح الفرصة للأهزوجة[1169]:

"حَيِّهِن يوم جِن	ألقِ التحية عليهن يوم يأتين
حَيِّ حِلوات اللِبِن	حيي صاحبات الحليب الحلو!
عَليِّ مِرويهِنِّ	من واجبي سقيهن حتى يرتوين
لَوِن اِدليوِ شِنِّ"	وحتى لو كان دلوي الصغير قد استُهلك.

في العادة، تكون الأحواض ذات فتحات واسعة وغير مغطاة مثل آبار مياه جوفية، ومثل آبار بئر السبع المعروفة منذ القدم. ولكن تظل هناك آبار حقلية مهملة وخالية من الماء، ودونما حجر يغطيها، وربما يسقط فيها البشر والحيوانات، خاصة في الليل (صموئيل الثاني 20:23؛ متى 11:12؛ لوقا 5:14)، وتشكل في النهار خطرًا على الأعمى أيضًا (متى 14:15، لوقا 39:6)؛ فمن سقط في بئر لا يخرج منها من دون مساعدة من الخارج. ويروي تومسون[1170] عن طبيب عربي سقط في بئر غطاها الثلج ولم تُسمع استغاثاته إلا بعد يومين وليلتين مخيفتين. شيء شبيه بذلك يرويه دونكل (Dunkel) عن معزاة وبقرة[1171]، وتتحدث حكاية يهودية قديمة عن فتاة أُنقذت من البئر، وعن طفل مات فيها[1172]. ومن هنا، شكّل الانتشال من البئر استعارة توراتية للإنقاذ من مأزق شديد (المزامير 3:40؛ زكريا 11:9). والبئر المظلمة بقاعها الموحلة هي في حد ذاتها استعارة لموقف ميئوس منه (المزامير 7:88؛ مراثي إرميا 3:53-55). وتحدد الشريعة اليهودية، استنادًا إلى سفر

(1169) Dalman, *Pal. Diwan*, p. 48.

(1170) Thomson, *The Land and The Book*, p. 287,

يُنظر أيضًا:

Schmidt & Kahle, *Volkserzählungen aus Palästina*, pp. 116f., 136; Weißbach, *Beiträge zur Kunde des Irak-Arabischen*, vol. 1, pp. 125f.,

حيث يرد في إحدى الحكايات أن خاتمة حياة 40 شخصًا كانت في بئر.

(1171) *Heil. Land* (1927), p. 91.

(1172) b. Taan. 5ᵃ, Aruch,

أدناه، *heled*.

الخروج (33:21 وما يلي)، وبشكل دقيق، مسؤولية مالك البئر الذي ترك بئره بلا غطاء[1173]. وأنا لم أسمع قط أن الآبار تُستخدم أماكن للحبس، على الرغم من أن هذا قد يحصل. ومن الواضح أن في الإمكان استخدامها لهذه الغاية، أو كمخابئ، بحيث إن حكايات التكوين (24:37)؛ إرميا (6:38)؛ صموئيل الأول (6:13)؛ صموئيل الثاني (18:17) ليست بلا مبرر أو أساس؛ فالحفرة (بالعبرية "بور")[1174] التي تُحفر عمدًا بغية سقوط أحدٍ فيها (المزامير 16:7) ليست بئرًا، بل تناظر الـ"هِفتَة" التي حفرتْها، في حكاية عربية، زوجة الأب في داخل عتبة البيت لابن زوجها[1175]. وقد أخبرني عبد الولي أن الحمام البري يقصد الآبار الخالية من الماء عن طيب خاطر، حيث يمكن اصطياده هناك[1176]. وفي حالات معينة، قد يكون القصد منها، منذ البداية، أن تكون سلة تُحفظ فيها الحبوب (بالعربية "مَطمورة")، كما يعرف ذلك إرميا أيضًا (8:41)؛ فهو يُطلق عليها "مَطمونيم" (ترجوم "مطمورين")[1177].

ينابيع وجداول

تشكل الينابيع والجداول في وقت انقطاع المطر، والتي لا تمنح الماء في الشتاء فحسب، ثروة لا تقدر بثمن[1178]، ولكنها نادرة في المنطقة الجبلية في فلسطين، وغالبًا ما توجد في قيعان أودية مشقوقة بشكل عميق وفيها [المياه]

(1173) Bab. k. V 5-7, Mech., Mischp. 11 (87^b f), Mech. de R. Schim. b. Jochai, pp. 134f.

(1174) الطريق من الحفرة إلى القبر وإلى عالم الأموات ليس بعيدًا، وهو ما يُسمى في المزامير 1:28، 4:30، 5:88، 7:143؛ الأمثال 2:1، 17:28؛ سيراخ 10:21 "بورًا".

(1175) Schmidt & Kahle, *Volkserzählungen*, p. 216.

(1176) يُنظر أيضًا:

Mrs. Finn, *Palestine Peasantry*, p. 72; Wetzstein, *Reisebericht über den Hauran und die Trachonen*, pp. 73f.; Schmidt & Kahle, *Volkserzählungen*, p. 130;

مع رفض خاطئ من:

Brandenburg, *Felsarchitektur bei Jerusalem*, p. 208,

يُقارن بلاغي:

MGWJ (1927), pp. 311ff.

(1177) يُنظر أيضًا:

Robinson, *Phys. Geographie*, pp. 275f.; Schmidt & Kahle, *Volkserzählungen*, p. 110.

(1178) يُقارن ص 204 وما يليها.

"بين الجبال تجري" (المزامير 10:104). وفي المنطقة الساحلية، التي تمنح المنطقة إلى الجنوب من الكرمل نهرًا واحدًا فقط هو نهر العوجا (ص 177)، يمكن الوصول إلى المياه الجوفية من خلال آبار عميقة (يُنظر أعلاه)، كما يرد ذلك في التكوين (18:26 وما يلي)، 25 وأخبار الأيام الثاني (10:26) للمنطقة المنخفضة في جنوب فلسطين ووسطها، أي وادي الخليل، وللساحل والأرض الجنوبية (ص 176). وفي المنطقة الجبلية، تُعد شرايين المياه الجوفية التي يمكن الوصول إليها نادرة؛ فبئر أيوب بالقرب من القدس وبير عونة في أسفل بيت جالا هي أمثلة لوجودها. وفي منطقة البقعة [سهل رفائيم في النص الأصلي] اعتقد أحدهم ذات مرة أنه في أثناء حفر بئر، وصل إلى الماء، لكن، تبين في ما بعد أن العمال كانوا قد رتبوا أمر هذه اللقية. وقد روى لي المطران الإنكليزي في القدس أن باحثًا عن ينابيع قد حدد موقع شريان ماء في حديقته، لكنه لم يكن يعلم أنه يقف فوق حوض.

بالقرب من القدس، فإن الجدول الصغير (بالعربية "سيل") الأكثر قربًا يقع على بُعد 10 كم وعلى عمق حوالى 500 م جاريًا في وادي فارة، ومشكلًا بمجراه الذي لايزيد طوله في جميع الأحوال على 2 كم، واحة خضراء صغيرة وضيقة. وإذا أراد المرء في القدس سماع خرير الماء أو الاستحمام، يمشي حينئذ إلى هناك، غير عابئ بالطريق الساخن وحتى بالوادي الأكثر سخونة، بغية أن يستمتع برؤية ماء بارد يخر من بين الصخور بقرب نبع الجدول ("راس السيل")، وأن يشرب منه وأن يغمر أطرافه في مياهه المنعشة. ولا يخلو الأمر من شلالات صغيرة (بالعربية "مِشرَع"، شرق الأردن "شالول"[(1179)])، والتي تتساقط مياهها بخرير مدوٍ في أحواض كبيرة (بالعربية "جِبِي" ("جِبا")، "اِجهير"، "بِركة") ذات مياه راكدة، وفي أماكن أخرى، يخر الجدول الصغير برفق إلى الأسفل فوق قاع حجري قبل أن يتسرب إلى قاع الوادي، وهذا الأمر كان ساريًا حتى سنة 1926 حين كانت احتياجات القدس من الماء تترك منه بقية متواضعة فقط. وعندما ذهبتُ إلى هناك آخر مرة، في 14 آذار/ مارس 1925، دوّنتُ الملاحظة التالية: "حَر، لكنه محتمل في الظل". ومع ذلك، كم كان جميلًا،

(1179) في الـ "بلقاء" يستخدم البدو "مِشرَع" لِـ "المخاضة".

تحت شجرة صفصاف قديمة طوّرت زهرًا وورقًا، أن يجد المرء على الجدول الصغير الهادر بعض البرودة التي تسري فوق الماء في حر الصيف[1180]. وكم كان منعشًا غمر الأقدام بالماء الذي ترتع فيه ضفادع وسراطين (بالعربية "سَلطَعان" [سلطَعُون] "سَرطَعان"، "سَرَطان") وأسماك صغيرة تشبه الأفاعي، وفوق ذلك كله تطير فراشة ("فَراش"). وقرابة الظهيرة، هبّت الرياح الغربية ببعض الهواء الأكثر برودة. وكان الجو أكثر حرارة حين قمنا ذات مرة في تموز/ يوليو 1910 بالتخييم هنا في الأسفل لوقت أطول. وخلال النهار، احتشدت حولنا دبابير (بالعربية "دبّور أحمَر"، باللهجة البدوية "دَبْر") جذبها تين ناضج بحيث لم يكن بعيد الاحتمال التفكير بالـ"صِرعا"[1181] التي يفترض بها أن تطرد الفلسطينيين أمام بني إسرائيل (الخروج 23:28؛ التثنية 7:20). ونحو الظهيرة، دبت الحياة في الوادي الذي عادة ما يكون هادئًا؛ فمن المرتفعات الجرداء على كلا الجانبين، قدم الرعاة بقطعانهم ذات الأغنام البيض والماعز لسقيها، وهو ما يحدث مرة واحدة في اليوم. والهدف كان بصورة رئيسة عين الرعيان التي تنبع تقريبًا في منتصف مجرى الجدول الصغير، حيث يصبح الوادي الذي كان محوطًا في السابق بجُدُرٍ صخرية عالية، أعرض، وبالتالي يسهل الوصول إلى الماء. وتتدافع القطعان نحو هذا الماء الجاري في هذا المكان بهدوء وعمق قليل، وتشرب بنهم، حيث لا تخشى الخراف هنا الولوج إلى الماء الضحل، في حين أن الماعز تفضل الجثو على قدميها الأماميتين للوصول إلى الماء بشكل مريح أكثر. حينئذ، من الساعة 12 حتى الساعة 2، وفي وضع وقوفٍ لا حراك فيه، تنال الخراف قيلولتها (بالعربية "قايلة")، وتميل إلى وضع رؤوسها أسفل جسد جارها، لتجنب حرارة الشمس، كما يروي المدراش[1182] عن الأيائل. ثمة ظلال أخرى ليس إلا القليل منها هنا؛ فأشجار التين البرية المزروعة

(1180) Ber. R. 2 (5[b]).

(1181) ابن ميمون في:
Machsch. VI 4,
حيث تُستخدم "صرعيم" للعسل، "صرعة"، بالعربية "زُنبور"، والتي ربما تتألف من الدبابير (بالعربية "دَبّور أصفر"، باللهجة البدوية "زقروط" [زرقطة]) وزنابير.

(1182) Echa R. 1, 6 (30[a]),
يود المرء قراءة "إيليم" "كباش"، لو أتاح النطق التوراتي في مراثي 1:6 ذلك.

والمنتصبة في بعض أماكن الوادي، لا تقدم الكثير لذلك. وثمة قليل من المراعي التي تحوط بالماء. ومن النادر أن يُسمع راعٍ في صيف فلسطيني وهو ينادي[1183]: "آه يا خرافي، آه يا حملاني الصغيرة، أناً سيدكم الجيد، عليكم أن ترعوا خلفي بمحاذاة الجدول الصغير الصافي"، كما يحلو للمرء أن يفكر في المزامير (2:23)[1184]. وحين تنقضي استراحة الظهيرة، يُعطي كل راعٍ أغنامه إشارة الجلاء ويسير أمامها، في حين أن أغنام الرعاة المختلفين والتي اختلط بعضها ببعض على الماء، تسير خلفهم، وكل واحدة تتبع صوت سيدها (يوحنا 4:10). ثم يصعدون مرة أخرى إلى الجبال المشمسة الجرداء (يُقارن حزقيال 14:34)، بحثًا عن مرعى هزيل. كما تأتي حيوانات برية أيضًا إلى الماء، وهنا يستطيع صياد أن يسترق السمع إلى غزلان (بالعربية "غزال") - إذ يتوق الأيل إلى جداول الماء هذه (المزامير 2:42) - ولكن بشكل أكثر تكرارًا يسترق السمع إلى ضباع (بالعربية "ضَبع")، حيث يستلقي الصياد خلف جدار صغير مبني بشكل حدوة الفرس (بالعربية "خُصّ") مع كوة رمي وأمامه خروف ميت كطعم للضبع.

الرب كراعٍ وكرؤوف بشعبه (إشعيا 10:49؛ يُقارن حزقيال 13:34) يقود أولئك الذين ينتمون إلى شعبه إلى مثل هذا الماء (المزامير 2:23). وحين يقع متجول في رحلته، أو محارب في مسيرته، على مثل هذا الجدول، لن يُفوِّت فرصة الشرب حتى يروي الظمأ، ثم يتابع طريقه منتعشًا مرفوع الهامة (المزامير 7:110؛ القضاة 19:15). وفي سنة الجفاف، يستطيع المرء الالتجاء إلى ينبوع دائم (الملوك الأول 4:17 وما يلي)، كما حدث في سنة 1925 (ص 176). وإذا لم يمتلك المرء حتى أداة غَرْف الماء (إشعيا 14:30)، هناك طريقتان للشرب: يستطيع أن يُغطِّس يده أو كلتا يديه في الماء، ومن باطن اليد أو من

(1183) Schoen, *Tradit. Lieder*, p. 19.

(1184) يُنظر بخصوص المزامير 23،
Siegesmund, *PJB* (1909), pp. 97ff.,
ومجموعة الصور الممتازة:
"The Twenty Third Psalm Illustrated", F. Vester a. Co. Jerusalem,
مع 13 صورة (22×16)، سبع منها من وادي فارة.

كلتا اليدين مجتمعتين ("بالحَفن") يسحب ("لقّ") الماء إلى فمه باللسان كما الكلب، وهو ما يُجيده الشرقيون. ولكن المرء يستطيع أيضًا الاستلقاء على الأرض والانحناء فوق الماء ("كرّع") من أجل أن يرشف ("غبّ") مباشرة من النبع، حيث يسهل الشرب حتى لا يبقى هناك ظمأ. وثمة خطر بالطبع من أن يبتلع عَلَقة ("عَلَق"، بالعبرية "علوقا") مع الماء، كما حصل مع شخص في "الأنصاري" بالقرب من حلب. وقد قام مرافقي العربي بسحب العلقة من حلقه[1185]. ويفترض التلمود مثل هذه الحوادث، ولذلك يحرّم شرب الماء من برك أو أنهر بالفم أو باليد[1186]. وهذه ستكون أيضًا طريقة الشرب التي استخدمها جيش جدعون (القضاة 7:5 وما يلي)؛ فالشاربون باليد كانوا المؤهلين للإغارة؛ وإنهاء المسألة بأقصى سرعة، ولم يقذفوا بأنفسهم فوق الماء متهالكين، كما فعل الآخرون.

تتمتع مياه الينابيع العذبة بقوة منعشة مختلفة كليًا عن ماء المطر المخزون في الأحواض. وليس هكذا كنا نحصل على الماء الذي يجري إحضاره إلينا في جِرَارٍ ("عَسلية"، "جِرّة") تُحمل على الرؤوس[1187] من نبع لفتا، "مَعين مي نِفتوَح" في يشوع (9:15) على بعد 3 كم. كان الماء في حوضنا نقيًا، على الرغم من يرقات البعوض الأحمر التي تحيّيه بين حين وآخر، ومع ذلك، فهو يمنح الشاي طعمًا "مالحًا"[1188]. ويقول العرب[1189]: "مَويِّت شباط بالبير بِتخَمّ بِحزيران"، أي: "ماء شباط في البئر تنتن في حزيران"، ولكننا لم نلاحظ شيئًا من

(1185) حوادث مشابهة وقعت بالقرب من حلب يوردها:
Russell, *Naturgesch. von Aleppo*, vol. 1, pp. 137f.

وبالقرب من القدس وجدت بئر عين حوض مليئة بالعلق.

(1186) b. Ab. z. 12[b],

يُقارن:

j. Ber. 13[c], b. Bech. 44[a],

ويتخوف من الإصابة بالعمى جراء الشرب بهذه الطريقة،
b. Pes. 112[a].

(1187) الجرة تُحمل على الكتف في التكوين 15:24، وهو شيء غير مألوف في أيامنا هذه. يُنظر:
Preiß & Rohrbach, *Palästina*, fig. 214.

(1188) يُقارن ص 182.

(1189) مجلة **المشرق** (1905)، ص 666.

ذلك. أجرار فخارية راشحة ("شِربة")، خاصة المصنوعة من طمي النيل والتي يقوم المرء بوضعها في مجرى هوائي، كانت هي الوسيلة الأفضل لتبريد الماء الذي كان محفوظًا في جرة تخزين كبيرة ("هِشّة"، "زير"). ومن أجل الشرب، لا يُستعمل الكوب ("كاس")، وهو الأكثر استخدامًا، بل إناء الشرب ("بريق")، وهو الإناء الشعبي الذي يعرف المرء كيف يترك الماء يسيل من بزبوزه الدقيق إلى داخل فمه من دون أن يمسه بشفتيه. وهكذا يُدرك المرء كم هو قيّم أن يكون "الماء العذب [حرفيًا الماء الحي]" (بالعبرية "مَايم حَايّم"، سعديا "ماء نابع" التكوين 19:26؛ حزقيال 15:4) تحت تصرف المرء (إرميا 13:17؛ زكريا 8:14؛ يوحنا 38:7؛ رؤيا 17:7، 1:22)، شريطة أن يكون باردًا (الأمثال 25:25)، وأي غباء أن يقوم أحدهم بترك ينبوع ليشرب من بئر تالف (إرميا 13:2)! وماء النبع هو استعارة لمساعدة إلهية (إشعيا 3:12) لا يقوى غير الفلسطيني على الإحساس بقوتها، لأنه يعرف أي سرور ينتاب من يغرف الماء من نبع متدفق حقيقي ("عين نِبع")، ثم في نهاية الأمر ينشل من بئر مياه جوفية ("بير نِبع")، بالطبع يجب ألّا يكون ماء النبع مالحًا ("مالِح")، كما يحصل كثيرًا في فلسطين، ومثلما هي الحال بالقرب من القدس في المالحة، وفي وادي الملح [في الأغوار الشمالية قريبًا من طوباس]، وبالقرب من المُجيدِل الجليلي وكوكب الهوا، حيث تقع العيون العذبة والمالحة بعضها إلى جانب بعض. وعوضًا عن ذلك، توجد عيون مالحة بالقرب من المُجيدل غير البعيدة عن كِفر قود في منطقة جنين، وبالقرب من "تَفوح" في يهودا [جنوب الضفة الغربية]. إن ماء ينبوع مثل هذا، كما هو ماء البحر الميت المر والمالح الذي لا يضعه المرء في فمه، تمامًا مثل مياه الينابيع الحارة ذات الرائحة الكبريتية[1190]. لذلك، هناك ما يكفي من الأسباب للتفريق التوراتي بين الحلو والمر (الخروج 23:15؛ يعقوب 11:3؛ رؤيا 11:8) أو الماء المالح (يعقوب 12:3).

(1190) عن مثل هذه الينابيع، يُنظر:
Robinson, *Phys. Geographie*, pp. 262f.; Musil, *Arabia Petraea*, vol. 1, p. 18; Blanckenhorn, *Naturwissenschaftl. Studien*, pp. 66, 99, 106,

وهنا وهناك. عن البحيرات المرة في شبه جزيرة سيناء:
Szczepanski, *Nach Petra und zum Sinai*, pp. 516, 529; Baedeker, *Ägypten*[8] (1928), p. 193.

أي خيبة للأمل تحل حين نجد عينًا كانت تجود بالماء ثم جفت في سنة جفاف! مثل هذه الخيبات يتسبب بها المعلمون الزائفون في رسالة بطرس الثانية (17:2) كـ πηγαι ανυδροι، حيث تبدل ترجمة مارتن لوثر للإنجيل كلمة "عيون" إلى "آبار"، كما يفعل عادة. إنه حكم قاسٍ حين حوّل الرب أنهارًا إلى صحارى (المزامير 107:33)، وحين تُمنع الـ"الينابيع الدائمة" من الأعماق ومن الجبال، كما هو موصوف في مزامير سليمان (19:17). ومثل الينابيع الدائمة، فإن مجاري المياه التي تجري طوال الصيف ذات أهمية فائقة للإنسان والحيوان. والنصف الجنوبي من فلسطين يفتقر إلى ذلك بشكل خاص. وحتى أنهار الساحل تجري فيها الماء على مدار العام تقريبًا في منطقة الكثبان الرملية وحدها[1191]، وما من نهر منها له صلة مباشرة بالمنطقة الجبلية. وعلى المنحدر الشرقي للمنطقة الجبلية، يمكن هنا ذكر وادي القلط ووادي العوجا فحسب. لكن مع الإشارة إلى أن الجداول الثلاثة التابعة للأول لا تربط بعضها أي علاقة ببعضها الآخر، وأن ماء كليهما يجري باستمرار إلى المخرج في غور الأردن، ولا يصب في نهر الأردن[1192]. وعاليًا في الجبال توجد الجداول القصيرة جدًا لعين الدلب في شمال غرب رام الله، وعين دارة أسفل شيخ القطرواني وعين الزرقة، وكلاهما شمال شرق بيتلّو (مفقودة على الخريطة)[1193]، إضافة إلى سيل الدلبة في جنوب غرب الخليل، مع أن اسمه سيل أبو تَمرة. وهذه يفترض أن تكون "الأنهار الدائمة" (بالعبرية "نهروت اِيتان") في المزامير (74:15)، والتي يستطيع الرب تجفيفها. وربما هي "اِيتانيم" التي جرى، بحسب سفر الملوك الأول (8:2)، تسمية شهر على اسمها، وهو تِشرِي، بحسب المحرر[1194]. ويبقى معنى "نحل اِيتان" في التثنية (21:4) موضع شك، حيث

(1191) تُنظر تقصياتي في:
ZDPV (1914), pp. 338ff.,
وفقًا للطبعة الأخيرة من خريطة فلسطين لدى فيشر (Fischer) وغوته (Guthe).

(1192) تُقارن ملاحظاتي على خريطة بيكر (Becker) المتعلقة بمنطقة يهودا الوسطى،
ZDPV (1914), p. 366.

(1193) يُنظر:
PJB (1913), p. 74.

(1194) سُمّي هذا الشهر هكذا، لأن استمرار الأنهار والينابيع أثبت نفسه بشكل كلي، حين يحين وقت المطر الجديد.

تعتقد السبعونية وبيش وأونكيلوس وسعديا (وادي صعب) وفقًا للسياق أنه وادٍ بري لا جدول دائمًا[1195]؛ إذ لا يمكن أن يفهم المرء لماذا لا يمكن الحرث في محيط ذلك الجدول، إضافة إلى طرح السؤال: ماذا يحدث لمدينة لا جدول دائمًا فيها.

اعتمادًا على جميع هذه الافتراضات، يصبح مفهومًا أن حزقيال (1:47 وما يلي؛ يُقارن رؤيا 1:21 وما يلي) يتوقع نهرًا دائمًا يجري في وقت الخلاص من القدس عبر الصحراء، محوّلًا البحيرة المالحة للبحر الميت إلى مياه عذبة، وأن يضيف إلى النهر (زكريا 8:14) الذي يجري إلى الشرق من القدس نهرًا آخر يجري غربًا نحو البحر المتوسط، مصحوبًا بالملاحظة الصريحة عن أن من الضروري أن يستمرا كلاهما في التدفق في الصيف وفي الشتاء. وبذلك يتحول وادي النار ووادي بِتِّير[1196] اللذان يجري فيهما الآن ماء الشتاء أحيانًا، إلى أنهار دائمة الجري تتفوق على نهر الأردن في التأثير، وبذلك يُعالج نقص المياه في القدس وضواحيها إلى الأبد.

في الشريعة اليهودية، ومن وجهة نظر مختلفة جدًا، ظهر سؤال عن نوع الماء "كشيء حي" في إطار معنى قانون سفر العدد (17:19) الذي يُسمح باستخدامه من أجل التطهر. كان الجواب، في البداية، أنه يجب أن يكون ذلك الماء ماء نبع[1197]، وبذلك يُستثنى ماء الآبار وماء الجداول الشتوية. إلا أن الشريعة تخطو خطوة إضافية حين تعلن أن "الماء المخادع" غير قابل للاستعمال، آخذة في الاعتبار عيونًا تجف مرة واحدة في كل سبع سنوات، أو كما يضيف يهودا، تخفق على نحو استثنائي في أوقات الحروب أو في سنوات الجفاف[1198]. ولم توافق الأغلبية على التوسيع الأخير لمفهوم "الماء

(1195) هكذا أيضًا:
Siphre Deut 207 (112a), Midr. Tann., p. 124.

(1196) يُقارن ص 205.

(1197) Siphre Num. 128 (46a), Midr. Tann. zu Num. 128 (S. 165), Targ. Onk. Jer. I zu 4 Mos. 19, 17.

(1198) Par. VIII 9.

يُقارن:
Tos. Par. IX 2.

المخادع"، لأنها ستكون مشكلة كبيرة إذا استوجب استثناء كل ينبوع انقطع مرة من سلسلة الينابيع التي تستطيع تقديم ماء التطهر. وفي جميع الأحوال، يجب استثناء وادي القلط الذي وجدته في 21 نيسان/ أبريل 1913 و4 شباط/ فبراير 1914 دونما ماء بالقرب من دير كوزيبا [دير القديس جيورجي] مع العلم أني لم أسمع قط أن عين القلط جفت يومًا. ولسبب آخر، اعتُبر ماء الأردن وماء اليرموك، رافده الأقوى، غير قابلين للاستخدام لأنهما مخلوطان بماء ينبوع عادي وماء حار أو مالح، وهو أمر ممنوع في التطهر[1199]. وهكذا، لم يكن العثور على ماء من أجل التطهر سهلًا في فلسطين، لذلك كان مخزونًا في جرار حجرية ضخمة[1200] (يوحنا 2:6، يُقارن مرقس 3:7 وما يلي)، وكانت مسألة عظيمة حين عُثر على طريقة أخرى للتطهر أمام الرب (سفر العبرانيين 1:3، 13:9 وما يلي).

ز. عالم النباتات في الصيف

بطبيعة الحال، من الأمور البدهية وجود تبعات درجات الحرارة المرتفعة لصيف بلا مطر، مصحوبًا بندى؛ فالنباتات الخفيضة ذات الأوراق الرقيقة، والتي تفتقر إلى جذور تضرب في العمق، تكون في نهاية الربيع قد أنهت دورتها الحياتية السنوية، وتقوم، في حال كانت معمرة، بالإخلاد إلى بيات صيفي يناظر بيات النبات الشتوي في المناخ الشمالي، أو عليها الانتظار إلى حين حدوث ترطيب أقوى لبذورها، فيردها إلى حياة جديدة. ليس حزيران/ يونيو ولا تموز/ يوليو، ولكن أيار/ مايو، هو الشهر الذي يعتبره الفلسطيني "شهر الزهور": ("شهر

(1199) Par. III 10; يُقارن: Dalman, *Orte und Wege Jesu*³, p. 102,

(1200) يتحدث Par. III 2, عن كؤوس حجرية لماء التطهر، Bez. II 2, Tos. Par. III 4, عن أواني ماء مصنوعة من الحجر، يُقارن: Billerbeck, *Kommentar*, عن يوحنا 2:6. أما أن مثل أواني الحجارة هذه موجودة اليوم من أجل هذا الغرض، فهذا ما لا أعلمه.

الأزهار") والذي ينادي الواحد فيه على الآخر[1201]: "أُقعُد بِفَي الوَرد - وَتَذَكَّر لِيالِ البَرد"، أي: "اجلس في ظل الورد وتذكر ليالي البرد (التي قد انقضت الآن)". إنه الأمر الواقع الذي وُصِف في الأمثال (25:27) بالكلمات التالية: ذهب النماء الناضر، والعشب الأخضر قد ارتُعي؟ وأعشاب الجبال هلكت"،"حين تصل تقوفات [فترة] تموز، تجف الأعشاب، ولكن الأشجار تُخرِج ثمرها"، وهذا ما يقوله المدراش بشكل صحيح[1202]. كما أن "زرع الصيف" لا يستطيع فعل الكثير في ما يتعلق بهذه الحقيقة، لأن الإحصاءات[1203] تُظهر أنه لا يتجاوز 15 في المئة من زرع الشتاء. وفي ما يتعلق بالنباتات البرية، فإن قليلًا منها محصَّن ضد الحر ومعدّ لالتقاط الندى للبقاء حيًّا في الصيف، جنبًا إلى جنب مع الأشجار العميقة الجذور التي تظهر في حزيران/ يونيو، مثل المعجزة بخضرتها في وسط مشهد طبيعي محترق أصفر ورمادي فاتح، بحيث يدرك المرء حين نشأت العقيدة أن جذور أشجار الخروب والجميز العميقة حصلت على رطوبتها من الماء عميقًا تحت سطح الأرض، والذي يفترض أن الأرض تمتد فوقه[1204]. والمشهد الطبيعي في صيف فلسطين، الذي لا يختلف إلا قليلًا عنه في خريفه (ص 69 وما يليها، 98 وما يليها)[1205]، يشبه خريفنا الشمالي، لكنه يعود فيختلف عنه بخضرة الأشجار التي تستمر عادةً حتى النهاية. وقد سبق أن جرى التعرض أكثر من مرة للأشجار البرية والمزروعة من زوايا أخرى[1206]. وهنا

(1201) أنطون الجميّل، مجلة **المشرق** (1905)، ص 668. يُقارن ص 475 وما يليها.

(1202) Tanch. (Mantua 1563 ed.),

عن التكوين 1:21 (11ب)، ليس في طبعة بوبر.

(1203) وفق الأرقام التي أعطاها بريس:

Preß, *Geographiyya shel eres Yisrael*, p. 47

بالنسبة إلى حصاد الحقل في سنة 1923/ 1924.

(1204) Ber. R. 13 (29b), j. Ber. 14a, Tann. 64b;

يُقارن:

Schem. R. 5 (18b).

(1205) تلك هي الصورة التي رسمتُها للقدس ومحيطها في:

PJB (1921), pp. 11ff.,

بحسب ملاحظات تعود إلى 19 أيلول/ سبتمبر لن تكون مختلفة بأي شكل من الأشكال في آب/ أغسطس.

(1206) ص 57 وما يليها، 254 وما يليها، 376 وما يليها.

سيشار إلى أنها ستكون شاكرة إذا مُدَّت في الصيف بريٍّ طبيعي أو صناعي. وينمو الحور الفراتي على ضفاف نهر الأردن بهيجًا من خلال نضارته غير القابلة للتلف، مثل الصفصاف على نهر اليرموك والحور الأبيض على جدول "جرَش". كما أن أشجار الزيتون تبدو مختلفة عما تبدو عليه عادة حين تتمتع بمزية الري الصناعي كما هي بالقرب من الطفيلة، بحيث إن كلام إرميا (8:17) عن "الشجرة المغروسة في جانب الماء والجدول" (بالعبرية "يوبَل")، والمزامير (3:1) "شجرة مغروسة قرب جداول المياه" (بالعبرية "بَلجي مَايِم") ينطبق على هذه المنطقة لأن هذه التعابير لا تشير إلى جداول طبيعية، بل إلى مجاري مياه الري[1207]. إن عبارة أرض مروية، كما لا يزال ذلك ممكنًا بالقرب من القدس في منطقة "حديقة الملك" (الملوك الثاني 4:25؛ إرميا 4:39؛ نحميا 15:3)، تعني خضرة أحواض الخضروات أيضًا حتى في فصل الصيف[1208]، مقدمة بالتالي نقطة راحة للعين الشاردة ببصرها في المشهد الطبيعي الساطع. أما كم من الزهور والخضروات تبقى في حديقة البيت، فهذا يعتمد على كمية ماء البئر التي تتجاوز الاحتياجات المنزلية (ص 350 وما يليها)؛ إذ إن ذلك يكاد يكون نادر الحصول في الريف، حيث تختفي الحدائق المنزلية الحقيقية، ويُستعاض عنها بِـ"حاكورة"، أي قطعة أرض إلى جانب البيت أو القرية مزروعة بالخضروات كبديل متواضع.

تتمثل إحدى نتائج الجفاف العام ووجود أغلب الحقول في ختام موسم الحصاد، في أن المرء يستطيع السير في كل مكان من دون عائق أو من غير إلحاق أذى بالمالك. وهذا ما يشار إليه في الشريعة اليهودية؛ فهي تميز الطرق العامة من الطرق الخاصة[1209]، وتميز الممرات العامة والممرات الخاصة بالمشاة[1210]. وفي ما يتعلق بالأخيرة، فإن السؤال هو: هل هذه الممرات كانت "مخصصة"

(1207) عن نوع الشجرة التي ربما قصدت إليها يُنظر ص 100 وما يليها.

(1208) يُقارن ص 338، 555.

(1209) Bab. b. VI 7.

(1210) Pea II 3, Bab. mez. II 2, Tos. Pea I 8, Siphra, Kedoschim 2 (87^{c} f).

في حد ذاتها للشتاء أيضًا[1211]. إن هناك طرقًا يستطيع المرء أن يسلكها حتى بدء الوقت الطبيعي للمطر المبكر[1212]، وهذا يشترط قيام المالك، حين تُعَدّ الحقول ويبدأ النمو الجديد، بمصادرة هذه الممرات، أو تركها تختفي بشكل كلي.

من بين الشجيرات تستحق شجيرة العليق (Rubus disclosor، بالعربية "عُلّيق"، في شمال الضفة الغربية "عَرقَد"، في الجليل "كبوش"، "كِبش"، "عِقّيل") الانتباه إلى أن حيويتها غير القابلة للفناء تفترض ذلك. وعندما يكون كل شيء آخر قد ذبل، يُطلق العليق زهره الأرجواني في آب/ أغسطس وأيلول/ سبتمبر وتشرين الأول/ أكتوبر. لم أره قط فاقدًا للحياة بشكل كلي، بحيث يؤدي ذلك إلى التساؤل: هل يجب احتسابه ضمن النباتات دائمة الخضرة أم لا. وهو يتشرف منذ الأزمنة القديمة بأن يعتبر الشجيرة الشائكة (بالعبرية "سنيه") التي ظهر فيها الرب لموسى في حوريب (الخروج 3:2). ومن قبل، في القرن الرابع، كان الرهبان في دير سيناء الحالي قد أشاروا إلى شجيرة من هذا النوع في الحديقة[1213]، كما لا يزال يحصل اليوم[1214]. وقد وصفت المرجعيات اليهودية في القرنين الثاني والثالث الـ"سنيه" بأنه الأصغر بين الأشجار، أي شجيرة تنمو على جميع أنواع الماء، وتحمل زهرًا وورقًا خماسي الأجزاء، وتملك شوكًا منحنيًا إلى الأسفل، أي شوكًا على شكل كُلّاب، يسمح ليد إنسان أو طير بالدخول إليه بسهولة، ولكن لا يتركه يخرج دونما خدوش[1215]، وهو ما يتلاءم مع شجيرة العليق. وعلاوة على ذلك، فإن *βατος* التي تستخدمها السبعونية لكلمة "سنيه" لا تزال حتى اليوم هي العليق[1216]،

(1211) j. Pea 16ᵈ.

(1212) b. Bab. k. 81ᵇ, Taan. 6ᵇ.

(1213) Silvia, Geyer, *Itinera*, p. 42, Petrus Diaconus, p. 121.

(1214) Sargenton & Galichon, *Sinai Maan Petra*, pp. 79f.; Szczepansky, *Nach Petra und zum Sinai*, p. 333.

(1215) Schem. R. 2 (11ᵇ),

يُقارن:

Schir R. 3, 8 (42ᵃ), Mech. de R. Sch. b. J., S. 2.

(1216) Heldreich, *Nutzpflanzen Griechenlands*, p. 66.

وتعتبر (Geoponica 2:5, 6, 10 علامة على وجود الماء في البلد؛ ذلك أن *βατος*، وهي "سَنيا" في الترجمة السريانية، لا تستطيع أن تُثمر عنبًا، فهذا ما يشهد عليه لوقا (44:6)[1217]. وتُعَدّ ثمار العليق في فلسطين غير مهمة بشكل خاص، لأنها تفتقر إلى العصارة. وتتحدث رسالة برنابا (8:7)، ربما على خلفية تقليد يهودي، عن كيفية تعليق أحدهم الصوف القرمزي للتيس الذي كان قد أُرسل إلى الصحراء في يوم عيد الغفران، على شجيرة عليق، وعن ثمارها[1218]. أما أن شجرة العليق تنمو فعلًا في صحراء سيناء[1219]، فهذه مسألة ليست ذات شأن. ويفترض الراوي في الخروج 3 أن موسى كان يرعى عند الماء، حيث أمكن أن تنمو شجيرة العليق بشكل مشابه لما هو في برّيّة وادي الصوينيت [الصوانيت]، حيث يفترض اسم الصخرة "سِنيه" في صموئيل الأول (4:14) وجودها. و"سِنا"، في شبه جزيرة سيناء، هو اسم أنواع من النباتات المزهرة من الفصيلة البقولية[1220]، ويمكن تخمين أن شخصًا حسن الاطلاع على المنطقة ربما فكر بشيء آخر، ولكن بعيدًا عما تخيله الراوي العبري؛ فالرب الذي ظهر له في شجيرة العليق، ليس هو رب الصحراء القاحلة، بل رب المراعي المليئة بالعيون.

وإلى الصحراء ينتمي بشكل أساسي الرتم (Retamа raetam، بالعبرية "روتِم") المجرد من الورق، والذي أدهشت خضرته النضرة شتومر (Stummer) في 31 تموز/يوليو 1927 في الصحراء بين بئر السبع وقادش[1221]. ويعرف المدراش أنه ينمو عادة بشكل شاهق في الصحراء، بحيث يرجح أنه الشجيرة التي تحظى بالاعتبار، لأن هاجر مددت ابنها تحتها (التكوين 15:21)[1222]. ويقدم

(1217) يُقارن "سِنا" مسيحي فلسطيني، مرقس 26:12.

(1218) بحسب

Yom. VI 6,

فقد رُبطت إلى صخرة.

(1219) Kaiser, *Die Sinaiwüste*, p. 66,

يشير إلى (Rubus fruticosus) كحاصل في سيناء.

(1220) Post, *Flora*, p. 297; Tristram, *Fauna and Flora*, p. 292; Hart, *Some Account of the Fauna and Flora of Sinai, Petra and Wady Araba*, pp. 29, 91, 133, 160.

(1221) *Heil. Land* (1928), p. 8.

(1222) Ber. R. 53 (114ª).

رانغه (Range) شهادة على كميات كبيرة من هذه النبتة في الأودية وسطوح الحصى في الصحراء[1223]؛ ذلك أن الرتم الذي أَمتلكُ من جذعه مقطعًا عرضيًا بطول 9 سم لا يحترق بشكل جيد فحسب، بل إن جمره يستمر بالتوهج في الداخل أيضًا، حتى لو خمد في الخارج[1224]. وهذا ما يجعله ملائمًا كصورة لكلام خبيث كما يُعايشه المرء حين يكون بين أناس يشبهون البدو (المزامير 120:4).

إن مُزهِرَ صيف فلسطين هو شجيرة الكَبَرُ الشائكة (Capparis spinosa، بالعربية "قَبّار"، "الأصف"، "لَصَف"، بالعبرية الحديثة "صالاف")، وزهره الأبيض البهي ذو الوريقات الأربع مع أكياس حمر، يتدلى أحيانًا حتى من جُدُر قديمة، ولكنه يستطيع النمو منتصبًا كالشجرة. وقد يصل قطر جذعه إلى 6.3 سم، بحيث يطرح السؤال نفسه: هل يجب اعتباره من ناحية قانونية شجرة[1225]؟ إن ثلاثة أجزاء مختلفة منه تستدعي فرض العُشر عليه: "تِمروت"، "أبِيّونوت"، "قَبّارَس"[1226]، والتي ربما كانت الزهر والبرعم والثمار المخللة[1227]. ومن قبل، كانت الجامعة (12:5) تعرّف الـ"أبيّونا" بأنه فاتح للشهية، فتقول عنه إنه "يكون منكسرًا" في سن متقدمة للإنسان، أي إن تأثيره يَبطل، ولا يعود قادرًا على إثارة شهية الأكل[1228]. أما تَطاوله[1229]، الذي كان في وقت ما موضع لوم، فيعود إلى أنه يشق طريقه في كل مكان، وينمو، كما تقول Geoponica II 39، دونما عناية. وفي السابق، كان ظله الضئيل يُعتبر خطرًا[1230]، واليوم لا يريد أحد استخدامه حطب وقود، وهو ما قد يتضمن تأثيره في القدرة على الإنجاب[1231].

(1223) *Flora der Isthmuswüste*, p. 18.

(1224) Ber. R. 98 (214b).

(1225) j. Kil. 31c.

(1226) Masser. IV 6.

(1227) Löw, *Flora* I 1, pp. 324ff.

(1228) بحسب بوده (Budde) ولوف، في: Ibid., p. 326، جرى التفكير في انفجار الثمرة نفسها. ولكن التفجر ليس مميزًا للثمرة إلى الحد الذي يمكن معه تسمية النبتة ككل وفقًا له، كما يفترض لوف.

(1229) b. Bez. 25b.

(1230) يُنظر ص 57.

(1231) ص 84. وعن استخدام الأوراق، يُنظر ص 342. ويذكر روبينوفيتس (Rubinowitz) الاستخدام الحالي في أماكن أخرى "مِص- صِمحي سِفروتينُ هَا- عتّيقا"، ص 12.

اللافت، ولو بشكل أقل، هو العنقود الأبيض لزهر السماق (Rhus coriaria، بالعربية "سُمّاق"، بالعبرية "أوج")[1232] الذي ينتمي إلى فترة الصيف. وهو قادر على تشكيل شجرة يصل ارتفاعها حتى خمسة أمتار (يُقارن ص 80)، ولكنه يَظهر عادةً كشجيرة. وتُستخدم ثماره وقشرته وأوراقه في الصباغة والدباغة. كما تستخدم الثمرة البنية لتحضير شراب حرّيف[1233]، ويمكنه، وفق [بطرس] البستاني، وقف إسهال مزمن. كما يُتناول مع قشره، وفق ابن ميمون[1234]، كتابل مع الأطعمة.

والبطم التربنتيني (Pistacia lenticus، بالعربية "سَريس"، وفق باور، "عَذق" أيضًا) تجب الإشارة إلى كونه مهمًا في الكتاب المقدس. إنه شجيرة أكثر منه شجرة، وتتمتع أوراقه الدائمة الخضرة برائحة قوية، وهو يوجد بحبوبه الحمر في كل مكان تقريبًا بين بقايا الغابات، وفي الهضاب أيضًا بالقرب من الساحل. ومنه تأتي المستكة ("مَستيكة"، أيضًا "مسطقى"، "مصطكى") التي يحب الفلسطينيون مضغها. وتظهر عند سعديا كـ"مُصطكة"[1235] في الخروج (34:30) بدلًا من العبرية "ناطاف"، أي كجزء من عمل التدخين. ويخبرنا هيلدرايخ[1236]، أن المصطكة تُستخرج من خلال شق جذوع هذا النوع من البطم، خاصة في الجزر اليونانية بشكل عمودي، ثم جمع الصمغ المنسكب على الأرض. إلا أن النوعية الأفضل هي ذلك الصمغ المتجمد على رؤوس الفروع في شكل قطرات صافية، تُدعى *δαχρυ* "دمعة". لكن، منذ أن كانت

(1232) قد تكون "أوج" على صلة بالجذر العربي "أجّ" "أشعل"، "يكون ذا مذاق حار". وهي تظهر في:
Pea I 5, Dem. I 1, Maaser. I 2, Kel. XXXVI 3< Tos. Schebi. I 6, Ab. z. IV 11, Machsh. III 9.

(1233) يُنظر:
Post, *Flora*, p. 206,

أدناه، Arukh.

(1234) عن:
Pea I 5, Kel. XXVI 3,

يُقارن:
Löw, *Flora* I 1, pp. 200f.

(1235) قراءة أخرى "آسطراق"، وهو ما يحيل إلى Styrax. يُقارن ص 385.

(1236) Heldreich, *Nutzpflanzen*, pp. 60f.

"ناطاف" تعني "دمعة" والشجرة في فلسطين محلية، فحري الافتراض أنه كان يجري هناك يومًا ما جمع الصمغ. أما الاسم العبري المتأخر للشجرة، فربما كان "قاطاف"[1237]، لكن ليس من المستبعد أن الاسم التوراتي مشمول في "بِخهايم" من صموئيل الثاني (23:5 وما يلي) (يُقارن المزامير 7:84). وبهذا الخصوص، تدور في خلد الحاخامين شجرة مزودة بالشوك حتى رؤوس أطرافها[1238] تستطيع أن تُبكي كل من يريد مهاجمتها على الفور[1239]، وهذا يُستدل عليه من الاسم وحده. والأرجح أن الشجرة "تبكي" من خلال تركها الصمغ ينقط. ولأن شجرة البلسم الحقيقية تُستثنى، كونها غريبة على فلسطين، فإن شجرة البطم تكون مرجحة أكثر، خاصة أنها تُدرج، على ما يبدو، بين الأشجار الدائمة الخضرة كبلسم[1240].

بعض زهور الربيع المتأخرة تبقى في سنوات مؤاتية ذات مطر متأخر حتى حزيران/يونيو ثم تختفي. أما الزهرة الطويلة العمر في الحقول وغير اللافتة، فهي زهرة البابونج الذهبي (Matricaria aurea، بالعربية "قريعة سيدي": "صلعة جدّي" [في النص الأصلي صلعة زوجي]، "بابونج"). كذلك الأمر بالنسبة إلى الخلة البلدية الطويلة (Ammi visnage، بالعربية "خِلّة")، المرغوب فيها سويقات زهرها القاسية كسواك للأسنان. وعلى الطرقات، يقف القرنفل الضارب إلى الحمرة (Dianthus multipunctatus، بالعربية "خَطلة")، ثم النباتات الشائكة[1241] التي تنمو أشكال منها طويلة جدًا ثم تبقى منتصبة عند جفافها،

(1237) يُقارن:

Targ. Jer. I, II 2. Mos. 30, 34,

وص 385.

(1238) Pes. R. 8 (30ᵇ), Jalkut Mechiri Ps. 27, 1.

(1239) Midr. Teh. 27, 1.

جميع هذه الاقتباسات غير واردة لدى:

Löw, *Flora* I, p. 268; III, p. 235.

(1240) يُقارن ص 258. ولكن يجب ذكر أن في:

j. Kil. 27a *bekhayim*,

يظهر "بِخايم" كقريب من الإجاص.

(1241) يُقارن ص 51 وما يليها، 338 وما يليها، 372.

في حين أن أخرى تشكل خليطًا شوكيًا متشابكًا يحس به كل من يجتاز حقلًا من دون حماية لساقيه. ويجب إدراج الفصيلة الشفوية ضمن نباتات الصيف المبكر، وهي أعشاب ذات أوراق صوفية أو شعرية، مغبرة اللون نوعًا ما، وهي التي تحميها رائحتها القوية من حر الصيف. وتنتمي أنواع الميرمية المتعددة إلى فصل الربيع[1242]. إلا أن النعناع (Mentha sylvestris، بالعربية "نَعنَع")[1243] بعنقوده الزهري الصغير الأرجواني الذي يُحب النمو بمحاذاة الجداول، ووجدته مزهرًا في تشرين الأول/ أكتوبر، غير قابل للفناء. عطره ينتشر في الهواء جنبًا إلى جنب مع عِرْق الطيون (Inula viscose، بالعربية "طَيون") الواسع الانتشار، والذي يجري إحضاره إلى البيوت كطارد للبراغيث، وهو إضافة لازمة فوق الينابيع والجداول حتى الينبوع الساخن في عين الطابغة على الضفة الساخنة لبحيرة طبرية. أما حبق الشيوخ أو المرو (Origanum maru، بالعربية "زعتَر")[1244] الذي يُطلِق زهرًا شاحبًا يميل إلى الحمرة والذي رأيته في الجليل وجنوب الضفة الغربية من أيار/ مايو حتى أيلول/ سبتمبر، والمعروف أيضًا في سيناء، فهو ينتمي إلى المشهد الطبيعي الجاف للشجيرات الخفيضة الدائمة الخضرة Phrygana المنتشرة في منطقة شمال شرق البحر المتوسط. ويقوم المرء بتجفيف أوراقه النضرة ذات الرائحة القوية والطعم الحاذق، ومع بعض القمح يطحنها وبالزيت يخلطها، ثم يغمِس بها خبزه، ويفترض بالزعتر أن يقوي الذاكرة. غير أن هذا الافتراض ليس بالأهمية نفسها التي يحظى بها كونه يجب النظر إليه كنبات الزوفا الخاص بعيد الفصح وطقوس الطهارة التي حددها القانون (الخروج 22:12؛ سفر اللاويين 51.6.4:14 وما يلي؛ المزامير 9:51)[1245]. وفيه فكر أُولا (Ulla) حين فسرها بِـ"مَروا حِوّارا"[1246]، كما فعل سعديا عندما ترجمها في الأسفار الخمسة الأولى من

(1242) ص 371-372.

(1243) يُقارن ص 345.

(1244) يُقارن ص 342.

(1245) هكذا أيضًا:

Löw, *Flora* II, pp. 95ff.

(1246) b. Sabb. 109b.

الكتاب المقدس بِالعربية "صعتر"[1247]، وابن ميمون في Neg. XIV 6، حين يفسر "اِيزوب" القانون "ببساطة الصعتر الذي يستخدمه الناس في أكلهم". ويدعم ذلك السامريون المعاصرون الذين يعتقدون أن الزعتر يمنع تجلط الدم[1248].
ويُستبعد الزوفا النباتي (Hyssopus officinalis، بالعربية "زوفا") كونه غريبًا على فلسطين وعلى اليونان اليوم، حيث يمنح اسمه Satureja Thymbra للزعتر (بالعربية "زعتر اِحمر")، القريب جدًا من السمسق[1249]، وهذا ربما وفر الفرصة لمنح اسم الزوفا مجالًا آخر، خاصة أن الـ"اِيزوب على الجدار" في الملوك الأول (13:5) لا يمكن إرجاعه إلى السمسق؛ إذ إن السمسق البري ليس نبتة معرِّشة (يُقارن ص 371). وبالنسبة إلى الزوفا، في يوحنا (29:19)، فقد قُدمت إلى يسوع على الصليب كإسفنجة، ووجب على المرء اختيار أي نبات شفوي يتمتع بسويقة صلبة، وربما كانت تلك النبتة قد التقطت في الجلجثة [الجلجلة] من أجل الهدف المنشود. إن سويقة السمسق التي يصل طولها إلى نحو متر، ربما كانت ضعيفة جدًا، وحتى لو كانت قد التُقطت في أثناء جمع الحطب[1250]. والندغ (Satureja Thymbra) الذي قد يصل سمك سويقته الخشبية إلى 2 سم، ربما كان أفضل[1251]. لكن قبل أي شيء، على مثل هذه السويقة أن تكون موجودة منذ عيد الفصح من العام السابق حتى يمكن أخذها في الاعتبار.
وغير عمليّ البتة الصعتر البري الخفيض ذو الفروع المعقوفة (Thymus capitatus) والمسمى بالعربية "زُحّيف"، الذي اقترحه هايدت[1252] لسمات قريبة من "اِيزوب". ويبقى الـ"قصب" في متّى (48:27) ومرقس (36:15) دائمًا الأكثر طبيعية، على الرغم من أن القيصوب (Phragmites communis) هو من يؤخذ أولًا

(1247) المزامير 9:51، سعديا استخدم "آزاب".

(1248) Dalman, *PJB* 1912, pp. 124f.; Whiting, *Samaritanernas Paskfest*, p. 36.

(1249) Murr, *Pflanzenwelt*, p. 199.

(1250) يبرز هذا Billerbeck, *Kommentar*, في التعليق، استنادًا إلى: Para XI 8.

(1251) يُقارن أدناه.

(1252) Heidet, *Heil. Land* (1910), pp. 70f.

في الحسبان، وليس الغاب العملاق (Arundo donax) (هكذا لوف). ولأن إنجيل يوحنا بالكاد فكر في طقس تكفيري، فإن خطأ في التهجئة من *υσσωπω* إلى *υσσω* أو *υσσος* يجعل "رمح" الأكثر معقولية[1253]. وقد يكون لذلك تصور قديم للزوفا، كون المرء يتحدث عن السمسق المزروع (Origanum Majorana، بالعربية "مَردَقوش") قائلًا: "حيث يُزرع لا يمر الشيطان": ("ما بِعبُر الشيطان"). وعلى ما يبدو، فإن قوة كارهة لعالم الشر تشع منه.

إلى عائلة السمسق ينتمي بشكل خاص الزعتر البري الخفيض ذو اللون الأخضر الغامق المشكّل لفروع خشبية (Thymus capitatus، بالعربية "زَعتر فارِسِي"، "زُحّيف") مع زهر بنفسجي، لم يتغير عبقه حتى بعد مرور أكثر من عامين على وجوده جافًا في حجرتي. والفوتنج غير الواضح (Calamintha incana، بالعربية "زَعتمانة") ذو الزهر الضارب إلى الصفرة، والجعدة الكريتية (Teucrium rosmarinifolium، بالعربية "قَمَندِرة"، "قُعّيدة"، "زيّاتة") ذات الزهر الأزرق، والجعيدة (Teucrium polium، بالعربية "جِعدة"، وبحسب بيرغرين في لبنان "حَشيشة الريح"، "حشيشة السِّم"، بحسب بوست، "بُعتِران")، والتي هي، وفقًا لذوقنا، كريهة الرائحة إذا كانت ذات زهر أصفر. ولا تنتمي إلى الزهور ذات العبق حشيشة الجراح أو البطنج الفلسطيني (Stachys palaestina، بالعربية تدعى "زيّاتة" أيضًا)، ولا قرّيص الدجاجة (Lamium moschatum، بالعربية "قُرّيص الدجاجة") أو خويخة (Ballota undulate، بالعربية "قَرطَم") ذات الزهر الأبيض غير الواضح والنامي من كؤوس زهرات خضر فاتحة. وذلك كله يبين أن الصيف لا يخلو كليًا من الزهر. ويبشرنا الخريف باقتراب قدومه في منتصف آب/ أغسطس في وادي فارة، وفي نهاية آب/ أغسطس بالقرب من القدس، حين يُطلق العنصل البحري (ص 96) سويقات زهره الطويلة.

الختام من نصيب صُوَر من صيفٍ فلسطيني. في البداية صورة من المنطقة الساحلية في 14 حزيران/ يونيو. المشهد جميل أخضر، وهناك مجرى "وادي الصرار" بنبَقِه (بالعربية "سِدر") المورق حديثًا بين جبال رمادية، ومن فوقه يهب

(1253) Dalman, *Jesus-Jeschua*, p. 187.

هواء شمالي ساخن. وعلى المنحدرات كان الزعتر ("زُحّيف") يزهر، وإلى الأسفل في السهل، شجرة كف مريم ("غار") مسرورة بعناقيد زهرها الأزرق، والكَبَر ("قبّار") بأزهاره البيض، والقرقفان ("عِرث"، "قوشان") الأزرق لم يغب هو الآخر عن المشهد، في حين كان الخرشوف البري ("خُرفيش اِلحَمير") قد أوشك على التفتُّح. كان حصاد القمح لا يزال على قدم وساق، إلا أن الماعز والأبقار بدأت ترعى في الحقول التي حُصدت، والدرّاس انطلق. أول البطيخ قُطف، وكوز الذرة البيضاء بدأ ينضج بشكل جزئي.

تتطرق ملاحظات دونتُها في 2 تموز/يوليو 1925 إلى المنطقة الجبلية في محيط القدس. وكنت لا أزال معجبًا في وادي الرفائيين [المستعمرة الألمانية] بالزهر الأزرق للصبار السوري القنفذي (Echinops viscosus)، وبالسنارية (Scolymus) التي تزهر مصفرة بنوعيها اللذين قد يصل طول أحدهما إلى طول رَجُل. ومعجب أيضًا بالتحابك الضارب إلى الزرقة للقرصعنة الحقلية (Eryngium creticum)، والعصفر (Carthamus glaucus) الأخضر الضارب إلى الزرقة. كما لا يزال الشبرق الشائك (Ononis antiquorum) يُطلع زهرًا ضاربًا إلى الحمرة، في حين أن شقيقه شبرق أفعى الماء يطور زهره الأصفر في الصيف وحده، ويحتفظ به حتى الخريف (ص 52). وينتصب الزعتر البري الأخضر والسمسق وأعداد كبيرة من البلان الداكن ذي الثمر البني الشائك محملقًا وذابلًا، ويقف العكّوب جافًا وقاسيًا (ص 53)، وتنتصب نباتات الربيع الشائكة (ص 372). أما التربة الجرداء القابلة للرؤية بين شقوقها، فسمرتها تمنح المشهد الطبيعي بعض اللون، والرفوف الصخرية التي تطل منها سحالٍ فضولية تضيف لمسة رمادية فاتحة. وفي الحقول المحصودة يمكن رؤية القليل من الجذامة [ما يبقى من الزرع بعد الحصاد]؛ ففي هذه السنة الجافة، غالبًا ما جرى اقتلاع القصل لا قطعه، وهنا وهناك نجد سويقات جافة لأنواع مختلفة من الأعشاب ومن الخردل البري (Sinapis incana, S. arvensis، بالعربية "لِفّيتة") الذي قد يبلغ طوله طول رَجُل. ويظهر اخضرار كروم العنب والحقول المزروعة باللوبياء الخفيضة (Vigna sinensis، بالعربية "لوبية") والكوسا، والتي ليست كثيرة العدد. فالذرة البيضاء والسمسم، وهما

من زرع الصيف، كانا مزروعَين هنا بكميات قليلة. والأشجار، التي تخلو منها المستعمرات الأوروبية توجد في نطاق القرى مثل الزيتون الذي لا تزال ثماره خضراء وصغيرة جدًا، والتين بثمرته الصيفية القليلة النضج هي الأخرى، في طور الـ"فِجّ" (ص 379 وما يليها)، في حين أن التين المبكر كان قد قارب نهايته في بداية تموز/يوليو. ويبدو الرمان شبه مكتمل النضج وهو معلق على شجيراته عديمة الزهر الآن، وتعرض إناث أشجار الخروب قرونها المقوسة بكامل حجمها، وفروع جديدة تطلقها ذكورها، وحتى وإن كانت لا تزال خضراء. ودوالي العنب تحمل عناقيد مكتملة النمو، وإن كانت لا تزال صغيرة الحبة ويصل طول العنقود إلى 42 سم[1254]. وحتى ما يبدو ميتًا، وهو يُسمى في أميركا التين الهندي (Opuntia Fictus Indica، بالعربية "صَبر")، والذي تنمو جذوعه المنبسطة والمقسمة حتى علو 5 أمتار، وتُسيج به في فلسطين اليوم بساتين الفاكهة، فإنه يكشف عن ثمار كثيرة العصارة. لذلك، ليس هناك حاجة إلى مزيد من الأدلة لإثبات أن الصيف لا يعني الموت بل الحياة، حتى لو كانت تربة بساتين الفاكهة جرداء أيضًا مثل بقية المشهد الطبيعي. ولأن ثلاث أشجار بلوط دائمة الخضرة لا شجرة بطم كبيرة تنتصب في هذه المنطقة، فليس في وسعها تحديد هوية المشهد الطبيعي، بغض النظر عن الطمأنينة والسكينة التي يحظى بهما من وجد ملاذًا في ظلها.

إن مراعاة النباتات البرية الخفيضة التي تجد عيون عامة الشعب متعة في رؤية زهرها، تستند إلى القيمة الزراعية التي تتمتع بها بشكل أو بآخر. وإلى ذلك تنتمي القوة الشافية التي يتمتع بها بعض النباتات؛ فضد الحرارة يستخدم المرء نوعي الجعدة (Teucrium rosamarinifolium، بالعربية "قمندِرة"، "قُعَّيدة"، "زيّاتة"، "اِزويتينة")، وPolium (بالعربية "جِعدة")، حيث يُفترض بالأخيرة أن

(1254) عنبة كبيرة وثقيلة مع داليتها بحيث استدعت قيام شخصين بحملها على لوح، لا يمكن الاستدلال عليها بشكل مؤكد من سفر العدد 13: 24، إذ لم تتوافر سلة لحملها. إنها تصورات حملت طابع المبالغة، قام الحاخامون بربطها بذلك.

b. Sot. 34a, Tanch, Pesikt,

عن سفر العدد 13: 23،

Bem. R. 16 (134a f).

تكون جيدة ضد المغص عند الأطفال الصغار. والميرمية (Salvia triloba، بالعربية "مِريَمية") هي دواء المعدة، وبخار الطيون الدبق (Inula viscosa، "طيون") ترخي الأطرف المتيبسة[1255]. ويعرض التلمود البابلي لعمر استخدام مثل هذه النباتات؛ فمزيج من "نينيا" و"كَمّونا" و"شُمشِما"، أي الخلة والكراوية والسمسم، تسكّن دقات القلب. بابونج طازج (بالآرامية "سيسين") مغلي بالماء جيد ضد الإسهال. بابونج مجفف في الماء جيد ضد الإمساك، والأول بحسب المثل القائل: "شجيرات شائكة نضرة تسد النهر"[1256]. والسريانية σισων تتمتع بأشكال مختلفة، أيضًا بحسب ديسقوريدوس (III 64)، بتأثير شافٍ. وفي الكتاب المقدس وحده ذكر الـ"صُري" من جلعاد (إرميا 8:22؛ 11:46)، وهو ربما يشير إلى الميعة[1257]، ويظهر أنه حتى في ذلك الوقت كانت هناك مواد نباتية تُستخدم كأدوية.

المهم من ناحية زراعية أن النباتات البرية الصيفية توفر، على الرغم من ندرتها الشديدة، الطعام للنحل ("نَحل")، أكانت الأخيرة تُربى لدى الفلاحين في خلايا طينية، أم بقيت برية ("نَحل عاصي") تعيش في ثقوب الصخور، ولذلك يمكن القول شعريًا إن العسل يُمتص من الصخور (التثنية 13:32، يُقارن المزامير 17:81). فمن سنحت له الفرصة للانتقال مع خلايا نحله إلى حيث يتوافر الطعام، يأتي بخلايا النحل حوالى منتصف حزيران/يونيو إلى المنحدر الغربي للمنطقة الجبلية، ويبقى هناك حتى أيلول/سبتمبر. وهناك لا يوجد نقص في نباتات لسان الثور التي يمنحنا زهره العسل أيضًا، مثل خبز النحل (Borago officinalis، بالعربية "لِسان الثور")، الشاغة (Symphytum palaestinum)،

(1255) هكذا بحسب بشارة كنعان (بيت جالا). يُقارن بالنسبة إلى مصر: Blackman, *The Fellahin of Upper Egypt*, pp. 204f.

(1256) b. Gitt. 69b, يُقارن: Ber. 57b, Ab. z. 29a. (Barajta), يُقارن: Preuß, *Bibl.-talmudische Medizin* (1911).

(1257) ص 385.

الأخيون (Echium sericeum، بالعربية "لِسان العَسَل"، "خَوَّ جوَّ")، ولسان الثور (Anuchsa strigosa، بالعربية "حِمحِم"، "أحميم"). وكذلك الفصيلة الشفوية على غرار Satureja Thymbra ("زعتر إِحمار")، Thymbra spicata ("زعتر سِبِل")، الخزامى (Lavandula stoechas، بالعربية "لَوَندَة") والميرمية (Salvia triloba، بالعربية "مِريَمية") تساهم هي الأخرى، خاصة الزعتر (Thymus capitatus، بالعربية "زعتر") في غذاء النحل في الصيف. وإليها ينضم نوع النبات الشائك (Carthamus glaucus، بالعربية "قوس") الذي يزهر حتى أيلول/ سبتمبر[1258]. ولم يكن في الأزمنة القديمة زهر البرتقال من منتصف آذار/ مارس وحتى نهاية نيسان/ أبريل وزهر الأوكالبتوس في أيار/ مايو، وبالتالي لم يكن يعني للنحل شيئًا. وشجرة كف مريم ("غار") وProsopis stephaniana ("يَنبوت") في الساحل أمكنها في الصيف تقديم الطعام للنحل. إن عسل الـ"زعتر"، بمذاقه اللاذع القوي، وليس عسل البرتقال بمذاقه العطري غير الحاد، كان العسل الغالب في الأزمنة القديمة. وبناء عليه، كانت نباتات الحمحم والفصيلة الشفوية في المنطقة الجبلية هي ما منح الفرصة بحيث لا تكون تسمية فلسطين كأرضٍ يجري فيها اللبن والعسل (الخروج 3:8 وهنا وهناك) مجرد تعبير شاعري[1259]، بل هناك في طبيعتها ما يستند إلى واقع حقيقي.

مثلما يتمتع الموت السريع لنباتات الربيع بأهمية زراعية غريبة (ص 328)، كذلك تمنح حرارة الصيف وتأثيرها في تطور النباتات الخفيضة والشجيرات قيمة خاصة للتدفئة من خلال الخشب الذي ينمو على جذوعها. ومن هذا المنظور قمت بجمع عينات من الخشب التي تقدم الدليل على ذلك، وأقوم في ما يلي بذكر تلك الأكثر أهمية بينها، جنبًا إلى جنب مع ثخن ساق كل منها: القريضة الزغبية (Cistus villosus) (3.5 سم، أيضًا 6 سم)، الميرمية (Salvia triloba) (2.6 سم، كذلك 4 سم)، حومان زفتي (Psoralea bituminosa)

(1258) ذلك كله يستند إلى تقرير لطيف قدمته الآنسة Baldensperger في القدس، التي يعمل شقيقها نحّالًا. فهو يقوم في كل عام بنقل خلايا نحله إلى المنطقة التي تقدم لها أفضل مرعى. يُنظر:
Bauer, *Volksleben*², p. 182.

(1259) يُقارن ص 4 وما يليها.

(2.3 سم، كذلك 4 سم)، الصعتر البري (Satureja Thymbra) (1.5 سم)، الزعتر (Thymus capitatus) (1.6 سم)، البلان (Poterium spinosum) المتوافر بكثرة (3.2 سم، كذلك 4 سم)، شيح أبيض (Artemisia herba alba) (5 سم)، بوصير سينائي (Verbascum sinaiticum) (4.5 سم). حتى الفلفل المزروع (Capsicum annuum، بالعربية "فليفلة"، "فِلِفِل") يقدم عيدانًا خشبية قطرها 4.1 سم، والحناء (Lawsonia alba)، "حِنّة" العرب، حتى 6.2 سم. وثمة مثال صارخ على قوة الشمس التخشيبية هو عود زهر الصبار (Agave americana، بالعربية "صبر مُرّ") الآتي من أميركا؛ فخلال عام، يرسل براعمه أو أغصانه إلى علو 8 أمتار، ثم يتخشب بعد ذلك إلى جذع قطره 15 سم في النهاية السفلى[1260]، ويبقى على هذا النحو سنوات عديدة، في حين أن النبتة التي تخرج منه تموت. وحتى النباتات الشائكة تطور عيدانًا ليفية أو إسفنجية جافة ذات قطر يصل حتى 2.5 سم (مثل الخرفيش (Silybum marianum))، بحيث إن القيمة الحرارية للأعشاب في الحكاية (متّى 40 و30:13) تستطيع خدمة غاية أعلى، على الرغم من أن الحرارة التي تطلقها ليست كبيرة مثل فرقعتها (الجامعة 6:7).

وكنباتات ثلاثة، يمكن تحت ظروف معيّنة استخدامها حطبًا، ويُسمي المشنا[1261] "سيعا" و"إيزوب" و"قُرنيت"، التي يمكن، بحسب شروحات التلمود الفلسطيني والتلمود البابلي[1262] واللغة السريانية وابن ميمون، وبموثوقية عالية، أن تُعزى إلى الصعتر البري (Satureja Thymbra)، والسمسق (Origanum maru)، والزعتر (Thymus capitatus)، وثلاثتها تحمل اسم "زَعتر" بالعربية[1263].

ومن البدهي، مثلما الـ *φρυγανα*[1264] في اليونان، والآن كما في الماضي،

(1260) هكذا بحسب مثالٍ من حديقتي في القدس.

(1261) Schebi. VIII 1;

يُقارن:

Maaser. III 9, Ukz. II 2, Par. XI 8

(1262) j. Schebi. 37^b, b. Sabb. 128^a.

(1263) يُقارن:

Löw, *Flora* II, p. 105

(1264) Heldreich, *Nutzpflanzen*, pp. 25, 33.

عند قلة الأشجار في البلد، فإن هذه الثروة الخشبية الغريبة، إضافة إلى خشب النباتات الشائكة، تجد استخدامًا لها. إن حمولات جِمَال منها تُستخدم في أفران الجير[1265] ويُرسل إلى المخابز في المدن وتكديسها هناك في أكوام كبيرة للاستخدام المتتالي. وكذلك، فإن حرق عشب أخضر يمثل لدى العربي اعتداءً على ما هو حي ("بِعيد عنَّك"، "عسى أن يبقى بعيدًا عنك!") ولكن ما أحرقته شمس الرب صالح للنار. ومثل هذا الاستخدام يُفترَض في إشعيا (12:33)، حين يقارَن هلاك شعوب بأشواكٍ قُطِّعت ثم أشعلت النار فيها.

ح. الزراعة في الصيف

الحبوب

في 1 "حزيران" = 14 حزيران/يونيو، التقويم الغريغوري، الذي هو بداية الصيف بالنسبة إلينا [في ألمانيا]، لا يكون حصاد القمح قد انتهى بعد. وقد سبق أن تم التعرض له في ص 415 تحت فصل الربيع، بل إنه يستغرق جميع طاقات أهل البيت الفلاحي وأوقاتهم، بمن فيهم النساء اللواتي يُشغلن في ربط الحزم [الغمار أو التغمير]. ولذا، ليس بلا سبب أن يُدعى حزيران "اِقلاش"، لأن المرء فيه يستخدم المنجل ("قالوشة") ("القبيبة"). وفي لبنان هناك السجعة[1266]: "حَزير - طيلَع ابنك عالغَمير"، أي: "في 'حزيران' أرسل ابنك لربط الحزم!" [أي ليُغمّر]. ويقتبس القزويني للتاسع من "حزيران" القول المأثور[1267]: "اِذَا طلعت الحِقعة - يقوم الناس للقلِعَ - وَرِجَعُ عن النُجعة"، أي: "عندما تطلع "الحِقعة" [الهقعة] (رأس الجوزاء)، يشرع الناس بالقلع (قلع الحبوب)[1268] ويرتدون عن بحثهم عن الطعام". ويستمر الحصاد حتى في تموز/يوليو، في الوقت الذي يكون فيه الدرس ("دِراس") قد بدأ على ساحات الدرس ("بيذر"،

(1265) يُقارن ص 372.

(1266) أنطون الجميّل، مجلة **المشرق** (1905)، ص 688.

(1267) Kazwini, *Kosmographie*, I, p. 44.

(1268) يترجم إيثه "تقدم"، من المحتمل أن يكون خطأ.

"جُرن") في العراء. وتحتل البيادر في كثير من القرى مساحة كبيرة[1269] ويفضل أن تكون في الشرق (ص 243). كما أن الحيوانات تكون مشغولة كذلك؛ فالحمير والجمال تأتي بحِزم الحبوب من الحقل إلى البيدر [تُرجُد] حيث يُكدَّس، في حين تقوم الأبقار مع أو من دون لوح الدرس ("نورَج") بالدرس، وبالطبع ليس دونما أناس يقومون بدفعها، وآخرين ينشرون الحبوب ويبسطونها أمامها. وبالنسبة إلى هيسيود[1270]، فإن ظهور الجوزاء في الأسبوع الأول من تموز/ يوليو في اليونان، هو الوقت الملائم للدَرس. وليس في فلسطين حدود ثابتة لذلك؛ فحالما كانت كمية كبيرة من الحبوب على البيدر تتوافر – وهو الواقع أصلًا نتيجة للحصاد المبكر للشعير في حزيران/ يونيو – يبدأ المرء بدراستها.

بعد دراسة الحبوب، وعلى البيدر، تبدأ التذرية (بالعربية "ذَراية"، بالعبرية "زارا"، إرميا 11:4) بالمذراة (بالعربية "مذرا"، بالعبرية "مِزرِي"، إشعيا 24:30، إرميا 7:15)، حيث تُفصل حبوب القمح المدروس عن القش ("تِبْن"، بالعبرية "تِبين"، إرميا 28:23) والقصل ("موص"، بالعبرية "موص"، إشعيا 15:41). ويعتبر هبوب ريح ملائمة شرطًا مهمًا للتذرية بشكل خاص. ولذلك يُقال: "اِن طاب هواك ذِرِّ عَذقن صاحبَك"، أي: "إذا كانت الريح جيدة، ذرِّ فوق ذقن جارك"، أي حتى لو تساقط القصل إلى حيث كومة جاره من الحبوب المدروسة مسببة الضرر له (رام الله). ولذلك، قد يجد المرء نفسه مضطرًا إلى التذرية ليلًا، مثلما فعل بوعز في السابق (راعوث 2:3). وبالطبع، فإن العواصف هنا ليست ذات فائدة، كما يقول إرميا (11:4)، ولا سكون الريح أيضًا، لكن مجرى هواء [معتدل] لا غنى عنه لفصل الحبوب عن التبن والقصل. وبناء عليه، فإن كل ما يقوم به الإنسان من عمل في الحقل غير مجدٍ، إذا لم يهب الرب شيئًا من الريح للتذرية[1271]. ومن المفترض هنا أن تكون الريح

(1269) Dalman, *Hundert deutsche Fliegerbilder aus Palästina*, nos. 25f., 29.

(1270) Hesiod, *Opera et Dies*, p. 598.

(1271) Vaj. R. 28 (76ª), Koh. R. 1, 3 (65ᵇ), Pesikt. 69ª.

الغربية هي الأكثر تفضيلًا، في حين يفضل المرء الريح الشرقية للدرس[1272]، على ألّا يكون هناك ندى في جميع الأحوال، وهو الذي، من جهة أخرى، يبقى مرغوبًا فيه للحصاد[1273]. وهكذا يتوافر لسيراخ (5:9) سببٌ للتحذير: "لا تذرِ مع كل ريحٍ!". إلا أني شاهدت بنفسي تذرية تحصل في ظل ريح شرقية. وبالطبعِ، علَى المذرّي أن يتموضع بحسب الريح. وعلاوة على ذلك، يجب ألّا تؤخَّر التذرية وقتًا طويلًا، لأن: "اِن مَرَق آب وما ذرِّيت - عِدَّك فِ- التِبن انغاريت"، أي: "إذا انقضى 'آب' من دون أن تكون قد ذرِّيت، تكون كما لو كنت قد أهملت التبن" (مصح المجذومين - عون المسيح). وهذا ما تفسره حقيقة أن التبن الدقيق ("الدقّ فِ - التبن") المهم جدًا كعلف للحيوانات، تعصف به الريح، وهو الشيء الذي يحصل بالطبع مع الحبوب المدروسة والمتروكة فترة طويلة فوق البيدر. وتكتمل عملية الدرس من خلال الغربلة بغربال الحبوب (بالعربية "غُربال"، بالعبرية "كِبارا"، عاموس 9:9). وبواسطة ذلك، يجري فصل الحبيبات بشكل تام عما يُصاحبها من تراب وقش.

وحالما يكون قد أُنجز فصل الحبيبات والتبن بعضها عن بعض بصورة نظيفة، يجري حينئذ كيل الحبوب على البيدر (يُنظر الفصل التاسع الذي يلي، الخاص بالتقاليد الدينية وزراعة الحبوب والفواكه)، ويُنقل بعد ذلك المحصول من البيدر إلى البيت حيث لا يوجد تعبير تقني خاص بذلك في اللغة العربية في فلسطين. "جَمَع"، الكلمة التي يستخدمها سعديا، على سبيل المثال في سفر اللاويين (25:3)، ليست شائعة، والأرجح أن تُفهم كقطف للثمار. وتوضع الحبوب في البيوت - إذ لا يملك الفلاحون مخازن خاصة بالحبوب - في صوامع صغيرة (بالعربية "كواير"، "خوابِي"، مفرد "كوارة"، "خابية"، بالعبرية ربما "مِجورا"، حغاي 2:19)، والتبن في الحيز الموجود أسفل المسطبة الداخلية للبيت (بالعربية "مَسطَبة"). وهذا هو استقدام الحبوب (بالعبرية "آسَف"

(1272) Bauer, *ZDPV* (1915), p. 57,

وبشكل مختلف:

Canaan, *ZDPV* (1913), p. 294.

(1273) يُقارن ص، 327.

سفر الخروج 10:23؛ التثنية 13:16) المكرس له في المقام الأول (بحسب الخروج 16:23، سفر اللاويين 39:24) عيد الجني (بالعبرية "حَج هآسيف"، سعديا "حَجّ الجمع")، وليس لجني ثمار البساتين فحسب، كما يَفهم ذلك، على سبيل المثال، جسينيوس- بوهل (Gesenius-Buhl)، حين يقوم بترجمتها بِـ"قطف الثمار"[1274]. وفي تقويم جيزر أيضًا (أعلاه ص 7)، تشير "آسيف"، في أغلب الظن، إلى الجمع، لا إلى المحصول، كما يفترض بروستون (Bruston)[1275]. ويقول إينوخ (19:82) عن الصيف: "جميع ثمار البلد وما ينمو في الحقول يتم جمعه"، حيث "يِآسيف" يُفترض أن تكون من نصيب الأصل العبري، خصوصًا أن صيف كتاب إينوخ يبدأ مع الانقلاب الشمسي، وهكذا يكون حصاد الحبوب غير وارد. وجميع هذه الأعمال تُختصَر مع النمو الأخير للحبوب في الآرامية التي تحمل عنوان "تنافس الذهب والقمح"، حين يتفاخر القمح[1276]:

في أيار، شهر الأضواء، أرتدي أردية جميلة،
بالأوراق والقصل وكذلك بالعُقد والسنابل أُبهج الفلاحين.
غيوم تتزاحم، تبهج بجلبتها[1277] الحصادين،
ورب المخلوقات يُنزل (مطرًا) وأنا أشرب بمتعة شديدة.

في "حزيران" يخرج الناس إلى الحقول ويجمعون،
يغني الحصادون ويهتفون: المجد للرب الذي بعثك!

(1274) كان يُفترض بصفحة 162 أن تؤكد ذلك. وفي بلاد الإغريق، تُناظر نهاية تشرين الأول/ أكتوبر عيد البينبسيا (Pyanopsia) [عيد إغريقي قديم إجلالًا لِأبولو] الذي كُرس لجمع الثمار، حيث يشكل غصن زيتون مغطى بالصوف والثمار والكعك وقوارير الزيتون شبيه دقيق بباقة العيد الخاصة بعيد العُرُش (ص 150 وما يليها). يُنظر مانهاردت
Mannhardt, *Wald- und Feldkulte*, vol. 2, pp. 217ff.,
وكعيد للمحصول، يُناظر الـHyakinthia عيد الحصاد عند اليهود. وكعيد بداية المحصول، يناظر الـ Thargelia عيد الفصح عند اليهود، الذي لم يكن يخلو في سابق الزمان من تضحية بشرية كعمل تكفيري [عن الآثام]:
Stengel, *Griech. Kultusaltertümer*, p. 213.

(1275) *Rev. d'Hist. et de Phil. rel.*, vol. 7, pp. 48ff.

(1276) Lidzbarski, *Neuaram. Handschriften der Kgl. Bibliothek zu Berlin*, *Text*, pp. 449f.

(1277) بالرعد، الذي يؤذن بالمطر. يُقارن أعلاه، ص 306.

بمناجل جميلة يحصدونني، ومن الأرضٍ الطرية يجمعونني،
على أيديهم يحملونني وإلى ساحات درسهم يأخذونني.

وفي تموز يُلطِّفونني، يُنقونني،
في آب وأيلول يأخذونني إلى بيوتهم،
ويؤونني، وفي مخازنهم ("اوصِري") يضعوني،
والقساوسة إلى كنائسهم يصطحبوني.

وفي "تنافس الأشهر" يقول حزيران/ يونيو عن ذاته[1278]:

حين يتهيأ العالم كله ويخرج في هذا اليوم إلى الحقول،
يُثني مفعمًا بالسرور على السماء التي وهبت الأرض الخلاص والسعادة
يتلألأ جمال مناجلها، تبدو مناجلها مثل السيوف،
أكوام الحبوب الكبيرة التي يُكدسونها، جميع البيادر تصبح مليئة.
يتلقى الفقراء طعامهم ويمنحون الرب الثناء والتمجيد.

وتموز/ يوليو مكرس لجمع الثمار. ويتباهى آب/ أغسطس وأيلول/ سبتمبر بالصليب الذي يحملان، أي عيد الصليب في 14 أيلول/ سبتمبر[1279]، ولكن ربما على صلة بأيام أخرى، خاصة أن 1 آب/ أغسطس في التقويم الإغريقي، هو يوم الأطفال المكابيين السبعة، وقد وُسِم ذلك التاريخ كـ"بشير للصليب".

مثل هذه السرديات لا تتطرق إلى العمل الذي تتطلبه حبوب الحقل الصيفية (ص 404 وما يليها)؛ فالحمص ("حُمُّص") والسمسم ("سِمسِم")[1280] والذرة البيضاء ("ذُرة بيضا") يجب حصدها في تموز/ يوليو وآب/ أغسطس، ثم درسها في البيدر. وفي حال امتلك أحدهم، كما هي حال سكان القبيبة، أرضًا

(1278) Ibid., p. 444.

(1279) يُقارن أعلاه، ص 93.

(1280) بحسب
Keimer, *Die Gartenpflanzen im alten Ägypten*, vol. 2, pp. 18ff.,
فإن السمسم دخل مصر من آسيا في العهد البطلمي. وأبكر من ذلك يبقى الأمر بالنسبة إلى فلسطين مشكوكًا فيه.

زراعية في السهل الساحلي، يجب عليه في هذا الوقت الإقامة هناك في بيوت أو في كهوف أو عرائش إلى حين الانتهاء من العمل بأكمله، وإحضار المحصول إلى البيت[1281]. أما في فلسطين القديمة، فإن عمل الصيف هذا يتمتع بأهمية محدودة فحسب (ص 405).

في بستان الفواكه

في حديقة الفاكهة، كما في حديقة الخضروات، وبالتحديد في أراضي غور الأردن المروية، يبقى السؤال الجوهري هو التالي: هل كان الري (بالعربية "سَقّا") ضروريًا وممكنًا؟ لأن المرء يقوم في الطفيلة بِريّ بساتين الزيتون، ويروي بالقرب من دمشق كروم العنب أيضًا، وهو أمر غير ضروري لنمائها لكنه ذو منفعة لمحصولها. يجب ري الليمون والبرتقال من أيار/ مايو حتى تشرين الثاني/ نوفمبر، ومزارعها تُدعى ببساطة "بيّارة"، لأن من غير الممكن تخيّل البيارات من دون بئر مياه جوفية ("بير"). ولهذا السبب، وبسبب المناخ الأكثر حرارة الذي تحتاج إليه، توجد البيارات على نطاق أوسع في المنطقة الساحلية، حيث تنشر الريح الغربية في آذار/ مارس عبق نوّارها عبر البلاد. وعلى الري أن يحصل في الصيف بشكل متزايد، والسؤال الوحيد هو: إلى أي مدى أو درجة تكون القنوات ("قنَا") مليئة بالماء، والتي من خلال قنوات أصغر ("عَمّال") تترك الماء يجري إلى أحواض مربعة الشكل (بالعربية "مَشاتِل"، "مَساكِب"، "مَشاكِب) محاطة بستائر ترابية خفيضة، أو إلى انحباسات دائرية لأشجار الفاكهة (سيراخ 30:24 وما يلي). وحين تُشبِّه الأمثال (1:21) قلب الملك في يد الرب كجدول ماء (بالعبرية "بَلجي مايم") يتركها تسيل حيثما شاء، يكون المقصود هنا التحكم بري حديقة، فيصل الماء في كل يوم إلى جزء محدد منها حين يوجَّه الماء باتجاهه. وهذه القناة تُفتَح أو تُغلَق بالقدم أو بمجرفة. وهذا مرهون بأن يكون صاحب الحديقة متمتعًا بحقوق حصرية على البئر التي يأتي منها الماء، أو يشاركه آخرون فيها، وهو بالتالي خاضع للزمن وللمقدار الذي يحصل فيهما على الماء من

(1281) وفقًا لتقرير قدمه ب. مولر (P. Müller) في القبيبة.

أجل حديقته؛ فالري يحصل في أوقات محددة، وفي وقت الحرارة الشديدة، ويجب أن تكون الحدائق أو الكروم قريبة بعضها من بعض. وبحسب إشعيا (3:27)، يود الرب أن يسقي كرم عنب إسرائيل "لِرِجاعيم" "في كل لحظة"، أي أن عليه ألا يفتقر إلى الماء إطلاقًا، وهذا هو أقل ما يمكن أن تكون الحال عليه في بستان فاكهة فلسطيني.

وتحتاج بئر بستان الفاكهة إلى تجهيز لانتشال الماء منها، والتي يُجمع ماؤها في البداية، في حوض ذي جُدُر عالية ("بِركة"). وهنا ثمة دولاب نهل (بالعربية "ساقية")[1282] يخدم هذه العملية، وتحركه الدواب، ولكن في الماضي غالبًا ما كانت تحركه أيدي الناس[1283] كما أخبرني شخص في اللد، وكما هي الحال في مصر اليوم. وهنا يجد المرء نفسه يفكر بالتثنية (10:11)، والذي يجب، وفقًا له، ري الحقل في مصر بـ"القدم"، مثل حديقة خضروات في فلسطين. إلا أن عمل القدم يبقى على صلة بفتح قنوات الري وإغلاقها[1284] حيث تفعل النساء ذلك في سلوان باستخدام أيديهن، في حين يُشكل فأس ("فاس") أو مجرفة ("مَرّ") الأداة الملائمة لذلك، كما يتخيل المدراش أيضًا عن التثنية (10:11)[1285]. وبتفاوت لافت، تبرز في الصيف قطعة الأرض المروية والمفلوحة بشكل جيد (بالعربية "أرض سَقي"، بالعبرية "بيت هشلاحين"

(1282) يُقارن "جَلجَل" في الجامعة 12:6.

(1283) تُنظر الصورة في:

Stave & Nyström, *Biblisk Ordbok*, p. 448;

يُقارن:

Thompson, *The Land and the Book*, p. 519,

حين يُذكر في الجامعة 12:6 حبل ودلو وساقية معًا، فإن الأمر لا يتعلق بـ"ساقية" عادية، هكذا:

Jones, *Quelle, Brunnen und Zisterne im A. T.*, p. 21,

بل بالعجلة أو بذراع التدوير [كرانك] التي تستخدم أحيانًا فوق فتحات الآبار بغية إنزال الدلو. وأمثلة معروفة على ذلك هي البئر في بيت شمعون الدباغ في يافا وبئر يعقوب بالقرب من نابلس.

(1284) يُقارن:

Sommer, *Was ich im Morgenlande sah und sann*, pp. 106f.

(1285) Siphre, Dt. 38 (77ª), Midr. Tann. zu 5. Mos. 11, 10 (S. 30).

"أرض القناة")[1286]، أيضًا "شَقيا"[1287]، "شُقي" ("شِقي")[1288] مقارنة بمحيطها كلها غير المسقي، وحتى لو كانت قطعة الأرض معرضة في الشتاء للأمطار ("أرض بَعل")، حيث تعود هذه التسمية، تمامًا كما تعود التسمية العبرية "بيت هبَعل"[1289] إلى الزوج الذي يقوم على نحو وافٍ بإخصاب زوجته (يُنظر ص 125)، والذي لا يمكن أن يكون هنا غير الرب، على الرغم من أن المرء اليوم ما عاد يفهم هذه التسمية. وعند بطرس البستاني، ربما عُرِّفت "أرض البعل" بأنها: "أرضٌ مرتفعة تتعرض لمياه الأمطار مرة في السنة أو لا تصلها مياه جارية". وفي الماضي، كان هذا يكشف عن العلاقة الوطيدة بين الرب والأرض التي تفترضه التسمية الإلهية بعل (يُقارن هوشع 2:18).

موسم نضوج الثمار

لأن طوالع الصيف السماوية جالبة للحر، يمكن القول إنها هي التي تتسبب بنضوج الثمار. وبحسب القزويني[1290]، ينضج في "نَو الحقعة" الذي يطلع في 9 "حزيران"، البطيخ وباقي الثمار. وفي "نو الهِنعة" (22 "حزيران") تنضج التمور ("رُطب") والتين. ويأتي "الذراع" (4 "تموز") بنضوج الرمان واحمرار التمور غير الناضجة ("بُسر"). وعن "النِثرة" (17 "تموز") يُقال: "اِن طَلَعت النِثرة قَنأت البُسرة - أو جُنيَ النخل بُكرة - وَأوت المَواشِ حُجرة - ولَم يُترك في ذات دَرّ قُطرة" أي: "حين تطلع 'النِثرة'، تصبح التمور غير الناضجة قانية، أو تُقطف شجرة النخيل صباحًا، وتبحث المواشي عن ملاذٍ في الحظيرة، ولا تترك قطرة في الضروع (كي تبحث الأغنام الصغيرة المفطومة عن الطعام في مكان آخر)". وفي وقت "الطرف" (1 "آب")، تؤكل التمور الطازجة ويُقطف العنب. وبعد

(1286) Mo. k. I 1, Bab. b. III 1.

(1287) Ter. X 11.

(1288) Tos. Schebi. II 4.

(1289) Tos. Bab. m. IX 2, Men. X 31,

يُقارن:

Sede hab- ba'al Mischna, Bab. b.

(1290) Kazwini, *Kosmographie*, I, pp. 44f.

14 "آب"، وقت طلوع "الجِبهة" في وقت واحد مع الـ"سُهيل"، تصبح التمور الطازجة كثيرة. وعند هيسيود[1291]، يشكل موقع الجوزاء والشعرى اليمانية في وسط السماء الإشارة إلى قطف العنب، مثل الرؤية الصباحية للسماك الرماح التي من المفترض أن تكون في 20 أيلول/ سبتمبر بالنسبة إلى درجة عرض أثينا في سنة 300 قبل الميلاد[1292]، في حين أن في يونان اليوم، يُعتبر عيد مار الياس في 20 تموز/ يوليو (التقويم اليولياني) هو وقت نضوج العنب. وفي التقويم اليوناني عند القزويني[1293]، يُحدَّد نضوج البطيخ والتين والعنب في 22 "حزيران" (يُقارن أعلاه "الهِنعة")، واحمرار التمور وقطف العنب يبدأ في 27 "تموز" (يُقارن أعلاه "الطرف")، ويُصبح الرمان وافرًا في 18 "آب" (يُقارن "الجبهة")، وتكثر التمور الناضجة في 28 "آب"، التي يمكن موضعتها إلى جانب الـ"زُبرة" الطالعة في 24 "آب"، لأن الندى والمنَّ والسلوى يُفترض بها أن تسقط في سوريا في اليوم نفسه، وذلك استذكار غريب وغير واعٍ للخروج (13:16 وما يلي)، حيث يجري الوصل بين المن والسلوى والندى أيضًا.

في فلسطين اليوم، يربط المرء الثمار بشكل خاص بالأشهر؛ فعن "اِيّار"، يُقال إنه يُنضج "المشمش" و"الخيار"، وهو ما يشترط حصول النضوج في نهاية هذا الشهر. ويُذكِّر حزيران/ يونيو المرء بأن هذا الشهر يطرح ("حَزّورة")[1294]: "في حَزيران اِحزَرُو اِن كان البطيخ استوَ وِلَّ لا"، أي: "في 'حزيران' ليحزر المرء إن كان البطيخ قد نضج أم لا!"، وبالتالي، يبقى نضوج البطيخ في هذا الشهر غير مؤكد. وعن "تموز" يُقال: "لِن هِل تموز - اقطع الكوز"، أي: "حين يأتي تموز، اقطع كوز [ثمرة] الصبر!" (عبد الولي). وعن 20 "تموز" يُقال في

(1291) Hesiod, *Opera et Dies*, p. 609.

(1292) يُقارن:

Röhr, *Philologus*, vol. 78 (1928), p. 290.

(1293) Kazwini, *Kosmographie*, pp. 78f.

(1294) Canaan, *ZDPV* (1913), p. 297;

يُقارن:

Bauer, *Volksleben*, p. 131.

لبنان[1295]: "عيد مار الياس - حُطّ السلّة عَل- جَلّاس"، أي: "في عيد مار إلياس ضع السلة (المحملة بالتين والعنب) أمام الجالسين". وفي فلسطين، يكون "آب" في جميع الأحوال الشهر الذي يبدأ العنب فيه بالنضوج: "في آب[1296] - اقطف[1297] القُطُف ولا تهاب"، أي: "في 'آب' أقطف عنقود العنب دونما خوفٍ". و: "في عيد الربّ - بِكتَمَل العَنقود حَبّ"، أي: "في عيد التجلي (6 "آب") يكتمل الحَبّ في عنقود العنب"[1298]. ومع ذلك، فإن عيد الصليب في رام الله وجفنا في 14/ 27 أيلول يُعتبر الوقت الذي تكتمل فيه حلاوة العنب، وهو الوقت الذي يتم فيه القطاف الفعلي، الأمر الذي لا يستثني قيام المرء قبل ذلك بقطف الثمار الأكثر نضوجًا وبيعها. ويكون حينئذ هو الوقت الملائم للابتهاج والتهليل: "بِلادِ ما بَحِبّ اِلَّ بِلادِ - بِلادِ العِنِب والتين السوادِ"، أي: "بلادي! لا أحب غير بلادي، بلادي بلاد العنب والتين السوادي". حينئذ يُقال: "بِدّنَ مِنقيّض": "نريد أن نُصيِّف (أي أن نأكل العنب والتين في الكروم)!" وكما هي الحال في الملوك الثاني (31:18)، فإن الأكل من كرمة العنب وشجرة التين اللتين يمتلكهما المرء دليل مهم على وضع مُرضٍ في الحياة. أما الثمرة الثالثة الأكثر أهمية في البلاد، أي الزيتونة، فهي لا تزال غير ناضجة بعد: "بين العنصرة والمعصرة تسعين ليلة مقَطَّرة"، أي: "بين عيد العنصرة والمعصرة تسعون ليلة معدودة (مقطرة)" (مصح المجذومين)، أو كما يُقال[1299]: "مِن العنصرة للمنطرة ومن المنطرة للمَعصِرة خمسين يوم مقَدّرَة"، أي: "من العنصرة حتى وقت حراسة العنب، ومن وقت حراسة العنب حتى وقت عصر الزيتون، هناك خمسون يومًا محسوبًا (لكل منها)"[1300]. إلا أن المرء على قناعة

(1295) الجميّل، مجلة **المشرق** (1905)، ص 688.

(1296) أيضًا: "لِنْ هَلّ آب".

(1297) أيضًا: "اقطع"، أو: "أُدخل اِلكرم"، هكذا: Canaan, *JPOS*, vol. 3, p. 33.

(1298) الجميّل، مجلة **المشرق**، ص 689.

(1299) Canaan, *ZDPV* (1913), p. 272، يُقارن أعلاه، ص 49.

(1300) يُقارن ص 49 وما يليها.

أن الوقت الحاسم لنضوج الزيتون يبدأ في "آب" فيُقال[1301]: "في عيد العَذرَ أم النور - بِصُبّ الزيت فِ الزيتون"، أي: "في عيد العذراء (15 آب) أم النور، يملأ الزيت حبات الزيتون". ومن انقطع عنه "الزيت في الإبريق" (الملوك الأول 14.12:17، يُقارن الملوك الثاني 2:4) قبل أوانه، ينتظر موسم قطف الزيتون بنفاد الصبر، والتفكير قبل كل شيء في جمع الزيتون الناضج الذي سقط قبل أوانه (بالعربية "جُول")، والذي يجعل من الممكن إنتاج كمية صغيرة من الزيت في "اِيلول". وفي جميع الأحوال يبدأ قطف العنب في آب/ اغسطس (بالعربية "قِطاع" أو "قِطاف العِنِب") ويستمر حتى نهاية تشرين الثاني/ نوفمبر. وفي حال تأخر نضوج العنب، تجري تغطيته. وعادة ما يتم قطف العنب من خلال القطع بسكين، ولذلك يُسمى قطف العنب "قِطاع"، وهذا ما يجعلها ملائمة كي تخدم صورة لغضب إلهي شديد (رؤيا 14:18 وما يلي). والصورة تتعزز حين يتم في إشعيا (5:18)، ليس قطع عناقيد العنب، بل الكرمة ذاتها، بعد أن تكون العناقيد قد بدأت بالتبرعم. ويرتبط القطف في تلك المناطق التي يتم فيها إعداد الزبيب ("زِبيب") بالتجفيف ("سطاح") في ساحة التجفيف في كرم العنب ("مِسطاح"). وكي يُعَدّ دبس العنب ("دِبس") والخل ("خَلّ") أو حتى النبيذ ("نِبيذ")، يحتاج الأمر إلى عصر العنب الذي لا يزال يجري في شمال فلسطين بحسب تقليد قديم بدوس العنب في معصرة العنب ("مَعصِرة") التي تقع هي الأخرى في الهواء الطلق في كرم العنب، وقد رأيت ذلك في إيطاليا في جبل فيزوف. وبذلك يربط إشعيا (63:2 وما يلي) ويوئيل (13:4) ورؤيا (19:14 وما يلي) الصورة المقرونة بيوم غضب دموي.

وفي الفترة ذاتها، هناك سبب يدفع المرء إلى القيام بالقطف؛ إذ إن[1302] "يوم يِطلع اِسهيل بِيخمِل قِشِر التين"، أي: "حين يطلع السهيل[1303] يصبح جلد التين سميكًا"، وحينئذ يكون الوقت الملائم للبدء بتجفيف التين ("سطاح التين") في ساحة التجفيف المعدَّة خصيصًا لذلك، وقد يستمر الأمر حتى بداية المطر.

(1301) ص 161.

(1302) Canaan, *ZDPV* (1913), p. 297.

(1303) يُقارن أعلاه، ص 489، 495.

ولا يمكن الأخذ على محمل الجد ما يرد في حكاية عربية عن نوم شخص ما في كانون الأول/ ديسمبر وكانون الثاني/ يناير في ظل شجرة تين لا تزال غنية بالثمار[1304]. وهذا ليس أفضل من ورقة فجل تمنح الظل لِـ 300 رجل في حكاية عربية أخرى تنتقد الفشر والتباهي[1305]، وتُذكر بالشغف بالتعابير المبالغ فيها والمميزة لفلسطين العربية واليهودية [أي في الأزمنة التوراتية][1306].

في الأزمنة القديمة، كان من الطبيعي أن يتبع درس الحبِّ (بالعبرية "دَيش"، أونكيلوس "دِياشا"، سعديا "دوس") قطف الثمار (بالعبرية "باصير"، أونكيلوس "قِطافا"، سعديا "قَطاف"). ويؤكد التلمود[1307] أن "السنة بأكملها هي فترة حصاد؛ فحين ينتهي الحصاد، يأتي قطف الثمار، وبعد قطف الثمار يأتي قطف الزيتون (بالعبرية "ماسيق"). إن تقوفات [فترة] تموز/ يوليو لا تكون دونما تين وعنب[1308]. وعند إطلاق النذور، فإن وقت ثمار الصيف (بالعبرية "قَيص") يبدأ حين يتم إحضار الثمار في سلال، ويستمر حتى فرش حصائر التجفيف (للتين)[1309]. وهنا يتصدر التين، بحيث إن "قَيص"، المستخدم في ميخا (1:7) لثمار الصيف، قد رُبط، بما له من صلة بالنذور، بالتين مع استثناء العنب[1310]. ومن المهم أن يقوم المرء بقطف العنب في الوقت الملائم، وإلا فلن يكون

(1304) Schmidt & Kahle, *Volkserzählungen aus Palästina* II, Erzählung no. 85, 4.

(1305) Weißbach, *Beiträge zur Kunde des Irak-Arabischen*, vol. 1, p. 128.

(1306) يُقارن أعلاه، ص 196، 289 وما يليها، 337، 369 وما يليها، 475 وما يليها، 520؛
Rihbany, *Morgenländische Sitten im Leben Jesu*, pp. 51, 55.

(1307) j. Jeb. 14^{d}, Bab. b. 14^{a}, Siphra 110^{d} f.

(1308) Bem. R. 16 (134^{a}), Tanch.
عن سفر العدد 13:20.

(1309) Ned. VIII 4;
بحسب توضيح ابن ميمون. وإلا تُذكر كلمة "مِقصوع"، مطواة تُستخدم لشق التين المجفف. يُنظر
Goldmann, *La Figue en Palestine*, p. 35; Löw, *Flora* I, p. 243.

(1310) Tos. Ned. I 4;
يُقارن:
ab. b. III 1,
حيث يبدو أن "قيص" يُشير إلى التين.

حتى الخل جيدًا[1311]. ويؤكد المدراش أن شجرة التين لا يمكن قطف ثمارها دفعة واحدة، خلافًا لأشجار الزيتون والكرمة والنخيل[1312]، حيث يجب أن يؤخذ في الاعتبار كلٌّ من التين المبكر والمتأخر، أي النضوج المتفاوت للتين على الشجرة ذاتها. وعلاوة على تجفيف التين، يستمر العمل في عصر العنب (بالعبرية "جِتّوت")، حيث يُعتبر شهر تشرِ هو الشهر الملائم لذلك، ولأنه الشهر السابع (بالعبرية "شِبيعي") يكون مشبعًا ("مِسُبّاع") بكل ما يحصل من عصر للعنب في ذلك الوقت[1313].

الثمار

من أجل توفير نظرة عامة إلى ثمار الصيف الفلسطيني، يتم عرضها، في البداية، وفق تسلسل الأشهر التي تظهر فيها. ويستهلُّ ذلك في حزيران/ يونيو ("حزيران") التينُ المبكر ("ديفور")[1314] والمشمش ("مِشمِش")[1315]، والبرقوق أو الخوخ ("سُوّيد"، "إجّاص")[1316] والتوت ("توت"). وفي تموز/ يوليو ("تَموز") يتبع التفاح ("تُفّاح") والإجاص ("نْجاص") والكرز ("كَرَز")، على الرغم من أن جميعها ليست مهيمنة على المشهد بشكل قوي، ولكن يظهر إلى جانبها البطيخ ("بطيخ"). ويبقى على درجة أكبر من الأهمية، انطلاقًا من آب/ أغسطس ("آب")، العنب ("عِنِب")، ثم من نهاية هذا الشهر، ولمدة شهرين تقريبًا، التين المتأخر ("تين")، وأقل أهمية الخوخ ("دُرّاق"، "خُوخ"). ثم يتبع في أيلول/ سبتمبر ("اِيلول") الرمان ("رُمّان") والسفرجل ("سفرَجَل") واللوز ("لوز") والجوز ("جوز") والخروب ("خَرّوب") والزيتون ("زيتون")، الذي يؤكل كبيسًا في شباط/ فبراير، ثم ثمار الزعرور البري ("زَعرور")، وفي تشرين

(1311) Schir R. 5 (79b).

(1312) Bem. R. 12 (92b).

(1313) Vaj. R. 29 (79b);

يُقارن "وقت عصر العنب":

Chag. III 4.

(1314) يُقارن ص 379.

(1315) ذلك أن المشمش يظهر في المناطق الدافئة مبكرًا في أيار/ مايو. يُنظر ص 419.

(1316) ص 60 خطأ: "عُجاص".

الأول/ أكتوبر ("تِشرين أول") البلح ("بَلَح") والموز ("موز"). ثم في تشرين الثاني/ نوفمبر يبدأ الليمون (Citrus medica v. Limon، بالعربية "ليمون حامِض")، وفي كانون الأول/ ديسمبر البرتقال (Citrus aurantium، بالعربية "بُردقان")، والنارنج المر (Citrus aurantium v. vulgaris، بالعربية "خُشخاش"، "ترُنج"، "نارِنج"، "نانِرج")، والمندرين (Citrus nobilis، بالعربية "يوسِف أفِندي")، والليمون الحلو (Citrus medica v. dulcis، بالعربية "ليمون حِلو")(1317) والكباد (Citrus medica، بالعربية "ترُنج"، "كُبّاد")، وهذه الثمار تهيمن على الشتاء كله حتى نيسان/ أبريل، بحيث تحل استراحة قصيرة حتى منتصف أيار/ مايو حين تظهر باكورة المشمش. وهكذا، من حيث الجوهر، بحسب قائمة أعدها السيد جِريس يوسِف مَنصور في بيرزيت(1318)، يجب أن يضيف المرء إلى الثمار الفلسطينية توت البطم ("بُطم") التي يمكن أكلها قضامة(1319). ومن هنا كان سعديا قادرًا على استخدامها لـ"بُطنيم" العبرية في التكوين (43:11). صحيح أن الفستق يظهر (Pistacia vera، بالعربية "فُستُق")، إضافة إلى البندق (Corylus Avellana، "بندق") في أسواق القدس، ولكن يُزرعان على نطاق واسع في سوريا وحدها. كذلك تُشوى ثمار البلوط من نوع الملول (Quercus Aegilops، بالعربية "مَلّول عَقبي") وتؤكل في شرق الأردن.

في 1 "حزيران" (14 حزيران/ يونيو) 1925، وجدت في أحد أسواق القدس، علاوة على البطيخ والشمام الآتيين من المنطقة الساحلية ومن "جِدة" في العربية [شبه الجزيرة العربية]، برقوقًا أحمر مستديرًا ("سُوّيد"، "جِرِنق"

(1317) في دمشق برتقال من صيدا في تشرين الثاني/ نوفمبر، بحسب بيرغ- شتريسر.

(1318) يُقارن:

Bauer, *Volksleben*, pp. 171ff.; Duhm, *PJB* (1921), pp. 63ff.; Bergsträßer, *Zum arab. Dialekt von Damaskus*, vol. 1, p. 76.

ولا يزال حريًا بالذكر بالنسبة إلى تاريخ الثمار:

Walch, *Calendarium Palaestinae oeconomicum* (1785); Buhle, *Calendarium Palaestinae oeconomicum* (1785);

مع مقتطفات من أدبيات أكثر قِدمًا، وبالنسبة إلى حلب:

Russell, *Naturgeschichte von Aleppo*² (1797), vol. 1, pp. 100ff.; vol. 2, pp. 139ff.

(1319) هكذا بحسب عبد الولي. يُنظر أيضًا:

Musil, *Arabia Petraea*,vol. 3, p. 152.

[جْرِنك]، "جانيرِق") من دمشق، وبرقوقًا أحمر - أزرق وأزرقَ ("خُوخ") من الرملة، وكرزًا ("كَرَز") من عين يالو، ومِشمِشًا من أرطاس، وتينًا مبكرًا من سطاف، وتفاحًا من بيت لحم، وإجاصًا ("نجاص") من دمشق، وبرتقالًا وليمونًا من صيدا من محصول الشتاء الفائت.

بعد ذلك بشهرين، في 28 "تموز" (10 آب/ أغسطس) 1925، أحضرت من السوق سفرجلًا أصفر وتفاحًا أخضر من دمشق، وإجاصًا أخضر من أرطاس ودراقًا أصفر وأحمر، إضافة إلى عناب (Zizyphus vulgaris، بالعربية "عِنّاب") أخضر وأحمر ضارب إلى السمرة، من بيتونيا، وتين متأخر أخضر وأزرق داكن، وعنب أخضر وأزرق من عين كارِم، وليمون أصفر حديث القطف، على الأرجح، من أريحا. وإلى هذه الثمار انضم بطيخ ("بطيخ أخضر") وشمام ("بطيخ أصفر") من النوع المستطيل الذي يفوح أريجًا ("شِمّام") من السهل الساحلي. أما التين الشوكي ("صَبر"، "كوز")، فكان يمكنني قطفه من البستان. في حين لم يوجد في السوق الجميز ("جُمّيز") من السهل الساحلي[1320] مصادفة[1321].

حين تفقدت سوق القدس في 18 "آب" (31 آب/ أغسطس) 1921، كان الصيف قد اقترب من نهايته[1322]؛ إذ كان بعض البطيخ لا يزال هناك، لكنه بدأ يشارف على نهايته. ومع ذلك، وُجد تين وعنب بكثرة، وزينت الكرمة الدكاكين. وكان لا يزال هناك بعض الخوخ الأخضر - المحمر، إضافة إلى إجاص كثير العصارة، وخوخ "قِراصية" حامضي داكن - أزرق، وخوخ حلو أصفر ("برقوق")، وباكورة الرمان الذي كان لا يزال أصفر اللون مع بقع حمر، تتحول لاحقًا إلى الأحمر القاني.

(1320) رأيته في 14 آب/ أغسطس 1913 في اللد إلى جانب التين الشوكي [الصبّار] والرمان.

(1321) ذلك أن مذاق ثمار الجبال يختلف عن مذاق ثمار الساحل، وهذا شيء عرفه المرء اليوم، كما عرفه في الزمن الماضي، وذلك حين فسر المرء التشديد على أن فلسطين هي أرض الجبال والسهول (التثنية 11:11) من خلال توافر الفرصة لمذاقَين مختلفين:

(Siphre, Deut. 39 (78ª),

يُقارن ص 126. إذًا توافر للمرء سبب كي يستقصي مصدر الثمار.

(1322) يُنظر تقريري:

PJB (1921), pp. 70ff.

من بين هذه الثمار التي هي مصدر دائم للانتعاش في حر فلسطين الصيفي، يجب اعتبار التين الشوكي والموز، إضافة إلى زعرور اليابان (Eriobotrya japonica، وهي نوع من النباتات من الفصيلة الوردية، بالعربية "اِسكِدنيا"، "أكِّدِنيا"، "يِنِدِنيا") التي تنضج في حزيران/ يونيو، لأنها حديثة العهد[1323]، في حين أن قديم العهد هو الليمون (ماعدا الأترج بالعربية "تُرُنج") والبرتقال والمشمش والكرز، وهي الفاكهة التي لا تزال غير معروفة للمشنا والتلمود[1324]. ومع ذلك، فإن الأترج حاضر في هذه الأدبيات (بالعبرية "اِتروج" Bikk. II 6)، الخوخ (بالعبرية ج. "بِرسِقين" Kil. I 4، ابن ميمون "خوخ")، السفرجل (بالعبرية "بِريشين"[1325] Kil I 4، ابن ميمون "سفرجل")، الإجاص (بالعبرية "قُرستُميلين"، Kil I 4 ابن ميمون إنجاص)، عناب (بالعبرية "شِزافين"، Kil I 4 ابن ميمون "عِنّاب")، نوع من الخوخ، ربما الـ"جانيرِق" في أيامنا (ص 562) (بالعبرية "دُرمَسقيوت"، Tos. Dem. I 9)، ثمرة الزعرور البري (بالعبرية "عُزرارين"، Kil I 4 ابن ميمون "زعرور")، التوت (بالعبرية "توتيم"، ابن ميمون "توت"). نوع من الإجاص هو بحسب لوف[1326] بالعبرية "عُجاص"، Tos. Kil I 4 "أجاسيم"، مشنا Kil I 4 حيث يُفترض ابن ميمون أن يكون قد قصد بِـ"أجّاص" و"برقوق" نوعًا معينًا من الخوخ[1327]. ويبقى في طي الغموض "حزرار"، بحسب ابن ميمون "عِزران"،

(1323) إلا أن التين الشوكي ذُكر سابقًا في 1217، وذلك بحسب

Tobler, *Denkblätter*, p. 113,

والموز في القرن السادس عشر،

Löw, *Flora* II, pp. 253f.

(1324) Löw, *Flora* II, p. 254; III, pp. 156, 169, 283, 316;

وهو ينتقد حقيقة أني ذكرت الليمون في:

Dalman, *Orte und Wege Jesu*³, p. 131,

على الرغم من أن تحديد نوع الليمون (Citrus medica)، الذي ربما كان موجودًا في زمن عيسى، كان أبعد ما يكون عن تصوري. وعلاوة على ذلك، وبحسب

Hartmann, *L'Agriculture dans l'ancienne Egypte*, p. 62;

فربما كانت شجرة الأترج، كذلك الليمون، قد وجدت طريقها إلى مصر في القرن السادس قبل الميلاد.

(1325) بحسب

j. Kil. 27ᵃ, Maaser. 48ᵈ,

وفقًا لاسم الثمرة، والتي قصد، من بين الثمار طبخها، وهو ما يوافق السفرجل.

(1326) Löw, *Flora* III, p. 236.

(1327) ضد لوف، في:

Löw, *Flora*.

الذي قد يكون ملائمًا له Sorbus trilobata [التفاح البري اللبناني] مع ثمرة قابلة للأكل (يُسميها بوست بالعربية "مَخليس"، "مَحريس"، ويسميها بيرغرين وآخرون "زِرفون")، على الرغم من أن الشجرة تُنسب إلى لبنان وحده[1328]. ويبقى موضع الشك ثمرة الـ"حَبّوشيم" (b. Sabb. 45a) (بَرَيته)، "حُبّاشين" (Tos. Ter. VII 13)، بحسب لوف[1329] السفرجل الذي ربما كان، إلى جانب "باريش"، وبحسب لوف، الزعرور الجرماني [Mispilus germanica][1330]. وهذا بالكاد يكون ممكنًا إن لم يتعلق بأسماء مختلفة للثمرة نفسها. وهذه الأنواع جميعها تعود إلى فترة العهد الجديد، وبعضها حتى فترات أكثر قدمًا، مثل الإجاص والنبق المسهل، وكلاهما ينمو في فلسطين بشكل بريّ. وعلاوة على التين والعنب والرمان، يعرف العهد القديم الجميز أو التين التوتي (بالعبرية "شِقما" عاموس 14:7) وشجرة النخل (بالعبرية "تامار" التثنية 3:34) الذي ينطبق على أريحا، إذ زُرعت أشجار النخيل هناك من أجل ثمارها فحسب، لأنها لا تنضج في الهضاب، والتفاح (بالعبرية "تَبّوَح" حزقيال 5.3:2)، والجوز (بالعبرية "اِجوز"، حزقيال 11:6)، واللوز (بالعبرية "شاقيد" التكوين 11:43) والبطيخ ("أبَطّيح" العدد 5:11)، وهذا الأخير ينطبق على مصر، لأنه قابل للزراعة في الساحل الفلسطيني، وربما كان معروفًا للراوي هناك. والتوت مذكور في سفر المكابيين الأول (34:6) وربما كان موجودًا في وقت أبكر، مع أن شجرة التوت في الإنجيل الذي ترجمه لوثر [ترجمة للعهد القديم إلى الألمانية الحديثة عن العبرية القديمة والآرامية، وترجمة للعهد الجديد عن اللغة اليونانية القديمة. وقد أنجز هذه الترجمة مارتن لوثر ومجموعة من اللاهوتيين. وفي أيلول/ سبتمبر 1522 صدرت الطبعة الأولى للعهد الجديد. وبدءًا من سنة 1534، كان هناك

(1328) في ص 61، اعتقدت خطأً أن Zizphyus spina christi ممكنٌ، والذي قصد به في: Kil. I 4
"ريمين" (ابن ميمون "نِبق"). كما أن التمييز المذكور هناك بين النبق المسهل البري والمزروع لا يتوافق و Kil. I 4.

(1329) Löw, *Flora* III, p. 241.

(1330) بحسب بوست، يوجد بالقرب من نابلس، وهو غير معروف لدي. وقد عثر دينسمور (Dinsmore) على Mespilus germanica بالقرب من بيت جالا.

إنجيل ألماني كامل عمل لوثر على تصحيحه طوال عمره] تشير دائمًا إلى الجميز، وهذا يدل على أن التين المبكر في زمن سليمان، والذي لا يستطيع نشيد الأنشاد تحديده، كان متوافرًا في حزيران/ يونيو، والعنب والتين المتأخر في آب/ أغسطس، والرمان في أيلول/ سبتمبر، في حين أن تموز/ يوليو (كما الشتاء) بقي بلا ثمار في ما لو لم يظهر البطيخ. ومن حيث المبدأ، فإن ثمار التين والعنب والرمان لا تزال اليوم، كما في العدد (23:13)؛ التثنية (8:8)؛ حغاي (19:2)، هي الثمار التي تحدد، جنبًا إلى جنب مع الزيتون، حياة سكان الريف في فلسطين. ويذكر المسيح التين والعنب فحسب (متّى 16:7؛ لوقا 44:6) والخروب (لوقا 16:15)، ويذكر يعقوب (12:3) التين والزيتون والكرمة.

العيش في بساتين الفواكه

لمّا كان هناك كثير مما يستوجب القيام به في بساتين الفاكهة، فإن الوسيلة الفضلى لحراسة الفاكهة التي لم تُقطف بعد وتلك التي قُطفت، هي الانتقال للعيش بين أحضانها، بعد أن يكون المرء قد أعد الكوخ على سطح برج المراقبة ("قَصر") بشكل يقيه الشمس، بتغطيته بأغصان الخروب ("خَرّوب") والبيلسان البري ("بيلَسان بِرِّي") في حال توافر، وإلا بأغصان مقطوعة من البلان، أي المرقئة الشوكية ("نِتش")، أو بسعف نخل في المناطق التي تكثر فيها أشجار النخيل. وهذا هو "كوخ قاطف الفاكهة" (بالعبرية "سكّوت هقَياصين")، وهو ما ليس مسموحًا به ككوخ احتفالي لعيد العُرُش[1331]. والحيز الداخلي المقنطر للبرج يكون تحت التصرف في الليالي الباردة. وهنا يسكن المرء (بالعربية "بِعزِّب") مع جزء من العائلة الذي عليه ألا يبقى في القرية لأي عمل آخر إذا اقتضى الأمر، من منتصف "حزيران"، حين يكون التين المبكر قد نضج، أو من منتصف "تموز"[1332] حتى "تِشرين" إذا استوجب الأمر البقاء هناك طيلة هذا الوقت. وغالبًا ما يُعتبر عيد الصليب في 14 "اِيلول" الموعد

(1331) Tos. Sukk. I 4.

(1332) عن دمشق يُقال: حين تنتهي المدارس في منتصف "تموز"، يبدأ المرء بالذهاب إلى القرى لِـ "قضاء الصيف" ("تِصيِّف")،

Bergsträßer, *Zum arab. Dialekt von Damaskus,* p. 75.

الأخير لتقليد الإقامة هذا (ص 93 وما يليها). وفي لبنان يُقال[1333]: "صَلَّبت خَرَّبت"، أي: "حين يأتي عيد الصليب، يقفر كل شيء (في بساتين الفاكهة)". وخلال وقت جمع محصول الفاكهة هذا، يسكن المرء في ظل كرمة أو شجرة تين (الملوك الأول 5:5؛ ميخا 4:4) ويدعو أصدقاءه إلى هناك (زكريا 3:10). والعيش بعيدًا عن المنزل والقرية مستحيل في أزمنة الحرب، وهو علامة جيدة على وجود آمن، وعلى العلاقة بين هذا العيش في الأكواخ وعيد العُرُش (يُنظر ص 162 وما يليها).

من بين خصال الإقامة في بساتين الفاكهة في منطقة القدس، هناك نوع خاص من الغناء يُدعى "اِملالا" [الملالاه]، لأن المقاطع "لِلي"، "لِلو" أو "ايذِلِ" "ليذِلِ" محبوكة في النص، وكذلك تُستخدم يَرويلَلو كلازمة غنائية [التراويد][1334]. وحدهنّ البنات والنساء الشابات يغنينَ هكذا ("بِلولِين"، مفرد "بِتلولِي"). وإذا ما بدأت إحداهن، ردت أخرى من الحديقة التالية، ثم ثالثة من مكان ما، إلى أن يسمع المرء ربما 20 صوتًا، متنافسة بعضها مع بعض من حدائق مختلفة، وكل واحدة بأغنية خاصة بها. أما مضمون الأغنية، فلا يختلف عمّا يرد في أغانٍ راقصة أخرى، وعادة ما يدور حول الحب، بحيث يستطيع المرء مسبقًا تخيل أغاني نشيد الأنشاد تُردد في مثل هذه المناسبة[1335]. وهنا نقدم أغنيتيّ "اِملالا" من رام الله، دونما "لِلي".

"عِشتِ يا حَبيبِ	أرجو أن تعيشي يا حبيبتي،
وعاش خَيِّك	وعاش شقيقك!
وعاشُ اُخوتك	وعشن أخواتك
واولاد عَمِّك	وأولاد عمك!
وعاشُ اِخوالِك	وعاش أخوالك،
اِللِ جوّزُ اِمِك	الذين قاموا بتزويج أمك!

(1333) الجميِّل، مجلة **المَشرِق** (1905)، ص 866.

(1334) Dalman, *Pal. Diwan*, pp. XX, 25ff., 344.

(1335) لمناسبات أخرى، يُقارن ص 424 وما يليها، 431، 439 وما يليها، 441 وما يليها.

يَرويذِلِ لِيذِلِ لو"	يَرويذِلِ لِيذِلِ لو
"حَبّاس حَبّاس	سجّان آه يا سجّان!
خُذنِ مِن مَحابيسك	خذني من سجونك،
يِلِّ الحَرير القَصّب	أنت الحرير والقصب
فَضلِة مَلابيسَك	بقية ملابسك
يَرويذِلِ لِيذِلِ لو"	يَرويذِلِ لِيذِلِ لو.

ومع إدخال للّي يصبح هذا الغناء [ضربًا من الترويدة] كالتالي:

"حُبِّي زَرَع ليلِلِ لي علَ روس ليلِلِل- المَعانِ خِيار
وشو سَقّيته ليلِلِلي يا حُبِّي تَ ليلِلِلو عَبَر هالدار"
حبيبي زرع لي في نهاية الأثلام خيار[1336]
وبماذا سقيته يا حبيبي حتى تجاوز في نموه هذه الدار؟
"حُبِّي زَرَع ليلِلِ لي علَ روس ليلِلِل- اِل - مَعانِ فول
وشو سَقّيته ليلِلِلي يا حُبِّي تَ ليلِلِلو نَخَّب هط - طول"
حبيبي زرع لي في نهاية الأثلام فول
وبماذا سقيته يا حبيبي حتى نمى إلى هذا الطول؟

وفي نشيد الأنشاد، في (12:2)، يرد أن مع الربيع حل "عيت هزامير". وهنا، جنبًا إلى جنب مع سعديا، كذلك عند "زامير" في تقويم جيزر (ص 7)، فكرتُ بتقصير الكرمة غير المثمرة، وهو أمر يجري غالبًا في الصيف؛ "فالتقليم" كمعنى محتمل لِـ"زامَر" في الأزمنة التوراتية وما بعد التوراتية ليس موضع شك. والاسم "زامير" في المدراش[1337]، "زِميرا" في التلمود[1338]، متحقَّق منه. ولكن لأن العمل الأساسي للتقليم يجب أن يتم في نهاية الشتاء (ص 418)، فمن غير الممكن أن يُدعى تقليم تالٍ متأخر في حزقيال (12:2) "وقت التقليم"، وفي تقويم جيزر لا يمكن تسمية شهري حزيران/ يونيو وتموز/ يوليو بحسب

(1336) الحُبْ الذي أيقظه المحبوب هو المقصود.

(1337) Siphra, Behar 1, (105[b]).

(1338) j. Kil. 31[c], Sabb. 10[a], Sanh. 24[d], b. Mo. k. 3[a].

ذلك، حين يكون وقت التقليم الحقيقي قد انتهى. وقد قصد بروستون[1339]، في قراءة مخالفة، أن المرء قد يفكر في تقليم فروع الزيتون الخفيفة. إلا أن ذلك لا يتوافق مع وقت ما بعد الحصاد. ومن هنا يبقى أي تفسير قاطع عالقًا. وفي نشيد الأنشاد، حيث يُذكر صوت القُمرية، على المرء أن يتذكر في أي حال الغناء (ص 420، 432) الذي يمارسه المرء في كروم العنب. ويذكر المشنا[1340] أن بنات القدس في زمن الهيكل في 15 آب/ أغسطس رقصنَ في يوم الغفران وفي ثياب بيض رقصات دائرية وهن يغنين: "أيها الفتى لترفع عينيك ولتنظر إلى ما ستختار لنفسك! لا تنظر إلى الجمال، بل إلى عائلة جيدة! فالسحر خدّاع والجمال نفحة، وامرأة تتقي الله هي الجديرة بالإطراء والثناء!" وعلى المرء أن يفترض أن الوقت الأول لمثل هذه الرقصات كان يحدده بدر الشهر الأول لقطف العنب، والوقت الثاني يَسِمُ نهاية موسم قطف العنب قبل بداية المطر[1341]؛ ذلك أن الفتيات الشابات وحدهن مَن يرقصنَ هنا كما في القضاة (21:21)، فهذا مهم بالطبع، لأنه ثبت أن في أماكن أخرى كان يجري استثناء الرجال من بساتين الفاكهة خلال فترة النمو[1342].

التحطيب

عندما يكون العمل في البيدر قد أُنجز، يصبح الرجال أحرارًا والحيوانات طليقة للقيام بأعمال أخرى، في الوقت الذي تبقى فيه النساء مشغولات في بساتين الفاكهة. وهذا هو السبب الذي يفسر لماذا يخرج الرجال في نهاية "آب" لقطع حطب الوقود وإرساله إلى المدن. وحطب الوقود هذا يتألف بشكل حصري تقريبًا من أشجار زيتون هرمت، وأجذال أشجار البلوط. ويُحمّل خشب الفروع، إضافة إلى الجذع والجذل، على الجمال والحمير إلى المدينة وتُباع هناك بحسب الوزن[1343]. ومن قبل، في ص 85، كان اللافت

(1339) *Rev. d'Hist. et de Phil. rel.*, vol. 7, no. 1, pp. 48ff.

(1340) Taan. IV 8, Ech. R. Peth. (15^b).

(1341) لأسباب أخرى، يُنظر أدناه IV 10.

(1342) يُقارن ص 431، 441.

(1343) يُقارن ص 83 وما يليها.

هو الأهمية التي تمتع بها يوم 15 أب (Ab) المتعلقة بحمولات الخشب إلى الهيكل في القدس. ومن بين مواعيد الخشب التسعة الخاصة بالكهنة والشعب، صادف أحدها 1 نِسان، الذي افترُض به أن يلبي احتياجات عيد الفصح وعيد الأسابيع. ثم حصل انقطاع حتى 20 "تموز"، ثم تبع ذلك خمسة مواعيد في 5 و7 و10 و15 و20 آب/ أغسطس في تسلسل سريع تاركين 20 اِيلول و1 تبت [كانون الأول/ ديسمبر - كانون الثاني/ يناير][1344]. ويبدو أن هذا ما دفع إلى الافتراض أن أب، كونه الشهر الأكثر حرارة، هو الأكثر ملاءمة، ربما لأنه سيكون هناك نقص أقل في العمال. وتمنع مِغلات تَعَنيت 5 [اسم فصل في المشنا والتلمود يعالج صلاة صيام الجماعة في أوقات المحن] الصوم[1345] في 15 أب لأنه موعد تزويد الكهنة بالخشب، والذي ينطبق، بحسب باريتا في التلمود الفلسطيني[1346]، على كل يوم يقوم فيه شخص بشكل طوعي بإحضار خشب وثمار مبكرة إلى مذبح الهيكل. ويُفترض أن يُحتفل بهذا اليوم من خلال عدم العمل. وأيام الخشب المحددة هذه لها صلة، في أي حال، بعقد نحميا (نحميا 35:10، 31:13). وبالنسبة إلى خشب البناء، توصي Geoponica III 1, 10, 1 بالأشهر تشرين الثاني/ نوفمبر وكانون الأول/ ديسمبر وكانون الثاني/ يناير كونها ملائمة للقطع، وتموز/ يوليو وحده عند الضرورة. وهنا يُعتبر الشتاء بالذات الوقت الأفضل لتقطيع الأشجار.

الماشية في الصيف

هناك حاجة إلى الماشية الكبيرة، أي الأبقار والخيول والجمال والحمير في الصيف عند جني المحصول وفي البيادر، ويجب إطعامها بالقرب من القرية تبنًا وكرسنة ("كِرسنّة") وفضلات بذور السمسم بعد استخراج الزيت منها ("كِسبِة"). أما الماشية الصغيرة (أغنام وماعز)، فليس من السهل أن تجد

(1344) Taan. IV 5,

يُقارن أعلاه، ص 85.

(1345) Dalman, *Aram. Dialektproben*², pp. 2, 42.

(1346) j. Meg. 70 ᶜ.

مراعي لها؛ إذ ليس لدى الحقول ما تقدمه بعد أن جُني منها زرع الشتاء. لذلك يكون على مناطق الشجيرات البرية دائمة الخضرة (ص 84، 87) أن تحل في محل ذلك. إلا أن المنطقة الساحلية لا تزال قادرة على تقديم بعض مما لديها، مثل حقول الذرة والسمسم التي جرى حصادها في تموز/ يوليو أو أوائل آب/ أغسطس، خصوصًا أن بقايا جذوعها وأوراقها يمكن استعمالها علفًا. وغلة الحليب تكفي في الأساس لصغار الماشية التي يجب فطمها مبكرًا (يُنظر أعلاه، ص 557) وللراعي الذي عليه أن يحيا أيضًا. ويجتمع عدد من الرعاة لقضاء الليل معًا لأسباب أمنية، ويُخيمون ("بِهَجّمُو"، يُقارن *αγζαυλουντες*، لوقا 8:2)[1347] مع قطعانهم في العراء، وبالطبع ليس من دون بندقية ونبوت (المزامير 4:23). وعندما يتم في إشعيا (10:65) وعد بني إسرائيل بسهل شارون ومنطقة أريحا كمراعٍ، وعندما امتلك داود، كما جاء في أخبار الأيام الأول (29:27)، أبقارًا ترعى في الشارون، وسهولًا أخرى، انصرف الذهن حينئذٍ إلى الحاجة إلى الرعي في الصيف. ولكن يفترض أن على الناس الذين يعيشون في تلك المنطقة أن يتخلوا عن كل أرضٍ قابلة للري، وهو شيء بالكاد حصل في الأزمنة التاريخية. وقد سبق التعرض لولادة المواشي في الصيف في ص 421. أما في ما يتعلق بالتقليد اليهودي، فإن 1 سيوان [أيار/ مايو - حزيران/ يونيو] كان موعدًا لدفع العُشر على القطيع، يُنظر ص 422. وهنا يجب إضافة نصف شهر قبل عيد العُرُش، في 29 أب، أو 1 تشري[1348] [أيلول/ سبتمبر- تشرين الأول/ أكتوبر].

ط. التقاليد الدينية عند زراعة الحبوب وجني الثمار

تشكل الحبوب هبة الله بمعنى خاص؛ فقبل ذلك، وفي الجنة، كان ذلك شيئًا خاصًا: "يوم الخِلِق أبونَ آدم وإمنَ حوَّ حَطُّوهم فِ الجِنّة المَلاِيكة. بعدين كُلُ مِن ثَمر الجِنّة إلَّ شَجَرَة القَمح لا ذاقوهَ أبدًا. بعدين دخل اِبليس اللَعين عليهم قَلهُم كُلُ مِن هاذي الشجرة وَجاب حَبَة وَحَدة مِن القمح

(1347) Dalman, *Orte und Wege Jesu*³, p. 52.

(1348) Bech. IX 5, Schek. III 1, Tos. Bech. VII 9.

وهي كُبر بيضة النعامة حَطّوهَ بينهم وأكَلُ مَنهَ. بعدين طَرّوهم (= طَرَدوهم) الملاِيكة مِن الجِنّة"، أي: "في اليوم الذي خُلق فيه أبونا آدم وأمنا حواء، قام الملائكة بوضعهما في الجنة. ثم بعد ذلك أكلا من ثمار الجنة، وحدها شجرة القمح لم يذوقاها قط[1349]. وبعد ذلك أتى إليهما إبليس اللعين وقال لهما: لتأكلا من هذه الشجرة! وأعطاهما حبة من القمح في حجم بيضة نعامة وأكلا منها. فقامت الملائكة بطردهما من الجنة". هذه الحكاية التي سمعتها من بدوي في صحراء يهودا تترك الأمر غامضًا؛ كيف سُمح لآدم بأكل القمح في ما بعد؟ ولكنها تُظهر أن الحبوب بشكل خاص هي هبة الرب، وتتلاءم مع طريقة التعامل معها في يومنا هذا. وحين يأخذ المرء حبوبًا من المخزون، وهو ما لا يقوم به المرء ليلًا بسبب العفاريت، حينئذ يقول: "دَستور، بسم الله الرحمن الرحيم!". وإذا لم يقل المرء ذلك، حينئذ ربما أخذ الشيطان مقدارًا مشابهًا.

في هذا السياق، ظهرت هنا التقاليد التي ترتبط بزراعة الحبوب عند العرب الفلسطينيين في جميع مراحلها ومنذ البداية. ولا يُدَّعى هنا أن التقاليد المذكورة هي عامة، فربما احتاج مدى انتشارها إلى دراسة منفصلة، وأنا سأشير دائمًا إلى المكان الذي صادفت فيه كل تقليد على حدة. فبداية الحرث، مثلها مثل أي عمل مهم آخر، يمكن أن يستهلها العربي بالسورة الأولى من القرآن: "الفاتحة". وكل ما يحصل "باسم الله الرحمن الرحيم" مكتوب له النجاح. وفي إلجي، بالقرب من البتراء، يقوم أحدهم عشية الحرث الأول بتقديم أضحية ("ذِبيحة") لوجه الله تعالى وتخضيل ("بِحَنُّو") شفرة المحراث ومسنده والماشية بدم الأضحية بمسحه (بِمِشُّ بِل- اِيد) بيد غُمّست في وعاء دم الحيوان المذبوح. وحين يبدأ الحرث، يقول المرء في "الكرك"[1350]:

(1349) لم تُحدَّد الشجرة الممنوعة بشكل دقيق في القرآن 2:33 وما يليها [سورة البقرة، الآية 33 وما يليها]. ولكن وفقًا لمعتقد يهودي، يتعلق الأمر بالقمح.
Ber. R. 15 (32^b), b. Ber. 40^a, Sanh. 70^b, Pes. Rabb. 42 (175^a).

(1350) شبيه جدًا بذلك:
Musil, *Arabia Petraea*, vol. 3, p. 297.

"قَلَّطنَ الله والخليل	وضعنا ثقتنا في الله والخليل!
اِرزِقنَ الغلال	أعطنا الغلال
وَفَضِّ البال"	وفرِّج بالنا!

وعندما ينتهي الحرث، يُقال في الطفيلة[1351]:

"طَويناكِ طي الكتاب	طويناكِ مثل طي الكتاب،
يَعقُبنَ عليكِ غَزير السِحاب"	ليهطل عليكِ مطر وافر مثل السحاب!

وفي حال صادف البذر مع الحرث الأول بحيث يعقب الحرث البذر، حينئذٍ ينطبق الشروع بالحرث على كامل الحرث. وفي أي حال، يبدأ ذلك بالفاتحة التي يعقبها أداء صلاة[1352]. وفي "شَرفات" يُقال:

"يا ربّ تِطعمنَ وتِطعم مِنَّ	يا رب تطعمنا وتطعم من خلالنا[1353]
تِطعم الدود	تطعم الديدان
في حجر الجلمود	في حجر الجلمود
يا رب أنَ بِضَيّع	يا رب أنا أُتلف
وإنت ما بِضَّيع	وأنت لا تُتلف
يا رب تطعم الهاجم	يا رب تُطعم الضعيف
والناجم	والقوي
وِالّ عَجنبُ نايم"	والذي ينام على جنبه (المريض)

(1351) شبيه موزيل، في:
Ibid.

(1352) صلوات مشابهة جدًا لتلك الواردة هنا. يُنظر:
Sonnen, *Biblica* (1927), pp. 79f.; Musil, *Arabia Petraea*, vol. 3, pp. 297f.

(1353) بحسب موزل، قيل: "سوف نُطعِمك. ولكني دونت في صحراء يهودا: "تِطعَم الفَقير مِنَّا" (تُطعِم فقيرنا)، وهو ما يحدد، بلا شك، المعنى.

ولا يختلف الأمر كثيرًا في ضانا:

"يا رب اِرزِقنَ واِرزق مِنَّ	يا ربي ارزقنا وارزق من خلالنا
يا رب اِرزق الدود	يا ربي ارزق الدود
فِ الحجر الجلمود	في الحجر الجلمود
والحَراير وهنِ قِعود	والنبيلات اللواتي يجلسن ساكنات
وِارزق الصوص والنِمل	وارزق الصوص والنمل
والخانوس"	والرضيع

وفي حزما يتضرع المرء:

يالله علينا الحِمّار	ربنا، علينا الأرض الحمراء
وعل – لله الغلال	والمحصول عليك
كَبّينَ حَبّنَ	لقد نثرنا حبوبنا
وِتوكّلنَ عَرَبّنَ"	وتوكلنا على ربنا

وفي القبيبة:

"يا ربِ رَمينَ الحَبّ	يا رب نثرنا الحب
وِتَّكِنِّ (= وِتَّكَلنَ) عَ الرَبّ	وتوكلنا على الله
يا رب تِطعَمنَ وتطعم مِنَّ	يا ربي تطعمنا وتطعم من خلالنا
تطعم الطير فِ ظلام الليل	تطعم الطير في ظلام الليل
وتطعم الدَبيب فِ الأرض"	وتطعم كل من يدب في الأرض

وفي الكرك:

"يا الله اِنِّ أنَ العازِق	يا ربي، أنا العازق
وانت يا الله اِلحيّ الرازق	وأنت يا الله الحي الرازق
يا الله اطعمنِ مِن تَعبِ	يا ربي اطعمني من تعبي
وعوضني يا الله مِن تَعبِ"	وعوضني يارب عن تعبي

وفي الطفيلة:

"بسمِ الله الرحمان	بسم الله الرحمن
اِتوَكّلنَ علَ- الله	توكلنا على الله
اطعمنَ وتِطعم مِنَّ	اطعمنا واطعم من خلالنا
واطعم الفقرَ المِساكين	واطعم الفقراء المساكين
والطِيور والوحوش والحيوانات	والطيور والوحوش والحيوانات
والإنس والجِنّ	والإنس والجن
كِرامة اِلَ سيدنَ مُحَمَّد	كرامة لسيدنا محمد
وسيدنَ اِبراهيم الخليل	وسيدنا إبراهيم الخليل
وموسَ وعيسَ وجميع الأنبيَا	وموسى وعيسى وجميع الأنبياء
عليهُم الصَلاة والسلام"	عليهم الصلاة والسلام

لم أكن على اطلاعٍ عما إذا كان ثمة تقاليد خاصة ذات صلة بريِّ الأرض المزروعة بالحبوب، كما يحصل بشكل خاص في غور الأردن الشرقي. وفي مصر العليا، يُقدم المرء الطعام إلى الجيران بعد نهاية الري، ويزين دواب الجر العائدة من الساقية بحزم من الذرة الرفيعة[1354]. وعند بداية المحصول، يجري البحث عن العناية الإلهية من أجل هذه المهمة (ص 415 وما يليها)؛ ففي حزما، يُضيف المرء إلى "بسم الله الرحمن الرحيم" المعتادة: "يا رب اِبحَقّ اِلِّ جابنَ ليك يِعينَّ عليك": "يا رب، بحق الذي أرسلنا إليك (محمد)، نتوسل إليه أن يشفع لنا لديك!"

وفي الصباح، يحب الناس في الكرك الشروع في عملهم بالأغنية التي يمكن إعادتها في نهاية الحصاد:

(1354) Blackman, *The Fellahin*, p. 175.

"يا صباح الخير دايم	صباح الخير أيها الدائم
دايمًا وِضَلّ دايم	دائمًا تبقى دائم
صَبّحَت عيسَ ابن مِريَم	صباح الخير عيسى بن مريم
اِلّ فِ ظلال القدس نايم	الذي ينام في ظلال القدس
صبحت بيض العماير"	صباح الخير أيتها البيضاوات بين الحقول![1355]

وقد تنتهي أيضًا بِـ:

"صبحت بيض العمايم	صباح الخير يا ذوي العمائم البيض[1356]
صبحت والكُلّ نايم"	صباح الخير والجميع (القمح) راقد[1357]

إنها نهاية الحصاد الذي يجري التعاطي معه في أرجاء فلسطين بشكل احتفالي. وحين لا يبقى هناك غير القليل من حقل الحصاد، يدعو صاحب الحقل الحصادين مناديًا: "هَلِّلُ (أيضًا: "هَلهِلُ") عالزِرَع وتالِ الوُجه"، أي: "أثنوا (تَهليل) على الزرع وعلى ما يبقى أمامكم!" وبناء عليه، يردد الحصادون والنساء الملتقِطات فضلات الحصاد: "لا إله الا الله" بتكرار متواصل إلى حين إنجاز العمل. هكذا في قرية دير نظام [بالقرب من رام الله]، وفي الزيب على السواحل الجليلية، وفي الكرك والطفيلة. وفي الكرك، يُضيف المرء إلى تمجيد الرب:

"دايم باقِ وجه الله	دائم وباقٍ وجه الله.
عيسَ يا ابن روح الله	عيسى يا ابن روح الله،
عيسَ قاعد عَالكرسِ	عيسى جالس على كرسي،
بقرَ في كلام الله"	يقرأ في كلام الله.

(1355) القدس ومحيطها هما المقصودان.

(1356) كما يضعها الحصادون للوقاية من أشعة الشمس.

(1357) أو: "في حين لا يزال كل شيء نائمًا".

ويجري إنشاد السطرين الأخيرين ثلاث مرات. وفي ذلك يُشارك المسلمون أيضًا[1358]. ولكن في الطفيلة، نُسبَ السطران الأخيران إلى [النبي] محمد وحُذف الثالث ما قبل الأخير.

والآن، لا بد للفقراء من الحصول على شيء من الحصاد. وفي حال بقي هناك حمولة جملين تقريبًا، ينادي المالك في رام الله، وهو يقذف بحزمة يدوية ("شَمال") في الهواء ("يِنعف"): "مِلحة يا شَباب" (أو: "يَ صُبيان"، "يا لَقّاطين") "مِلحة". وهذا يعني أن الباقي الذي يوصف تواضعًا بأنه قليل، هو من نصيب اللاقطين الذي يقومون بأنفسهم بالتقاطه، ويأخذ كل واحد قدر استطاعته، كما يحصل عند توزيع الغنائم، حين يُسمع النداء نفسه.

وهكذا، لا يُفتقر إلى حمد الله وتمجيده عند الحصاد، مثلما لا يُغفل الدعاء عند الزرع من أجل نمو المحصول ونضوجه. ولا يُمكن أن يكون قد قُصِد شيء آخر في سفر المزامير (5:126 وما يلي)، حيث يُواجَه الزرع بالدموع، والحصاد بالابتهاج، خصوصًا إذا أُخذ في الحسبان أنه وفقًا للأسلوب الشرقي، يجري اختيار التعبير الأقوى للأشياء التي تتخذ في الواقع شكلًا أكثر تواضعًا. إلا أن طقوس حداد حقيقية خلال وقت الزرع عند المصريين وفي أماكن أخرى قابلة للإثبات[1359]، لأن العلاقة بين الحصاد وتوزيع الغنائم (إشعيا 2:9، يُقارن المزامير 162:119)، يجري افتراضها اليوم أيضًا (يُنظر أعلاه). وفي الأعماق، لا يغيب الفرح بحصاد الحقل الذي جرى جنيه الآن، على الرغم من أن الأغاني التي تُنشد خلال جني المحصول ودرسه وتذريته[1360] لا تعبِّر عن ذلك.

ولكن في نهاية الحصاد، ثمة تقليد آخر ذُكر لي في القبيبة وحِزما ودير نظام والزيب، أن تلك التقاليد لم تكن شائعة هناك، ولكن بعضهم أكد لي وجودها في يطّا وجِفنا واللُّبَّن والكرك والطفيلة وضانا وبصيرا [محافظة

(1358) يُنظر:

Musil, *Arabia Petraea*, vol. 3, p. 300.

(1359) Frazer, *The Golden Bough*[3], vol. 4, pp. 291ff.

(1360) Dalman, *Pal. Diwan*, pp. 4ff.

الطفيلة في الأردن] والشوبك وذات راس [محافظة الكرك في الأردن]، والتي كانت بلا شك شائعة في الأزمنة السابقة. وهي تتمثل في دفن الحزمة الأخيرة ("غِمر") التي ربما تكون تمثيلًا لذلك التقليد كحزمة يدوية ("شَمال") أو بضع سنابل فقط. ويُطلِق المرء على الحزمة "شايب الحَصيدة" أي "كبير السن في الحصاد". ويُستخدم هذا التعبير مع اقتراب نهاية الحصاد حين يُقال: "الشايب مريض"، ثم: "الشايب بِنازع"، وأخيرًا: "الشايب مات الله يِرحمه". ويضع المرء الحزمة في حفرة ويغطيها بالتراب أو بحجر، وينطق الشهادة كما في حال تشييع جنازة كائن حيّ. وفي الشوبك، حيث تُدفَن بضع سنابل فقط، يُضيف المرء: "مِن عوايدك اِحنَ سالمين"، أي: "من دخلك [مما تعودين عليه] نعيش"، والذي لا بد أنه يُشير إلى السنبلة ("سِبلِة"). كما يطلب الناس الصفح بعضهم من بعض بالكلمات المعتادة: "سامحُ أخطيت"، أي: "سامحونا فقد أخطأت"، ويكون الرد على ذلك: "سامَحتك سماح الدنيا والآخرة". ولا تنوح النساء على الميت في "اللُبَّن" و"الشوبك"، لكن، حيث يقمن يتم النواح بشكل غريب. وفوق "عين جدي"، أخبرني بعض البدو أن المرء عند دفن الحزمة الأخيرة ("الغِمر الآخِر") لا يعدم وجود الغطاء الحجري ("لِحد") الخاص بالجثة. ثم بعد ذلك يملؤه بالتراب وتوضع أحجار ("نَصايب") على نهايتي الرأس والقدمين. ثم تقوم النساء بتمزيق ملابسهن (بِقِدُّ) والبكاء والنواح:

"يَبُ- الفَلايح وين رايح
ثوبك عَلَ جِنابك صار رايح"
يا أبا فلاحي الحقل، إلى أين أنت ذاهب؟
ثوبك، سيدي، قد اهترأ (من العمل)

وفي ضانا، تخدش النساء وجوههن وينُحن:

"يا حسرتِ يا ويلِ يا شمالِ"
يا حسرتي، يا ويلي، يا حزمة يدي!

وفي الطفيلة يكون الأكثر إثارة للمشاعر، هو النواح التالي:

"يا شمايلِ يا سِراج البيت وين اِدَّك (= بِدَّك)
اِمك عدة فِ البيت عَيدَّك"

يا حزمة يد صغيرة، يا سراج البيت الصغير، إلى أين أنت ذاهب،
أمك تجلس إلى جانبك في البيت

ولكن في الكرك يُقال بشكل ساحر جدًا:

"الشايب مات ما ودع نِسَوينُ (= نِسَوّيلُ)
جورَنْ (= جوّرَنُ) يا سِماطيح وِاطلعِن مَصارينُ"

مات الشايب، لن نقوم بوداعه.
اقبروه، يا حيوانات القبور[1361] وأخرجوا مصارينه!

أو:

"شايب يا شايب والدَهر فاتَك
خَيِّط عباتَك مِن شعر أباطَك
شايب يا وَلِّ قَلَّب انهودِ
خُذنُ حلالُ بيرِ ضَربونُ"

شايب، أيها الشايب، ها قد حان موعد وفاتك
خيط عباءتك من شعر إبطك
شايب، انصرف! لقد تأمل نهودي،
لتأخذوا ماشيته ولتلقوا بها في حوض مائي!

وهنا يعكس نفسَه المزاجُ الذي ينشأ عن جني الحصاد المتعب في حر الصيف؛ مزاج يصبح أكثر حدة كلما ازداد أمد الحر. وكم يكون المرء سعيدًا حين يتخلص من ذلك. ويتبادل الناس التهاني بمناسبة إتمام الحصاد، حين يجيب عن كلمة: "خَلَّصت"، بالأمنية، كما في الأعياد: "كل عام وإنت سالم". وفي الجزائر، يجري التعاطي مع ذلك كما لو كان أشبه بجنازة؛ فعلى مدى ثلاثة أيام متتالية، تُلقى كتل ترابية من الحقل فوق كوم الحبوب على البيدر[1362].

(1361) لم أكن قادرًا على تحديد إلى أي نوع من الحيوانات ينتمي الـ "سِمطيح". يُقارن: *ZDPV* (1913), p. 70.

(1362) Doutté, *Magie*, p. 519.

أما المعنى الذي يقف خلف تقليد دفن السنابل، فيُفسَّر بطرق مختلفة؛ ففي الطفيلة، أطلق أحد الأشخاص عليه بازدراء تقليدًا نسويًا، ربما كان مكرسًا لأسلاف القبيلة، وفي صحراء يهودا نكتة ("فَنتَزية"). وكعمل خيري يعود أجره إلى مَن بذر الحَبّ ("أُجرته لِإللِ زَرَعة")، وصف أحد الأشخاص ذلك في بصيرا وذات راس، لأن كل امرئ يمكنه أخذ الحزمة اليدوية المدفونة، كهبة لله في يطا. ولكن في الشوبك يُقال إن من المفترض أن تضمن الحزمة "أن نصل إلى المحصول المقبل أحياء" ("حَتَّ نِلحقةَ حيّ")، وفي اللُّبَّن يتمنون أن يكون المحصول المقبل جيدًا. وربما كان التفسير الأخير هو الأقرب إلى الفكرة الأصلية؛ فالمغزى الذي ما عاد مفهومًا، ربما كان يجب قبل إزالة حبوب هذه السنة بالكامل، أن يبقى جزء منها في الأرض، بحيث لا تختفي طاقتها وتنتعش من جديد في السنة التالية.

على صلة بمثل هذه الأفكار الخاصة بمدلول قوة الحياة النباتية، يرتبط التقليد السنوي المتمثل في تعليق مَجْدولٍ ذي ذوق رفيع من حصاد الحبوب الجديدة، بحيث تتجه السنابل إلى أسفل نحو الأرض، والذي، نتيجة لشكله، يُطلق عليه اسم "مُشط"، وذلك كـ "تبريك" ("بركة") في بيت المالك. ومن لا يملك حقلًا خاصًا به، يطلب مثل هذا "المشط" من أولئك الأكثر غنى. وفي مصر، حيث يُطلق عليه "عروس الحبوب" ("عروسة القمح")، يقوم أحدهم بتثبيته على باب البيت، أو في غرفة المونة أو على كوم الحبوب في البيدر. ويجري أحيانًا خلط بعض هذه الحبوب مع البذار الجديد، مظهرًا أي تأثير يتوقع المرء من ذلك[1363].

وفي ألمانيا يُعد إكليل الحصاد الشائع الانتشار والذي يعلَّق في البيت أو في مخزن الغلال، نظيرًا معروفًا لِـ "مشط" الفلسطينيين. وما يُطلق عليه بالألمانية Erntemai، أي حزمة المحصول الأخيرة المزيّنة، يُطلق عليها أحيانًا "الشايب"، أو "الحبّة الأم" هي ذات صلة بِـ "شايب المحصول" الفلسطيني[1364]، ولكن

(1363) Blackman, *The Fellahin*, p. 172.

(1364) Mannhardt, *Wald- u. Feldkulte*, vol. 1, pp. 194ff.; vol. 2, p. 213; Wossidlo, *Erntebräuche*, pp. 35f.

لا تُدفَن، بل تُنقَل على عربة المحصول الأخير وتثبَّت في مخزن الغلة أو في بيت المالك حتى المحصول المقبل. وهي تشبه في هذا المعنى الـ"مشط". والأكثر قربًا من المفهوم الفلسطيني لـ"الشايب المحتضر" هو كبش الحبوب (Kornbock) في المعتقد الشعبي الألماني الذي يمثل الجن في حقل الحصاد الذي يلاقي حتفه مع حصاد آخر حزمة أو عند درسها في البيدر[1365]. لكن يجب ملاحظة أن "شايب" المحصول الفلسطيني لا يظهر كخصم يجب التخلص منه[1366]. ومن الأزمنة القديمة، يعرف المرء نواحًا مصريًا على إله الحياة النباتية الذي مات. وحري بالذكر هنا الحزن البابلي على تموز في الشهر الذي سُمي على اسمه[1367]، وبكاء النساء على البوابة الشمالية للهيكل في القدس (حزقيال 8:14)، والحزن على أدونيس - تموز في فلسطين الذي أورده هيرونيموس[1368]، وشهادة لوقيان السميساطي في De Dea (Syria) المادة 6 وما يليها عن النواح على أدونيس في معبد أفروديت [عشتروت] في جبيل [لبنان]، والوصف العربي العائد إلى القرن العاشر لنساء يبكين "تائوز" في احتفال أقيم في "حوران" في منتصف شهر "تموز"[1369]. وفي لبنان، لا يزال هذا الحزن حتى أيامنا هذه يجد تعبيرًا له في تماثيل "الغينِة" و"المَشنَقة"[1370]، التي تمثل صيادًا يهاجمه دب، وامرأة في حداد، حيث لا بد هنا من التفكير بأدونيس وأفروديت. ولأن نساء القدس انتحبن على البوابة الشمالية للهيكل، فمرد ذلك ربما إلى وجود صنم، وفقًا لحزقيال (8:3.5) في البوابة الشمالية كُرس، وفقًا

(1365) Mannhardt, *Roggenwolf und Roggenhund*², pp. 39f.; Mannhardt, *Wald- und Feldkulte*, vol. 2, pp. 155ff.; Frazer, *The Golden Bough*³, vol. 5, part 1, pp. 264 ff.

(1366) Frazer, *The Golden Bough*, vol. 4, pp. 296ff.

(1367) Baudissin, *Adonis und Esmun*, pp. 97ff.

(1368) Ep. LVIII,

وعن حزقيال 8:14.

(1369) Chwolson, *Die Ssabier und der Ssabismus*, vol. 2, p. 27,

يُقارن:

Baudissin, *Adonis und Esmun*, pp. 111ff.

(1370) تُنظر الصور لدى باوديسين، لوحات 1-3. كذلك أيضًا صورة أرسلها السيد كونتسلر (Künzler) في غزير [لبنان] موضوعة تحت تصرفي.

للملوك الثاني (7:21) لعشتروت - أفروديت. وثمة سبب آخر للاتجاه الشمالي يكمن في أن فينيقيا وسوريا كانتا تُعتبران موطن عبادة عشتروت[1371]. ويعتقد بوديسين (Baudissin) أن شهر تموز/يوليو لا يأتي في الحسبان بالنسبة إلى الفينيقيين كعيد للمحصول[1372]. ولكن حتى عند بحيرة طبرية، فإن محصول القمح يكفي حتى "تموز"، وفقًا لما يورده الأب زونن، ولا بد أن الأمر يتعلق بنهاية الحصاد، وبوصل تموز المَبكي عليه بالحياة النباتية التي أبيدت كليًا في نهاية المحصول. وليس هناك من مدعاة للشك في أن تموز/يوليو في التقويم الغريغوري وتموز/يوليو في التقويم اليولياني تزامنا في سنة 500 قبل الميلاد[1373]. وقد يكون لاغرانغ (Lagrange)[1374] على حق حين يَفترض أن هذا التفجع كان في الأصل طقسًا خاصًا بالمحصول تم رفعه إلى مرتبة الاعتقاد بالآلهة. ويبقى السؤال في ظل التفجع الحالي على "شايب المحصول": هل كان في الإمكان اعتباره استمرارًا للاعتقاد القديم بأرواح الطبيعة الذي سبق الاعتقاد بالآلهة؟ أم أن تقليدًا كُرّس ذات مرة للإله تموز ثم تقلص تحت تأثير اليهودية والمسيحية والإسلام إلى الشكل الحالي، الذي يشير، وفقًا له، إلى أن ثمة محاولات جديرة بالملاحظة جرت للتوفيق بينه وبين الإسلام؟ وفي هذه الحال، يبقى الوصل بينه وبين المحصول مهمًا كتلميح إلى التفجع على تموز الأصلي الذي لا تقدم السرديات القديمة في شأنه أي معلومات. وبشكل أساسي، من المفترض أن يكمن المعنى خلف التفجع، حيث تشعر النساء بالتضامن مع عشتروت، في إيقاظ التعاطف لدى قوى عليا، حتى تقوم هذه مجددًا بإحياء الحياة النباتية التي أبيدت بحرِّ الشمس واحتياجات البشر، وفي الوقت الملائم. ومع ذلك، علينا ألّا نتوقع أن العهد القديم سوف يقدم معلومات بخصوص

(1371) أماكن تقديس عشتروت تشهد عليها الأزمنة القديمة في جبيل وصيدا وصور وعسقلان. يُنظر:
Plessis, *Études sur les textes concernant Istar- Astarte*, pp. 160ff.

(1372) Ibid., p. 164.

(1373) يُقارن أعلاه، ص 494: 18 تموز = دوزو.

(1374) Lagrange, *Études sur les Religions Sem.*[2], pp. 307f.

وفقًا لفريزر:
Frazer, *The Golden Bough*, vol. 4, part 4, pp. 189ff.

التقاليد الشعبية المتعلقة بالزرع والمحصول؛ فالأسفار بالشكل المتوافر بين أيدينا وقعت بلا استثناء تحت رقابة القانون. إلا أن عادات فلسطين اليوم وتقاليدها، مع ذلك، تتضمن كثيرًا مما يُكمل الصورة القديمة.

حدث في بداية المحصول أن خروفًا (حَمَلًا) أو معزاة (عنزة) قد نُذِرت بالكلمات التالية: "يا خليل اِبشر في ذِبيحتك"، أي: "يا إبراهيم [الخليل] إفرح بذبيحتك"، حيث يُوصف إبراهيم بِـالمُستَقبِل ("الكرك")، إذ تُحضر في نهاية جني المحصول الذبيحة إلى البيدر. وهناك يقوم أحدهم بقطع طرف أذنها ("بِكُدشُ راس اِذنْهَ")، ثم يترك الدم يسيل على التبن ("قَشّ") ويقوم بقذف الأذن المقطوعة إلى هناك[1375]. ويجري الذبح في الحقل أو في البيت مصحوبًا بالكلمات: "هاذَ ذبيحتك يا خليل اَبو ضيفان"، أي: "هذه الذبيحة مكرسة لك يا خليل يا أبو الضيوف!" ثم يجري تناول اللحم مع الحصادين ومع فقراء آخرين. هكذا في الكرك، وفي الطفيلة، يُلقي المرء بعد ذبح المعزاة فوق البيدر بحجرٍ مبلول بالدم، جنبًا إلى جنب، مع الأذن فوق كوم الحبوب. وعند بداية وجبة الطعام، يتم التعبير عن الهدف من الذبح بالكلمات التالية: "أجرك وثَوابِك للخليل"، أي: "الأجر والثواب للخليل". والـ"فاتحة" أيضًا مكرسة "للخليل"، بحيث يُحتسب له الثواب على هذا الصنيع. وفي ضانا يُقال: "بِسم الله الله أكبر اَجركِ وثوابكِ لما- نطانَ للكبير ولزغير وللمقمّط فِ السرير"، أي: "باسم الله! الله أكبر! الأجر والثواب لك، لمن أعطانا من أجل الكبير والصغير والمربوط في السرير". وفوق عين جدي، يطلق البدو على الخروف المذبوح ("شا") "كَدّيش" ("قَطيش")، لأن المرء يحز أذنه ("بِكَدّشُ") ويلطخ وجهه من دمه. ومنه يُعدون "مفتوت"، أي طبق غذائي مؤلف من لحم وقطع من الخبز ("فتات") وسمن، ويدعون إليه الفقراء ويقولون لهم: "هاذَ عَلَ كيس الخليل"، أي: "هذا على حساب الخليل". وغالبًا ما يُطلَق على هذه الذبيحة "جورعة" "رشفة"، وربما لأنها مثل "مِلحة" (ص 573) أي جزء صغير مما يود المرء تقديمه لأن

(1375) بحسب

Musil, *Arabia Petraea*, vol. 3, p. 301,

شعر مقدم رأس الذبيحة الذي جرى حلقُه.

المديح ربما كان مضرًا. ويناظر هذا الذبح "الذبح في البيدر": ("ذبيحة البيدر") على بحيرة طبرية، حيث يجري الذبح هناك قبل التذرية، ويقوم المرء بالدوران بالذبيحة ثلاث مرات حول البيدر[1376].

وقد ذُكر الخبز الذي يُخبز في الحقل للحصادين بلفظة "أم زَماليت" في ص 416. ويُعتبر في الطفيلة وفاء لنذر مقدَّم إلى الله. ويُطلق عليه أيضًا "جُرعة"، "جورعة"، "جِروعة"، حين يقوم المرء بشواء بعض الحزم للحصادين (رام الله)، أو حين يقدم أحدهم حزمة إلى النسوة اللواتي يحزمن السنابل ("مغَمِّرة") كهدية (بدو "الغور")، أو حتى "رُطل" (2.88 كغ) حبوب للفقراء ("اللُبَّن"). ومن الغريب أن المرء في القبيبة يستبدل بقايا الحقل بفواكه أو خضار مع الذين يأتون بها، والذين يقومون بالتقاط بقايا سنابل الحصاد ودرسها بأنفسهم، وتدعى هذه "جِروعة" [جورعة].

لم أكن مطلعًا على أي تقليد دينيّ يُشير إلى بداية الدراس. ولكن قبل التذرية التي تتمتع بأهمية مباشرة لإنتاج الحبوب، يُقال في الكرك: "يا خليل الله اَبُ الضيفان اِطرح البركة لِنَ"، أي: "يا خليل الله يا أبا الضيوف، اطرح بركتك علينا!". وفي حزما، لا يترك المرء الفاتحة تغيب، ويُضيف الأمنية التالية: "يا بركة الأخين الِّ ما خانُ بعضهم"، أي: "يا بركة الأخوين اللذين لم يخن أحدهما الآخر!". وهؤلاء الأخوان اللذان كان أحدهما متزوجًا والآخر أعزب، منحا بعضهما بعضًا حصة من غلة المحصول: أحدهما لأنه لم يكن متزوجًا، والآخر لأنه كان متزوجًا وعليه عبء يفوق عبء الثاني. وقد بارك الله هذا السلوك على نحو أصبحت معه أكوام حبوبهم في حجم "هذه الخيمة" (التي أقمت للتو فيها)، ومثل هذه البركة ينشدها المُذرّي. وفي الكرك يُقال عند التذرية: "يَبُ هريرة عَشِّ العيلة – يا مَولانَ لا تِنسانَ – مِن رَحَمتَك والإحسانَ"، أي: "يا أبو هريرة، وفر العشاء للعائلة! يا مولانا لا تنسانا من رحمتك وإحسانك!" وأبو هريرة كان أحد صحابة [النبي] محمد. إلا أن الاسم قد يُشير أيضًا إلى الله، الذي هو أبٌ لِـ"هريرة"، وذلك لأنه يترك البركات تتدفق ("هَرّ") مثل الحَبّ من الكوارة ("خابية").

(1376) Sonnen, *Biblica* (1927), p. 201.

وتُوضَع كومة الحبوب ("صَليبِة")، التي تتكوم بعد التذرية، تحت حماية خاصة، فيقوم صاحبها برسم إشارة "صليب" عليها، ولذلك يُسمى "صليبة". وبدلًا من ذلك، يقوم المسلمون برسم دائرة حولها باستخدام مقبض شوكة التذرية، ويطبعون "أصابع" شوكة التذرية الخمسة في وسطها، حيث يدل الرقم خمسة على الحماية من الحسد. وعلى بحيرة طبرية، يستخدم المرء للغرض نفسه "رَشم" "ختم" مؤلف من لوح خشبي صغير مطبوعة به كلمات مثل: "الله، بَرَكة الله" أو اسم المالك، ويُستخدم لتمليس كوم الحبوب بأكمله، ويجعل أي سرقة قابلة للرؤية[1377]. وفي مصر العليا، يجري بعد الدرس على البيدر توزيع طعامٍ، ووضع الباقي حول كومة الحبوب أو فيه. ويُفترض بهذا أن يأتي بالبركة، وفي الوقت نفسه أن يُرضي الأرواح الشريرة ("عفاريت")، وإلا حصلوا على شيء من الحبوب[1378].

ترتبط بقياس المقادير (بالعربية "كيّل")، الذي يشكل ختام عمل البيدر، خرافات شتّى؛ فعلى الكيّال أن يكون من ناحية شعائرية "طاهرًا"، أي أن يكون قد استحم بعد الجماع، أو أنه قام بشعائر الوضوء المعتادة، مثل صب الماء على الجسم كله باستخدام إناء ("بريق") ماء. وتُعتبر أوقات الظهيرة وغروب الشمس، وليس الصباح أو بعد الظهر، أفضل الأوقات للكيل، حيث على الكيال أن يقف إلى الشمال من كومة القمح، وعلى الرجال أن يقفوا خلفه. أي يجب اتخاذ الاتجاه نحو مكة، فلا الكيال ولا من يحمل الكيس مسموح لهما بالحديث لأن: "البركة خَرسة"، أي: "البركة خرساء". ولا يجوز في أي حال من الأحوال التصفير لأن: "مِن الصَفرَة بيجُ شياطين بتطير البركة"، أي: "من التصفير تأتي الشياطين وتُطيّر البركة". يبدأ أحدهم بالدعاء والقول: "بسم الله الرحمن الرحيم يا بركة خليل الله أبُ الضيفان، يا ربّ تحُطّ لَن البركة"، أي: "بسم الله الرحمن الرحيم! يا بركة خليل الله أبو الضيوف، يارب امنحنا البركة!"

(1377) Sonnen, *Biblica* (1927), p. 204.

(1378) Blackman, *The Fellahin*, pp. 176f.

ولأن العد مسألة دقيقة، يجب عدم البدء به إلا بعد ذكر الله حتى لا يكون لديه سبب يجعل البركة تختفي. ويقوم المرء بذلك من خلال استبدال بعض الأرقام بأقوال تقية ورعة، في حين يجري كبت الرقم نفسه.

واحد ("وَحَد") - "الله وَحَد": "الله واحد"

اثنان ("اثنين") - "مالِه ثانِ": "لا ثاني له"

ستة ("ستَ") - "سِتر عَلَ الله": "الستر على الله"![1379]

سبعة ("سبعَة") - "سَمحا": "عفوًا" أو: "الله يِسامِح": "الله يُسامح"

ثمانية ("ثِمانِ") - "يَلله الأمانة": "يا رب (أنت) الأمن والطمأنينة!"

تسعة ("تِسعَة") - "امنِسعَ": "نصبح رحباء (أغنياء من الله) "

عشرة ("عشَرَة") - "عشَرَة رسول الله عشَرَة": "عشرة رسل الله، عشرة"

أحد عشر ("اِحداش") - "حادِ للنِبي حادِ": "غنّوا للنبي"، أو: "هِدَ منالله": "الهدى من الله" (عبد الولي).

ولأن بعض الأرقام لا يُعتبر جالبًا للحظ الحسن، تُذكر الأرقام 4، 6، 8، 10 مرتين، وذلك لتجنّب ذكر الأرقام 5، 7، 9، 11، أو يستبدل المرء الرقم 5 بـ"اِيدك"، أي "يدك"، والرقم 7 بـ"بركة"، والرقم 9 بـ"صَلَ عَلَ محمد" "بالصلاة على محمد"، والرقم 11 "فيه عشرَة" "يوجد عشرة"[1380].

وتحية شخص عابر بالبيدر في أثناء كيل الحبوب هي: "حلّت البركة"، والجواب: "مِن اطروشةَ - الله يِحوشةَ"، أي: "من تشتته (بركته) الله يجمعه!"

(1379) هذا بحسب

Sonnen, *Biblica*, p. 206,

والذي يورد طريقة مشابهة للكيل.

(1380) Wilson, *Peasant Life in the Holy Land*, pp. 212f.,

يُقارن:

Folk-Lore in the Old Testament, vol. 1, pp. 558f.

أو، بكياسة: "حلّت يا وجه البركة". ولشخص متقدم في السن يُقال: "حَلّت مِن يوم هالشيبة طَلّت"، أي: "حلت منذ أطل هذا الشعر الشايب"، وللشاب: "حلّت مِن يوم ها للحية طَلّت"، أي: "حلت منذ أطلت علينا هذه اللحية". وعندما تكون هناك استراحة في أثناء الكيل، لا يجوز أن يبقى المكيال مفتوحًا حتى لا تطير البركة منه، فيقوم المرء بقلبه، وينثر بضع حبوب على الأرضية (عبد الولي)[1381].

كما يعرف العهد القديم أيضًا الخطورة المتضمنة في العد (صموئيل الثاني 1:24، أخبار الأيام الأول 1:21)، ويفرض التقليد القانوني اليهودي[1382] على "كل من يذهب إلى البيدر ليكيل أن يقول: "ربما كان لطفًا منك، يهوه، إلهنا أن ترسل بركاتك إلى ما تصنعه أيدينا!". وحين يبدأ أحدهم الكيل، يقول: "المجد له ذلك الذي يُنزل البركة على كوم الحبوب هذا!"؛ إذ ليس هناك من بركة في شيء موزون ومكيول ومعدٍ، بل في شيء حُجب عن العين". وعند كلمة "عين" قد ينصرف التفكير إلى بِـ"النظرة الشريرة" للحاسد التي تمنع تأثيرها بركة الله. إلا أن هذا التعبير يعني أن كمية غير محددة بحسب التثنية (8:28) ("اساميْخَ") هي شيء يباركه الله، في حين أن كمية محددة تحتاج إلى دعاء صريح لبركة ربانية يجب قولها قبل كيلها.

والكمية الأولى التي يجري كيلها عليها أن تكون "صاعًا" (حوالى 15 لترًا) للخليل، والذي يُعتبر صدقة إلزامية (كذلك في ضانا[1383] وإلجي). وفي الخليل، يتم إحضار الـ"صاع" إلى مقام إبراهيم، حيث يُعد منه حساءٌ للفقراء. وفي أماكن أخرى يهبه المرء لفقير، حيث يحرص صاحبه على تسميته "صاع الخليل"، أو يُعِد منه عصيدة يجري إحضارها إلى مضافة القرية ("المضافة")، حيث الكل مدعو، ولكن ليس دونما قراءة الفاتحة للخليل، وإعلان وجبة الطعام: "هاذَ لِخَليل الله"، أي تقدمة لإبراهيم (القبيبة) من دون أي مسعى

(1381) مع توافق لافت في تفصيلات كثيرة:
Musil, *Arabia Petraea*, vol. 3, p. 305.

(1382) b. Taan. 8^b, Bab. mez. 42^a (Barajta), Pesikt. zut. zu 5. Mos. 28, 8.

(1383) هناك يُقدم المرء نصف مِدّ، وهو ما يُساوي "صاعًا" في القدس.

لتحقيق مكاسب شخصية. إلا أن ذلك لا يمنع من أن يفترض المرء أن أجرًا لا بد أن يأتي، لأن إبراهيم يتدخل لمصلحة فاعل الخير. وفي إلجي، يقوم المرء بنثر ("بنث") كمية قليلة من "صاع الخليل" على البيدر وينحر ذبيحة "لوجه الله"، حين يكون كوم الحبوب قد اكتمل. ومن دم الذبيحة، يلطِّخ محيط البيدر (بِحَنُّ البيذر") [يُحنُّون البيدر]. وفي عقّور تجري عوائد تقديم الـ"ذرة"، إضافة إلى القمح والشعير، فيُقدّم "صاع للخليل"، ومن الواضح أن التكييل غالبًا ما يحصل في وقت متأخرٍ حين يكون زرع الصيف قد دُرس وجرت تذريته.

ويرتبط بباكورة محصول العمل تقليد الـ"سماط" (ص 432). وفي دير نظام، يجري إحضار صدقة من أولى الحبوب تدعى "سماط" إلى مقام "النبي صالح" القريب. ومن التين والعنب أيضًا يُقدَّم "سماط". وفي يطّا، يُعَد "سماط" بعد جزّ الغنم في شكل طبق يحتوي على الخبز ("فتات")، وسمن ولحوم [منسف]. وفي حال كان الدجاج يبيض جيدًا، يتألف السماط من طبق يحتوي على سمن وبيض مسلوق ومقطّع بشكل جيد. وحين يكون دبس العنب ("دِبس") قد أصبح في الخوابي، يتألف الـ"سماط" من طبق فيه قطع من الخبز والدبس والسمن. وبعد باكورة التين المجفف ("قُطّين")، يُقدَّم "رُطل" من هذه الفاكهة. وبعد باكورة الزيت، يُصنع من محصول الزيتون الجديد طبق من العصيدة والزيت. وهذا كله يقدَّم إلى ضيوف باسم ولي من الأولياء، وفي يطا يُقدم الـ"سماط" للخليل، أي لإبراهيم. وفي الخليل يعلم المرء أن إبراهيم لا يحب النبيذ ("خَمر ممنوع للخليل")[1384]، ولذلك لا يُكرس المرء العنب من أجله، وهو في متناول اليد في الكروم التي تحيط بالمدينة. وفي جفنة، يقوم المرء بإحضار إناء من الزيت إلى مقام الخضر. وفي بيت جالا، يُحضر العنب في عيد التجلي (6 آب/ أغسطس)، حيث يجري تبريكها وتوزيعها على الحاضرين. ومن الزيت تُقدَّم بضع أواقٍ [جمع أوقية] إلى كنيستي البلدة (بشارة كنعان). وفي السلط، يقوم المرء بذلك كرامة للأموات، ويقول بعد تناول الطعام: "يِرحَم روحُ"، أي: "رحم الله روحه!" ويجيب الضيف: "تعيش". وفي

(1384) يُذكّر هذا بالرب العربي القديم "الذي لا يحتسي الخمر".
Dalman, *Petra*, p. 51.

ضانا، حيث يقدم الـ"سماط" من القمح والحليب والسمن صدقة إلى الخليل، ويُعَدّ "سماط" خاص باسم كل فرد من أفراد العائلة.

تقوم الفكرة الأساسية في كل مكان على تكريس أولى ثمار الحقل وأشجار البساتين لله، بحيث يحوّل الاستمتاع الذاتي بهذه الثمرة إلى ما يُرضي الرب. وبناء عليه، لا بد من اعتبار تقليد بني إسرائيل الخاص بـ"بِكّوريم" (الخروج 19.16:23؛ 26.22:34؛ سفر اللاويين 14:2؛ 20:23؛ العدد 20:13؛ 13:18، التثنية 2:26، يوبيل 36:7؛ يُقارن ص 464 وما يليها) تقليدًا موازيًا، فما يظهر في شريعة بني إسرائيل كالتزام قدسية البلاد لا يزال الفلسطينيون يمارسونه حتى اليوم بشكل غريزي من دون ربط ذلك بأي قدسية مركزية. ولأن العنب ينتمي إلى "أولى الثمار"، فهو ما يفترضه العدد (20:13)؛ فالتقليد الشرعي اليهودي[1385] يتحدث عن تين وعنب وزبيب ورمان وشعير وقمح وتمر طازج ومجفف، ويفترض أن في الإمكان، عوضًا عن سبعة أنواع الثمار الواردة في التثنية (8:8) (يُقارن ص 465)، تقديم أنواع أخرى[1386]، ولا يُذكَر مقدار محدد من هذه التقدمات[1387].

وفي القانون، يُعتبر التقاط بقايا الحقل وبساتين الأشجار وكذلك زاوية الحقل إحسانًا للفقراء (سفر اللاويين 19:9 وما يلي، 22:23؛ التثنية 19:24 وما يلي). وقد اشتقت الشريعة اليهودية خمسة واجبات من التعابير المستخدمة هناك: 1. "بيئا" [زاوية الحقل، حيث يجب تركها لتمكين الفقراء واليتامى من أخذ اللقاط]، وهو 1/60 من حقل الحبوب وبستان الأشجار (من دون تحديد المقدار)[1388]؛ 2. "ليْقِط"، السنابل المتساقطة في أثناء جني المحصول[1389]؛ 3. "بيْرِط"، الثمار المتساقطة عند جني الثمار؛ 4. "شِخحا"،

(1385) Bikk. III 1. 3, Tos. Bikk. II 8.

(1386) Bikk. III 9.

(1387) Pea I1.

(1388) Pea I 2ff.

(1389) Pea IV 10, Tos. Pea III 1.

ما أُغفل في أثناء جني المحصول أو قطف الثمار[1390]؛ 5. "عوليلِت"، العنب الناضج بشكل غير مكتمل[1391]. ومن هذه الواجبات، ما ينطبق على الحقول 1 و2 و4، وعلى بساتين الأشجار 1 و3 و4 و5[1392]. إن توسيع واجب "بيئا" ليشمل النباتات البقلية والأشجار المثمرة يُبرَّر موضوعيًا بالقول إن جميع ثمار الأرض المستخدَمة في التغذية، والتي تجري حمايتها، يجب شملها في الإحسان للفقراء[1393]، وهذا التوسيع مشتق أيضًا - ليس دونما صعوبة - من التعابير الواردة في سفر اللاويين (19:9)[1394]. أما الأشجار المثمرة المأخوذة في الاعتبار، فهي[1395]: سماق (بالعبرية "أوج")، خروب، بندق، لوز، عنب، رمان، زيتون، نخيل، حيث يلفت السماق الانتباه هنا، لأن ثمة أشجارًا مثمرة أخرى تبدو أكثر أهمية إذا ما راعينا فائدته المتواضعة[1396]. ولكن يجب أن يكون قد اعتُبر على هذا النحو محليًا، لأنه ينمو بشكل بريّ. وجميع الواجبات الخيرية هذه لا تزال تنطبق حاضرًا على اليهود في فلسطين، لأنها راسخة في الأرض[1397].

أما العُشر السنوي المخصص للاويين والكهنة في العدد (21:18 وما يلي)، العُشر الذي يجب استهلاكه سنويًا في قدسية التثنية (11:12؛ 22:14 وما يلي)، والعُشر الذي يجب أن يوضع جانبًا في كل سنة ثالثة من أجل

(1390) Pea V7 - VI 11, Tos. Pea III 1-5.

(1391) Pea VII 48, Tos. Pea III 11ff., Siphre, Dt. 285 (124[b]);

يُقارن:

Siphra, Ked. 3 (88[b]).

ومن أجل التحديد الدقيق الذي يمكن بصعوبة التحقق منه، يُقارن:

Maimonides zu Pea VII 4; Löw, *Flora*, I 1, pp. 74f.

(1392) Tos. Pea II 13, b. Chull. 131[a].

(1393) Pea I 4.

(1394) Siphra, Ked. 1 (87[b]), j. Pea 16[c].

(1395) Pea I 5, Siphra, Ked. 1 (87[b]).

(1396) يُقارن ص 541.

(1397) يُنظر:

Peat hasch-Schulchan, *Hilkh. Pea, Sepher wa- pherach*, chap. 52.

اللاويين والفقراء في التثنية (28:14 وما يلي؛ 12:26 وما يلي)، يضعه التقليد اللاحق كعُشر ثلاثي الأضعاف[1398]. أما إقرار عُشر التثنية (12:26 وما يلي)، والذي أبطله يوحنا هيركانوس [يوحنا بن سمعان المكابي] في حوالى سنة 100 قبل الميلاد[1399]، فيشير إلى العُشر الثلاثي الأضعاف، وهو مثبت على اليوم الأخير من عيد الفصح من السنتين الرابعة والسابعة من فترة السنة السبتية[1400]. ولذلك، يجب أن تكون إزالة (بالعبرية "بِعور") جميع بقايا العشور المحتملة والمفترضة قد حدثت قبل يوم واحد، (أو قبل أول أيام العيد)[1401]، وهو ما قد يستدعي تحت ظروف معينة تذكيرًا عموميًا بذلك[1402]. أما تحديد الوقت، فيكمن تبريره في أن ثمار السنة الزراعية الجديدة تبدأ مع عيد الفصح على أن يكون قد جرى القيام بالواجب المرتبط بثمار السنة الماضية. وبالمناسبة، يُعتبر غروب الشمس قبل 1 تِشرِي هو السنة الجديدة للأعشار[1403]، وانطلاقًا منه، يُحتسَب النتاج السنوي. وجباية العُشر في فلسطين لا تعود إلى الإسرائيليين الأوائل، إذ كان ذلك موضع خلاف[1404]، وقد سبق الحديث عن عُشر الماشية في ص 170 وما يليها، وفي ص 422.

(1398) عن العُشرين الأول والثاني يتحدث،
Josephus, Antt. IV 8,8; Jubil 32:2-9 ff.
وعن الأعشار الثلاثة يتحدث:
Tob. 1, 6 ff.
وهي منظمة في المشنا والتُسفتا ورسالة مازاروت وماسر شني.

(1399) Maas. sch. V 15.

(1400) Mass. sch. V 10, Siphre, Dt. 109 (96^{b}). 302 (128^{b}), Midr. Tann. zu 5. Mos. 26, 12 (p. 174),
يُقارن:
Targ. Jer. I zu 5. Mos. 26, 11f.

(1401) Maas. sch. V 6.

(1402) j. Maas. sch. 56^{c}, Dalman, *Aram. Dialektproben*^{2}, p. 3.

(1403) Tos. R. h. p. I 7. 9,
يذكر المشنا ر. هـ. ب. ي. 1 "خضروات" (بالعبرية "يراقوت") فقط، ب. ر. هـ. ب. 12 أ بريتا يُضيف الأعشار.

(1404) Schulchan Aruch, *Jore Dea paragraph* 331, 2,
يُنظر أيضًا:
Pharchi, *Kaphtor wa-pherach*, chap. 25; *Sepher hat-Takkanot* (Jerusalem 1883), 66^{b} f.

وفي فلسطين اليوم، تشكل "الزكاة" ممارسة خيرية غير مرهونة بحواجز. والعُشر (بالعبرية "معسير") يُذكِّر بالـ"عشر" (بالعربية "عُشر") التي رفعت منذ سنة 1897 الضريبة على الحبوب والخضار والفواكه إلى ثُمن الثُمن لمصلحة الحكومة، ولا يزال هذا القانون قائمًا؛ فحاجة الدولة أقصت الضريبة الدينية، وهو ما يفترض بشكل عام حصوله خلال الفترة الرومانية. إن أحد الأهداف الأكثر أهمية لتعاونية "حبيريم" (الفريسيين) هو المحافظة على العُشر الثلاثي الأضعاف للقانون على الرغم من ضرائب الدولة، لتكوين حلقة موثوقة في هذا السياق[1405]، حيث إن المرء غير مجبَر على استدراك دفع العُشر المحذوف بعد اكتمال الشراء، كما يفتخر الفريسي في لوقا (12:18).

ي. أعياد الصيف

بسبب الصلة بين عيد الفصح وعيد الشعانين أو العنصرة [عيد الحصاد عند اليهود]، الذي يصادف، أي الأخير، لدى اليهود دائمًا في 6 سيوان، جرى التطرق إليه في ص 461 وما يليها تحت فصل الربيع. وبه يودَّع الربيع بشكل نهائي ويبدأ الصيف. وبذلك تبدأ فترة بلا أعياد لدى المسلمين، إلا إذا صادف وقوع هذا العيد أو ذاك من أعيادهم في الصيف. وغير مرغوب فيه بشكل خاص أن يصادف شهر الصيام ("رمضان") كما في سنة 1912 شهر آب اليوناني، لأن أحكام الصيام تمنع جميع أنواع الطعام، وحتى شربة ماء واحدة، وأي سيكارة من طلوع الشمس إلى مغيبها.

ويواصل مسيحيّو القدس نزهتهم ("شطحة") (ص 439 وما يليها) التي قاموا بها بين عيدي الفصح والشعانين في أيام الأحد بعد عيد الشعانين وحتى يوم القديس يوحنا؛ فكروم الزيتون بالقرب من الشيخ بدر غرب المدينة تُعتبر المكان المفضل. ولا يتمتع الانقلاب الشمسي الصيفي في 24 حزيران/ يونيو حدثًا في حد ذاته بتقليد خاص. لكن، ولأنه عيد ميلاد يوحنا المعمدان، يقوم المرء بزيارة كهف ولادته في عين كارِم، ويقضي بعض الوقت بالقرب

(1405) Dem. II 2, IV 1, Tos. Dem. II 2, j. Dem. 22d.

من ينبوع "الحَبيس" كونه المكان التقليدي لإقامته الأولى في الصحراء. وفي لبنان يردد المرء[1406]: "بِـ - عيد مار يوحنَّ برفع الله غضبه عنَّ"، أي: "في عيد مار يوحنا ليرفع الله غضبه عنا"، والذي لا بد أن يعني أن حر الصيف بغض النظر عن شدته، يفترض به انطلاقًا من ذلك الحين ألا يشكل خطرًا، أو أن الرياح الشرقية السيئة قد توقفت. وليس في فلسطين تقليد خاص بالنار أو بالاستحمام يرتبط بهذا العيد. ولكن في شمال أفريقيا، يُشعل الناس نارًا على البيدر في يوم القديس يوحنا (24 "حزيران") الذي يُسمى الـ"عنصرة" (عيد العنصرة)، ويستحمون، ويرشّون الماء. ويُسمح للفتيات الشابات فحسب بدخول بساتين الفاكهة. ويقوم المرء بتناول ذرة منقوعة بماء وفول[1407]. كذلك يرتبط في إيطاليا وصقلية، تقليد الاستحمام بيوم القديس يوحنا أو بعَشيتِهِ[1408]، في حين يتم ذلك في قبرص في اثنين العنصرة (ص 441). وتبين الاحتمالية أن تقليدًا حُدِّد وفقًا لموقع الشمس قد جذب نحوه عيد التعميد، على الرغم من أنه يجب الأخذ في الحسبان أن الانقلاب الصيفي يصادف 18 "حزيران"، بحسب القزويني[1409] الذي يتحدث عن الاعتبار الكبير الذي يكنه العرب له. و11 "حزيران"، "نوروز" خليفة بغداد، كان يومًا عاديًا، وفقًا للقزويني[1410]، رش الواحد للآخر بالماء، في حين أن الفرس اعتادوا الاستحمام في 30 "خُرداد".

يشكل يوم مار الياس في الـ20 من "تموز" موعدًا مهمًا لنضوج العنب (ص 558) ويعَدّ في الوقت نفسه بداية التغييم (ص 110)، إضافة إلى نهاية الصيف (ص 90)، ولكلاهما ربما صلة بحقيقة أن مار الياس هو جالب المطر[1411]. وهذا يوضح أن عيدًا للحج يحصل على سفوح الكرمل

(1406) الجميّل، مجلة **المشرق** (1905)، ص 866.

(1407) Doutté, *Magie*, p. 565 ff.; *Merrakech*, pp. 377ff.

(1408) Frazer, *The Golden Bough*³, vol. 4, pp. 204ff.

(1409) Kazwini, *Kosmographie*, I, p. 78.

(1410) Ibid., pp. 78, 81.

(1411) يُقارن أعلاه، ص 120، 147.

في 17–20 "تموز"، حيث يقوم الناس الآتون من جزء كبير من فلسطين بزيارته[1412].

وفي 6 آب/ أغسطس يقع عيد التجلي ("عيد التجلي"، أو ببساطة "عيد الرب")، وعند اليعاقبة السوريين "عيد طابور" ("عيدا دِطور طابور") أو "عيد المظلة" ("عيدا دَمِطلي")[1413]، والأخير ربما جاء اسمه من العرائش (متّى17 :4)، والتي تلائم بالتأكيد موعد العيد الصيفي. وفي دير المخلص، بالقرب من صيدا تحول الاحتفال إلى عيد شعبي يزوره الناس من أنحاء شمال فلسطين كافة[1414]. والقزويني[1415] الذي يقول إن عيد التجلي يستمر حتى 17 من الشهر، ربما ذهبت أفكاره إلى عيد الحج، كعلامة على الصيف المنتهي (ص 89 وما يليها)، وهذه العلامة تتمتع بأهمية خاصة. ولأن ذلك يصادف أول العنب (ص 558)، فمن غير المستغرب أن تُقدَّم أولاها إلى الكنيسة (ص 584). وهنا يقوم المرء بقطع جزء من المحلاق ("خريس") مع عنقودَي عنب، ويُطلَق على ذلك كلمة ميزان ("ميزان")، ويبارَك بعد ذلك في الكنيسة. وتذهب الفتيات الشابات في الصباح الباكر إلى كروم العنب، ويجلسن على عريشة الحراسة، وينتظرن شروق الشمس ليقمن حينئذ بتمشيط شعرهن الذي من المفترض أن يعزز نموه؛ ويُقال عن الشمس، إنها في هذا اليوم عند طلوعها تستعرض متباهية ("تِتجِلَّ") وتترك شعرها الذهبي يتطاير عاليًا قبل أن تظهر. وعلى صلة بهذا التمشيط القول الشائع في لبنان عن هذا العيد[1416]: "بعيد الربّ – اللِّ بتمشط بِمْتِلِ راسهُ حَبّ"، أي:

(1412) يُوصف احتفاله في:

Heil. Land (1907), pp. 181ff.; (1921), pp. 163ff.

17–20 تموز/ يوليو بحسب التقويم الغريغوري، لأن تقويم الرهبان الكاثوليك كان هو الفيصل هنا. يُقارن:

PJB (1922/23), pp. 23f.

(1413) Baumstark, *Festbrevier und Kirchenjahr der syrischen Jakobiten*, pp. 260f.

(1414) يُنظر:

Mülinen, *ZDPV* (1907), p. 184,

حيث يُذكر، بشكل خاطئ، 6 آب/ أغسطس، بحسب التقويم الغريغوري.

(1415) Kazwini, *Kosmographie*, I, p. 79.

(1416) الجميّل، مجلة **المشرق** (1905)، ص 689.

"في عيد الرب، من يمشّط شعره يمتلأ بثورًا". ويفترَض أن ذلك يردَّد في بعض القرى التي كانت غلتها من الفاكهة وفيرة بشكل خاص، وترمي إلى محاربة تقليد التمشيط كونه غير جدير بالعيد. وفي دمشق، يُشعل المرء عشية هذا العيد شموعًا على السطوح، لتحترق طوال الليل[1417]. وعلى ما يبدو، يتعلق الأمر هنا بعيد الشمس القديم الذي له صلة بالنضوج الأول للعنب، وهو شبيه بِـ Vinalia rustica الروماني في 19 آب/ أغسطس الذي كان مقدسًا لدى جوبيتر [كبير آلهة الرومان] ويشير إلى العنب الذي نضج[1418].

وفي القدس، كانت لافتةً الطريقةُ الفريدة التي يتميز بها الاحتفال بعيد مريم ("عيد سِتنَا مريم"، و"عيد نِياح سِتّنَا مريم": "عيد وفاة ستنا مريم") في 15 "آب" الذي يُستهل بفترة صيام مدتها 14 يومًا، ويذكرها القزويني أيضًا[1419]؛ فمن قبل، وفي الثاني عشر من "آب"، يجري في الساعة الثالثة صباحًا إحضار صورة مريم من دير مريم إلى قبرها في وادي الجوز، وتُترك الصورة هناك حتى التاسعة صباح الثالث والعشرين من "آب". ومن أجل هذا الغرض، توضع حمالة عليها مظلة بين القبر والمذبح والصورة عليها. والصورة مرسومة من الجهتين على لوح ذي طلاء معدني ذهبي، بحيث يمكن رؤية الجهتين. ويقوم الزوار، رجالًا ونساءً وأطفالًا، بتقبيل الصورة أولًا من جهة، ثم بعد الزحف تحتها يقبّلون الجهة الأخرى. وهنا يقيم بطريرك الروم مبكرًا في صباح الرابع عشر شعائر جنائزية ("جِنّازة") [قُداس]. وفي اليوم السابق، تُنصب خيام على منحدر جبل الزيتون فوق القبر، وقريبًا من القبر تُنصب خيمة كبيرة للبطريرك ليستقبل فيها الزوار، وأخرى صغيرة للفرقة الموسيقية العسكرية التي تجعل صخبها الموسيقى يُسمع في هذا اليوم واليوم الذي يليه. وفي الخيم الأخرى التي تُستخدم للمبيت، وتحت أشجار الزيتون في محيطها حتى الشارع الذي يؤدي إلى القدس في الجنوب والغرب، يوجد حشد مبتهج من الجمهور بينه مسلمون. وهناك مرة أخرى يحتفل الجميع بِـ"شطحة" على غرار الشطحة

(1417) Bergsträßer, *Beiträge*, vol. 3, p. 69.

(1418) Marquardt & Wissowa, *Röm. Staatsverwaltung*, vol. 3, pp. 333f.

(1419) Kazwini, *Kosmographie*, I, p. 79.

بين عيد الفصح وعيد القديس يوحنا[1420]. وتتيح الفوانيس والمصابيح المعلقة بالسمر والأكل إلى ما بعد هبوط الظلام. أما الملذات التي تأخذ في الاعتبار فريضة الصوم التي تفرضها الكنيسة، فهي متواضعة. وبالطبع لا يغيب التين ولا العنب. أما فطيرة العيد، فتتألف من حلبة السميد ("سميذت حِلبة"). ويقوم المرء بمزج سميد القمح مع سمن ساخن وماء ساخن وشيء من الخميرة وبذور الحلبة (Trigonella Foenum graecum، "حلبة") التي جرت تطريتها بالنار، وتُنشر على قرص مستدير، ثم تُخبز بعد أن تكون قد اختمرت. وعند تقديمها للضيوف، يقوم أحدهم بتقطيعها وسكب سكر مسحوق عليها. وفي الخامس عشر، يأتي العيد الفعلي في الكنيسة، وبعد الظهر، يجري تنظيف كل شيء في الخارج. ويعزى إلى بركات مريم أن الزيتون يصبح في وقت هذا العيد مشبعًا بالزيت[1421]. وعند الأرمن، تجري في هذا العيد مباركة العنب والتين في الكنيسة، وهم يقومون انطلاقًا من ذلك الوقت بتناولهما، على الرغم من أنها كانت ناضجة منذ نصف شهر على الأقل. ويجري من خلال ذلك تبجيل مريم باعتبارها مانحة للخصوبة. وفي اليونان، يتوقع المرء في يوم العيد هبوب عاصفة رعدية[1422]، بحيث إن مريم تظهر بدورها واهبةً للمطر، كما كانت عشتروت ذات يوم[1423].

من الواضح أن احتفال النصف الأول من آب/أغسطس لا يمكن تفسيره بحكاية وقعت في القسطنطينية يومًا ما، عندما عُرض الصليب المقدس في ذلك الوقت للتبجيل كما تشدد كنيسة الروم على ذلك؛ فعادة السقيفة الخاصة بالعيد التي لها صلة بفصل السنة، تذكّر بموسم "النبي روبين" على نهر روبين، وعند قبر هذا النبي إلى الجنوب من يافا. ومنذ أن كان الاحتفال يجري انطلاقًا من هلال "اِيلول" على مدى بضعة أسابيع، كان الأمر يحتاج إلى تأمين مأوى للجماهير المتجمعة في هذه المنطقة ذات الكثبان الرملية، والتي لا تحوطها

(1420) يُقارن ص 439 وما يليها، 588. تعود ملاحظاتي إلى 14–27 آب/أغسطس 1913.

(1421) يُقارن ص 161.

(1422) Mommsen, *Griech. Jahreszeiten*, p. 75.

(1423) يُنظر ص 145 وما يليها.

قرى مجاورة؛ ففي حين كان المقتدرون يأوون إلى خيام مستأجرة، يقيم الناس في غالبيتهم في عرائش يصنعونها بأنفسهم. وهذه صورة مناظرة للعيش في أكواخ عيد العُرُش اليهودي، حيث يجب إقامة أكواخ حتى في البيوت التي يقيم فيها الناس، كي يترك المرء البيت وينتقل إلى العريشة إذعانًا للقانون[1424]. وهناك تشابه لافت بين عيد مريم والعيد اليهودي القديم في 15 أب، ولا سيما بالرقصة الدائرية التي تقوم بها فتيات شابات في كروم العنب (ص 567). ويسعى التقليد اليهودي إلى منحها خلفية تاريخية. وفي هذا السياق يذكِّر 1. عيد الخشب الخاص بالهيكل الأخير في اليوم ذاته (ص 85)؛ 2. الإذن بالزواج بين أفراد من القبائل المختلفة (يُقارن القضاة 16:21 وما يلي)؛ 3. الإذن بدفن قتلى بيتار بعد تمرد بار كوخبا؛ 4. أمر الملك هوشع بإزالة الحراسات التي وضعها يربعام لإعاقة زيارة الأعياد في القدس (يُقارن الملوك الأول 27:12)؛ 5. إدخال عيد في هذا اليوم في السنة الأربعين للتيه في الصحراء بعدما ثبت - خلافًا للسابق - أن 15,000 إسرائيلي لم يموتوا في 9 أب، وكان يجب القيام بدفنهم[1425]. وليست هذه كلها إلا محاولات لمنح معنى تاريخي لتقليدٍ لم يكن أحد على علم بخلفيته التاريخية، أو لم يبغِ معرفتها. وواقع الأمر أن أيًا من هذه التفسيرات لاتؤدي حقًّا إلى تقليد رقصة دائرية تقوم بها فتيات شابات في كروم العنب في يوم يكون فيه القمر بدرًا في شهر نضوج الفاكهة. ويمكن البحث عن أسباب هذا التقليد في الطبيعة؛ فالملذات والفاكهة الناضجة والعذارى البالغات اللواتي يفكرن في الزواج أمور متلازمة. وفي القضاة (19:21 وما يلي)، يتم في مثل هذه الرقصة الدائرية في كروم العنب التفكير في عيد ليهوه يتكرر سنويًا. والرقصة مكرسة للإله يهوه كَـ"بعل" للأرض وخالق لخصوبتها من خلال المطر وأشعة الشمس، وهو واهب الفاكهة التي تفتن العين والقلب في

(1424) يُقارن ص 162 وما يليها، حيث من المفترض أن يكون قد أُتي إلى ذكرها هناك؛ ففي الماضي، كانت أعياد الخريف في البلاد المحلية، كما في المركزية، تستلزم بشكل تلقائي الإقامة في أكواخ، ولم يقدم القانون إلى ذلك إلا خلفية تاريخية.

(1425) j. Taan. 69c, Ech. R. Peth. 32 (15a), Midr. Schem. 32 (71b), b. Taan. 30b,

يُقارن:

Gitt. 88a.

كروم العنب وأشجار التين (يُقارن سفر التثنية 7:8 وما يلي). ثم يلي زيارةَ الربيع إلى بساتين الفاكهة (حزقيال 10:2 وما يلي)[1426] الاحتفالُ الصيفي في المكان نفسه. ويمكن المرء أن يتصور بعل الكنعاني قبل يهوه، لكن عشتار التي حلت مريم في محلها كوَّنت جسرًا نحو قوى الطبيعة التي ترغب الفتيات الشابات في التواصل معها من خلال رقصتهن الدائرية. وانطلاقًا من هنا، يصل المرء إلى تفسير لتقليد أورده المقدسي عن احتفال الاغتسال في البحر الميت الذي اعتادت العامة والمرضى الذهاب إليه في شهر أب[1427]. ويُفترض بالاغتسال أن يكون مفيدًا جدًا على الرغم من الحرارة التي لا تطاق، لأن قوى الطبيعة في هذا الوقت تكون نشطة، وتقدم إلى الإنسان فوائدها. وحري بالمرء ألّا يضيّع مثل هذه الفرصة؛ فيوم اغتسال الربيع (ص 429، 435) يحصل على نظير له في الصيف، ومن المحتمل أن يكون فاسدًا كما هي حال عيد اغتسال أفروديت في اثنين الشعانين في قبرص (ص 441)، ولذلك أُلغيَ. فالرب العلوي حل في محل قوى الطبيعة، ولذلك لم يتجاهل الثمار. وحتى في أحد شوارع القدس الجديدة، هناك ماء حي يمنح أشجار الحياة في كل شهر ثمارًا رائعة وأوراقًا شافية. غير أن الأهم بالتأكيد هو أن الرب والحَمَل يقفان في المركز، وجميع السكان لا يعرفون شيئًا آخر أعلى يعبدونه (رؤيا يوحنا 1:22 وما يلي).

(1426) يُقارن ص 424 وما يليها، 439 وما يليها، 441 وما يليها.

(1427) Gliedemeister, *ZDPV* (1884), p. 223.

ثالثًا: سيرُ اليوم

1. عموميات

لا يزال النهار ("نْهار") والليل ("ليل") يشكلان أوقات اليوم الرئيسة التي تحدد نمط الحياة، كما افترُض في العهد القديم (التكوين 14:1؛ 22:8 وهنا وهناك) وفي العهد الجديد أيضًا (مرقس 5:5 وهنا وهناك)، ولا يخلو ذلك من معنى لأن فترة الشفق في فلسطين قصيرة. وبناء عليه، تقف فترتا اليوم جنبًا إلى جنب بشكل حاد أكثر مما هي الحال عندنا. وفي المدن، شكلت إضاءة الشوارع على نطاق ضيق أو غيابها كليًا حتى وقت قريب جدًا سببًا في أن الحياة ليلًا اقتصرت، أكثر مما نحن معتادون عليه، على البيت، بعيدًا عن الشارع؛ فحتى العقد الأول من هذا القرن [العشرين]، كانت التعليمات في القدس تقضي بأن من غير الجائز للمرء السير في الطرقات ليلًا دونما مصباح حتى لا يثير الشبهة في أنه لص، خصوصًا أن ابن البلد لا يترك بيته إلا في حال وقوع طارئ. ويروى أن يوسف نصح إخوته بالوصول إلى الهدف دائمًا مع ضياء الشمس[1]، ولقنهم ضرورة الخروج مع ضياء الشمس والعودة إلى البيت مع ضياء الشمس[2]، وهذا بالضبط ما لا يزال يعمل به، بشكل جدي حتى اليوم، من هو في الطريق. كما أن طبيعة الطرقات هي من النوع الذي يوفر سببًا كافيًا للمرء للتصرف بهذه الطريقة؛ ففي ذات مساء من سنة 1921، عندما كنت راكبًا على مبعدة نحو 200 خطوة عن هدفي، ترجلت وسلكت طريقًا ملتوية نحو

---

(1) Ber. R. 94 (201^b), b. Taan. 10^b.

(2) Mech. Bo (Aus. Weiß 15^a), b. Pes. 2^a, Taan. 10^b, Bab. k. 60^b.

نصف ساعة كي أتجنب السقوط في الظلام جنبًا إلى جنب مع الحصان، نتيجة مصاطب المنحدرات الصخرية.

ستتحدث عن أقسام اليوم الرئيسة في الأقسام 2-5. وهنا سنتكلم على الساعات (بالعربية "ساعة") التي يتألف نهارها وليلها من 12 ساعة لكل منهما، والتي تُحتسب، وفقًا للحساب العربي، انطلاقًا من غياب الشمس[3]، ما جعل من الضروري القيام يوميًا بزحزحةٍ طفيفة لساعة أوروبية ذات ميناء عربي مدرَّج، بغية الحصول على الوقت العربي بشكل صحيح. وقد حظي هذا الأمر بنتائج غريبة في ما يتعلق بموضع منتصف الليل والظهر اللذين يحصلان بشكل متأخر عند غروب مبكر، وبشكل مبكر عند غروب متأخر. وهكذا صادف في 20-30 حزيران/ يونيو أن وقع منتصف الليل في 4:32 والظهر في 4:19، وفي 15-21 كانون الأول/ ديسمبر وقع منتصف الليل في 7:23 والظهر في 7:21، وفقًا للوقت العربي[4]. أما السبب وراء هذه الطريقة الغريبة، فيكمن أغلب الظن في أن الساعة الأوروبية التي أدمج وقتها بهذه الطريقة في اليوم الذي يبدأ مع غروب الشمس. ويبدو عند شتفان (Stephan)[5]، كما لو أن الناس ما زالوا يستخدمون تقسيم الليل والنهار إلى 12 ساعة لكلٍ منهما، وهو الأمر الذي لم ألاحظه. ويتعلق الأمر حقًا بسلسلة متعاقبة من أوقات النهار والليل تقوم على الساعات. ويتحدث القزويني[6] عن يوم من 24 ساعة يتم توزيع ساعاته بين النهار والليل بحسب طوليهما الحقيقيين. إلا أن الطريقة القديمة لاحتساب الوقت، وهي ربما مقتبَسة من اليونانيين، وقد أشار إليها أول مرة أبرخش [فلكي يوناني اسمه الأصلي هيبارخوس] في القرن الثاني قبل الميلاد[7]، ومنحت كلاً من النهار والليل 12 ساعة، تتغير مدتها وفقًا للطول الحقيقي لكليهما. وتظهر هذه الطريقة المتعلقة بالإخبار عن الوقت في

---

(3) يُقارن:

Lane, *Manners and Customs*, vol. 1, p. 278.

(4) يُنظر الجدول عند:

Anni E. Landau, *Table-Book (Jerusalem)*, pp. 9f.

(5) *JPOS*, vol. 2, p. 166.

(6) Kazwini, *Kosmographie*, I, p. 64.

(7) Ideler, *Chronologie*, vol. 1, p. 239.

الكتاب المقدس ربما أول مرة في دانيال (16:4)، وبالتأكيد في طوبيا (22:12)، ثم في العهد الجديد، وعلى سبيل المثال متى (12 و9 و6 و3:20)، يوحنا (9:11). كذلك تبعها يوسيفوس، على سبيل المثال Bell. Jud. VI 1:7; 2:5, 8, 4:4، كذلك المشنا على سبيل المثال Ber. I 2, IV 1[8]. وثمة طريقة مختلفة لاحتساب الوقت نجدها في اليوبيل (49:10-12)، حيث يُقسّم كل من الليل والنهار إلى ثلاثة أقسام. وفي أخنوخ (10:72 وما يلي)، هناك رقم فلكي مؤلف من 18 جزءًا موزعة على النهار والليل بحسب العلاقة الحقيقية.

وبالنظر إلى أن في الماضي لم تتوافر لدى جميع الناس ساعات شمسية أو مِزوَلَة كما الملك حزقيا (الملوك الثاني 9:20 وما يلي)، وكذلك اليوم حيث لا يمتلك معظم الناس ساعات جيب أو ساعات يد أوروبية، فإن الساعات [ج. ساعة = 60 دقيقة] تعني تقديرًا تقريبيًّا للوقت في حال عدم توافر ساعات كبيرة عامة. ولذلك يكتفي الفلاحون والبدو بتعابير عامة، مثل تلك التي استُخدمت في العهد القديم؛ فموقع الشمس في السماء أو طول الظل واتجاهه هو الفيصل في النهار، فإذا أراد المرء معرفة هل الوقت هو الظهيرة في الصيف مثلًا، يمد أصبعًا بشكل عمودي نحو راحة اليد الممدودة بشكل أفقي. فإذا لم يظهر الظل، يكون الظهر قد حل حينئذ (رام الله).

واليوم يبدأ بغروب الشمس، وهو ما بقي من تقليد قديم ورد في سفر اللاويين (24:11؛ 5:15؛ 32:23)؛ التثنية (12:23)؛ لوقا (54:23)؛ Sabb. XXIII 3، Tebul. Yom. Iff، خاص بالأعياد والطهارات، ويُفسّر لماذا "اليوم" في النذر قابل للتطبيق حتى هبوط الظلام[9]. إلا أن ذلك لا يعني أن المرء بعد الظهر سوف يشير إلى المساء دائمًا على أنه "غد"، وأنه تابع ليوم التالي[10]، وهو الأمر الذي

---

(8) عدد الساعات 12 يشهد عليه في:

Ber. R. 11 (21b), 12 (25a), Tos. Naz. I 3, b. Ab. z. 3, 4, 38,

لاستخدام المتحدثين بالآرامية، يُنظر:

Dalman, *Grammatik*², p. 216.

(9) Ned. VIII 1.

(10) يُقارن:

j. Ned. 40a; Dalman, *Orte und Wege Jesu*³, p. 114.

لا يحدث اليوم البتة. ومع ذلك، في ما يتعلق بمسائل الطهارة، فإن الوقت بين غروب الشمس (بالعبرية بصيغة الجمع "شِماشوت") تم تفريق، باعتباره "يومًا" عن "الصباح" التالي (بالعبرية "محار")[11]. والعلاقة بين الليل والنهار قابلة للملاحظة، حين يكون مساء عيد ذا أهمية خاصة، كما هو الأمر في حال السنة الجديدة (ص 25 وما يليها) أو عيد الصليب (ص 28) أو في ليلة عيد الفصح اليهودي (ص 444 وما يليها). وفي الحال الأخيرة، فإن ذبح الشاة قبل الغروب هو سبب التأكيد بشكل خاص على 14 نِسان في القانون (الخروج 5:12، سفر اللاويين 5:23، العدد 11.5.3:9؛ 16:28). ومع ذلك يبقى مهمًا أن يبدأ في فلسطين أيضًا يوم العمل ويوم السفر بشكل طبيعي في النهار. ونظرًا إلى تقرير عملية الخلق الإلهي في التكوين (3:1 وما يلي)، فإن هذا هو السبب في التساؤل: لماذا تنتهي الأيام دائمًا بالصباح، أي الظهور الجديد للضوء، وبذلك تأخذ منه بدايتها. وكوقت للراحة، يكون الليل هو نهاية يوم العمل الذي يبدأ هو الآخر بالنهار في المزامير (22:104 وما يلي)؛ الجامعة (6:11)، متى (1:20). وبناء عليه، فمن المُبرَّر أن يوضع الصباح على رأس هذا التوصيف لمجرى يوم فلسطيني عادي.

2. الصباح

إن الاستيقاظ، حين تكون السماء صافية، هو في كل مكان ظاهرة سامية. وفي فلسطين تحتشد اللحظات الفردية للصباح ("صُبح") وتتزاحم بشكل أكثر التصاقًا، خصوصًا في صيف شحيح الضباب. وأحيانًا يتولد الانطباع أن نمو الضوء الجديد يتقدم على دفعات حتى يصبح النهار فجأة، مع وميض الشمس، ساطعًا بضوئه المبهر وحرارته المتوهجة.

أما طلائع النهار الأولى، فهي نجمة الصُبح ("نِجمة الصُبح"، أدبيًا "الزُهرَة")[12]، والتي يلاحظها العربي دائمًا فيما الدنيا لا تزال ليلًا. وحين تظهر

---

(11) Zab. I 6.

(12) Kazwini, *Kosmographie*, I, p. 22.

في السماء الشرقية بضوئها الساطع والقوي والطارح للظلال[13]، والذي أكسبها الاسم العبري "نوجه"، أي "تألق" كبشير للشمس[14]، يتيقن المرء أن الليل شارف على نهايته، وأن النهار أوشك على البزوغ (بطرس الثانية 1:19). ويزعم تقليد يهودي أن المرء كان يمتلك في الماضي نافذة في الجانب الشرقي من البيت كي يكون قادرًا على تبجيل نجمة الصبح في الوقت الملائم[15]. وفي أي حال، يبقى الترجوم على حق حين يفكر في فينوس [الزهرة]،"ملكة السماء" المذكورة في إرميا (7:18)، والتي من أجلها تُعِد النساء كعكًا (إرميا 12:14، 19:44). وبالنسبة إلى البابليين، كانت هذه عشتار، أي نجمة عشتروت[16]، والأمر جذاب بشكل خاص حين يصبح قابلًا للرؤية أسفل نجمة الصبح المنجل الرقيق للقمر الجديد[17] في تلك الكوكبة التي انتقلت من شعار بيزنطة القديم إلى شعار الدولة العثمانية. وقد يكون قابلًا للتصور أن هذه المجموعة المؤتلفة كانت هي أيضًا رمزًا لعشتروت وللإلهة العربية القديمة "العُزّى"[18]. وربما تكون هي المقصودة، عندما يقال في أغنية حب[19]: "أَنَا وحَبيبِ فِ العِتمة - زي القَمَر والنِجمة"، أي: "أنا وحبيبي في العتمة مثل القمر والنجمة"، أي مثل القمر والزهرة".

---

(13) سبق أن رصدها بلينيوس، Plinius, *Hist. Nat.*, II 8 وأنا. يُقارن ص 503.

(14) Pirke de R. Eliezer 6, Targ. Jes. 14, 12, Pes. Rabb. 20 (96a). حيث تظهر "نوجه" كزوجة "كوخاب"، أي [كوكب] المريخ، ولذلك تسمى بالتأنيث "كوخَبتا". (j. Jom. 40b, Targ. Jer. 7:18), "النجمة الساطعة ("كوكب أور") بين الغيوم" (سيراخ 6:50) لا تشير بالضرورة إلى فينوس.

(15) Pes. Rabb. 31 (143a), يُقارن أعلاه، ص 15.

(16) Jeremias, *Handbuch der altoriental. Geisteskultur*, pp. 78ff., 258.

(17) يُقارن ص 10 وما يليها.

(18) يُنظر: Dalman, *Petra*, pp. 51f.; Dalman, *Neue Petra-Forschungen*, pp. 96f.; Baudissin, *Adonis und Esmun*, p. 120.

(19) Stephan, *Modern Pal. Parallels to the Song of Songs*, p. 20.

يُسمي العربي الوقت "قرابة الصباح" "وِج الصُبح": "وجه الصباح"، أو "وجه النهار" ("رام الله")، لأن النهار ينظر أصلًا إلى داخل الليل. وبحسب استخدام لغوي إسلامي، فإن وقت الـ"سَحَر" هو الذي يؤدي دورًا مهمًا في الحياة الشعبية خلال شهر الصيام؛ فـ"السُحور"، الذي هو وجبة الطعام التي تسبق العودة إلى الصوم ("إِمساك")، يكون 20 دقيقة قبل صلاة الفجر (يُنظر أدناه)، ويجب أن يحصل السحور خلال هذا الوقت؛ فمن خلال القرع على الطبل في شوارع حلب في الساعة الثالثة فجرًا، يجري إيقاظ النائمين كي لا يفوتهم الأكل قبل الإمساك. وفي القدس تدوّي في هذا الوقت من برج داود طلقة مدفع ("ضَرب مَدفَع التنبيه") لتوقظ المدينة بأكملها من نومها. وإلى هذا الوقت أيضًا تنتمي "الدَغشة": "الظلام"، وهي التي يتم التشديد على أن وقتها القصير جدًا يكون بلا ضوء، إلا أنها تعني نهاية الليل الحقيقي، وهي تسمية خاصة للشفق الحقيقي، ويفتقر إليها العربي الفلسطيني. وعلى مثل هذا الوقت، تنطبق الدعوة: "صَابِح القوم وَلَا تماسيه"، أي: "تغلب صباحًا على العدو وليس مساءً!"، إضافة إلى التبشير بمعونة إلهية في المزامير (6:46) "حيال الصباح" ("لِفنوت بوقِر"). وقد عمل شاؤول وفقًا لذلك حين هاجم معسكر العمونيين في موعد تغيير حراسة الصباح (بالعبرية "اَشمورت هبوقِر") (صموئيل الأول 11:11)[20]. وفي القضاة (25:19 وما يلي)، وبعد صعود ضوء الصباح يُقبِل الصباح الذي لا يحتاج إلى البدء مع شروق الشمس. كذلك في الخروج (27:14)، والمزامير (6:46) يعني"إقبال الصباح"، أبكر لحظة ممكنة له. ويترجم سعديا التكوين (27:14): "عِند اِتِّجأت – الغَدا"، أي: "عند إقبال الصباح".

وفي هذا الوقت، يبدأ الرحلة مَن كان أمامه مسيرة يوم طويل، أو لديه أسبابه في الوصول إلى هدفه مبكرًا، أكان ذلك بحكم أعماله وأشغاله، أو لتجنب حرارة النهار، أو حتى يضمن استضافة جيدة مساءً، لأن المثل يقول: "ضيف المسا – مالو عَشَا"، أي: "لا عشاء لضيف المساء (الذي يأتي متأخرًا)".

(20) يُقارن يشوع 9:10؛ القضاة 34:9 وما يلي؛ الملوك الثاني 22:3؛ إرميا 16:20.

وفي المساء يحدد المرء مثلًا: "نِسرِ قَبل النهار بساعتين"، أي: "نَسْري قبل مطلع الصباح بساعتين!"، وحين تكون نجمة الصباح قد طلعت، يكون قد حان الوقت لتسريح الحيوانات وتحميلها. وعن مثل هذا الموكب الليلي يغني المرء[21]: "يا ما سَرينَ والخواجة نايم - وملفلف رِجليه بالعمايم"، أي: "كم مرة سرينا ليلًا في الوقت الذي كان فيه السيد لا يزال نائمًا وساقه ملفوفة بالعصائب". وكلمة "سَرَى" العربية، التي تعني "السفر ليلًا" أو "الشروع في السفر ليلًا"، قابلة للتطبيق على أي وقت في الليل. ومن هنا يجب عدم المساواة بينها وبين الكلمة العبرية "هِشكيم" [بكَّر، نهض مبكرًا]، أي: "القيام بالعمل مبكرًا"، والتي تناظر، وفقًا للاستخدام اللغوي، الكلمة العربية "بَكَّر"، في حين يترجمها سعديا (على سبيل المثال التكوين 22:3، المزامير 127:2) إلى "اِدَّلَج" ("اَدلَج")[22]. وهنا يستطيع المرء، مع بطرس البستاني، اقتباس بيتين من الشعر: "اِصبر على السير والإدلاج في السحر - وفي الرواح على الحاجات والبكري"، أي: "تريث بالرحلة والمغادرة في الفجر - وفي المساء تريث في الأعمال وأشغال اليوم التالي!". وفي الترجوم تناظر "اَقديم" عبارة "أن يكون مبكرًا"، والتي دخلت العبرية كمفردة آرامية في شكل "قِدّيم" في المزامير (119:147). وهذا يناظر الفلسطينية الآرامية في المثل[23]: "ي قِرَصت لا حشيخت"، أي: "إذا ذهبت مبكرًا إلى العمل، فعليك ألا تتأخر في العمل"، حيث تذكّر "قِرَص"، التي لها صلة بـ"قِريصِتا"، بِالمرحلة التالية من الصباح التي يجب ذكرها في ما بعد. وتُعلمنا المزامير (127:2) أنه دونما رب لا ينفع صحو مبكر ولا نوم متأخر. وإذا كانت الكلمة العبرية "هِشكيم" مشتقة من يُحمِّل، حينئذ يكون صحيحًا أن كل واحد يود القيام بذلك قبل أن يكتمل ضوء النهار، بحيث أن أولى ساعات الصباح الباردة تبقى للمسير، فيما المغادرة يمكنها أن تحصل "قبل الشمس".

---

(21) Dalman, *Pal. Diwan*, p. 138,

يُقارن ص 145.

(22) يميز القاموس العربي بين "أدلَج" "يبدأ رحلة في بداية الليل" و"اِدَّلَج" "يبدأ رحلة في نهاية الليل".

(23) Vaj. R. 25 (67ª).

وفي الوقت الذي لا تزال فيه نجمة الصبح مرئية بكامل تألقها في السماء، تبزغ ظاهرة بصرية باهتة وبالكاد يمكن ملاحظتها في المنطقة، حيث يفترض بالشمس أن تطلع بعد ذلك بنحو ساعة ونصف ساعة بدقة تقريبًا مثل ضباب رقيق فاتح شبيه بدرب التبانة. وعند التحديق فيها يُلاحظ المرء بين الحين والآخر أسنة تشبه الأشعة تخرج منها. لا ضوء ينبعث منها بعد، إلا أن الظاهرة تثبت أن ضوء الشمس الأول قد وصل إلى الغلاف الجوي للأرض. وبعد ذلك بربع ساعة يكون سطوع ضباب الضوء الذي كان ارتفع عاليًا في السماء، قد تعزز إلى حد يصعب معه ألا تراه كل عين. إنه عمود صبح العرب ("عمود الصبح"). أما المرادف العبري، فهو "أنثى أيل ضوء الصباح" (بالعبرية "أيِّلِت هشَّحر"، المزامير 22:1، بالآرامية "أيلتا دِشَحرا")، التي يُقال إنها تشبه قرنين يصعدان في الشرق ويُنيران العالم[24]، كذلك "عمود ضوء الصبح" (بالعبرية "عَمّود هشَحَر")[25]، وهو مشابه تمامًا للاسم العربي، ويظهر بداية حوالى ساعة (زمن مشي 4 أميال = 6 كم) قبل الفجر في الشرق، وحوالى ساعتين قبل شروق الشمس. ويمكن رؤية ذلك بشكل واضح من هضبة أربيل [جبل إربد الواقع في أدنى الجليل الشرقي المُطل على بحيرة طبرية] فوق مجدلا، وكذلك مع المشهد الفسيح عبر بحيرة طبرية باتجاه منطقة الجولان الجبلية، كما فعل حاخامان ذات مرة، عندما فكرا بخلاص شعبهما المتقدم بشكل تدريجي من بدايات صغيرة[26].

---

(24) Ber. R. 50 (107^{a} f.), j. Ber. 2^{c}, Yom. 40^{b}.

يُقارن:

b. Pes. 93^{b},

(حيث تُحتسب خمسة أميال فقط من صعود الـ"شَحَر" وحتى طلوع الشمس). ومنذ أن انطلق لوط من سدوم مع ضوء النهار ووصل إلى صوغر (التكوين 19:15.23) مع طلوع الشمس، فإن المسافة بين سدوم وصوغر تقدر بـ 4 أميال.

(25) Ber. I 1، ترجمه ابن ميمون إلى "عمود الفجر" شارحًا إياه على أنه الضوء الذي يظهر في الشرق قبل ساعة ونصف ساعة من طلوع الشمس.

(26) j. Ber. 2^{c}, Jom. 40^{b};

يُقارن:

PJB (1922-1923), p. 49.

مباشرة بعد ذلك، أكثر من ساعة قبل طلوع الشمس، يظهر في الأفق ضوء الصباح الحقيقي الأول كشريط ساطع فوق الأفق، ومفصولٍ بشريط قاتم يمتزج به ظل أحمر. هذه هي البداية الأولى لـ"فجر" العرب، والنظير لـ"شَحر" العبرانيين، الذي يترجمه سعديا في التكوين (15:19) على سبيل المَثال، إلى "فِجر"، يناظر أيضًا "صَفرا" في أونكيلوس و"قِريصِتا" في الفلسطينية الآرامية[27]. ويعني "فِجر" "اختراق"، أي اختراق الضوء للظلام، فيقال: "بِفْتَح باب الشرق"، أي: "يفتح بوابة الشرق". ومن المعتاد، ولكن ليس من المبرر، ترجمة الكلمة العبرية "شحر" إلى "حمرة الصباح"، لأن اللون الأحمر بالنسبة إلينا هو إشارة متكررة إلى الضوء الصباحي الأول. لكن الحمرة ليست أصل كلمة شحر وتاريخها غير الأكيد، والظاهرة نفسها لا تجعلها تبدو مبررة؛ فحمرة ("اِحمار") السماء الشرقية عند مطلع الفجر في فلسطين ليست هي الشيء الأكثر لفتًا للأنظار. وفي الصيف، حين تكون السماء صافية، لا يمكن رؤية إلا القليل من ذلك على الأغلب. والعربي بالطبع لا يفكر بحمرة السماء حين يستخدم كلمة "فِجر"، بل يفكر بِضوء الصباح الجديد الذي يصعد فوق الأفق. وهذا المشهد يتمدد كظاهرة محدودة بسرعة كبيرة، ويهيمن خلال وقت قصير على الأفق باتجاه الجنوب والشمال. وفي العربية القديمة هذا هو الـ"فِجر" الثاني أو الـ("فِجر الصادق") الذي يتمدد والذي يقع بياضه، ممتدًا بشكل عريض، على الأفق. كما يُسمى أيضًا "عمود الصبح" كتمييز له من "الفجر الأول الزائف" ("فجر الكاذِب") الذي يظهر قبله، ويتمدد بشكل طوليّ، حيث يقع اللون الأسود بالعرض، فيما يبقى الأفق مظلمًا[28]. ويسمى الفجر الكاذب "ذَنَب السرحان": "ذيل الذئب". والمقصود بذلك "عمود الصُبح" الخاص بالفلاحين الذي سبق التعرض له في شكل ظهوره الأول. كما يستخدم البدو تعبير "فِجر" للصبح أيضًا.

---

(27) الترجوم اليروشليمي الأول عن التكوين 15:19،
j. Ber. 2c,
بالمسيحية الفلسطينية يوئيل 2:2.

(28) يُنظر:
Lane, *Manners and Customs*,
أدناه، كلمة "فجر" وLammens؛ **فرائد اللغة**، المادة 892.

نصف ساعة بعد أن يصبح ضوء الصباح الحقيقي مرئيًا، يكون اليوم الجديد قد هيمن على السماء إلى درجة تضطر معها الظلال إلى الهروب. ويتحول لونه الداكن إلى أزرق ينفذ منه الضوء، والنجوم تشحب. لقد وصل ضوء النهار ("فَضَ") [فضاء]، "أفضت الدنيا"، أي: "أصبحت جلية". وخلال دقائق معدودة يصبح المشهد الطبيعي بأكمله مرئيًا بشكل واضح بجميع تفصيلاته، حتى ما يقع منه في الظل. ومن بيت معهد الآثار الألماني في القدس، فإن ظهور النقاط البيض في "بيتين" (بيت إيل) على الأفق الشمالي كان إشارة إلى الفجر. وثمة 25 دقيقة قبل طلوع الشمس كانت غير مرئية. وفي الجزء الأوسط من الشرق كان قد انتشر لمعان برتقالي اللون، لا يلبث أن يتحوّل إلى أصفر فاقع يهيمن على الأفق مثل مخروط ضخم. وهنا يتحدث الفلاحون بالقرب من القدس عن "شَقِّة الفجر"، أي "اختراق ضوء الصباح" [أو انبلاج الصبح] الذي يقولون عنه: "بِتشِقّ"، أي: "يبرز إلى النور". ومن هناك فصاعدًا يتقدم ضوء الصباح بلا عائق يعيقه إلى الأمام ("بِفجِر كُلّ الدنيا"). وما يظهر كهدف في التعبير "حتى ضوءالصباح" (بالعبرية "عَد أور هبوقِر") في القضاة (2:16) والملوك الثاني (9:7) موجود حقًا، إضافة إلى ما تصفه الأمثال (18:4) بالكلمات: "ضوء يومض، يزاد سطوعًا بشكل تصاعدي حتى يكون اليوم هناك". الأصفر في الشرق يصبح الآن فاتحًا أكثر، ويحتفظ في الأسفل بلون أكثر حيوية. وإذا حامت غيمة صغيرة فوق الأفق، تتزين أطرافها بحواشٍ ذهبية عشر دقائق قبل طلوع الشمس. والآن يُصبح مكان الشروق ذاته كما الذهب المتألق، وقرص الشمس يطلع، ليس بحجاب أحمر، بل بشكل نيِّر يعمي الأبصار، مثل قوة مستعدة للبدء في إصدار حكم صارم كبطل (المزامير 6:19)، ولكنها تعني في الوقت نفسه نعمة وبركة، لأنها بعد طلوع صاف يعقب مطرًا، تجعل العشبَ الأخضر يخرج من الأرض (صموئيل الثاني 4:23). ويقول العرب عن طلوع الشمس: "زِرقت الشمس"، "طِلعت الشمس"، "أشرقت الشمس"، وبالكاد يُستخدم تعبير "طلوع الشمس"، بل تُستخدم تعابير لفظية مثل: "قَبل ما تِطلع الشمس"، وتفضل التعابير الأقصر مثل "قَبل الشمس"، "مَع الشمس"، "بَعد الشمس". وتعني "طِلِع" العربية "ظهر"، وكذلك "صعد". فالمرء لا يقول

عن الشمس: "نِزلِت" أو "طاحَت"، أي: "هبطت"، بل: غابت، "أبعدت نفسها"، بحيث إن المقصود بإشراقها هو تعبير "ظَهَر" (يُقارن المزامير 19:6).

وحين تظهر حمرة الصباح ("اِحمار الفجر") أكثر قوة، يتم ملاحظتها من دون الإعجاب بها (يُقارن ص 192). وتذكّر حمرة السماء بعض الناس باحتراق مدنٍ بعيدة أو بالدم نتيجة معركة. وقد فسر المعتقد الشعبي اليهودي حمرة الصباح بأنها انعكاس لورود الجنة، وحمرة المساء بأنها انعكاس لبوابة جهنم[29]. لكن النقيض ممكنٌ أيضًا. وحتى اليوم يعتبر الغرب ذلك المكان الذي هو مكان جهنم[30]، في حين يفترض التكوين (2:8) مسبقًا أن الجنة تقع في الشرق.

والغرب بدوره يحصل على حمرة صباح غريبة في وقت قصير قبل طلوع الشمس. وفوق أفقه يظهر قريبًا من الأفق، شريط أحمر مفصول عن حمرة الصباح بشريط من سماء زرقاء. وقد صوّره الرسام باورنفايند (Bauernfeind) في إحدى لوحاته الكبيرة الخاصة بالقدس كمن يشبه شفقًا قطبيًا شماليًا متوهجًا. وقد أكد لي شاهد عيان أنه رآه هكذا معه. لم أشاهده قط بالقوة ذاتها، إلا أن الظاهرة حقيقة قائمة، مع أن أي متأمل في اللوحة سيرى مندهشًا المدينة في الفجر مع ما يبدو أنه حمرة مساء ظاهرة في السماء الغربية. وقد تكون المزامير (139:9) تصويرًا غريبًا لهذا. وهنا يصف الشاعر حاله حين يصعد[31] بأجنحة الصباح وينزل في نهاية البحر، أي في الغرب الأبعد. ويترجم سعديا: "لو كنت أستطيع حمل نفسي عند ظهور ضوء الصباح ("مطلع الفجر") أو العيش في الغرب الأبعد"، وبالتالي في الآية 9، وبشكل مشابه للآية 8، فُهم نصفا الآيتين كتعبير عن حركة في اتجاه معاكس. فالصعود مع ضوء الصباح في الشرق والنزول في الغرب هما الإمكانيتان المتناقضتان اللتان شدد عليهما ناظم المزامير.

---

(29) B. Bab. b 84a.

(30) ينظر ص 248.

(31) ليس "يأخذ"، كما يترجم Kautzch, Duhm, Kittel: فالأجنحة يجري "رفعها" [بَسْطُها] من أجل الطيران (حزقيال 10:16.19؛ 11:22).

بالنسبة إلى اليهودية والإسلام، تتمتع شروط ضوءالصباح بمعنى خاص، لأن تقديم القرابين والصلوات ارتبط بها، ولا يزال؛ فحين كان يجب تقديم الأضحية الصباحية ("عولَت هبوقر"، سفر اللاويين (17:9)[32]، "عولَت هتاميد"، العدد (3:28)، "تاميد شل لشَحَر" Yom. VII 3) في الهيكل في القدس، استوجب تحديد متى يبدأ الصباح. حتى في ظلام الليل وفي ضوء نار المذبح[33] كان يتم القيام بالترتيبات للتضحية. بعد ذلك أعطى الكاهن الرئيس الأمر: "أخرجوا وانظروا هل إن وقت التضحية قد أقبل!"، وربما تسلق كاهن الساحة الشرقية للفناء الداخلي ونظر شرقًا. وبسبب الموقع المنخفض للهيكل مقارنة بجبل الزيتون، فإن الشمس لا بد أن تصبح متاحة للرؤية هناك بشكل متأخر نسبيًا. إلا أن "الصباح" الذي من أجله كانت الأضحية وجرى تحديده، لا يعني طلوع الشمس، بل الظهور المؤكد لضوء النهار. وحالما كان هذا قد بان في الشرق، نادى الحارس: "بورِقي"[34]، والذي يفسره التلمود الفلسطيني[35] على أنه: "بَرقَت"، أي: "لقد أبرقت"، وهو ما يجب أن يشير إلى أول لمعان لضوء النهار. ومن أسفل، رد عليه أحدهم صائحًا: هل إن الشرق بأكمله حتى الخليل مُنار؟ أي: "هل انتشر ضوء الصباح حتى الجنوب؟". وحين يأتي الرد بالإيجاب، وكل خلط مع القمر الجديد البازغ قد جرى استثناؤه[36]، يخطو المرء نحو الضحية[37]. وعمر مثل هذه التضحية المبكرة أُشير إليه في الملوك الثاني (22.20:3)، حيث ظهرت، في زمن يهوشافاط، كطريقة للإخبار بالوقت لحادثة حصلت قبل طلوع الشمس.

---

(32) يُقارن الخروج 38:29 وما يلي؛ العدد 3:28 وما يلي، 23 وما يلي، و
Siphre, Num. 142 f. (53ª f.); Midr. Tann, (53af.),
عن العدد 3:28 وما يلي (ص 189 وما يليها).

(33) Tam. I 4.

(34) هكذا القراءة الفلسطينية بحسب التلمود اليروشليمي، طبعة البندقية 1542، والمشنا، طبعة لوفِ (Lowe). أما في المشنا والتلمود البابلي، فتقرأ "بَرقاي".

(35) j. Yom. 40ᵇ.

(36) يقال عن القمر إن ضوءه يرتفع عاليًا مثل النخل، في حين أن عمود الضوء الخاص بالشمس ينتشر عبر الشرق بأكمله (j. Yom. 40ᵇ, j. Yom. 28ᵇ).

(37) Jom. III 1. 2, Tam. III 2.

كان ضروريًا أيضًا تنظيم الوقت لتلاوة الإقرار بعقيدة يهوه في "شِمَع" [الفصول الثلاثة في التوراة وهي: التثنية 6 و4-9؛ التثنية 11 و13-21؛ وسفر العدد 16 و37-41 التي تتضمن أسس العقيدة اليهودية وهي تتلى في صلاتَي الصبح والمغرب] عند الذهاب إلى النوم والاستيقاظ والتي تُعتبر واجبًا مستلهمًا من التثنية (7:6) (التثنية 4:6 وما يلي؛ 13:11 وما يلي؛ العدد 37:15 وما يلي). ومن أجل ذلك كان من الضروري تحديد الخط الفاصل بين الليل والنهار. وبناء عليه يصف غملائيل "طلوع عمود ضوء النهار"[38] بأنه الحد الأقصى لليل. أما الحد الأبكر للصباح فقد اعتبر الوقت الذي يستطيع فيه المرء تمييز الأزرق من الأبيض، أو الأزرق من الأخضر الكراثي[39]، أو الحَمَار من الحَمَار البري، والكلب من الذئب[40]، أو حين يتعرف المرء إلى شخص يعرفه من بعد أربع أذرع[41]. و"أول الفجر" لدى العرب هو البداية الأولى للفجر، وهو الوقت الذي يمكن فيه تمييز الكلب من الذئب ("تحِقّ الكلب مِن الذيب")[42]. وعلى ما يبدو فإن هذا كله يرمي إلى دفع بداية الصباح لتكون بقدر الإمكان قريبة من الظهور الأول لضوء النهار. وفي الهيكل تتلى "شِمَع" والصلاة الصباحية بين نحر ذبيحة الصباح وتقديم البخور، أي قبل التقديم الحقيقي للذبيحة الصباحية[43]. وإلى جانب باب بيت الهيكل وُضع اللوح الذهبي الذي تبرعت به الملكة هيلينا الحديابية وعليه الجزء القانوني المتعلق بالزوجة الخائنة (العدد 11:5 وما يلي)[44]. ويُرسل اللوح شررًا كلما صعدت الشمس في السماء الشرقية، ومن خلال ذلك ذكَّر الكهنة بأن الوقت قد حان للقيام بتلاوة "شِمَع"[45].

---

(38) Ber. I 1.

(39) Ber. I 2.

(40) J. Ber. 3^a, b. Ber. 9^b,

المدراش عن حزقيال 4:3 (37) اعتبر حتى التفريق "كِبين ديب لِكَلب" (هكذا طبعة Soncino 1519) يُقارن بالفرنسية *entre chien et loup* "بين ذئب وكلب" كونه التحديد الحقيقي للوقت.

(41) Tos. Ber. I 4.

(42) Stephan, *JPOS*, vol. 2, p. 167.

(43) Tam. IV 3, V 1.

(44) قُصد باللوح لائحة أحكام تتعلق باللعنات التي يجب أن تكتب على ورقة في أثناء المفاوضات مع من هو متهم بالخيانة الزوجية (العدد 23:5، Sot. II 3,4).

(45) Tos. Jom. II 3, Sot. II 1, j. Jom. 41^a, b. Jom. 37^b.

في الإسلام يحدد القرآن (80:17 [سورة الإسراء، الآية 78]) الفجر على أنه وقت صلاة الصبح. والسؤال هو: أي لحظة هي الوقت الأكثر ملاءمة لها؟ يعتبر الحنفيون أن تحول السماء الشرقية إلى الأصفر ("اِصفِرار") هو الفيصل[46]. كما أن بداية الصوم في "رمضان" يتم ربطه بالفجر مع الأحكام التي تذكّر بالشريعة اليهودية[47]: "﴿وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ﴾". ثم إن دوي مدفع الإمساك عن الطعام ("الاستِرفاع") في القدس تذكّر الناس بأن هذه اللحظة قد حلّت.

ربما يتيح وصف صباح 22 تشرين الأول/ أكتوبر 1908، كما شهدتُه من مبنى معهد الآثار الألماني في القدس، تسليط نور محلي على ما تقدم من وصف وسرد! ففي الساعة الخامسة كان القمر الجديد لا يزال في السماء الشرقية، ونجمة الصبح فوقه بشكل مائل. ضوء أحمر ضارب إلى الصفرة يخيم على سلسلة جبل الزيتون بانتشار عريض بعيدًا نحو الجنوب. بضع سحب داكنة تحظى لمدة عشر دقائق بعد ذلك بضوء شاحب ضارب إلى الحمرة في الأسفل. وبعيدًا في الجنوب الشرقي تظهر هضاب مؤاب مثل جدار أزرق غامق. ويبرز جبل الزيتون داكنًا مقابل حمرة الصباح في السماء التي تلمع من خلال فتحات البرج الروسي. وتستقبل صيحات الديكة ونباح الكلاب اليوم الجديد بالتحية. في الساعة 5:20 تزقزق الطيور بهدوء على شجرة الفلفل في الحديقة. القمر يشحب وضوء الصباح يطرح ظلالًا. بعد خمس دقائق كانت الحمرة في السماء الشرقية قد تحولت إلى اللون الأصفر البرتقالي. جبال مؤاب تصبح أكثر شحوبًا، وضباب رقيق يغطيها. في الساعة 5:30 يصبح الشرق أكثر إشراقًا، في الواقع شاحبًا. وتظهر بيتين [في النص الأصلي بيت إيل] في الشمال. وكبد السماء أصبح الآن أزرق نافذًا. ثماني دقائق بعد ذلك يزداد ضوء الشمس الضارب إلى الحمرة اتقادًا أكثر فأكثر، ويتدفق على جبل الزيتون وتُغمر بالذهب الغيوم الصغيرة في محيطه. انعكاس ضارب إلى حمرة ضعيفة يظهر في الغرب في السماء الزرقاء عند الأفق. لون أحمر ذهبي رائع يغطي

(46) Lane, *Manners and Customs*, vol. 1, p. 90.

(47) القرآن، سورة البقرة، الآية 183 [الصحيح الآية 187].

السماء الشرقية في 5:40 تاركًا الغيوم تحمرُّ من جديد. 5:47 تصعد الشمس إلى يسار البرج الروسي. بعد ذلك بدقيقتين يحس المرء بقدرتها على إعماء الأبصار. الحمرة كلها اختفت، والنهار وصل. من الشارع ترنّ أجراس البغال المدفوعة إلى عملها اليومي: حمل الأحجار. ومع كلمات مثل "حا" و"عا" ثمة صبي شاب يتبعها على ظهر حمار، ورجل كان قد لفَّ رأسه مخافة برد الصباح يكون اليوم قد حصل على حقوقه كاملة. ولن يمضي وقت طويل حتى يُعرض رمل بحر للبيع لاحتياجات المطابخ بصوت ذي نبرة شاكية: "رَمل"، "رَمل". ومع: "يا كَريم، يا عالِي" يتم مدح مانح الخبز. في حين أن نداءات "سُخْن" تشير إلى قلائد خبز السمسم ("كَعك بسِمسِم") المُعدّ للفطور، وها هي قد أتت طازجة من الفرن [على شكل قلائد أي حلقات]. مطر ضعيف كان قد هطل في 20 تشرين الأول/ أكتوبر، وفي 1 تشرين الثاني/ نوفمبر تبعته أولى زخات المطر. إذًا يتعلق الأمر بصباح خريفي في الفترة الانتقالية إلى المطر المبكر.

حين يظهر ضوء النهار ("يِفضِ النهار")، يبدأ الصباح ("صُبح"، بالعبرية "بوقِر")؛ ليشمل وقت ما قبل الظهيرة أيضًا، ويعبّر عن نفسه باستخدام تحية الصباح المعتادة من منتصف الليل: "صَبّحَك بالخير": "عسى (الله) أن يجعل صباحك في خير وسعادة!". الرد: "يا صَباح الخير"، أو: "يِسعِد صَباحَك"، "عساه أن يُبارك صباحك!" [وتستمر هذه التحية] حتى الظهيرة. ومباشرة بعد ذلك، تحل تحية المساء، وهو ما يُذَكِّر ببنية أيام خلق العالم من مساء وصباح (التكوين 1:5 وما يلي).

طعام إفطار متواضع جدًا ("فُطور"، "صَبوح")، وهو ليس وجبة احتفالية عند الفلاحين والبدو، بل مجرد مرطب صغير قوامه بعض الخبز مع أي إضافة أخرى، ويتم تناوله بعد طلوع الشمس قبل البدء بالعمل. وفي أبو قَمْحة على حدود فلسطين الشمالية، تدعى هذه الوجبة الخفيفة، "تَرويقة"، وهي تختلف عن الفطور الذي يتم تناوله في الحقل قبل ساعة من الظهيرة. فالمرء يأكل في الصباح وفي المساء، وهذا ما يفترضه التكوين (27:49) والملوك الأول (6:17). والجامعة (16:10 وما يلي). أما الوجبة المبكرة فهي غير محبذة،

ربما لأن البعض يبدأ يومه بوجبة حقيقية، والتي وفقًا للترجوم تحصل في الساعة الرابعة بعد أضحية الصباح. ويذكر سفر القضاة (5:19) "لقمة خبز" يتناولها المرء قبل السفر. وقد أكل الحاخام يوحنان في الكنيس صباحًا قطع الخبز التي بقيت من المساء السابق[48]. ويذكُر تقليد يهودي الساعة الرابعة على أنها وقت طعام الناس العاديين، والخامسة وقت طعام العمال[49]، إلا أن المقصود هنا ربما كان وجبة الطعام الرئيسة الأولى، كما يحصل حين يُفترض توفر وجبتين للسبت وعيد العُرُش[50]. وعوضًا عن ذلك، إذا تناول المرء وجبة خفيفة في الصباح، فهذا ما لا يتم أخذه في الحسبان. ويذكر ترجوم شني [الثاني] عن أستير (8:3) جدول الأعمال اليومي لليهود: الساعة الواحدة: "شِمَع"، الساعة الثانية: صلاة، الساعة الثالثة: تناول الخبز، الساعة الرابعة: حمد الرب على الخبز والماء، الساعة الخامسة: خروج (للشراء على سبيل المثال)، الساعة السادسة: عودة. ولذلك يتم هنا ذكر وجبة خفيفة للساعة الثالثة، وهي ربما كانت "خبز الصباح" (بالعبرية "بَت شَحَريت") التي سبق ذكرها[51]. وحين يُردّد قول مأثور النصيحة التالية[52]: "كُل مبكرًا في الصيف بسبب الحر، وفي الشتاء بسبب البرد!"، فهو يشير إلى وجبة الغداء الرئيسة.

في أي حال، يبدأ يوم عمل الفلاح خلال موسم الحرث والحصاد مع طلوع الشمس (المزامير 22:104 وما يلي). وفي حال الرعاة، تبدأ القطعان بالتململ والضجر قبل ذلك بساعة، وتبدأ بالانتشار في محيط حظيرتها ("نَشرِت الدِبَش"). وحين تطلع الشمس يسرح الراعي بقطيعه إلى المرعى ("سَرحِة الغَنَم")[53].

---

(48) j. Sanh. 26^{b}.

(49) B. Sabb. 10^{a}, Pes. 12^{b}; يُقارن ص 634؛ و Krauß, *Talmudische Archäologie*, vol. 3, pp. 27 ff.

(50) Sabb. XVI 2, Sukk. II 6.

(51) b. Bab. mez. 107^{b}.

(52) b. Pes. 112^{a}, Bab. k. 92^{b}, Bab. mez. 107^{b}.

(53) Stephan, *JPOS*, vol. 2, p. 167.

وفي الوقت الذي لا تُحتسب أولى ساعات الصباح وفقًا لظهور الشمس، يبدأ الصباح المتأخر، بالعربية "الضحى"، عند حلول الساعة الثالثة، في حين أن عبارة "ضُحَى" و"ضَحوِة"، ليست معتادة. وعن الناس الذين يخرجون إلى عملهم في مثل هذا الوقت، يُقال: "ضحّو ومِشيُ"، أي: "ذهبوا في الضحى أي في الصباح المتأخر". وهذا الوقت يجري احتسابه حوالى ساعتين قبل الظهر، وبعدئذ يتحدث المرء عن "الصباح المتأخر العالي" "الضحى العالي". وفي هذا الوقت تكون الشمس قد تموضعت في كبد السماء "ارتفعت الشمس في برج السما"، وللمرء أسبابه للقول في الصيف: "شوبت الدنيا"، أي: "أصبح الجو حارًا". وفي هذا الوقت يقدر الفلاحون الظل حق قدره، فمن لا عمل له أو بسبب كبر سنه أو مَن صار غير قادر على أعمال الحقل أو البيدر، يجلس في ظل البيت يتبادل أطراف الحديث أو يلعب السيجة. والرعاة يقودون قطعانهم إلى الماء، حيث يقيلون ("قَيلة") المذكورة افتراضيًا في حزقيال (7:1) أيضًا، ويُطلق عليها "تَقيّلِة الرِعيان": "قيلولة الرعاة"[54]. وربما يكون هناك ظلٌّ في أوقات ما بعد الظهر أيضًا، ولكنه يكون قد بات حتى الظل حارًا، ولذلك يفضل الناس البقاء في البيت. وإلى هنا تنتمي فترة تحديد الوقت التوراتية الخاصة بِـ"سخونة الشمس" (بالعبرية "حُوم هشيْمِش"). وحتى هذا الوقت، وبشكل غريب، يترك نحميا أبواب القدس مغلقة (نحميا 3:7)، وفي هذا الوقت ذاب المن في الصحراء (الخروج 21:16)[55]، وشاؤول وعد أهل يايش أن الخلاص سيأتي في هذا الوقت (صموئيل الأول 9:11). وقبل الظهر تلقّى ولد امرأة من شونم ضربة شمس (الملوك الثاني 4: 19 ومايلي). وتأتي لاحقًا الفترة الأكثر حرارة من النهار، بحيث يصبح مسموحًا استخدام التعبير العبري في أوقات ما بعد الظهر أيضًا،

---

(54) Ibid.

يُقارن أعلاه، ص 531.

(55) هناك خلاف في شأن هل يحصل ذلك قبل الظهر بساعتين أو في وقت الظهر،

Ber. R. 48 (100^a), j. Ber. 7^b, b. 27^a;

يُقارن:

Targ. Jer. I

عن الخروج 21:16.

كما حصل في التكوين (1:18) وصموئيل الثاني (5:4)[56]. وثمة وقت محدد بشكل أكثر دقة يناظر هذه الحقائق تقدمه معلومات حاخام فلسطيني[57]، فيقول: بعد أربع ساعات من طلوع الشمس تصبح الشمس حارة والظل معتدلًا، في حين أن في الساعة السادسة، أي ظهرًا، يصبح كلاهما حارًا. وهناك خلاف على الفترة الأكثر حرارة من السنة، إذ يتعلق الخلاف بساعات اليوم الأكثر حرارة وهل تبدأ مع نهاية الساعة الرابعة أو بداية الساعة السادسة، وتنتهي مع بداية الساعة التاسعة أو نهايتها[58]. وقد سبق أن جرى التعرض في ص 473 إلى مسألة البحث عن ملاذ من حر اليوم في بيوت المدينة. ويفضل الفلاحون في بيوتهم التي لا نوافذ لها تبعًا لتقليد موغل في القدم، وجود كوة مقابلة للباب مسدودة في الشتاء، ولكنها تُترك مفتوحة في الصيف كي تتيح مع الباب المفتوح تيارًا هوائيًا.

وإلى نهاية "الضحى"، حوالى الساعة 11، تعود صلاة الضحى غير الرسمية للمسلمين. وقد مدد اليهود المفهوم الشعائري للصباح في ما يتعلق بتلاوة "شِمَع" (يُنظر أعلاه) حتى ثلاث ساعات بعد طلوع الشمس، لأن أولاد الملوك لا يستيقظون قبل هذا الوقت[59]. فالحد الأقصى لصلاة الصباح كان أربع ساعات بعد طلوع الشمس أو حتى الظهر[60]. وقد كان هناك دائمًا مَن يؤدي صلاة الصبح بانتظام في الساعة الثالثة[61] كما فعل تلاميذ المسيح في عيد الشعانين (أعمال الرسل 15:2)[62]. وبشكل استثنائي، يمكن أن تُقدم الأضحية الصباحية في الساعة الرابعة من اليوم.

---

(56) يُقارن أعلاه، ص 475، 483.

(57) J. Ber. 7[b], b. Ber. 27[a], Ber. R. 48 (100[a]), Mech,

عن الخروج: 21:16.

(50[a]), Targ. Jer. I

عن الخروج:16 :21.

(58) Ech. R. 1, 3 (27[b]),

يُقارن أعلاه، ص 484، 499.

(59) Ber. I 2.

(60) Ber. IV 1.

(61) j. Ber. 7[b].

(62) Eduj. VI 1, j. Ber. 7[b].

3. الظهر

يتم تحديد الوقت الأخير قبل الظهر (بالعربية "ضُهر" [بالضاد]، بالعبرية "تصُهُرَيم") عند العرب على أساس صلته بالظهر. فيقال: "قَريب للضُهر"، أي: "إنه وقت الظهر تقريبًا"، ويجري التعرف إلى الوقت بناءً على اختفاء الظل (ص 596). والمقصود هو التحول الذي يقوم به الظل من الظهر فصاعدًا، حين يُسمي أحدهم الساعة بعد منتصف النهار "دورة الظل" أو "دورة الشمس"[63]؛ ذلك أن وقت الظهر ذاته يُسمى "حومِة الغراب" أي "دورة الغراب"[64]، وهو الوقت الذي تصبح فيه الغربان قلقة مضطربة، وهذا ما لم ألاحظه. وفي هذا الوقت يقال عن الشمس بصفة خاصة (يُقارن ص 502): "تخطف النظر وتَسْلُق العيون وتحرق الواحد"، أو "تعمي النظر وتغلي العيون وتحرق الإنسان". كذلك يشدد الحاخامون على أن من أول أيام الصيف (تقوفات تموز) لا يكون ثمة ظل (ظهرًا)[65]. لقد كانوا يتصورون أن الشمس في هذا الوقت ولمدة ساعة - أي نصف ساعة قبل الظهر وبعده - "تأتي إلى العالم المسكون حيث تقف فوق رأس كل إنسان"[66]. وعن سيطرة عفريت وقت الظهيرة، يُنظر ص 484.

هناك صلاة ظهر ("صلاة الظهر") حقيقية في الإسلام. وبحسب أعمال الرسل (9:10)، يبدو أن يهودًا أدوا الصلاة عند منتصف الظهر. ولكن ذلك ليس معروفًا كترتيب رسمي. وحين يُشير سفر المزامير (18:55) إلى المساء والصباح والظهر كمواعيد صلاة، فهذا لا يعني إلا أن ناظم المزامير يشكو ويطلب أن تملأ الصلاة اليوم بأكمله. ويستنتج المدراش من ذلك ثلاث

---

(63) Stephan, *JPOS*, vol. 2, p. 167.

(64) Ibid.

(65) Ber. R. 6 (12a), Midr. The. 19, 7;

يُقارن:

j. Ber. 7b,

والذي بموجبه ينطبق على جميع أوقات الظهيرة. يُقارن ص 481.

(66) b. Pes. 94a.

صلوات، إلا أن صلاة الظهر تُستبدل بصلاة العصر(67). وفي المقابل ربما تشتمل صلوات دانيال اليومية الثلاث (دانيال 6:11) على صلاة ظهر. وخلافًا لما هو في الإسلام، لا يتم الإعلان رسميًا عن مواعيد الصلاة اليهودية، ولم تكن منظمة بشكل صارم، كما يبدو ذلك لدى شورر (Schürer)(68). فقد استندت الصلاة في الأصل إلى الرغبة في إحاطة أجزاء اليوم بهالة من القداسة من خلال الصلاة، كما يُصرح بذلك شموئيل بار نحمان(69)، ولكنها تأثرت بالرغبة في مرافقة موعدَي اليوم المخصصين لتقديم الأضاحي بالصلاة(70)، وأخيرًا بواجب تلاوة "شمع" مرتين في اليوم (ص 605)، والتي رُبطت الصلوات بها أصلًا. فأضحية بعد الظهر جذبت صلاة الظهر نحوها، ولأن ما يسمى بِـ"المنحا الكبيرة" [صلاة العصر المبكرة لدى اليهود] بدأت نصف ساعة بعد الظهر(71)، أمكن جمع وقتها إلى الظهر. وقد نصح معلم فلسطيني أن يؤدي المرء صلاة العصر سلفًا إذا لم تبدأ وجبة الظهر بعد ست ساعات بعد الصباح، أي ظهرًا(72)، حتى لا تفوته.

إن وجبة الغداء ("غَدَا") عند أهل المدن غالبًا ما تكون الوجبة الرئيسة، ومن أجلها يتم الطبخ. وفي الريف وعند البدو يأكل الناس شيئًا ما ظهرًا، يكون في العادة بقايا وجبة العشاء الأخيرة، هذا إن لم يُتناول خبز مع إضافة نوع ما في الحقل؛ ذلك أن عريقي الأصل يتناولون وجبة غداء، وهذا ما يفترضه التكوين (43:16.25)، كذلك الأمر عند طوبيا (2:1)، يُقارن 4. وتفترض وجبة الغداء هذه التي يمكن تناولها قبل الظهر، حالما تُذكر وجبتي طعام يوميتين في الشريعة

(67) Midr. Teh. 55, 18,

يُقارن:

Bem. R. 2 (4[b]), j. Ber. 7[a]

(68) *Gesch. d. jüd. Volkes*[4], vol. 2, p. 350,

ولكن يُنظر:

Dalman, *PRE*[3], vol. 3, pp. 9ff.; Elbogen, *Der jüd. Gottesdienst*, pp. 14ff., 98ff.; Billerbeck, *Kommentar zu Apg.*, 10, 9.

(69) j. Ber. 7[b].

(70) Ibid.

(71) b. Ber. 26[b].

(72) j. Ber. 7[b].

اليهودية (ص 608)؛ فالتقليد اليهودي يتحدث عن أن الملك مردوخ اعتاد تناول الطعام في الساعة السادسة (ظهرًا)[73]. وعن داود سمعنا أنه، إذا كان وحيدًا، يأكل (منذ الظهر فصاعدًا) حتى الساعة التاسعة، وإذا كان ثمة ملوك إلى مأدبته، أكل حتى المساء[74]. وهذا يعني وجبة رئيسة ظهرًا تستغرق مدة غير معروفة. وهناك تصور في شأن الرب هو أن جزءًا من عمله اليومي تزويد العالم بالطعام من الساعة السادسة حتى الساعة التاسعة، ثم اللعب مع لوياثان [وحش بحري، توراتي، تنين] من الساعة التاسعة حتى الساعة الثانية عشرة[75]. وهذا يفترض أن وجبة الطعام اليومية المعتادة هي وجبة الظهر. كما أن رؤية بطرس إلى الساعة السادسة، إذا أراد أن يأكل شيئًا ما (أعمال الرسل 10:9 وما يلي)، تتضمن وجبة في الظهر. والـ *αριστον* كوجبة ظهيرة، يمكن دعوة الضيوف إليها، هي مسألة معروفة في متّى (22:4)، لوقا (11:37 وما يلي، 14:12)، والتي أصبحت جزءًا من الاستخدام اللغوي الفلسطيني الآرامي، باستلهام الكلمة اليونانية[76]. مثل هذه الوجبة (*αριστον*) التي يمكن، تحت ظروف معينة، أن تحصل باكرًا جدًا، كما في يوحنا (21:12.15)، حيث السمك هو بقية السمك الذي كان قد ابتيع في روما من أجل *αριστον* الخاصة بالسبت[77]. وفي ترجوم شِني عن أستير (3:8)، يبدو أن وجبة طعام من السميد قد حددت في ساعة اليوم السابعة[78]. وهذا كله يمكن اعتباره تقليدًا حضريًا تعرض لتأثيرات يونانية ورومانية. أما في ما يتعلق بالريف والقرويين، فيفترض سفر راعوث (3:14)، أن هناك وجبة من الخبز والخل والحبوب المشوية عند جني المحصول في الحقل، وليس وجبة مطبوخة، خاصة أن وقتها كان في منتصف النهار، لأن الجني يجب أن يستمر بعد ذلك.

---

(73) Schir R. 3, 1 (37ᵇ), Est. R. 3 (10ᵇ), Pestik. 2 (13ᵃf.).

(74) Ech. R. 2, 19 (49ᵃ),

يُقارن:

j. Ber. 2ᵈ.

(75) b. Ab. z. 3ᵇ.

(76) j. Ber. 7ᵇ, Sanh. 21ᶜ, 23ᶜ, Ber. R. 11 (22ᵃ).

(77) Ber. R. 11 (22ᵃ).

(78) إلا أن النص والتفسير غير موثوقين، وإلا يُقارن ص 608. وينتهي جدول أعمال اليوم الذي يعرضه الترجوم في الساعة السابعة.

وهناك ما يكفي من الأسباب لافتراض أن عادات مماثلة لدى الفلاحين والبدو المعاصرين كانت موجودة أيضًا في الأزمنة القديمة، لأنها تماثل الوضع.

4. بعد الظهر

مباشرة بعد الظهيرة يبدأ، بالنسبة إلى العربي، المساء ("مَسا"، بالعبرية "عيرِب")، على الرغم من أن المتعارف عليه هو احتساب ساعة واحدة لوقت الظهيرة. فمباشرة بعد الظهيرة يلقي الفلاح التحية قائلًا: "مَسّيك بالخير": "مساء الخير!" والجواب: "يا مَسَاء الخير"، أو: "يِسعِد مَساك": "أسعد الله مساءك!" كذلك: "ميت مَسَا": "مئة مساء!" وتسري هذه التحية حتى منتصف الليل، حين يتحول المرء رأسًا إلى تحية الصباح. ويستخدم أهل المدن طوال اليوم عبارتهم: "نهارك سَعيد": "ليكن نهارك سعيدًا!" والجواب: "سعيد ومبارك!" ويُطلق المرء على الساعات الثلاث أو الأربع الأولى بعد الظهيرة التسمية الخاصة "الظهر الماسِ" [الذي يمسي]: "الظهر المسائي"، أو "بعد الظهر". ويتحدث المسلمون عن الوقت بين الصلاتين "بين الصَلَاتين"، بين صلاتَي الظهر والعصر.

يقول العبري في الساعات الأولى بعد الظهر: "يأفل النهار" (يُقارن "عَد نِطوت ها يوم"، القضاة 8:19)، حيث للتعبير صلة بانحدار الشمس. ولاحقًا، عند غروب الشمس، يحين موعد "تحول اليوم" (يُقارن "بانا هيوم" إرميا 4:6) وموعد "تحول المساء" (التكوين 62:24؛ التثنية 12:23) الذي يفترض أن النهار أوشك على التحول إلى المساء، والمساء إلى الليل، ولذلك يُترجم سعديا التثنية (12:23): "عِند اتِّجاءت الليل": "عند إقبال الليل". وحين يُشير التكوين (63:24) إلى العصر[79]، فذلك لأن الصلاة التي من أجلها، كما ورد في الترجوم[80]، ذهب إسحق إلى الخلاء، يفترض أنها كانت صلاة العصر. ونحويًا،

---

(79) Pirke R. Eliezer 16.

(80) يُنظر أيضًا: Ber. R. 60 (127^b)، ويعتبر يتسحاق هو الذي أمر بصلاة العصر: j. Ber. 7^a, b. Ber. 26^b، مدراش أجدا عن التكوين 63:24.

في المجال السرياني واليهودي – الآرامي، شكل المرء اسم "بَنيا" الذي يرد في التراجم الفلسطينية (إرميا 1؛ سفر اللاويين 16:7؛ التثنية 7:6؛ 19:11، حيث تم توسيع نطاق التعبير، بما له صلة بالتزام صلاة "شِمَع"، حتى موعد النوم).

في حوالى الساعة الثالثة تقريبًا يبدأ العصر، ويستمر حتى غروب الشمس تقريبًا، ويُناظر وقت المساء المبكر عندنا [عند الألمان]. ويميز المرء بين "عَصر" مبكر، "عصر البدري"، والعصر المسائي "عصر الماسي"، حيث الحد الفاصل بينهما قرابة الساعة الرابعة بعد الظهر. ويحسب أهل المدن وقت العصرية الذي يبدأ حوالى الساعة الرابعة، يعقبها بعد الساعة الخامسة "لِعْصَير": "العصر الصغير"[81]. ووفقًا للأحكام الشافعية، يبدأ وقت صلاة العصر حين يبلغ ظل شيء ما طوله مطروحًا منه الظل الذي طرحه عند الظهر[82]. وهذه طريقة مألوفة للفلاح الفلسطيني لمعرفة الوقت (يُقارن ص 596)، مع أني لم أسمع أن أحدهم، مستخدمًا هذه الطريقة، قام بإجراء حسابات دقيقة. وبشكل عام يبقى العامل الحاسم هو طول الظل واتجاهه. وبعد الظهر المتأخر يقول المرء: "الفيّ مال": "الظل يميل"، كما يرد في إرميا (4:6) (يُقارن المزامير 12:102؛ 23:109): "نهاية اليوم اقتربت، ظلال المساء أَفِلَتْ (بالعبرية "يِنّاطو")". ويستند "الأفول" إلى فكرة أن الظلال تقف ظهرًا بشكل عمودي، ثم بعد ذلك تنحدر [يتطاول ظلها حتى الزوال] بشكل مستمر نحو الأرض. وإذا حصل ذلك بشكل كلي، حينئذ يكون اليوم قد انتهى، كما يُفترض في المزامير (12:102؛ 23:109). أكثر من مراقبته للظل، يرقب المرء الشمس. "الشمس تدلّت للغروب": "انحدرت الشمس إلى الغروب"، هذا ما يقوله المرء في وقت العصر حين تكون الشمس قد أتمت تقريبًا نصف انحدارها. ثم لا يلبث أن يقال: "ضايل (= "فاضِل") مِسّاس": "لم يبق غير مقدار عصا الفدان [المنساس] تفصل (الشمس عن الأفق)". حينئذ يكون قد حان الوقت لوقف العمل في الحقل، كي يكون المرء في البيت مع غروب الشمس. وقبل غروب الشمس

---

(81) Stephan, *JPOS*, vol. 2, p. 127.

(82) Lane, *Manners and Customs*, vol. 1,

أدناه، كلمة "عصر".

بنصف ساعة، على الرعاة عدم نسيان أن عليهم إعادة قطعانهم إلى حظائرها، فقد حان وقت "تَرويحة الغنم": "عودة[83] الماشية إلى البيت" أو "تَرويحة السُرّاح" [الذين يسرحون بالغنم]، أي "عودة الرعاة والماشية إلى البيت"[84].

علاوة على تغير الضوء والظلّ، لا يمكن تجاهل التبدل في درجة حرارة بعد ظهر صيفي، خاصة أنه يضع حدًا لوقت الخلوة في برودة البيت (ص 473) وضجعة الظهيرة الإجبارية (ص 484 وما يليها)، متيحًا المزيد من حرية الحركة والنشاط المفرح. ويستخدم الفلاح الفلسطيني التعابير التالية لدرجات الحرارة السائدة من الظهيرة حتى المساء في مراحل مختلفة: "الدنيا شوب"، وباللهجة البدوية "الدنيا حَرّ": "الجو حار"؛ "الدنيا نار": "الجو حار ملتهب"؛ "الدنيا براد شويّ": "الجو برّد بعض الشيء"؛ "الدنيا صَبَا":[85] "الجو مُنعش"؛ "الدنيا بَرَدَت": "الجو أصبح باردًا "؛ "الدنيا سَقعَة"[86]. ودرجة الحرارة الأخيرة لا يتم الوصول إليها البتة في الصيف في ساعات ما بعد الظهر، وربما تحصل عند طلوع الشمس. "بِتبَرِّد الدنيا": "الجو أصبح باردًا باعتدال"، يقولها المرء حوالى الساعة الرابعة مرتاحًا، ولا يعجب من أن المدراش يوصي بعطلة من المدرسة في الشهر الأكثر حرارة من الساعة 10-2 أو 11-3 (ص 499، 609 وما يليها). يفتح المرء الآن مصاريع النوافذ المغلقة ويتجرأ على الخروج إلى العراء. وبرودة الهواء الكبيرة لا يحددها موضع الشمس المنخفض وحده، بل الهواء الغربي أيضًا (ص 511 وما يليها) الذي يبدأ بالهبوب في الصيف بعد الظهيرة مباشرة، ويكون على أشده حوالى الساعة الثالثة، وتحل في محل الهواء الذي سخنته الشمس نسمة أكثر رطوبة وبرودة. وهكذا يرد في التكوين (3:8): "ريح اليوم" (بالعبرية "رُوَح هيوم"، سعديا "بِحَرَكَة النِهار"، "عند حركة النهار")،

---

(83) يستند إلى فعل "رَوَّح" بمعنى "يترك، يغادر عائدًا إلى البيت".

(84) Stephan, *JPOS*, vol. 2, p. 167.

(85) لا يُستخدم التعبير من أجل الريح الشرقية التي تسمى في الأدبيات "صَبا" (ص 109، 113)، وليس من أجل ريح أبدًا، ولكن من أجل درجة حرارة كما تحصل في الصباح والمساء.

(86) تُلفظ بالقرب من القدس "سَقعَة" ("سِقعَة")، وليس "صَقعَة". والإنسان "سَقعان"، الماء "مسَقّع" "بارد". يُقارن "سَحَج" بالقياس إلى "صَحَج"، "سِدارِ" مقابل "صَدارِ"، و"صيّارة" في مقابل "سيّارة" "قطار".

وهو ما ينصح بالتمشي في الحديقة في الوقت نفسه من اليوم الذي ذهب فيه يتسحاق في التكوين (24:63) إلى الحقل "كي يتأمل" (بالعبرية "لاسوَح")، أو كما على المرء ربما قراءتها "أن يتمشى" ("لاشوط"). والتقليد اليهودي ينسب الحكم على آدم إلى تلك الساعة التي كان فيها الرب يتمشى في الجنة، يقصد هنا الساعة الحادية عشرة من اليوم(87)، أي الساعة الخامسة في المساء. ومن الجدير بالملاحظة أن تلك المحكمة حصلت حين كانت الريح الغربية تصبح باستمرار أكثر برودة، وهو ما يعني حكمًا مخففًا(88).

يبقى موضع شك معنى القول المأثور: "حتى يهب اليوم (بالعبرية "عَد شِي - يافوَح هيوم) وتفر الظلال" (نشيد الأنشاد 17:2؛ 6:4). ويترجمها سعديا: "اِلَى إن يَنبَسِط النِهار وَيَزول الظِلّ" ("تزول الظِلال")، "حتى يتمدد النهار، والظل يزول (الظلال تزول)". إذًا هو يفكر، كما هي حال أغلب المفسرين، في النهار، ومتأثر بلا شك بِـ"هروب الظلال" التي بها يُخلي الليل المكان للنهار. فهبوب النهار يتم حينئذ تفسيره، على سبيل المثال لدى هاوبت(89)، كنسيم بحر يهب في فلسطين وقتًا قصيرًا بعد الفجر. ولكن هذا لا ينسجم مع الحقائق(90)؛ ففلسطيني من المنطقة الجبلية سوف ينصرف تفكيره في الصباح الباكر إلى سطوع الضوء لا إلى ريح تهبّ. وحينئذ على المرء أن يفهم "يَفوَح" بمعنى رمزي أكثر من كونه سديم النهار الذي ينطلق لإجلاء ظلال الليل. وإذا لم يكن هناك بد من التفكير بظهور الريح، حينئذ لا يؤخذ في الاعتبار غير بعد الظهر، كما شدد على ذلك تيلو (Thilo) على خلفية تجربة فلسطينية(91). حينئذ سوف يعني هروب الظلال أنها تصبح أطول وأكثر سرعة، إلا إذا أحل المرء "ناسو" في محل "ناطو": "تتضاءل". فالهيام المشترك للحبيبين عليه أن يستمر حتى المساء.

---

(87) Vaj. R. 29 (78[b]), b. Sahn. 38[b], Pirke R. Eliezer 11, Pesikt. 150[b], Pes. Rabb. 46 (178[b]), Aboth de R. Nathan I 1, II 42, Midr. The. 92, 1.

(88) Ber. R. 19 (40[a]).

(89) Haupt, *Bibl. Liebeslieder*, p. 74.

(90) يُقارن ص 511 وما يليها.

(91) *Das Hohelied*, pp. 8ff.

لكن من الممكن أن يكون المقصود وقت البرودة المسائية لأنه الوقت الذي يسمح بهيام مشترك. وفي نشيد الأنشاد (12:1)؛ القضاة (2:16)؛ صموئيل الأول (22:1) لا تعني "عَدْ" حدًا زمنيًا فاصلًا، بل لحظة محددة، أي ليس "حتى"، ولكن "آنئذ، متى". وفي العربية المعاصرة فإن مثل هذا الاستخدام لِـ"تَ" (= "حَتّى") شائع جدًا. فيقال: "روح للبيذَر تَ يُضرُب الهَوَا"، أي: "إذهب إلى البيدر حين تهب الريح!" أو: "بِدّنَ نِركَب تَ ييجُ الخيل"، أي: "نريد أن نركب حين تأتي الخيل". وبهذه الطريقة نفسها فإن "لِروَح هيوم" و"عَد يافوَح هيوم" متطابقتان في المعنى.

وتناظر صلاة "العصر" عند المسلمين صلاة الـ **مِنحا** عند اليهود التي تعقب تقديم الذبيحة المسائية في الهيكل (بالعبرية "مِنحَات هعيرِف" الملوك الثاني (15:16)، "تاميد شِل- لِبين هاعَربَييم" (Jom. VII 3)، كما يفترض أصلًا عزرا (4:9 وما يلي)، ودانيال (21:9). وقد حدد التعبير التوراتي "بين هاعَربَيِم" "بين المساءين" (الخروج 39:29؛ العدد 4:28) وقت تقديم الذبيحة. وقد ساد الاعتقاد أن ذلك قابل للتطبيق من ساعة اليوم السادسة فصاعدًا(92)، لكن واقع هو الأمر أن الذبح كان يحصل في العادة حوالى الثامنة وثلاثين دقيقة (= الثانية وثلاثين دقيقة بعد الظهر)، والتقدمة في التاسعة وثلاثين دقيقة (= الثالثة وثلاثين دقيقة بعد الظهر)(93). إلا أنه اعتبر في عداد الممكن القيام بإرجاع الذبح إلى السادسة وثلاثين دقيقة (= الثانية عشرة وثلاثين دقيقة)، بحيث اعتبر الزمن بين الثانية عشرة وثلاثين دقيقة والثالثة وثلاثين دقيقة متماشيًا مع الأحكام. ووفقًا للتلمود الفلسطيني(94)، كان يُفترض أن يحصل الأول بين المساءين في اللحظة

---

(92) Mech. Bo 5 (5ᵇf), Mech. de R. Sh. b. Yoch,

عن إشعيا 6:12 (ص 10)،

j. Pes. 31ᶜ f.,

يُقارن:

Siphre Num 143 (53ᵇ), Midr. Tann.

عن العدد 4:28 (ص 190 وما يليها).

(93) Pes. V 1.

(94) j. Pes. 31ᵈ.

التي تبدأ فيها الشمس بالانحدار، أي مباشرة بعد الظهيرة، والثاني حين تكون الشمس قد أكملت انحدارها، أي عند غروب الشمس. وكل ذبيحة تقدم بين الحدين الزمنيين هي حلال ("كاشير")، إلا أن الوقت الأفضل للتقدمة هو بينهما في الوسط. "قَسِّم بين المساءين وامنح الذبيحة ساعتين ونصف الساعة قبل، وساعتين ونصف الساعة بعد، وساعة من أجل القيام بذلك". وهذا يُسفر عن 2.5-3.5 ساعات بعد الظهر كوقت طبيعي. لكن كتاب اليوبيلات (49:10-12) الذي كثيرًا ما يختلف عن التقليد التوراتي يُحسب بشكل آخر. ووفقًا له، يبدأ الوقت "بين المساءين" بالثلث الثالث من اليوم (أي في الساعة الثانية بعد الظهر)، لأن ثلثين من اليوم ممنوحان للضوء، وثلثًا للمساء، بطريقة أن [ثلاثة أثلاث، أي] ثلثًا للصباح، وثلثًا للظهر، وثلثًا للمساء، وبالتالي يكون المساء الأول في الساعة الثانية، والثاني في الساعة السادسة. وبحسب يوسيفوس، كان يتم تقديم ذبيحة المساء حوالى الساعة الثالثة بعد الظهر[95]. أما ذبيحة عيد الفصح، تصادف في الوقت نفسه، فكانت تُذبح بين الساعة الثالثة والساعة الخامسة[96]. ووقت الصلاة الوارد في أعمال الرسل (3:1؛ 10:3.30) يكون في الساعة التاسعة ويفترض أن الترتيب نفسه ينطبق على الذبيحة. وبحسب التقليد القانوني اليهودي، فإن ذبيحة عيد الفصح التي هي في حد ذاتها شرعية من الظهيرة فصاعدًا[97]، تُدفع لأسباب عملية إلى خلف ذبيحة المساء التي تحصل في الوقت نفسه، بحيث تقدم ساعة أبكر، وعشية السبت ساعتين أبكر عما هو معتاد لمنح الذبح الخاص بعيد الفصح بعض الحيز[98]، والذي من جهته يُذبح عادة في الهيكل من الساعة الثانية وثلاثين دقيقة فصاعدًا، وعشية السبت من الساعة الواحدة وثلاثين دقيقة فصاعدًا حتى غروب الشمس.

---

(95) Ant. XIV 4:3.

(96) Bell. Jud. VI 9:3.

(97) Mech., Bo 5 (Ausg. Weiß 7^{b}), Siphra, Emor 11 (100^{b}), Midr. Tann,

عن التثنية 16:6،

j. Pes. 31^{c}.

(98) pes. V 1.

بناء على ترتيب الذبح هذا، يميز تقليد فلسطيني قديم بين "مِنحا كبيرة (أو مبكرة)"، تبدأ في الساعة الثانية عشرة وثلاثين دقيقة بعد الظهر، و"منحا صغيرة (أو متأخرة)" تبدأ من الساعة الثالثة وثلاثين دقيقة بعد الظهر فصاعدًا. ويُفترض أن يكون ذبح المساء قد أُنجز في منتصف المنحا الصغيرة، أي في الساعة الخامسة إلا الربع. ولهذا السبب يجب إكمال الصلاة ذات الصلة بهذا الذبح في هذا الوقت[99]. ولا يعني هذا الأمر أن إقامة الصلاة يجب أن تكون متأخرة جدًا. إن خطة عمل قديمة للاحتفال بعيد العُرُش في الهيكل[100] تَعرِضُ للتسلسل التالي الذي يبدأ بساعة اليوم الأولى: ذبيحة الصباح، صلاة الصباح، ذبيحة العيد، صلاة العيد، مدرسة، أكل وشرب، صلاة منحا، ذبيحة المساء. وبناء عليه، فإن الصلاة في الهيكل قد حصلت، على الأقل في الأعياد، قبل ذبيحة المساء. وفي أونكيلوس في التكوين (27:49)، يتم استخدام "بنيا" لوقت ذبيحة المساء، وهو ما يتوافق مع الاستخدام البابلي- اليهودي والسرياني لهذه الكلمة لبعد الظهر المتأخر. وهذا يعود إلى حقيقة أن ما كان مقصودًا هنا هو الوقت منذ انقلاب النهار فصاعدًا[101].

بعد ما قيل في ص 613 وما يليها عن الإدراك العربي لِـ"مسا" [مساء]، وخاصة لِـ"عصر" و"اِعصير"، فإن التفسير المفترض لتعبير "بين مساءين" لا يمكن أن يظهر في حد ذاته غريبًا. وبالنسبة إلى اليونانيين[102]، فإن أوقات بعد الظهر المبكر والمتأخر (*οειλη οψιη و οειλη πρωιη*)، هي متوازيات متناظرة. وبالاستناد إلى التثنية (6:16)، حيث ذبيحة عيد الفصح (يجب أن تُذبح في المساء عند غروب الشمس")، على المرء أن يستنتج أن تقليدًا أكثر قدمًا قد نفذ ذبح عيد الفصح عند الغروب. إلا أن هذا لا يُثبت شيئًا في

(99) Ber. IV 1, Tos. Ber. III 1, b. Ber. 26b.

(100) b. Sukk. 53a.

(101) Mech. de R. Schim. b. Yoch, عن التكوين 6:12 (ص 10)، j. Pes. 31d, يُقارن أعلاه، ص 613 وما يليها.

(102) *Herodotus* VIII 6, 9.

ما يتعلق بعبارة "بين المساءين"، التي تعود إلى شعيرة متأخرة ربما تفترض متطلبات من مقدسٍ أكبر. والسامريون اليوم ربطوا هذين المساءين بشكل وثيق بغروب الشمس، بحيث يدركون المساء الأول انطلاقًا من تحول الشمس إلى اللون الأصفر، والثاني من اختفاء اللون الأحمر من مكان الغروب. وهم يعتقدون أن الوسط بين هذين الوقتين يطابق دقيقتين بعد غروب الشمس[103]. وهي محاولة كي يُجمع بهذه الطريقة غروب الشمس في التثنية (6:16) مع الوقت بين هذين المسائين، قد تكون قد وقفت خلف ذلك، على الرغم من أن المُنجّى (Munagga) السامري يستخدم شكلًا آخر من إقامة الحجة[104].

إن الوقت الفلسطيني "عِم دِمدومي حَمّا" ينتمي، على ما يبدو، إلى وقت ما قبل غروب الشمس بقليل، والذي كثيرًا ما يُستخدم[105]، لكنه كشرح يُرفض للتعبير عن "بين هعربيم"[106]. وفي بابل قيل إن عبارة "بين هعربيم" لم تكن تُستخدم في فلسطين كطريقة لتحديد وقت الصلاة، لأنه يمكن ببساطة شديدة تفويتها[107]. ويجب أن تكون قريبة جدًا من غروب الشمس، لأنها وُصلت بالسبت[108]. وبناء عليه، تكون العبارة قد أشارت إلى لون الشمس قبل غروبها، وهو ما يذكره السامريون أيضًا، وهو ما يذكره حكم إسلامي خاص بصلاة العصر حين يقول إن وقتها ينقضي حين تتحول الشمس إلى حمراء ("اِحمِرار الشِمس")، فالشمس تظهر "مثل ذرة خردل من دم" حين غروبها[109].

---

(103) Dalman, *PJB* (1912), p. 123;

غير دقيق،

Whiting, *Samaritanernas Paskfest*, p. 35,

من الوسط بين غروب الشمس وبداية الظلام.

(104) Wreschner, *Samaritan. Traditionen*, pp. 26f.

(105) j. Ber. 7b, Ter. 46a, Maaser. 51b, Pes. 36b, b. Sabb. 118b.

(106) Mech. Bo 5 (5b), j. Pes. 31c.

(107) b. Ber. 29b.

(108) Ber. R. 11 (23a), 79 (170b).

(109) Vaj. R. 31 (86a).

5. غروب الشمس

حين تكون السماء صافية يتمتع غروب الشمس في المنطقة الجبلية من فلسطين بطبيعة فريدة خاصة. فقحولة البلاد وافتقارها إلى اللون يجعلان ما يظهر من لون في السماء عظيمًا بشكل خاص. وفي بعض الأحيان، خاصة في الربيع والخريف، ينتشر ضوء أحمر بقوة مميزة عبر السماء الغربية، ويصب فوق المنحدرات الجبلية الصخرية التي تبرز بشكل حاد مقابل الأودية القاتمة الواقعة أصلًا في الظل. وربما، بشكل أكثر تكرارًا، ينتشر اصفرار ذهبي في الأفق قبل الغروب وبعده، وفوق الأفق تتحول السماء إلى الأخضر ثم إلى الأرزق. وكما تعكس سماء الغرب والمرتفعات الغربية في الصباح ألوان سماء الشرق (يُنظر ص 603)، تقدم سماء الشرق في المساء مشهدًا مماثلًا وأكثر عظمة، لأن المرء انطلاقًا من القدس يحظى بمشهد أوسع، ويجد، بشكل خاص في انحدار هضبة شرق الأردن، شيئًا نظيرًا بعيدًا يفتقده في الغرب. لقد شاهدته المرة تلو الأخرى بالاغتباط نفسه، ومثل هذه التجربة وصفتُها في 18 أيلول/ سبتمبر 1921 في **كتاب فلسطين السنوي** (*Palästinajahrbuch*, 1921, S. 11ff). وهنا صورة من النوع ذاته استمتعتُ بها في 10 كانون الأول/ ديسمبر 1908 من مرتفع "الحَدَبة" فوق العيزرية.

كانت السماء صافية بلا غيوم، والهواء بلا سديم، وكان في الإمكان متابعة أطراف السلسلة الجبلية للمنطقة الشرقية في الجنوب بأكملها حتى منطقة "الجبال" في مملكة إدوم السابقة، حيث تختفي خلف الجبال الحنوبية لصحراء يهودا. في الساعة الرابعة وستٍّ وثلاثين دقيقة كان غروب الشمس في القدس، وفي الساعة الرابعة وأربعين دقيقة انتشرت ظلال المساء من سلسلة جبل الزيتون نزولًا إلى الغور أمام مرتفعات المجموعة التالية للمنحدر إلى غور الأردن. وقد طرحت أشعة شمس ساطعة بريقًا أحمر ذهبيًا على قمة "المنطار" الواسعة في الجنوب الشرقي، وعلى التل الأعلى المتخذ شكل لوح لمجموعة "اِكتيف" في غور الأردن. وتبدو على نهايتها الشمالية طريق أريحا وهي ترتقي عاليًا إلى جانب مرتفعات ضاربة إلى الحمرة. وكان ضوء الغروب لا يزال على الجبال

التي تُغلِق الأفق في الشمال على تل "العاصور"، الذي، على مقربة من قرية "الطيبة"، تضيء نجمة على الجرف نحو غور الأردن. والغور ذاته غطاه أصلًا ظل الأرض الغربية، إلا أن منحدر الأرض الشرقية توهّج بأكمله في حمرة رقيقة تخترقه أشرطة رمادية أرجوانية من خلال الأودية والشعاب التي تقطعه. وعلى إصبع سلسلة الجبل يتحول اللون الأحمر إلى أرجواني داكن تبرز أمامه صفحة البحر الميت الزرقاء الفاتحة بشكل واضح. ونهايته الشمالية، والذي يحيط المرء هنا بكامل قوسه، تحظى بلمعان باهت مثل الفضة غير اللامعة.

إلا أن ظلال المنطقة الغربية ترتفع؛ فبعد ست دقائق كانت قد وصلت إلى وسط الجبال. ومعها يصعد الأرجواني ويدفع باللون الوردي للجبال نحو قممها التي أضحت الآن مضاءة بشكل ساطع. وفي الوسط، أي في صحراء جنوب الضفة الغربية، تكون جميع الأضواء خامدة. إلا أن ضوء النهار الذي لا يزال متبقيًا يجعل التعرف إلى التفصيلات كافة ممكنًا. طيّات وادٍ مسفوع تخترق قتامة الأرض المقفرة. دقيقتان بعد ذلك كانت "النِجمة" قد خبت. على الجانب الآخر تلألأ "النبي يوشع" من أرض جلعاد مرة أخرى بلون أحمر حادٍ. دقيقتان أخريان بعد ذلك كان الظل قد ابتلع قمة مؤاب. إلا أن الأحمر الذي لوَّنَها استمر بالتراجع في السماء الشرقية. في الساعة الرابعة واثنتين وخمسين دقيقة، و"العاصور" في الشمال مظلم أيضًا، وهذا يعني غروب الشمس في الغرب، والتي من موضعي كانت قد غابت. ظلٌّ دخل بين الجبال الشرقية واللون الأحمر المتقهقر سريعًا في السماء. إن الليل آتٍ. وبشكل أرحب فأرحب تُفصل أطراف الجبل الذي أصبح مظلمًا عن الانعكاس المتبدد لظلمة أول الليل. بعد مرور عشر دقائق أخرى يكون اللون الأحمر قد اختفى من السماء الشرقية واتجه نحو الجنوب. الجبال في الشرق أصبحت بلا لمعان. أزرق غامق يغطي طياتها.

في الخامسة وخمس عشرة دقيقة قطعتُ جبل الزيتون في طريق عودتي إلى المدينة. الأسوار المسننة للطرف الأقصى للقدس، التي صعدت نحو الغرب مثل مدرج، سَمَتْ نحو اللون البرتقالي المتألق للسماء الشرقية. المدينة ذاتها وقعت في الظل. دخان رقيق أبيض تصاعد من وادي المدينة. نور صباح بازغ

تسكّع على الأرضية المرصوفة التي تومض لونًا رماديًا وأرجوانيًا عند المصطبة العليا لحائط المبكى [الحائط الغربي للحرم القدسي]. قبة الصخرة انتصبت هناك مظلمة، وأشجار سروِها علت بسوادها. وفي الأسفل يتثاءب عابسًا وادي الجوز بأشجار زيتونه. القباب البصلية الذهبية لكنيسة مريم المجدلية الروسية فوق الجثمانية، والتي تُعتبر خلال النهار استثناء. يشع الضوء على منحدر جبل الزيتون الرمادي الضارب إلى البياض، وتشكل باللمعان الذهبي للسماء الغربية المعكوس عليها نقطة البؤرة الأخيرة لضوء الشمس المتوارية جراء هجوم الليل. بالتناغم مع ألوان المشهد الطبيعي المسائي. ضجيج المدينة المتواضع لا يتغلغل إلينا هنا في الأعلى. أجزاء غير واضحة من دعوات الصلاة الصادرة من المآذن. الهتافات المسائية للحامية التركية للباديشاه [لقب السلطان - فارسية] والموسيقى الصاخبة التي تسبقها، إضافة إلى أجراس المساء للأديرة والكنائس تدوي في الهواء الساكن. أضواء تومض بشكل عشوائي هنا وهناك تعلن أن الليل قد أرخى سدوله على المدينة. إلا أن بارقة نور أخيرة من ضوء الصباح تتريث فوق قبة الصعود، لتنطلق من هناك في اتجاه السماء.

حان الوقت للإسراع في العودة إلى البيت. حين تغيب الشمس في الساعة السادسة، تكون الدنيا ليلًا في الساعة السابعة، والنجوم قد طلعت في السماء. الضوء في السماء الغربية، البرتقالي أو أحمر اللون، والذي وقف ذات مرة في 30 آب/ أغسطس كلهب بعيد في سماء المساء المظلم، أصبح في هذا الوقت شاحبًا. يتقلص حجمه حتى يصبح، بعد ذلك بربع ساعة، غير قابل للإدراك إلا كضباب باهت. في هذا الوقت كان ظلام الليل قد هبط على المشهد الطبيعي. في السابعة وثلاثين دقيقة كان الوميض المنبعث من الغرب قد وهن، على الرغم من أن السماء الغربية لا تزال أكثر سطوعًا من السماء الشرقية. ولكن، من هناك كان في الإمكان رؤية جميع النجوم الأكثر سطوعًا. ولو كان الوقت قد حان، لكانت فينوس [الزهرة] في السماء كنجمة مساء، ولكن لا تُراعى لا كخلف للشمس ولا كبشير بها (ص 597). وتتحدث الشريعة اليهودية عن أن "كوخَبتا" (فينوس) على خلفية لمعانها الساطع، يجب ألا تُشمل بعملية مراقبة النجوم الثلاث التي تُعدّ علامة مؤكدة على بداية الليل،

مع بدء السبت ونهايته وفق قانون السبت[110]؛ ذلك أن السماء الشرقية لم يتم تجاهلها في الماضي، وهو ما يبدو للمواطن المقدسي مستحيلًا، وهذا ما يبينه الحكم القائل إن الدنيا "نهار" ما دامت السماء الشرقية حمراء، وأن الوقت هو "بين الشموس" ("بين هشِماشوت") حين تصبح السماء شاحبة، ويصبح الوقت "ليل" حين يُظلم بحيث إن الجزء العلوي من السماء ما عاد قابلًا للتمييز بينه وبين الجزء السفلي[111].

وبحسب مشاهداتي في 4 تشرين الأول/أكتوبر 1908، حين غابت الشمس في الساعة الخامسة وواحد وعشرين دقيقة في القدس، وفق حسابات شوخ في برلين – شتيغلتس، وبحسب الوقت الأوروبي الشرقي المتبع هناك، كان القمر قد أرسل ظلالًا في الساعة السادسة وفي الساعة السادسة وخمس عشرة دقيقة كان الليل مرصعًا تمامًا بالنجوم. الشفق المدني [تعبير دارج في علم الفلك يقصد به الوقت الواقع مباشرة قبل طلوع الشمس أو بعد غروبها، حيث تقف الشمس، كحد أعلى، عند 6^{0} أسفل الأفق] الذي به ينتهي ضوء النهار، تبلغ مدته، وفق شوخ، في هذا اليوم في القدس 31 دقيقة، وفي برلين 43 دقيقة، في حين تبلغ مدة الشفق الفلكي [الوقت الواقع قبل أو بعد الشفق البحري، حيث تقع الشمس، كحد أعلى، 18^{0} أسفل الأفق، فلا يعود الأفق مرئيًا، في حين تصبح جميع النجوم قابلة للرؤية] حتى حدود الشفق، في القدس 75 دقيقة، وفي برلين 102 دقيقة. وقد احتُسب كلاهما من لحظة اختفاء حافة الشمس العليا وراء الأفق. وتبعًا لذلك، فإن ضوء النهار يجب أن يكون قد انتهى في هذا اليوم في القدس في الساعة الخامسة وواحد وخمسين دقيقة، والشفق في الساعة السادسة وست وثلاثين دقيقة، في حين أن هذا الأمر

---

(110) j. Ber. 2b;

قراءة في طبعة البندقية، وفي:

Ginzberg, *Jerushalmi Fragments*, vol. 1, p. 1.

يُنظر أيضًا:

Luncz, *Talmud Jeruschalmi* (Jerusalem 1908),

من أجل هذا المقطع.

(111) J. Ber. 2b, b. Sabb. 34b.

يفترض به أن يكون قد خبا في الساعة 7:3 في برلين. إلا أن الفارق ربما كان أكبر بكثير في وقت الانقلاب الصيفي، حين يبلغ الشفق المدني في برلين 61 دقيقة، والشفق الفلكي سوف يستمر طوال الليل. وفي القدس سوف يبلغ الشفق المدني 35 دقيقة والفلكي 93 دقيقة. والأمور تختلف خلال الانقلاب الشتوي في 22 كانون الأول/ ديسمبر. ففي القدس تستمر فترات الشفق 34 و84 دقيقة، وفي برلين 52 و120 دقيقة. هذه فوارق كبيرة، والتي سوف تسري بالطبع على الصباح، وتعني أن النهار والليل في القدس كينونتان يتميز بعضهما من بعض بشكل حادٍ جدًا أكثر مما هي الحال في بلدنا [ألمانيا].

بالنسبة إلى العربي، فإن "السفار" هو الوقت الذي يستبق مباشرة غروب الشمس. ويُقال إن على المرء ألا يشرب ماءً إذا أراد تجنب الإصابة بالجرثومة التي تؤدي إلى موت مفاجئ ("حزما"). وفي هذا الوقت يُفترض بالموتى الذهاب إلى الينابيع لإحضار الماء منها. ومن يخيط في هذا الوقت، يثقب بكل غرزة جراب ماء أحد أقربائه الأقربين الذي يستريح في قبره (بيت جالا). وعلى المرأة في مثل هذا الوقت ألا تخيط أو تلوك[112]، لأن: "اِلِّ بِتخيِّط وِلِّ بِتلوق بالمَغرِب بِتخيِّط وبِتلوق لَحمِة الأموات"، أي: "من تخيط وتلوك عند الغروب، تخيط وتلوك لحم الأموات (أي لحم أقربائها الأقربين)". وعلى ما يبدو أن غروب الشمس، حين تهبط الشمس إلى العالم السفلي، هو الوقت الذي يصعد فيه الأموات إلى العالم العلوي. ويحسن المرء صنعًا إذا لم يتسبب لهم بالأذى. كما يؤمن التقليد اليهودي بأن أرواح الأموات عند غروب الشمس تُقاد إلى حقل وجدول من أجل الأكل والشرب. وبناء عليه فمن يشرب ماءً "بين الشموس" (ص 628 وما يليها) يسرقه من أمواته[113].

(112) يتعلق الأمر عند الفلاحين بمضغٍ متكرر لنوعٍ من البخور ("لِبان")، والذي يصل إلى القرى من يافا. ويستخدم أهل المدن Mastix ("مستكى") [مسكة]. يُقارن أعلاه، ص 542. وفي الريف يستخدم المرء كلمة "لاك" "مضغ"، وفي المدينة "مَضَغ"، حيث تُسمى المادة التي تُمضغ "مَضَغة".

(113) Midr. the.,

عن المزامير 11:7.

وعلى غروب الشمس يُطلق العربي "غِياب الشِمس"[114]، وفي ذهنه الهبوط المرئي للشمس إلى أسفل الأفق، والذي يُقال عنه: "تِغطُس الشِمس". وبالنسبة إلى الوقت بعد الغروب، يُستخدم تعبير "الغِياب". فيقال كعبارة متعارفة: "مِن طَلعَة الشِمس لَغيبتْها"، أي: "من شروق الشمس إلى مغيبها"، أي طوال اليوم. إلا أن التسمية المعتادة لوقت الغروب هي "المَغرِب"، والساعات قبل وبعد ما يتم عدها وفقًا لذلك: "قَبل أو بعد المَغرِب بِساعة"، أي: "ساعة قبل أو بعد غروب الشمس". "الدِنيَا المَغرِب"، أي: "الوقت حوالى غروب الشمس"، ولكن: "الدِنيَا غِياب"، "الشمس بِتغيب": "الشمس تغيب". ولا يُقال أبدًا: "غَرَبت الشمس" بدلًا من "غابت الشمس"، و"بِتغَرِّب الشمس" سوف تعني "الشمس في الغرب". والوقت الذي يقع مباشرة بعد غروب الشمس يُدعى "الغَلَث"[115]. وعن ذلك يُقال: "أغلثت "الدنيا". إن غياب حرارة الشمس المشعة ذات الأهمية الكبيرة في فلسطين شحيحة الظل، تتسبب مباشرة بعد غروب الشمس بِقشعريرة، لأن الجسم لا يستطيع التكيف فورًا مع الظروف المتغيرة. ولذلك يحرص المرء في هذا الوقت على عدم الجلوس في العراء. وللأمر ما يبرره حين اعتبر قدماء العرب الوقت بعد غروب الشمس، إضافة إلى الوقت قبل طلوع الشمس، "وقتي البرد" ("البَراداني" أو "الأبرَداني").

في هذا الوقت يريد كل امرئ أن يكون في ظل سقف خاص به أو سقف مُضيف، حتى لو كان ذلك ليس أكثر من سقفٍ من شعر ماعز لخيمة بدوي، فيسرع كي يستبق هبوط الليل. وبكلمات تحذير: "غابَت الشِمِس"، يُدفع الماشي أو الراكب إلى الإسراع، حتى في منتصف ساعات ما بعد الظهر. وبذلك يستطيع المرء القيام بمحاولة لثني ذلك الذي يود أن يسير فترة أطول عن عزمه، كما يحصل في لوقا (24:29)[116]، لأن المرء لا يريد تارة تعريض

(114) يعني غروب الشمس، بالنسبة إلى العبري، "الدخول في" (بالعبرية "بو"، على سبيل المثال الخروج 17:12)، وشروقها 'الخروج من' (بالعبرية "يتصا"، على سبيل المثال التكوين 19:23) أو الظهور (بالعبرية "زرح"). أما فكرة مبيت تقوم الشمس بالخروج منه في الصباح، فيستند إلى المزامير 19:5 وما يلي.

(115) في بعض الأماكن يُقال "غلَس"، المعروفة في الأدبيات كونها اسم الجزء الأخير من الليل.

(116) Dalman, *Orte und Wege Jesu*[3], p. 244.

نفسه وحيواناته للتغير في درجة الحرارة الذي يتبع مباشرة غروب الشمس (يُنظر أعلاه)، فضلًا عن توقه إلى وجبة طعام افتقدها في أثناء النهار، كما أنه يخاف من أن يعترضه أحد ويسلبه وينهبه بالقوة، حيث يشكل الظلام والعزلة المترتبة عليه فرصة لذلك. وبشكل خاص يتنبه المرء إلى الطرق الضيقة والحجرية التي يمكن بسهولة إضاعتها والتعرض للأذى. وفي حال امتد الطريق فوق وادٍ عبر منطقة صخرية، حينئذ قد ينزلق ("زَحلَق") المرء بسهولة ويسقط من المنحدر الحاد إلى الأسفل. وفي حال كان ثمة حجر في الطريق، حينئذ سترتطم قدم المرء به ("اندَقم")، وهو ما يتسبب بألم شديد أو حتى جرح لأصابع القدم غير المحمية (هذا إذا لم يكن أصلًا قد تعثر ("دَعثر")، وهذا ما حصل لي)، فيُقال نتيجة لذلك التوى قدمه ("انصدع")، وقع ("وَقَع"). إن الدنو الحذر في خطوات متقاربة ("دَبدَب")، أو تلمس الطريق ("طورَش"، "طابَش") مثل الضرير، لا ينفع كثيرًا؛ ففي هذه الحال ترى الحيوانات بشكل أفضل من الإنسان، ومن هنا يُنصح بالبقاء على ظهر الحصان بدلًا من السير. وفي نزول ليلي في وادي الموجب شديد الانحدار تسبب عدم العمل بهذا الإجراء الوقائي بإصابة أحد مرافقيَ بالتواء في اليد وآخر في القدم. ولم تؤخذ في الاعتبار إمكانية السقوط في حوض غير مكشوف، والذي كاد أن يحدث ذات مرة لزوجتي، لولا أن حمارها لم يجفل، فنزلت عنه ورأت في ضوء القمر ماءً يلمع في العمق. وهنا المرادفات التوراتية التي استُخدمت كاستعارات كثيرة. زلت القدم (بالعبرية "ماط"، المزامير 17:38، سعديا "مال")، يرتطم (بالعبرية "ناجف"، المزامير 12:91، سعديا "صَدَم")، تعثر (بالعبرية "كاشل"، إشعيا 27:5، سعديا "أثر")، يسقط (بالعبرية "نَفَل"، المزامير 2:27، سعديا المزامير 7:57 "وَقع")، تحت ظروف معينة في حفرة (المزامير 16:7؛ 7:57). ويمكن أن يتلمس المرء باليد طريقه كالأعمى (بالعبرية "مِشّيش" التثنية 29:28، سعديا "جَسَّس")، من دون الوصول مع ذلك إلى الهدف. ومن هنا العظة (يوحنا: 9:11 وما يلي): "من يمشي في النهار لا يتعثر، لأنه يرى نور هذا العالم. ولكن من يمشي في الليل يتعثر". والتحذير: سيروا ما دام لكم النور، حتى لا يدرككم الظلام" (يوحنا

35:12). ووفق المدراش عن المزامير (2:27)[117]، فإن الكافر يشبه "شخصًا يسير في ليل وظلام دامس. فإذا وقف في طريقه حجر، اصطدم به، وإذا وقفت في طريقه حفرة، وقع فيها". إلا أن الظلام هو وقت الحيوانات البرية أيضًا (المزامير 104:20 وما يلي). وعندما خرجتُ ذات مرة مساءً، صرخ الناس بي: "بوكلَك الضَبع": "ستأكلك الضباع".

وحين تكون السماء صافية، يكون الطريق لمن اعتاده لا يزال قابلًا للتعرف إليه، ولكن لمن جهله، فلن يكون قادرًا على رؤيته. ونادرًا ما توجد غابة كثيفة يمكنها تعتيم الطريق. ولكن لا يُفتقر إلى شعاب صخرية بارتفاع متر، وأودية ضيقة حيث يكمن في ظلامها خطر حقيقي ينذر باعتداء قد يقع. "وحتى حين أسير في وادي الظلمات، فإني لا أخشى شرًا"، وهو ما يقوله ذلك الذي يسير إلى جانبه ويحمل عصا متينة (المزامير 23:4).

الحل المرضي الوحيد عند الخروج ليلًا بعد هبوط الظلام هو حمل مصباح ("فانوس") كبير مزود بقنديل يعمل على النفط، والذي طلبته ذات مرة على جبل الزيتون في طريق عودتي من أريحا (ص 502). إن شعلة ("مِشعَل") مثل تلك التي تُستخدم في مواكب الأعراس كانت ستقدم الخدمة نفسها. ومثل هذه الشعلة تمثل عمود النار عند الارتحال في الصحراء (الخروج 13:21 وما يلي). أما الصورة المستخدمة في المزامير (119:105) والمتعلقة بمصباح للقدم والضوء للسبيل (كذلك مصابيح الفتيات العشر، متى 25:1 وما يلي) تحتاج إلى تفسير آثاري لمصباح الزيت الذي استُخدم (بالعبرية "نير"، سعديا المزامير 18:29 "سِراج"). إلا أن الفلسطيني يمكنه بسهولة فهم ذلك بنفسه؛ فهي الوسيلة الوحيدة الآمنة للحفاظ على السبيل الصحيح والوصول إلى المكان المقصود في ظلام الليل.

على القانون الحاخامي ولأسباب عديدة أن يحدد، لأغراض شعائرية، متى يبدأ الليل. فالتلاوة المسائية لصلاة "شِمع"، أي صلاة المساء (لا تؤخذ

---

(117) هكذا أيضًا:
Pes. R. 8 (30[a]), Shem R. 36 (90[b]).

هنا جميع الأحكام الشرعية في االحسبان)[118]، في بداية السبت ونهايته، وفي يوم الغفران، وكذلك الدنس ومدته "حتى المساء" (سفر اللاويين 24:11 وما يلي)[119]، وذلك كله يتطلب مثل هذه المعرفة. وبالنسبة إلى الدنس، يشكل غروب الشمس (بالعبرية "هَعريب شيْمِش")، وفق سفر اللاويين (7:22)، الحد الفاصل[120] للسبت، ويعتبر حاسمًا ظهور النجوم كأضواء تميز النور من الظلام (التكوين 18:1)؛ فنجمة مرئية واحدة ربما كانت لا تزال تنتمي إلى النهار، ونجمتان ربما تركتا القرار محل شك، ولكن مع النجمة الثالثة، شريطة ألا تكون نجمة الصبح، يكون الليل قد هبط[121]. وكتدبير احتراسي، تُستثنى النجوم التي تُرى في النهار. وربما لا بد من ذكر أن هناك أناسًا تدرك عيونهم الحادة النجوم فعلًا خلال النهار، كما يُزَعم اليوم عن أفراد من البدو. ويحدد حساب قديم[122] وقت غياب الشمس حتى ظهور النجوم مدة طريق من 4 إلى 6 أميال (= 6 أو 7.5 كم)، أي 1–1.5 ساعة. وفي هذه الحال يجب اعتبار الظهور الكامل للنجوم في السماء أن الليل دهمها.

وعلى صلة باستعراض بداية السبت[123]، وقضايا الطهارة[124]، ومواعيد الصلاة[125]، يظهر مفهوم "بين هشِماشوت" أي "بين الشموس" الذي يعني فترة زمنية قصيرة بعد غياب الشمس، ولكن في الاستعمال الشعبي لم يكن واضحًا

---

(118) Ber. IV 1, j. Ber. 7[b].

(119) يُقارن:

Kel. XVIII 7, XIX 5, Ohal. I 1 ff.

(120) Siphre, Shemini (53[c]), Emor (96[d]);

يُقارن:

Chall. I 9, Bikk. II 1, Shek. VIII 4, The. I 1, 3, j. Sabb. 5[b],

حيث "هَعريب شيْمش" هو التعبير التقني.

(121) j. Ber. 2[b], b. Ber. 2[b].

(122) B. Pes. 94[a],

يُقارن:

j. Ber. 2[c], Ber. R. 50 (107[a])

(123) Dem. I 4, Sabb. XIX 5, Kerit. IV 2, b. Sabb. 34[b].

(124) Zab. I 6.

(125) j. Ber. 2[b].

إلى ذلك الحد، بحيث أن نطاقه كان معروفًا بشكل مؤكد. فهو يعني بالتأكيد شفق المساء الذي باختفائه تكون الشمس قد أتمت غروبها. وثمة رأي يقول إن الأمر يتعلق بلحظة واحدة، وآخر يعتقد أنه يستمر مسافة طريق طولها نصف ميل (= ¾ كم)، أي حوالى تسع دقائق[126]. ومن الصحيح أن في فلسطين، حين تكون السماء صافية، كثيرًا ما يتولد انطباع لدى المرء أن مع غياب الشمس تُعتم السماء دفعة واحدة. ومن جهة أخرى، صحيح أن ضوء المساء، في ربع الساعة الأولى بعد غروب الشمس على الأقل، لا يزال يشع بشكل ساطع في السماء، ويضيء جوانب البيوت والأشجار التي تواجهها. كما أن الوصف الوارد في ص 623 للسماء الشرقية في المساء يشير إلى الفترة الزمنية نفسها التي يشملها هذا التعبير. وإلى هذه المدة القصيرة ينتمي طرد آدم من الجنة الذي حدث "بين الشموس"[127]، إضافة إلى خلق جميع أنواع الأشياء التي تقع خارج نطاق النظام الطبيعي[128]، والتي يُعد من ضمنها قانون يسوع المسيح واسمه[129]. وعلى ما يبدو، فإن السامريين ربطوا تصورهم لمعنى "بين هعَرَبيم" التوراتية (ص 619) بتعبير "بين الشموس" الذي يستخدمه الترجوم (على سبيل المثال سفر اللاويين 5:23)، على الرغم من أنهم، لا يريدون الانحراف عن التفسير القديم الذي يقدمه سعديا من خلال "بين الغِروبينِ" أي "بين غروبي الشمس". إلا أن التعبير التوراتي لا يمكن أن يعني مثل هذه الفترة الزمنية القصيرة؛ فتعبير "عند مغيب الشمس" سيكون حينئذ قد أدى الغرض على أكمل وجه. وكان سيجري اكتساب فترة طويلة، لو اعتبر المرء مع ابن عزرا (عن الخروج 6:12)، أن الاختفاء الأخير لكل ضوء من السماء الغربية هو غروب ثانٍ للشمس. حينئذ يمكن مقارنة التعبير العربي "العِشاءن": "المسآن"، والذي يشمل موعد غروب الشمس ("المغرب") وإقبال الظلام

---

(126) j. Ber. 2b.

(127) Pirke R. Eliezer 11, 19.

(128) Ab. V 6, Ab. De R. Nathan II, Kap. 37, Pirke R. Eliezer 19.

(129) b. Pes. 54a.

("العتمة")[130]، وقد يصل إلى ساعة ونصف الساعة بما يكفي لتقديم أضحية المساء اليومية، والتي يخصِّص لها التقليد اليهودي ساعة واحدة. إلا أنها لن تكون كافية لذبح آلاف شياه عيد الفصح وتقديمها؛ فـ"أضحية المساء" ستكون، في واقع الأمر، أضحية ليل، وهو بالتأكيد لم يكن الأمر المقصود.

أما الـ"نيْشِف" المسائية الواردة في العهد القديم، فلا يجوز تحت أي ظرف من الظروف الشروع بها مبكرًا جدًا بعد غروب الشمس؛ ففي "نيْشف" هرب الأشوريون من معسكراتهم أمام أهالي السامرة، وفي "نيْشف" ذهب المصابون بالجذام إلى المكان المهجور (الملوك الثاني 7:5.7). ويريد الراوي التشديد على أن الحدثين حصلا تحت غطاء الظلام. كذلك في الأمثال (7:9)، يخرج الفتى الشاب في مغامرة حين تكون قد أظلمت. وفي جميع الأحوال، يجب أن يتعلق الأمر ببداية الليل، ويجب أن تكون قد نُسبت الكلمة إلى "ظلام" لا إلى "البرودة" كما يفترض مؤلفو المعاجم. فكلمة "دَغشِة" العربية، والتي يتم استخدامها في العربية بلهجة شمال سوريا للتعبير عن ظلام الليل الأول[131] [دغوش الغياب]، ربما كانت نظيرتها، و"معتم" ربما كانت الترجمة الأكثر استخدامًا. أما "نِشبا" الآرامية في b. Ber. 3b، فقد أُخذت من نص الكتاب المقدس. والمعنى ذاته ينطبق على ترجوم أيوب (3:9؛ 24:15)، بحيث لا شيء يمكن اشتقاقه منه في ما يتعلق بفهم "نِيشِف".

6. الليل

الليل (بالعربية "ليل"، بالعبرية "لَيِل"، "لَيلا") هو متلازم النهار (بالعربية "نِهار"، بالعبرية "يوم"). وعند لامنس (Lammens)[132] هناك سلسلة من التعابير العربية الفصحى تشير إلى أجزاء من الليل وضعت وفق التسلسل الزمني التالي:

---

(130) هكذا وفق بطرس البستاني.

(131) بطرس البستاني، تُنظر كلمة دغشة.

(132) **فرائد اللغة**، المادة 558.

من الساعة

7-6	"شَفَق"	1-12	"زُلفة"، "غَلَس"
8-7	"غَسَق"، "عِشَا"	2-1	"بُهرة"
9-8	"عَتمة"	3-2	"سَحَر"، "بَلجة"
10-9	"سَدفة"	4-3	"فِجر"، "تَنوير"
11-10	"جَهمة"، "سَحَر"	5-4	"صُبح"
12-11	"زُلّة"، "ظُلّة"		

ويحدد بيرغرين[133] أوقات الليل التالية: "عِشا"، ساعة بعد مغيب الشمس. "مَسَا"، حتى 11 في المساء. "نُصف الليل"، منتصف الليل. "جوق"، حوالى ساعتين بعد منتصف الليل. "سِلام"، الساعة الثالثة فجرًا. "فِجر"، مطلع النهار. "وُجه الصُبح"، بين الليل وطلوع الشمس.

ويورد شتيفان[134]، وغالبًا من دون ذكر الأصل، السلسلة الشعبية التالية:

الساعة الأولى: "دورِة السراج": "دورة[135] [البحث عن] المصباح الصغير"، "ضوّي السراج": "إضاءة المصباح الصغير"، حوالى نصف ساعة بعد مغيب الشمس.

الساعة الثانية: (ساعة ونصف الساعة بعد مغيب الشمس): "العِشا"، وقت صلاة المغرب.

الساعة الثالثة: "العِشا"، "طعام العشاء"، متأخرًا إلى هذا الحد، لأن الخروف يجب إحضاره أولًا للضيف (هكذا في شرق الأردن).

---

(133) Berggren, *Guide francais-arabe vulgaire*,

أدناه، jour.

(134) *JPOS*, vol. 2, p. 166.

(135) على الأرجح: البحث عن.

الساعة الرابعة: "صيحة ديك الحَردانة": "صياح ديك المرأة الغاضبة" التي لم يرجع زوجها إلى البيت بعد.

الساعة الخامسة: بعد العَشَ بِ- عَشايين": "عشاءان بعد العشاء"، أو "عُقُب عَشايين: "بعد عشاءين" (شرق الأردن)، أو "صيحِة الديك الأول": "أول صياح للديك".

الساعة السادسة: "دورة الحَرامِي": "تجوال الحرامي".

الساعة السابعة: لم يُذكر أي تعبير.

الساعة الثامنة: "السحور": "فطور" رمضان.

الساعة التاسعة: "صيحة الديك" أو "أذان الديك": "صياح الديك" أو "أذان الديك".

الساعة العاشرة: "صُبح العِتمة": "الصباح المعتم".

الساعة الحادية عشرة: "المَصابيح": "أضواء الصباح"، أو "الدغشة"، "الفجر".

اختفى من اللغة الفلسطينية المتداولة ذلك التقسيم المعروف منذ الأزمنة التوراتية والتلمودية الخاص بتقسيم الليل إلى نوبات حراسة؛ فاحتساب الوقت بحسب غروب الشمس ومنتصف الليل وطلوع الشمس نحّى جانبًا هذه الطريقة القديمة في تقسيم الوقت، ربما لأن حراسة بوابات المدن المسوَّرة تحوّل من كونه مسألة محلية إلى مسألة حكومية. إن ضرورة إقامة حراسات لا تزال تُعتبر شيئًا مسلمًا به لكل فلسطيني عليه أن يمضي الليل في العراء بخيامه وأنعامه. وكلما كان قريبًا من القرى والبلدات، كانت الضرورة أكبر. حينئذ يتحدث الفلاح عن تعاقب "عُقبِة" توضع لنوبات حراسة بعض أفراد المجموعة المسافرة أو جميعها. ويستأجر المسافرون من أهل المدن بغية حماية مبيتهم حارسين ("سَهَرجية") من القرية أو البلدة الأقرب يقومان بطريقة ما بتقسيم الحراسة بينهما، وهو ما كنت أقوم به أيضًا للحصول في الوقت ذاته على فائدة تأمين مسؤولية ما من جانب القرية أيضًا.

في الأصل، عرفت الأزمنة التوراتية القديمة، استنادًا إلى القضاة (12:7)، حيث تُذكر النوبة الليلية الوسطى، ثلاث نوبات فقط (بالعبرية "أشمورت"، "أشمورا"، سعديا بالعربية "نوبَة"، الخروج 24:14). إلا أن متّى (25:14)، ومرقس (48:6)، يتحدثان عن نوبة رابعة، كذلك يفترض لوقا (38:12) وجود نوبة رابعة. وفي القرن الثالث بعد الميلاد ساد جدل عما إذا كان يجب عدّ ثلاث أم أربع نوبات[136]. ولأنه كان قد احتسب عددًا متساويًا من النوبات للنهار والليل[137]، يجب الافتراض أنها بدأت مع غروب الشمس واستمرت أربع أو ثلاث ساعات لكل منها. إنه تقسيم ثلاثي لليل والنهار يفترض يوبيل (12 و10:49) أن له صلة بتبديل الحراسات. وثمة علامة قديمة لتمييز نوبات الحراسة الليلية؛ ففي الأولى كانت الحمير تنهق، وفي الثانية، أي قبل منتصف الليل وبعده، تنبح الكلاب، وفي الثالثة تقوم المرأة بترضيع طفلها أو بالتحدث مع زوجها[138]. والملاحظة هذه صائبة فعلًا؛ فالحمير تنهق من حظائرها حين تدرك حميرًا أخرى. وكلاب الشوارع تصبح قلقة قرابة منتصف الليل خصوصًا في ضوء القمر، وتزعج النائمين بنباحها. والرضيع يطلب الرضاعة عند الصبح، والمشرقيون الذين يصحون مبكرًا يعودون مجددًا إلى أحاديثهم، كما يلاحظ المرء ذلك في المضارب وفي بيوت الفلاحين. إلا أن عليّ الاعتراف خلال رحلات التخييم التي قمتُ بها، أن نهيق الحمار الصباحي ترك انطباعًا أكبر لدي من نهيقه المسائي. ووفقًا لتصورات حاخامية، فقد اعتاد داود أن ينام حتى بداية نوبة الحراسة الليلية الوسطى، أي حتى ساعة الليل الرابعة، وعلى أبعد حد حتى منتصف الليل، ثم يكرس نفسه لدراسة الشريعة[139]. وهذا ما استدل

---

(136) Tos. Ber. I 3, Ech. R. 2, 19 (49[a]), j. Ber. 2[d], b. Ber. 3[b],

"النوبة الأولى" تستخدم في:

Ber. I 1, Jom. I 8,

كطريقة لتحديد الوقت، حيث يلاحظ المرء أنها تنتهي قبل منتصف الليل.

(137) j. Ber. 2[d].

(138) b. Ber. 3[a].

(139) Ech. R. 2, 19 (49[a]), Midr. Teh. and Yalk. Machiri,

عن المزامير 9:57، يُقارن:

Pesikt. 62[b] f., j. Ber. 2[d].

عليه من حقيقة أنه أراد في المزامير (9:57) إيقاظ الفجر بنشيده، ذلك أن الفجر لم يوقظه. وفي المزامير (62:119) أراد أن يقوم في منتصف الليل كي يحمد الرب، في حين أن الملوك عادة ينهضون في الساعة الثالثة من بعد ظهر اليوم. وقبل منتصف الليل، ومنذ نهاية النوبة الأولى فصاعدًا، يكون المذبح في الهيكل قد طُهِّر من أجل ذبيحة الصباح (Yom. I 8) خلال أعياد الحج. إنه منتصف الليل حين يعود رب البيت إلى بيته في نوبة الحراسة الثانية أو الثالثة ويجد عبيده في انتظاره (لوقا 38:12). وخلال النوبة الصباحية، أي في نهاية الليل، صرف الرب انتباهه إلى المصريين في البحر الأحمر (الخروج 24:14)، وهاجم شاؤول العمونيين وقد خيموا أمام يابيش [فوق جلعاد] (صموئيل الأول 11:11)، وساعد يسوع المريدين الذين كانوا في محنة في العاصفة (متى 25:14، مرقس 48:6). وفي ما يلي صورة شاملة للمراحل الفردية لليل، حيث سيُشار إلى التعابير العربية التي أضحت معروفة لدي من خلال التواصل مع الفلاحين الفلسطينيين. أما التعابير الخاصة بالجزء الأخير من الليل، أو الصباح، فقد سبقت الإشارة إليها تحت "صباح".

حوالى ساعة ونصف الساعة بعد غروب الشمس، يهبط الليل ويحتاج المرء إلى الضوء في البيت، والذي، حتى في بيت الفلاح، ما عاد مقتصرًا على مصباح الزيت الفخاري الصغير ("سِراج")، بل اشتمل أيضًا على مصباح نفطي بلا غطاء ("لمبة"، "قَنديل"). هذا هو وقت العَشاء، وبلهجة أهل المدن "عَشيِّة"، مختلفًا عن "عَشا"، أي طعام العشاء الذي يعود إلى هذا الوقت، والذي هو في بيت الفلاح وخيمة البدوي وجبة الطعام الرئيسة، حيث يُطبخُ دائمًا حتى لو اقتصر الأمر على زبدية من السميد، شريطة ألا يغيب عنها الخبز. وفي الخروج (27:49) والملوك الأول (6:17)، يُعتبر العشاء الأمر الطبيعي، وربما في الجامعة (16:10 وما يلي)، في حين يُعتبر الترجوم ساعة اليوم الرابعة هي الوقت الطبيعي، وبالتالي يفكر بوجبة صباحية متأخرة (ص 607 وما يليها). وفي البيدر راعوث (7.3:3) هناك وجبة عشاء لا يغيب عنها النبيذ. كذلك يبدو في المزامير (5:23) أن وجبة مع استمتاع بالنبيذ هي ما يُختتم به اليوم. عشاء مع نبيذ يوجد في معسكر الأشوريين (يهوذا 1:12، 9

وما يلي). وفي المساء تُحضَّر وجبة للضيف (التكوين 3:19). ويبدو أن هناك وجبة مع نبيذ في المساء (التكوين 30:26 وما يلي؛ صموئيل الأول 36:25 وما يلي). هكذا أولم بيلشاصر في المساء، وفق (دانيال 30:5). كذلك هيرود في المساء (يهوذا 1/ 4:17). وحين يتم في لوقا (12:14) حين تُذكر *δειπνον* إلى جانب *αριστον* كإمكانية ثانية، حينئذ يجب أن تكون الأخيرة وجبة عشاء. وبشكل خاص، فإن وجبة عيد الفصح الليلية (الخروج 8:12) هي شهادة قديمة على تقليد الوجبة المسائية، وهو ما يُفترض في لوقا (8:17)، ويوحنا (2:13) كونه عاديًا. وبالنسبة إلى السبت، فإن ثلاث وجبات تعتبر أمرًا عاديًا، الأولى عشية السبت، والثانية ظهرًا، والثالثة مساءً[140]. أما بخصوص عيد العُرُش فهناك وجبتان، واحدة نهارًا والأخرى ليلًا[141]. وبذلك يمكننا القول إن وجبة غذاء ووجبة عشاء كانتا الأمر المعتاد في العهد الروماني. ولا يفترض أن الأمر كان مختلفًا قبل ذلك. ولا يغير في الأمر شيئًا أن داود كان، وفقًا لتصورات لاحقة، يتناول وجبة ظهيرة تستمر حتى المساء في حال كانت رسمية، وإذا كانت خاصة، تستمر حتى الساعة التاسعة. وفي كلتا الحالتين، كان يُتبع الوجبة بنوم قصير ليلًا، وبالتالي لا وجبة عشاء[142].

ووجبات العشاء تعقبها سهرة (يُقارن يوحنا 14 وما يلي)، ينضم إليها الرجال دونما دعوة خاصة، على أن تجلس النساء في الخلف، عند الـ"شيخ"، أو في بيت ضيافة ("مِضافة") القرية أو العشيرة ("حمولة"). والقول المأثور التالي يُشير إلى النساء[143]: "أمسَ المِسا - وَتَساوت كُلّ النِسا"، أي: "جاء

---

(140) Sabb. XVI 2, Pea VIII 7;

يُقارن:

j. Sabb. 15ᵈ, b. Sabb. 117ᵇ f.

يُقارن ص 608.

(141) Sukk. II 6.

(142) Ech. R. 2, 19 (49ª).

(143) Berggren, *Guide*,

أدناه، Jour.

المساء، وتجمعت بلا تمييز جميع النساء". وهذا الترفيه المسائي ("تعليلة")(144) يعني تقصير النوم، ولذلك يُطلق المرء عليه "البقاء صاحيًا" ("سَهرة")، ويقول المرء: "نِسهر"، أي: "دعنا نبقى مستيقظين!". وفي مثل هذه المناسبات، قبل أي شيء، تُروى حكاية ما. رجل متقدم في السن يروي مثلًا تجربة عاشها. ولأن الناس يحبون التفصيلات الصغيرة وحشر كلام مباشر، كما نعرف ذلك من الروايات التوراتية، فإن حادثة بسيطة تملأ وقتًا لا بأس به. وفي حال اجتمع عدد كبير من الشبان، حينئذ يتم تنظيم ألعاب اجتماعية ومسرحيات مرتجلة وبألبسة تنكرية، ولا تخلو من الهزل والضحك. وقبل منتصف الليل يعود الجميع إلى البيت للنوم.

حين يكون الليل صافيًا، ومجرة درب التبانة ("طريق التِبّانة") تبرز بشكل حاد في السماء كما لو كانت قطارًا من الغيوم المضاءة، فلا يسود ظلام دامس أبدًا. وحين يظهر القمر كاملًا ("بِدْر")، وينشر ضوءًا نهاريًا تقريبًا فوق المشهد الطبيعي، ويصبح لليهودي سبب لذكر تمجيد الخالق(145) الإجباري عند رؤية الشمس والقمر والنجوم، وحتى لو رجع المرء إلى البيت قبل منتصف الليل، فلن يكون سكون الليل مطبقًا بالمطلق، لأن السمر على السطوح التي لجأ المرء إليها كأماكن للنوم ما برح مستمرًا. إن السير على الطرقات في ضوء القمر هو ترفيه ومسرة لشبان المدينة. ويقوم من بينهم من يتمتع بصوت جميل بغناء لحن حزين يتضمن الشوق إلى المحبوب وألم الفراق، أو أن يكتفي بترديد لازمة تتكرر على غرار "يا ليل": "آه ياليل" بلا نهاية وبشكل منوّع. وفي الاستراحات يرد المرافقون المستمعون بكلمة "آه" التي تتردد مثل الصدى. وتكون الشوارع أكثر هدوءًا حين تحجب سماء غائمة في الشتاء ضوء النجوم. حينئذ تحيط وحشة غريبة بذلك الذي يجرؤ على الخروج إلى الخلاء.

ما عدا ذلك، فإن المرء يعرف جيدًا أن "الغَفوة حِلوة"، أي: "الإغفاءة اللذيذة" تنتمي إلى تلك الساعات التي تسبق منتصف الليل، والتي تُسمى

(144) مِنْ "تعلّل" "تسلى".

(145) Vaj. R. 23 (62ª), b. Ber. 59ᵇ, j. Ber. 13ᵈ, Tos. Ber. VII 6.

نسبة إليها. وخلال الوقت، حين يبدأ العمل مبكرًا في الحقول وفي البيادر وفي البساتين، يصر المرء على أن هذا النوم دَين مستحق. وقد هاجم جدعون معسكر المديانيين (القضاة 7:19) لحظة هذا النوم الأكثر عمقًا. والاسم العربي[146] ذاته له حكاية قديمة، إذ إنه وفقًا للمدراش، قتل بيلشاصر "بِشاعة مِحَلِيَّة شِنتا": "في ساعة النوم الأكثر حلاوة"، حيث يجب أن يكون قد قصد، على النقيض من ساعة في نهاية الليل، الوقت في وسط الليل[147].

وبعد منتصف الليل ("نُصّ الليل")، كثيرًا ما يبدو نوم العرب قد أصبح قلقًا مثل نوم الدجاج؛ فالديوك تصيح أول مرة حوالى منتصف الليل، والبعض منها يعيد نداءه بدقة كبيرة ساعة بعد ساعة، كما لاحظتُ ذلك مع دجاجنا في القدس. وفي القرى، حيث لا يزال على المرأة أن تقوم بمهمة طحن القمح على المطحنة اليدوية، فهي تنتظر قدوم الإشارة من الديك، وتعد صيحاته: الصيحة الأولى ("أول صيحة") والثانية ("ثاني صيحة") يتم تجاهلهما. ولكن حين تنطلق الثالثة ("ثالث صيحة") يكون قد حان الوقت للجلوس إلى المطحنة التي يتردد صدى ضجتها الرتيب من بيت إلى بيت عبر الليل (يُقارن إرميا 10:25، رؤيا 22:18). وتطحن المرأة ليلًا لأن النهار يفتقر إلى الهدوء والوقت اللازم لذلك، ولأن برودة الليل تسهل العمل المرهق. وعلاوة على ذلك، ربما توافرت لها الفرصة للانشغال بعجين خبز اليوم التالي وإحماء الفرن. فمن نام في بيوت الفلاحين يعلم أن سكون الليل هناك لا يلبث أن يقترب من نهايته بعد منتصف الليل. ذلك أن صياح الديك يعلن يومًا جديدًا، فهذا هو الافتراض في كلمة يسوع عن إنكار بطرس "قبل أن يصيح الديك" (متّى 34:26، لوقا 34:22، يوحنا 38:13) أو "قبل أن يصيح الديك ثلاث مرات" (مرقس 30:14). وهذا يعني أن الإنكار حصل قبل بدء اليوم الجديد. وللسبب ذاته كان صياح الديك، في الشعائر اليهودية، الإشارة في الهيكل إلى تنقية المذبح من الرماد في الأيام العادية[148]، وإلى نهاية الاحتفال الليلي، وإلى بداية موكب الماء في

---

(146) ربما قصد المؤلف الاسم العبري، إذ إن ما يأتي بعده هو اقتباس من المدراش. (المحرر)

(147) Schir R. 3, 4 (37ᵇ).

(148) Jom. I 8.

عيد العُرُش(149)، وإلى بداية الصوم في يوم الصوم(150). وهنا يُفترض أن صياح الديك يحصل بين منتصف الليل ونهاية نوبة الحراسة الثانية، أي ربما عند الواحدة ليلًا(151). وثمة دعاء تبريك خاص خلال صياح الديك هو شكر الرب على منحه الديك القدرة على التمييز بين النهار والليل(152). وإذا سُمع في بداية السبت صياح الديك بعد غروب الشمس، فالسبت يكون قد بدأ أصلًا(153).

والخرافة أُلصقت بصياح الديك أيضًا؛ فالليلة قبل صياح الديك تُعتبر "وَحِش": "غريبة". ومن هناك فصاعدًا يعود الناس ليصبحوا لطيفي العشرة من جديد ("بِتوَنَّس الناس")، في حين كانوا قبل ذلك أناسًا ذوي نيات شريرة ويطوفون خفية (يُقارن "دورة الحَرامي" ص 631). وآخر شيء يود المرء القيام به هو المرور بمقبرة حتى لا تهاجمه الأشباح ("جانّ"). كما لا يلقي المرء التحية خوفًا من أن يكون الشخص عفريتًا، أو لسبب محدد: "فِ الليل مالِي صاحب"، أي: "ليس لي في الليل صديق"، وقد تكون الينابيع أحيانًا مقر العفاريت، ويحسن المرء صنيعًا إذا لم يزُرها ليلًا، لأنها تكون خطيرة في هذا الوقت(154). وفي "جِفنة" تسكن عفريتة تحمل اسم "عمورة" قرب ينبوع القرية. وقد رُوي لي أن امرأة من قرية عين يبرود غرفت ماء من هناك في ضوء القمر. وحين عادت فصعدت درج الينبوع وقد شمرت طرف ردائها والجرة المليئة بالماء على رأسها، نادت "عمورة" خلفها قائلة:

"يا شَامرة هالشمرة	يا ذات الرداء المشمور
في ضو الليل وقَمره	في ضوء الليل وقمره

(149) Sukk. V 4,

يُقارن:

j. Sukk. 55c, Schek. 48d, b. Jom 20b.

(150) j. Taan. 64c, b. Taan. 12a, Pes. 2b, Tos. Tos. Taan. I 6.

(151) Yom. I 8.

(152) b. Ber. 60b.

(153) j. Kil. 32b, Keth. 35a, Koh. R. 12 (106b).

(154) Kahle, *PJB* (1910), p. 93; Canaan, *Studies in Pal. Customs and Folklore*, vol. 2, pp. 10ff.

سِلمِ علَى أختِ عمرة سلامي إلى أختي عمرة
وقولي لهَا أخوك علاي الدين مات" وبلغيها أن أخاها علاء الدين مات

وفي البيت روت المرأة ما سمعت. ولكن هناك بالذات كانت تقيم روح "عمرة". ونتيجة للغضب الذي انتابها جراء سماع الخبر، رفعت الجرة المليئة التي كانت المرأة قد وضعتها أمام البيت عاليًا وألقت بها على الأرض محطمة إياها[155]. والروح ذاتها يفترض أن يكون أحدهم قد رآها في هيئة رجل يرتدي سترة من جلد الغنم ويشرب من النبع، حتى أن تلك الروح اختلطت كعروس مع العذارى الراقصات. وإلى العفاريت تعزى الكوابيس والسير في أثناء النوم[156].

ووفق المعلم البابلي شيلا، فإن المرء يعرّض نفسه لخطر الموت إذا خرج قبل صياح الديك. وقد طلب الفلسطيني يوشيا صياح الديك مرتين، وآخرون ثلاثة، كشرط مسبق. وهنا يشدد المرء على ضرورة كونه ديكًا عاديًا، لا مبكرًا ولا متأخرًا[157]. وقد فسر المعلق راشي هذا الحرص بخطر العفاريت الذي يدوم حتى صياح الديك. وتدلل على صحة ذلك خرافة فلسطينية قديمة[158] يعترف في سياقها العفريت شِمَدون[159] أنه لا يستطيع قتل طفلٍ كان قد ولد في الليل، لأن الديك كان قد صاح. وقد امتلكت خرافة ألمانية من القرون الوسطى التبرير ذاته لمنع مغادرة البيت ليلًا قبل صياح الديك[160].

إن هول ظلام الليل حين يكون دامسًا، أي دونما ضوء القمر والنجوم، معروف في العهد القديم؛ فقد تحدث سفر المزامير (5:91 ومايلي) عن

(155) خرافات مشابهة من أوروبا. يُنظر:
Mannhardt, *Wald- und Feldkulte*, vol. 1, pp. 90ff.

(156) Blackman, *The Fellahin of Upper Egypt*, p. 237.

(157) b. Jom. 21[a].

(158) Ber. R. 36 (72[a]f), Vaj. R. 5 (13[a]).

(159) الاسم له صلة بِأسموديس (أشمِدي) في طوبيا 17:3، شُكِّل بحسب ابّدون (رؤية 11:9). وإلا يقول المرء شَمدون.

(160) Hehn, *Kulturpflanzen und Haustiere*[2], pp. 331f.

رعب الليل، وعن الطاعون الأسود الذي يتسلل في الظلام، وتحدث أيوب (17:24) كذلك عن هول الظلام، ونشيد الأنشاد (8:3) عن الخوف في الليالي، والخروج (23:12) عن مهلك ليلي. كما أن الظلمة (الخروج 21:10 وما يلي) ليست هي البلاء ما قبل الأخير الذي أصاب المصريين لو لم يكن الأمر يتعلق بالخوف والهلع المرتبطين بالظلام، كما يروي ذلك بشكل واضح سفر الحكمة (1:17 وما يلي). كذلك في القرآن في سورة (113:1-3) [سورة الفلق] يعوذ المؤمن بِـ"رب الفجر" ("رَبّ الفَلَق") من "شر الليل المظلم حين يخيم" [ومن شر غاسق إذا وقب]. وخلف ذلك يقف، على الأقل في فلسطين الرومانية، الخوف من العفاريت، وهو ما تجلوه الحكمة (4:17). وبسبب العفاريت على المرء ألا يخرج وحيدًا في الليل، خاصة في يومي الأربعاء والسبت[161]، وعلى المرء ألا يلقي التحية على أحدٍ ليلًا خوفًا من أن يكون من يقابله عفريتًا[162]. وحين كان أحد الحاخامات يوزع الصدقات ليلًا، اشتكى كبير الأرواح من إزاحة الحدود[163]. وفي الليل تحكم أرواح الظلال ("طُلاني") من ترجوم نشيد الأنشاد (8:3، 6:4) والجامعة (5:2) وأرواح الليل ("ليلين") من ترجوم إشعيا (14:34) والمزامير (6:121). وهي هلع الليل في المزامير (5:91) ونشيد الأنشاد (8:3)[164] وربما كان نشيد الأنشاد (8:3) يتحدث حقًا عن حماية موكب العرس ضد العفاريت، وأن غيوم البخور في نشيد الأنشاد (6:3) تخدم الغاية نفسها، لأن الأرواح الشريرة تهرب من الدخان[165]. إن سكينًا أو أي شيء حديديّ يحمي المرأة النفساء من عفريتة الليل ليليث[166]. والمرء يستخدم اليوم البخور ضد شر العين في موكب العريس، وتحمل العروس سيفًا مجردًا أمام وجهها المحجبّ، وهو ما يقوم على خرافة مشابهة. وفي ليلة الفصح وحدها،

---

(161) b. Pes 112^{b}.

(162) b. Meg. 3^{a}.

(163) j. Pea 21^{b}, Schek. 49^{b}.

(164) Mid. Teh. to Ps. 91:5, Shir R. 3, 8 (41^{a}), Shem. R. 30 (76^{a}), Bem. R. 11 (80^{b}f.), 12 (87^{b}).

(165) Tob. 8, 2, Targ. Ezek 4:6.

(166) Bischoff, *Babylonisch-Astrales im Weltbilde des Talmud und Midrasch*, p. 145.

"ليلة الحفظ" (الخروج 42:12) تُقدم لليهود حماية من العفاريت[167]، على الرغم من أن إجراءات وقائية ملائمة يُنصح بالقيام بها حين يتم احتساء النبيذ من كؤوس زوجية[168]. ويستطيع ضوء شعلة وضوء القمر وصحبة جماعة من الناس تقديم حماية فاعلة. وحين يسير ثلاثة أشخاص معًا، لا يظهر لهم العفريت[169]. كما تُعتبر تلاوة صلاة شِمَعْ في الليل دفاعًا جيدًا ضد قوة العفاريت[170].

هناك نفور خاص من شرب الماء ليلًا. واليوم يقول المرء أن ذلك ليس جيدًا، لأن الماء يجري في الخواصر ("بِطيح بالخَواصِر") ويتسبب بألم. وعلى المرء الامتناع عن غرف الماء وصبه ليلًا ("السلط")[171]. وينصح المعتقد اليهودي بعدم شرب الماء على الأقل في ليلتي الأربعاء والسبت لانه يشكل خطرًا على الحياة بسبب الروح الشريرة. وللسبب نفسه، على المرء ألا يشرب ليلًا أبدًا من أنهارٍ وبِركٍ إذا لم يتخذ إجراءات احترازية خاصة[172].

وعن أهمية المحاق وضرر ضوء القمر، سبق أن تم الحديث عن بعض هذه الأمور في ص 10 وما يليها[173]. وهنا حري الإضافة أن النوم في ضوء البدر في الصيف، بحسب المعتقد اليهودي، يتسبب بالحمى (ص 503). وحتى ظل القمر لا يُشكل مكانًا ملائمًا للنوم إذا وقع هذا الظل في اتجاه الغرب، أي أن القمر يقع في الشرق[174].

بحسب التصور العربي، فإن الليل بعد منتصف الليل يكون في منتهى الظلام. وغالبًا ما يكون القمر حينئذ قد غاب، وقد يحصل أن الضباب الذي

---

(167) Mech. de R. Schim. B. Yoch. to Ex 12:42 (p. 28), b. Pes. 109[b].

(168) b. Pes. 110[a].

(169) b. Ber. 43[b].

(170) j. Ber. 2[d], b. Ber. 5[a].

(171) يُنظر أيضًا:

PEFQ (1908), pp. 245f.

(172) b. Pes. 112[a], Ab. Z. 12[b].

(173) عن ضرر ضوء القمر عند اليونانيين والأرمن، يُنظر:

Frazer, *Adonis*[2], pp. 375f.

(174) b. Pes. 111[a].

يتشكل في الصباح وسحب الندى يُضعفان لمعان النجوم ويحجبان ضوءها. ويُسمي المرء هذا الوقت "عتمة الصُبح": "عتمة النهار". وفي هذا الوقت يُصادف "سَحَر" المسلمين (ص 598). ويُختتم الليل آنئذٍ بوقت "الدَغشة" (يُقارن ص 598) التي تنطبق عند **البستاني** على بداية الليل. ويستخدم البدو تعبير "جهمة" (= "جَهمِة"). ومن ناحية توراتية ينتمي إلى هنا الـ"نِيْشِف" الصباحي (المزامير 147:119؛ أيوب 4:7)، أي الهزيع الأخير من الليل، وهو لا يزال دامسًا بعد[175]. وقد ترجمه سعديا بِـ"سَحَر" أو "غَلَس"، أي أنه يفكر بنهاية الظلام، وليس ببداية الضوء. كذلك لم تفهمه السبعونية *εν αωρια* في المزامير (47:119) بشكل مختلف. وبناء عليه، فإن الترجمة "الفجر، الفجر الكاذب" (Gesenius-Buhl وGesenius-Brown) ليست صحيحة ولا قابلة للجمع بينها وبين معنى "الظلام" في إشعيا (11:5؛ 4:21؛ 10:59)؛ إرميا (16:13) وأيوب (15:24). وكذلك في صموئيل الأول (17:30)، حيث "هجوم في ظلام الصباح المبكر" يجب أن يكون قد قُصِد إليه - ويُعادل معنى كلمة "نيْشِف" هنا بداية نوبة الحراسة الصباحية. الـ"نيْشِف" الصباحي هو الوقت الذي، على النقيض من بداية الصباح، لا يزال مظلمًا. ومثل كلمة "سَحَر" العربية، إنه وقت ما قبل الضوء، في حين أن "شَحَر" العبرية (ص 601)، التي هي ذاتها من ناحية لغوية، تعني وقت الضوء الأول.

إنه لشيء غريب في أيوب (14:24) أن الكلمة "أور" "ضوء" تقف بشكل موازٍ لكلمة "ليل"، وهو ما أدهش المعلق [على العهد القديم]. كما تُستخدم في المشنا كتسمية لليل الذي يستقدم النهار[176]، حيث يتم التفكير بالليل كجالب لضوء النهار. وفي الآرامية اليهودية - البابلية، تتمتع "نُجي": "لمعان" بالمعنى ذاته، في حين أن "أورِتا" تستخدم اللّيل الذي يُنهي النهار. "أور" أو "نُجي"، تمثل 14 نِسان كما تُمثل "أورِتا" 13 نِسان. وفي السريانية تتمتع "ناجَه" بالمعنى نفسه لكلمة "نُجي" العبرية، والتي ربما يجب أن تقرأ "ناجِهي". وبذلك يُذكّر

(175) يُقارن ص 630.

(176) Pes. I 1, 3, Kerit. I 6.

متّى (1:28) وتحديد الوقت *οψε σαββατων τη επιφωσχουση εις μιαν σαββατων*، بالمسيحية الفلسطينية: "بِرُمشا دِشَبّتا دِناجَه لِحَد بِشُبّا"، حيث المقصود هو النهار قبل الأحد. وعلى ما يبدو كما لو أن "أورِتا دِشَبّتا" قد خطت إلى جانب "ناجَه دِحَد بِشَبّا"(177).

بنظرة ختامية إلى الخلف، ينبغي عدم تجاهل أن الإيمان بالأرواح يحتل فضاء واسعًا في الحاضر الفلسطيني، كما في الأدبيات البابلية اليهودية؛ فالتلمود الفلسطيني والعهد القديم يذكران القليل عن ذلك، والأخير يعتبر أن الخوف من العفاريت التي يُعتقد أنها تقف وراء آلهة الشعوب الغريبة (سفر اللاويين 7:17، التثنية 17:32، المزامير 37:106، يُقارن الرسالة الأولى إلى كورنثوس 20:10)، غير ملائمة للإيمان برب إسرائيل. إلا أن مراجعة للحقائق تؤكد أن الحياة الشعبية كانت مشبعة بالإيمان بالأرواح أكثر مما يتركنا العهد القديم نخمن. إن التغلب على هذا المعتقد من خلال الاعتقاد بالله أدى دورًا فاعلًا في التكوين، ودفع بخرافات الشعب إلى الخلف. وبذلك سُلب هلع الليل باعتباره مكونًا مهمًا، وصار ينتمي إلى اليوم المنتظر لأن الضوء المنبعث من الرب يضع حدًا لظلام الليل وإلى الأبد (إشعيا 19:60؛ رؤيا 25:21، 5:22).

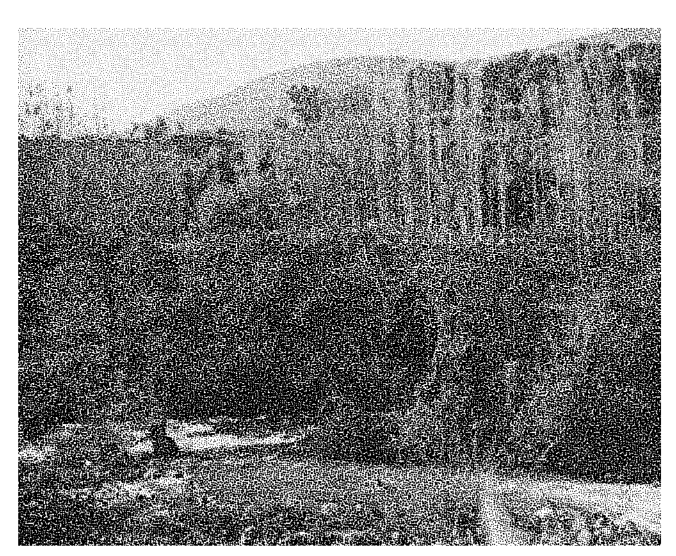
---

(177) يُقارن:

Dalman, *Grammatik*², p. 247.

ملحق الصور[1]

(1) جميع أرقام الصفحات الواردة في تعريف الصور تعود إلى النص الألماني. (المحرر)



1. أشجار الحور والمراعي عند نقطة التقاء نهر سعار ونهر بانياس (الأردن) وفي الأعلى أشجار بلوط في "تُربة بنات يعقوب"، 13 نيسان/ أبريل 1907.

(للصفحات 67، 99، 384، 530، 538. عدسة: غ. دالمان)



2. أشجار الحور الفراتي على نهر الأردن على مقربة من الجسر بالقرب من أريحا، 17 نيسان/ أبريل 1909.

(للصفحات 101، 255، 387، 538. عدسة: هـ. مُولر)



3. شجرة طرفاء مزهرة على نهر الأردن بالقرب من الجسر قبالة أريحا
20 نيسان/ أبريل 1911 للصفحتين 101 و387.

(عدسة: غ. دالمان. من كتاب **فلسطين السنوي**، السنة السابعة، 1911
دار نشر Verlag E. S. Mittler & Sohn, Berlin SW 68)



4. شجيرة العشار الباسق (ذات أوراق كبيرة)
شجرة بلسم زائفة وإلى اليمين شجرة السدر في غور الأردن الشرقي
إلى الشمال من البحر الميت، تشرين الثاني/ نوفمبر 1906.

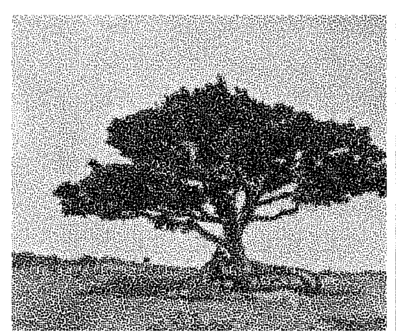
(للصفحات 79، 255، 373. عدسة: ريتر ف. تسيفاروفيتش (Ritter v. Zepharowitsch))



5. شجرة طلح حقيقية بالقرب من عين جدي على البحر الميت

مشهد جنوبي، 25 آذار/ مارس 1911.

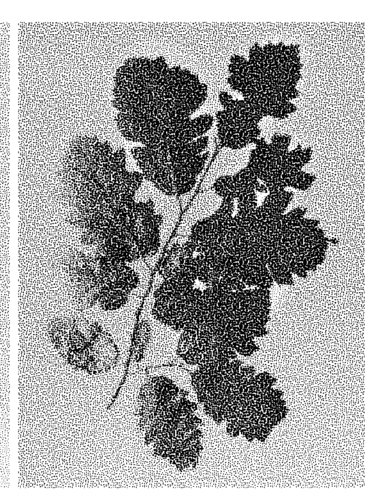
(للصفحتين 79، 383)



6. شجرة جميز في الكروم بين الكثبان الرملية بالقرب من يافا.

(للصفحات 61 وما يليها، 505 وما يليها، 564. عدسة: برونو هنتشل ,Br. Hentschel

(Kunstverlag. Leipzig, Marienstr. 6)



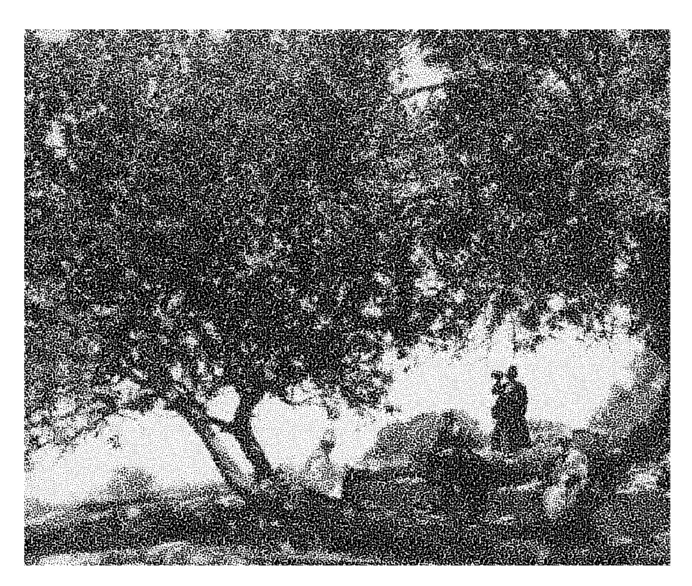
7. سنديان فش (طارحة ورق، يصل طول الورقة إلى 10 سم)، بانياس، 6 نيسان/ أبريل 1909 (من مجموعة نماذج الأعشاب الخاصة بي).

(للصفحتين 65، 384)



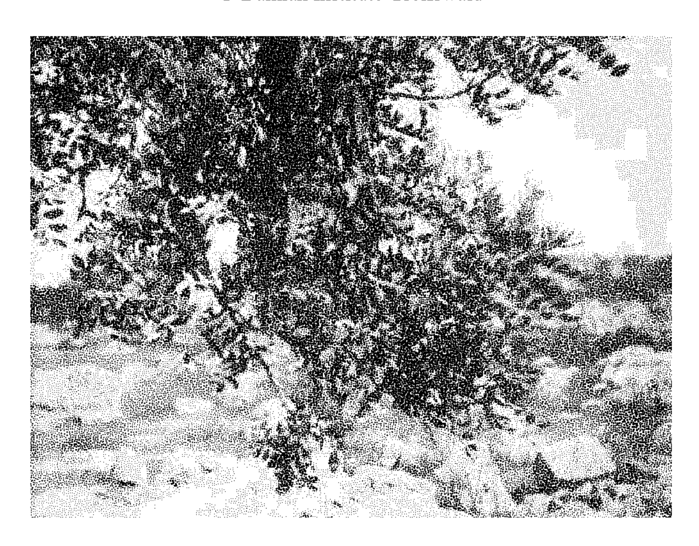
8. الجميز (طارحة ورق، يصل طول الورقة إلى 11 سم)، يافا، 12 تشرين الثاني/ نوفمبر 1913 (من مجموعة نماذج الأعشاب الخاصة بي).

(للصفحة 255)



9. أشجار خروب بالقرب من الست الحورية في المنطقة الساحلية
10 أيار/ مايو 1910.

(للصفحات 57 وما يليها، 257 وما يليها. عدسة: إريك أوريليوس)

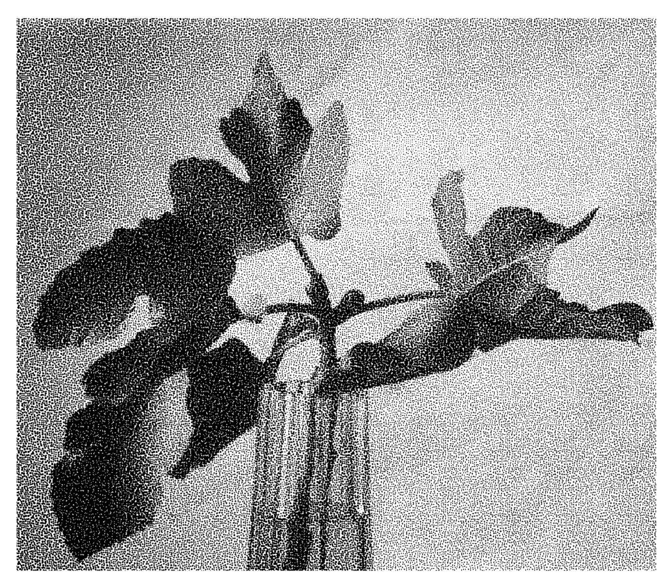


10. غصن شجرة خروب مثمر، مصح المجذومين - عون المسيح، القدس
1 أيلول/ سبتمبر 1925.

(للصفحات 58، 561، 564. عدسة: غ. دالمان)



11. شجرة تين مورقة في بيت جَنّ في الجليل الأعلى
10 نيسان/ أبريل 1912.
(للصفحتين 331، 378)

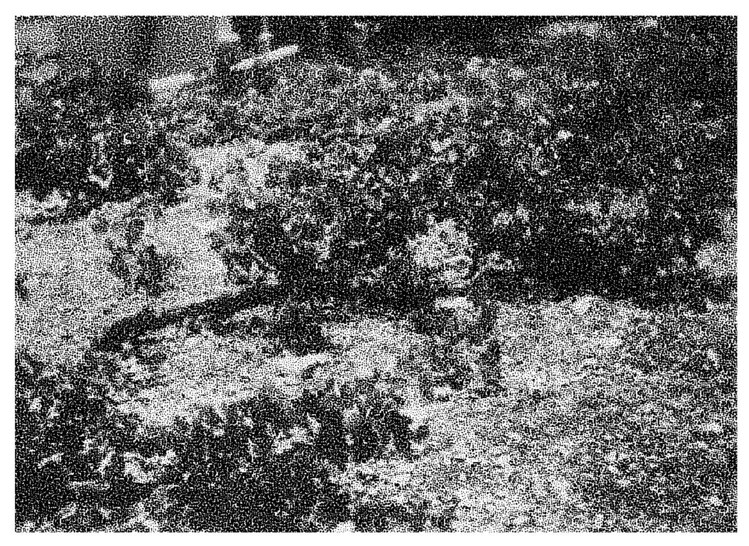


12. غصن تين يحمل تينًا مبكرًا وبدايات تين متأخرٍ بالقرب من القدس
1 حزيران/ يونيو 1925.
(للصفحتين 379، 419. عدسة: ك. أو. دالمان)



13. مشهد طبيعي يحفل بأشجار زيتون بالقرب من جِبَع، في شمال الضفة الغربية ("جبع" نفسها على التلة في وسط الصورة). 3 نيسان/ أبريل 1908. مشهد شمالي شرقي.

(للصفحات 58 وما يليها، 381. عدسة: غ. ريمان (G. Reymann))



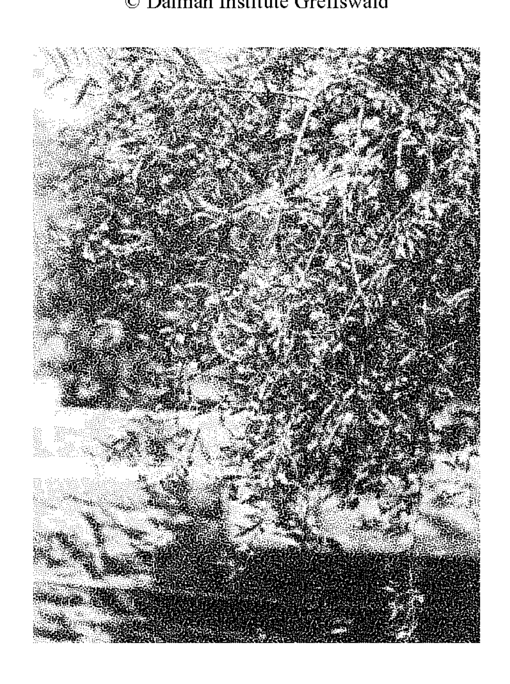
14. كرم عنب، في البقعة بالقرب من القدس، 5 أيلول/ سبتمبر 1925.

(للصفحات 160 وما يليها. عدسة: غ. دالمان)



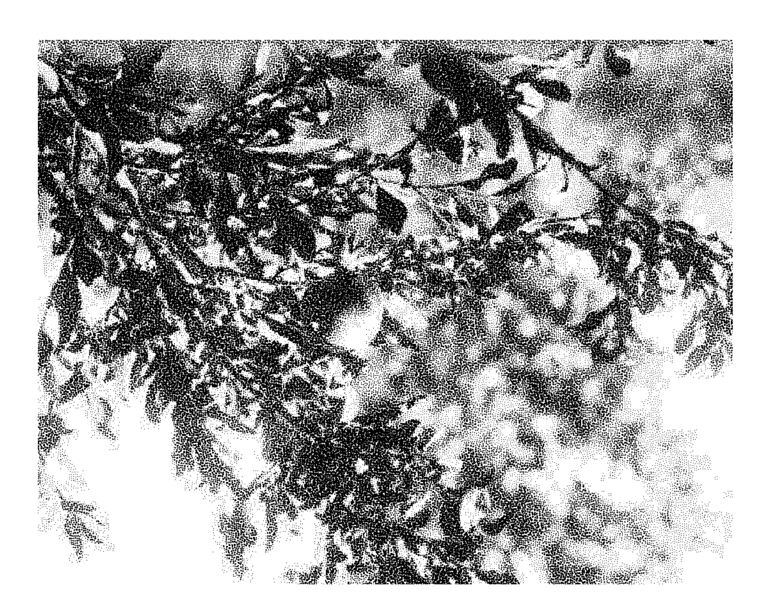
15. غصن زيتون مزهر يحمل بدايات الثمر، القدس، 1 حزيران/ يونيو 1925.

(للصفحة 381. عدسة: ك. أو. دالمان)



16. غصون زيتون تحمل ثمارًا.

(للصفحتين 161، 164. عدسة: برونو هنتشل (Br. Hentschel, Kunstverlag. Leipzig, Marienstr. 6))



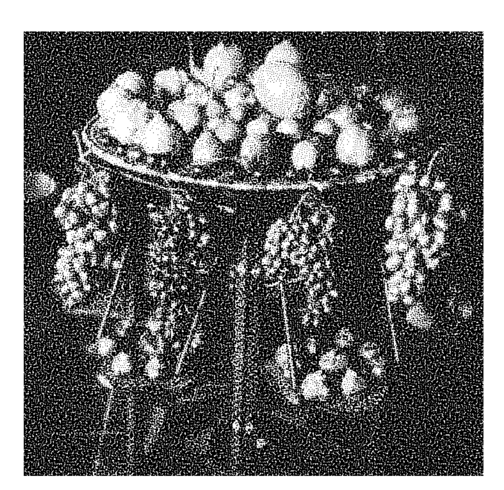
17. غصن رمان يحمل ثمارًا. مصح المجذومين، القدس
1 أيلول/ سبتمبر 1925.

(للصفحات 556 وما يليها، 561. عدسة: غ. دالمان)



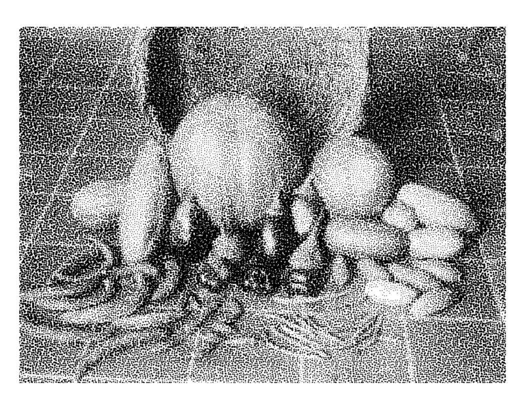
18. رمان مع براعم وزهر ذابل سقطت منه ثلاث أوراق زهر، القدس
30 حزيران/ يونيو 1925.

(للصفحات 377 وما يليها. عدسة: ك. أو. دالمان)



19. فواكه من السوق في القدس، 10 آب/أغسطس 1925. على الصحن في الوسط، إجاص وتفاح وخوخ، وفوقها 3 ليمونات، وعلى الجانب الشمالي 4 سفرجلات، وفي الأمام إجاص، وإلى اليمين 4 تفاحات، وحول الحافة عناب، ومعلق 4 عناقيد عنب، لون الأوسطين أزرق ولون الآخرَين أخضر. وعلى اللوح الصغير في الأمام تين أزرق وأخضر، وإلى اليمين خوخ.

(للصفحة 562. عدسة: ك. أو. دالمان)

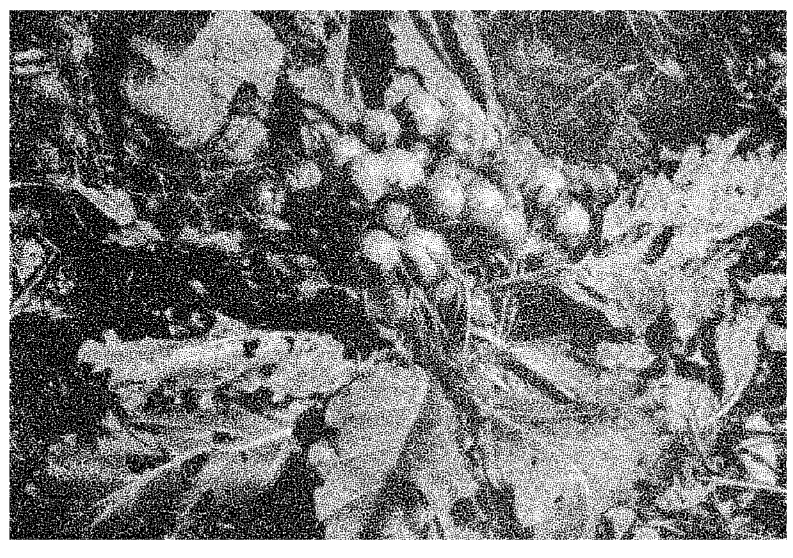


20. فواكه وخضروات، القدس، 12 تموز/يونيو 1925. في الخلف أمام السلة بطيختان، وإلى اليسار شمامتان، إلى اليمين 4 حبات من الكوسا، في الوسط أمام البطيخة الكبيرة 3 باذنجانات ("بيتنجان") وشمندر أحمر ("بَنْجَر") عدد 2، وقبلهما ثلاث حبات طماطم ("بَنَدورة")، وفي الأمام من اليسار إلى اليمين فقوس ("فقوس") وبامية ("بامية") ولوبياء ("لوبيّ") وخيار ("خِيار").

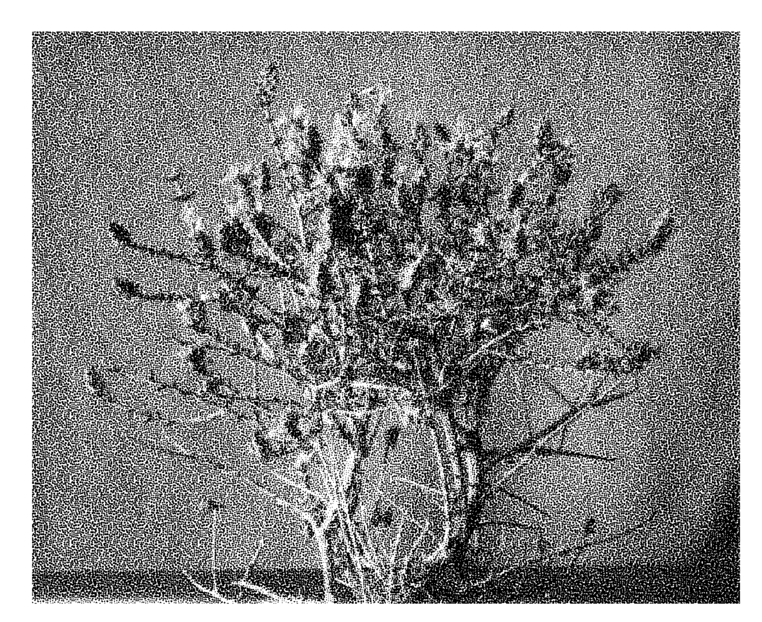
(للصفحات 518، 546، 561. عدسة: غ. دالمان)



21. غصن شجرة فستق يحمل ثمارًا، القدس، 27 آب/ أغسطس 1925.
(للصفحة 562. عدسة: ك. أو. دالمان)

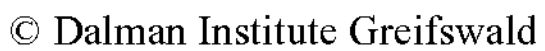


22. اليبروح (Mandragora) مع ثمار، بالقرب من القدس.
(للصفحات 250 وما يليها. عدسة: هـ. ل. لارسون، أميركان كولوني، القدس)



23. زعتر (Thymus capitatus) بالقرب من المالحة، 18 آب/ أغسطس 1925.

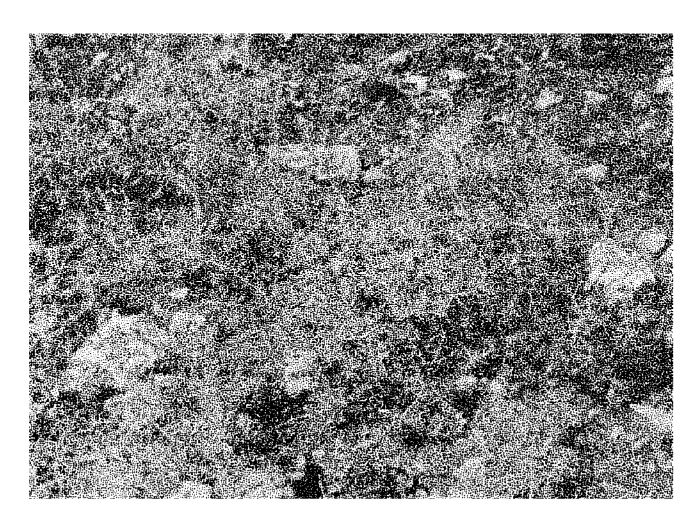
(للصفحتين 545، 548. عدسة: ك. أو. دالمان)





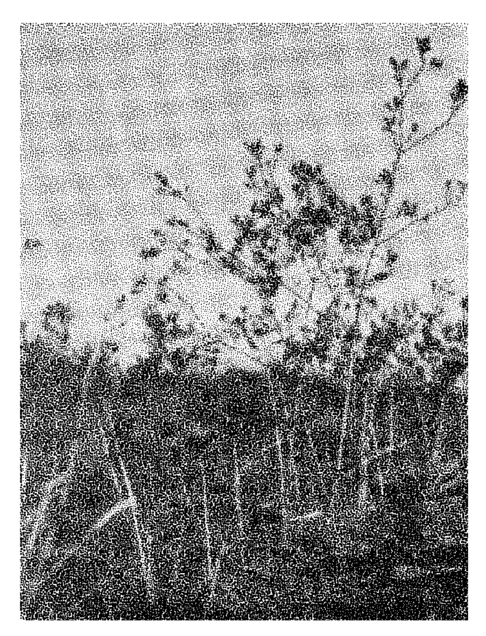
24. مرقئة شوكية (Poterium spinosum)، بلان، بالقرب من القدس 18 آب/ أغسطس 1925.

(للصفحات 52، 372 وما يليها. عدسة: ك. أو. دالمان)



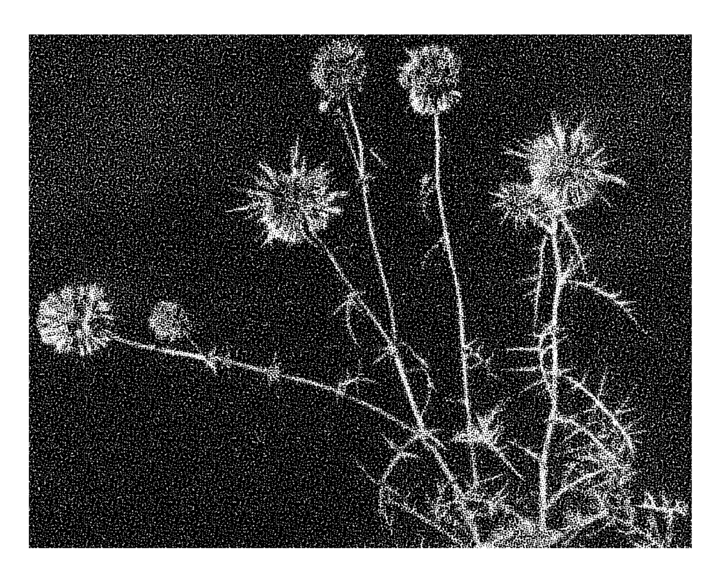
25. قرطم بري (Carthamus glaucus)، البَقعَة بالقرب من القدس 10 آب/أغسطس 1925.

(للصفحات 51، 339، 407. عدسة: غ. دالمان)

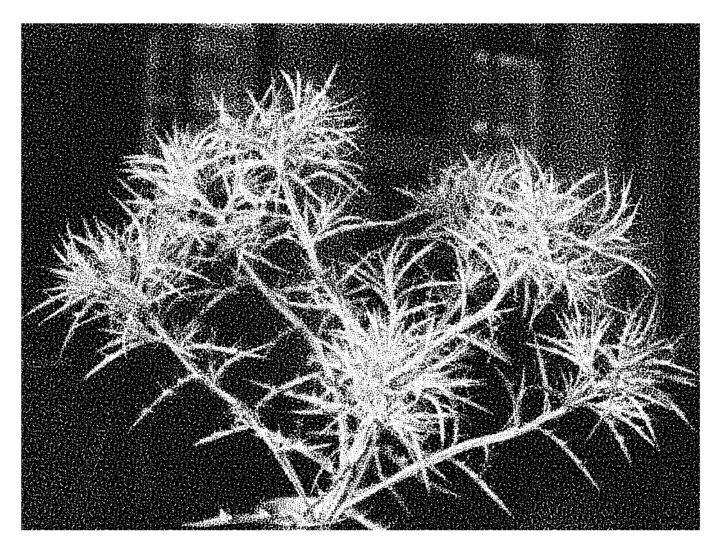


26. نبات شوكي بالقرب من اللد، 12 أيلول/سبتمبر 1921.

(للصفحتين 546، 548. عدسة: سفن ليندر، أوبسالا)



27. القنفذ الشائك أو شوك الجمل (Echinops viscosus)،
البقعَة بالقرب من القدس، 11 تموز/يوليو 1925.
(للصفحات 52، 372، 546. عدسة: غ. دالمان)



28. قصوان (Circium acarna، بالعربية "شوك الفار")،
البقعَة بالقرب من القدس، 11 تموز/يوليو 1925.
(للصفحة 372. عدسة: غ. دالمان)



29. شوك الجمل أو خرفيش جْمَال (Silybum marianum)
بالقرب من راس العين (Antipatris, 8)، نيسان/ أبريل 1921.

(للصفحتين 56، 372. عدسة: سفن ليندر)



30. شوك الحمير (Onopordum Illyricum)، ذابل، إلى اليسار أشجار صنوبر،
النبي سعين فوق الناصرة، 31 آذار/ مارس 1921.

(للصفحتين 56، 549. عدسة: سفن ليندر)



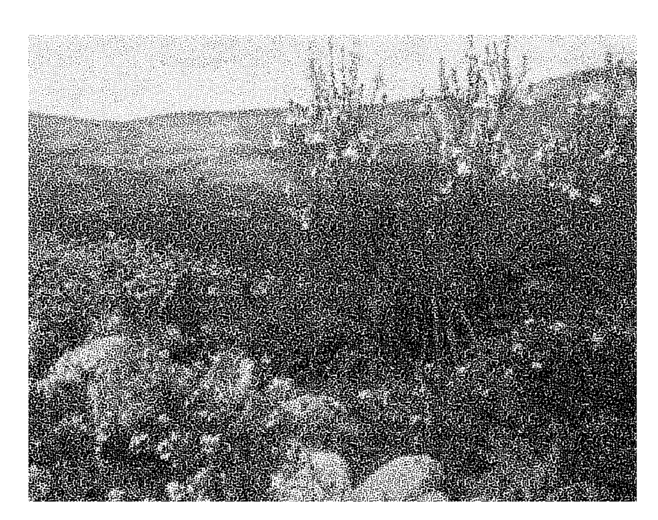
31. حقل قمح، البقعة بالقرب من القدس، مطلع أيار/ مايو 1925.

(للصفحات 413 وما يليها. عدسة: ك. أو. دالمان)



32. حصاد القمح بالقرب من حوارة، عجلون، 7 أيار/ مايو 1899.

(للصفحات 413 وما يليها. عدسة: غ. دالمان)



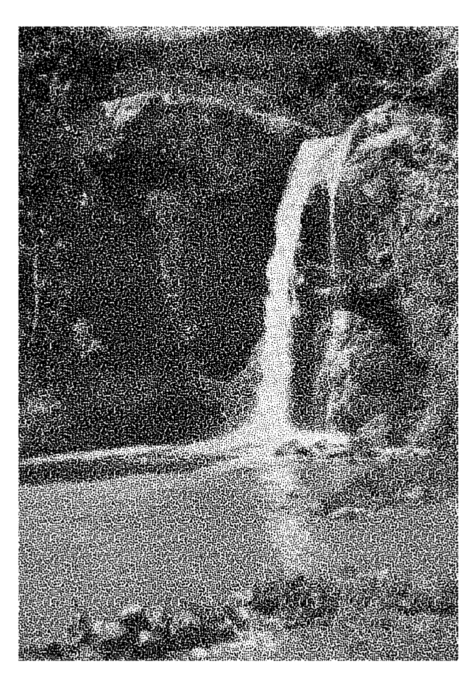
33. البَروق (Asphodelus microcarpus) وErucaria aleppica، جنوب شرق الضفة الغربية على طريق الرومان نحو أريحا، 26 شباط/ فبراير 1908.

(للصفحات 361 وما يليها. عدسة: سي. برتو (C. Bertheau))



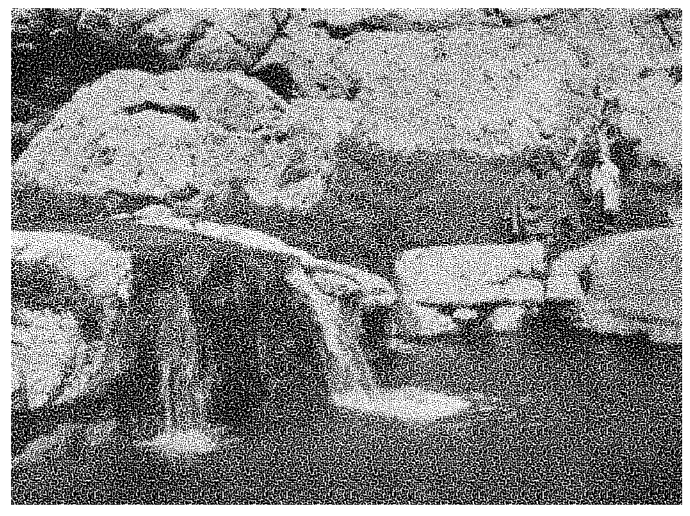
34. البروق في الرّقاد في وادي الجولان، 10 نيسان/ ابريل 1911.

(للصفحة 363. عدسة: هانز شميدت (Hans Schmidt))



35. شلال ماء بالقرب من جرَش، 2 نيسان/ أبريل 1910.

(للصفحات 529 وما يليها. عدسة: غ. دالمان)



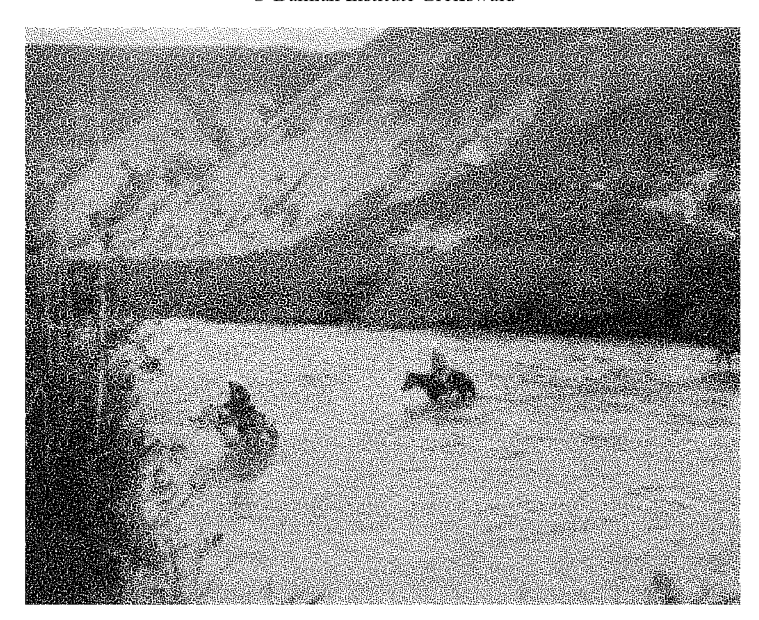
36. حوض ماء في وادي فارة، 28 تشرين الأول/ أكتوبر 1910.

(للصفحات 529 وما يليها. عدسة: غ. دالمان)



37. شاطئ البحر المتوسط بالقرب من أرسوف.

(للصفحة 315 وما يليها. عدسة: ف. شفوبل (V. Schwöbel))



38. مخاضة على اليرموك بالقرب من محطة المَقارِن [أم المقارن] 11 نيسان/ أبريل 1911.

(للصفحة 206. عدسة: ت. شلاتر (Th. Schlatter))

فهرس عام

ب

ت

ث

ج

ح

خ

د

ذ

ر

ز

س

ش

ص

ض

ط

ع

غ

ف

ق

ك

ل

م

ن

هـ

هذا الكتاب

أكبّ غوستاف دالمان على دراسة التاريخ البشري والعمراني لفلسطين المعاصرة وصرف جزءًا من سني حياته وهو ينقب ويبحث ويجمع كل ما يتعلق بتاريخ "فلسطين العربية" بحسب وصف دالمان نفسه. وكان لا بد من السير مع أيام السنة يومًا بيوم أو شهرًا بشهر، وهو ما دفعه لجعل عنوان المجلد الأول بجزئيه "سيرُ السنة وسيرُ اليوم". وفي هذا الجزء الثاني يتتبع دالمان فصلي الربيع والصيف، ويرصد في كل منهما الحرارة وأطوال الأيام والمطر والعواصف الرعدية والفيضانات والتغييم والندى والضباب والرياح وعالم النبات، ويركز في فصل الربيع على أزهار الحقل والسوسنيات والزنبقيات والورود وبساتين الفاكهة، علاوة على الطيور المهاجرة والجراد والزراعات الربيعية وبدايات الحصاد وأعياد الربيع المسيحية والإسلامية واليهودية وغير ذلك مما لا يمكن تعداده من عناصر الحياة اليومية للناس في أتراحهم وأفراحهم واجتماعهم وتفرقهم. أما فصل الصيف فقد توفر دالمان على دراسة كل ما له صلة بهذا الفصل كالحرارة النهارية والبرودة الليلية والكواكب السيّارة كالثريا والدبران والجوزاء والسهيل، والضوء والظل والهواء والرطوبة والغبار والجفاف، فضلًا عن النباتات الصيفية ولا سيما الحبوب والفاكهة والخضروات، وكذلك الحصاد وجني الأثمار وأعياد الصيف والتقاليد الدينية في أثناء الحراثة والقطاف والتحطيب وحتى غروب الشمس والليل.

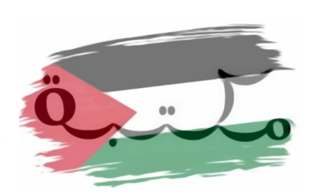
استعان دالمان بعلم الفلك لإنجاز المجلد الأول، وبالمدونات التاريخية وبالكتب الدينية وبالأقوال العربية المأثورة كطريقة من طرائق معرفة حياة الأرياف. ويخلص القارئ إلى أن "العهد التوراتي" إنما كان لحظة عابرة وقصيرة في التاريخ الطويل والممتد في الزمن لـِ "فلسطين العربية".

المؤلف

غوستاف دالمان، لاهوتي لوثري ألماني وعالم آثار ومستعرب وخبير باللغات القديمة كالعربية والآرامية والعبرية واليونانية. ولد في سنة 1855، وجاء إلى القدس، أول مرة، في سنة 1899، ثم تسلم إدارة المعهد الإنجيلي الألماني للآثار القديمة في الأراضي المقدسة في سنة 1902. واستطاع خلال وجوده في القدس الذي امتد من 1899 إلى 1917، أن يجمع نحو خمسة آلاف كتاب عن فلسطين وسوريا، علاوة على خرائط كثيرة، ونحو خمسة عشر ألف صورة تاريخية عن فلسطين. ومع عودته إلى ألمانيا، تولى إدارة معهد أبحاث فلسطين في جامعة غرايفسفالد. نشر دالمان عددًا من الكتب المرجعية عن فلسطين منها **الديوان الفلسطيني** (1901) و**مئة صورة جوية ألمانية من فلسطين** (1925) وموسوعة **العمل والعادات والتقاليد في فلسطين** (ثمانية مجلدات)، فضلًا عن كتب أخرى عن الآرامية وعن اللهجات العربية في فلسطين، وتوفي في سنة 1941.

المترجم

محمد أبو زيد، ولد في مدينة طولكرم الفلسطينية في سنة 1955. درس الطب في جامعة برلين الحرة وتخرج فيها طبيبًا. حاز دبلومًا عاليًا في اللغة الألمانية، واهتم بالأدب الألماني وتاريخ ألمانيا. عمل طبيبًا في مراكز الهلال الأحمر الفلسطيني وجمعية إنعاش الأسرة في الضفة الغربية، ودرّس الألمانية في معهد غوته وفي مدرسة الرجاء اللوثرية في رام الله، وهو يقيم في مدينة رام الله.





المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies